

المجلد الأول ◊ العدد الأول
رجب ١٤٠٨ هـ ◊ مارس ١٩٨٨ م



صَوَالِحُ

محنة شهرية إسلامية أدبية

© دعوتنا: عودة بالأمة إلى الكتاب والسنة



دَارُ التَّائِيْفِ وَالتَّجْمَعِ بِنَارِ سِرِّ الْهِنْدِ

محتويات العدد

الصفحة

- ١ - المجلة تستهدف - - - - - ٢
- ♦ الانتاحنة :
- ٢ - من صوت الجامعة إلى صوت الأمة
- ٣ د . / مقتدى حسن الأزهرى
- ♦ الدورة الاسلامية .
- ٣ - منهج الدعوة إلى الله
- ١٤ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
- ♦ تصحيح المعاني
- ٤ - السلف الصالح أثبت لله تعالى
- ٢٦ سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
- ٥ - مسألة حياة النبي ﷺ في ضوء الأدلة الشرعية
- ٣٢ العلامة محمد اسماعيل السلفي
- ♦ بحوث ودراسات .
- ٦ - السيرة العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية
- ٤٣ د . / عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريواني
- ♦ آفاق إسلامية
- ٧ - الدين الإسلامى يأمر بالطاعة واتحاد الكلمة
- ٥٥ الدكتور صالح بن غانم السدلان
- ♦ فتاوى دينة .
- ٥٧ - سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
- ♦ من تراثنا
- ٩ - طعة جديدة لكتاب فتح المغيث للسحاوى ح
- ٥٨ د . / مقتدى حسن الأزهرى
- ♦ معالم الاسلام
- ١٠ - عن الجهاد في أفغانستان
- ٦٣ الشيخ ولي الله غلام
- ١١ - من أواخر الجامعة السلفية
- ٦٧ - - - - -

صَوْتُ الْأُمَّةِ

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف والترجمة ، بنارس

رجب ١٤٠٨ هـ

المجلد الأول

مارس ١٩٨٨ م

العدد الأول

★ عنوان المراسلة : رئيس تحرير صوت الأمة ، بي ١٨/١ جى ، ريورى تالاب فاراسى ، الهند

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريورى تالاب ، فاراسى ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B. 18/1 G 2, REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى } فى الهند ٤٢ روبية. فى الخارج ١٨ دولارا (بالبريد الجوى)
٨ دولارات (بالبريد العادى)
ثمن النسخة ٤/٥٠ روپيات

★ تليفون : ٦٣٥٧٧

© المنشور لا يعبر إلا عن رأى كاتبه

بِإِذْنِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِحَاجَةِ تَسْهِيلِ مُرَافِقَةِ

- ◆ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكري ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الراى العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .
- ◆ مقاومة الافكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والممادى الهدامة ، وضلال الزيف والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما فى نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم
- ◆ مؤاررة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق وعى وحرارة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .
- ◆ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعى الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرحوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .
- ◆ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهدد ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .
- ◆ التوجيه الدينى السليم للمسلمين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقةهم على هدى وبصيرة .
- واقه هو المسئول أن يهديننا إلى سبيل الرشاد ؟

من صوت الجامعة إلى صوت الأمة

(د : مقتدى حسن الأزهرى)

كان من بين الأهداف البارزة للجامعة السلفية نشر الدعوة الإسلامية والعقيدة الصحيحة ، وتوجيه كافة الناس إلى القيم الدينية والمثل العليا . والجامعة قد دأبت منذ إنشائها إلى تحقيق هذه الأهداف ، واستغدت في سبيل ذلك جميع الوسائل والطاقت .

وكخطوة أولى أصدرت الجامعة عام ١٣٨٩ هـ مجلة باسم «صوت الجامعة» كانت تصدر كل ثلاثة أشهر . استمرت المجلة على هذا الوضع والاسم إلى شبان عام ١٣٩٦ هـ ، وقد جاء في افتتاحية أول عدد من المجلة في هذه المرحلة :

من افتتاحية العدد الأول من المرحلة الأولى

• إن العصر الذى نعيش فيه يسمى عصر التقدم والرقى ، عصر الاختراعات والاكتشافات ، ونرى أنه يمتاز بتقدم كبير في مجال الشر والإعلام ، والناس في هذا العصر يؤمنون تماما بالدعاية ، وقلما يحاولون الوصول إلى الحقائق الأصلية والأغراض الكامنة وراء هذه الدعاية .

• والمؤسف أن هذا الداء — داء الإيمان بالدعاية الفارغة — قد سرى إلى كثير من الناس الذين يدعون نشر الحق وحماية العدل مع أنهم لا يسمون إلا مع الباطل ، ويحاولون تغيير المفاهيم الثابتة وطمس الحقائق التي لا تزال

تلعب أمام الناس وتنطق بالحق .

• والقبول الذى لافته اليوم الأحزاب السياسية والمذاهب الاجتماعية الحديثة سببه الأكبر هو هذه الدعاية المتواصلة التى لا تقف عند حد ولا تنتهى إلى نهاية إن أصحاب هذه المذاهب يعرفون جيدا أن سلاح الدعاية هو أقوى ما يمكن به الوصول إلى أهدافهم وكسب رأى أهل بلادهم ، ولذلك فرام يرسدون لهذا الغرض ميزانية ضخمة وأشخاصا غير قليلين ، يسخرونهم لشر دعوتهم وترويج باطلهم ، وهذا الموقف الحدى والاستماتة فى سبيل نشر المبادئ المقررة عندهم يحمل على ضرب من التفكير . لأنهم يبدلون كل الجهود مع علمهم بأن المذاهب التى يعملون لها ليست إلا وليدة الفكر الإنسانى الذى قد يحبط . ويصيب .

• أما نحن - المسلمين - مؤمن بمبادئ الاسلام وبكونها منزلة من عند الله وناجحة فى سبيل حل مشاكل الانسانية محققة للسعادة البشرية . فؤمن بأن هذه التعاليم قد أحدثت تحولا عظيما فى التاريخ الإنسانى ، حينما كانت منفذة ومطابقة على حياة الانسان ، فكانت الانسانية فى ذاك الوقت أسعد حالا منها فى أى وقت آخر ، وكان الناس الذين اعتنقوا هذه المبادئ مهتمين بمصالح غيرهم قبل مصالحهم الخاصة ، وكان السلام الحقيقى والطمأنينة تسود العالم كله .. فؤمن بهذا كله . ولكن مع ذلك لا يبدل الجهود الكافية لتكوين مجتمع يسوده الايمان والتوحيد ، والحق والخير ، والعدل والرحمة ، ولا تتحرك لإيقاظ العالم مما يسوده من اضطراب وأعمال ، وظلم وحور ، وهوى وضلال ، وجهل وتقليد ، وأثرة وشح . فهل نسيت الدور الذى أخرجنا الله تعالى لأدائه ؟ وأفردنا بمكان خاص لا تبلغ اليه جماعة أخرى ؟ ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون

بالمعروف وتنهون عن المنكر) والآية الكريمة يعرف بها الله تعالى المسلمين حقيقة مكانهم في هذه الأرض ودورهم في حياة البشر .

♦ ولا حباط هذه المؤامرات يجب علينا أن نهب ونسعى من جديد للجهاد المقدس — جهاد القلم والفكر — ونشرح للإنسانية التعسية تعاليم دين الرحمة والسلام، دين الهداية والصالح، ونبرز مزاياه التي يحاول أعداؤنا دائماً إلقاء الستور عليها... نشرح لها أن هذا الدين هو الوحيد الذى يملك الحلول الحاسمة للمشاكل التي طالما أرهقت الإنسانية وتركتها تتخبط وراء الشعارات الزائفة والتيارات الفاسدة ثم لا تجد سبيلها ولا تعرف مصيرها .

♦ ومن المعروف أن القوى المعادية للإسلام تعمل في ميدان السياسة والدين والاقتصاد والاجتماع . فعلىنا أن نعمل أيضاً في جميع هذه الميادين بأحدث الوسائل وأكبر النشاط وبالقوة والصمود، والإخلاص في العمل والتفاني في الحق، فنحن ننسب إلى دين الإسلام، دين العدالة والرخاء، دين العقل والقلب، دين الهداية والرشد .

♦ ولإننا بهذه المجلة نريد أن نبدأ السير ونفتح آفاقاً جديدة للناس، ونندلهم على الخطر المحدق بهم ونسهم بهذا العمل في ترويض الناس بما يحتاجون إليه من الثقافة الدينية والبحوث الإسلامية، فإنهم في حاجة ماسة إلى ذلك لكثرة الدعايات المغرضة ضد دينهم من ناحية، ولقلة الجرائد والمجلات التي تتناول هذه الأمور من ناحية أخرى، وكذلك نهدف إلى شرح مناهجنا ووجهة نظرنا نحو القضايا المعاصرة، فإننا أقدر على ذلك من غيرنا، خاصة في الظروف الحاضرة .

♦ وبعد ذلك كله نريد تصحيح بعض الأخطاء والمزاعم التي نسبت إلينا — بالتمدد أو الجمل — وحاول المفرضون النيل من عقيدتنا وإلقاء الستور على

الجهود التي بذلها أسلافنا في سبيل نشر الثقافة والعلوم الإسلامية في الهند وغيرها من البلاد التي كانت مسرحاً لنشاطهم وأعمالهم مدة من الزمن .

• ونحن مؤمنون بأن هذه الخطوة ستكون ناجحة ومثمرة ، وتسد فراغاً في الصحافة الحاصرة — إن شاء الله عز وجل — ويقوى إيماننا هذا ما نرى في الشباب الإسلامي من الرغبة في الرجوع إلى الإسلام من جديد والتمسك بتعاليمه بعد المقارنة بينا وبين توحيدات المذاهب والحركات الأخرى التي ولدت حديثاً .

• وهذه المحلة بداية لتصحيح هذه الأوضاع العاصدة . وتعريف المسلمين بالمنهج الواضح الحق وبالمصادر الأصلية للشريعة الحقة من الكتاب والسنة

• إنها بداية لإنقاذ البشرية من الدمار الشامل الذي نجم من ابتعاد الناس عن الدين الإسلامي ومهادنة الله المقدسة .

• بداية لتطهير التعاليم الإسلامية عن المزاغم والآوهام التي نسبها إليها أعداء الإسلام وأعداء البشرية .

• إنها محاولة للرد على الافتراء الذي شاع بين الناس بالنسبة لمنهجنا وعقيدتنا ويردده بعض الناس إلى الآن لكسب عواطف المسلمين الذين يعتقدون على غيرهم في معرفة الحق والباطل والخير والشر .

• محاولة لتعريف الناس بما قدمه أسلافنا إلى الإنسانية من أياد يضاء وبذلوا جهوداً جبارة في توطيد دعائم النهضة العلمية الحديثة في الهند التي لا تزال تؤدي ثمارها للناس وتنور لهم السبيل في مجال العلم والدين .

• وتتضرع في هذه البداية إلى المولى سبحانه وتعالى لأن يجعلها بداية طيبة تسد الفراغ القائم في الصحافة الإسلامية في الهند وتوجه الجيل الإسلامي إلى الشريعة الإسلامية والمنهج السليم © ©

ثم رأى المجلس الإدارى للجامعة تغيير اسم المحلة إلى (مجلة الجامعة السلفية) وتقليل فترتها من ثلاثة شهور إلى شهر واحد .

كان المجلس الإدارى موافقا فى جزء من قراره ، فالجميع كانوا يتمنون أن تكون المجلة شهرية ، وحقق الله تعالى أمنيتهم هذه فصارت شهرية ، ولكن المجلس لم يوفق فى الجزء الآخر من قراره ، فاسمه لم يكن معنى لتغيير اسم المحلة من (صوت الجامعة) إلى (مجلة الجامعة السلفية) ولكن الذوق السليم هو الذى يدرك مثل هذه الأمور ، ويتخذ فيها القرار الصائب .

وبما جاء فى افتتاحية أول عدد من المحلة فى هذه المرحلة

افتتاحية العدد الأول من المرحلة الثانية

المجلة فى عامها الثامن وباسم جديد : دخلت المجلة بهذا العدد فى السنة الثامنة من عمرها ، وليس هذا شيئا يذكر ، وخاصة إذا نظرنا إلى الجرائد والمجلات التى ما زالت تصدر منذ عشرات السنين ، وتخدم العلم والثقافة ، وتغذى الأفكار والعقول . سبع سنوات ليست شيئا يذكر فى عمر الجرائد والمجلات فى عصر النهضة العلمية والثقافية التى نغمر العالم ، وفى عصر الاعتماد على الدعايات والمظاهر بدلا من الحقائق . ونحن مع هذا الاعتراف نذكر أن المجلة أتمت من عمرها سبع سنوات ، ونتمنى بما قامت به من الخدمات فى هذه المدة القصيرة ، وبما حققت من الأهداف ... فلماذا هذا الذكر ، ولماذا هذا التوبيخ ؟

إن الإجابة الحقيقية على السؤال المذكور قد توهم بعض الناس أنى أريد التمسك على مجلتى وحلى القائلين عليها ، أريد أن أحدبها لم يفعل ، أريد تكبير الآثار التى ترتبت على جهود المجلة ، أريد تعجيد المواقف التى وقتتها مجلتنا نحو

مختلف المشاكل والقضايا . فنغاديا من هذا وذاك أتجنب الإجابة الحقيقية ، فلعل الحقائق قد تنكشف وتتجلى للجميع بحيث لا تبقى حاجة للقول المزيد . ولكن مع ذلك أرى من الواجب الإشارة إلى بعض النقاط ، والإشادة ببعض المواقف ، ثم فوق الجميع التحديث بنعمة الله الذى ييده الخير وهو على كل شىء قدير .

فأولا أعيد ما قلته فى بعض الافتتاحيات السابقة من أن مجلة عربية فى بلد غير عربى خطوة جريئة بدون شك ، فإن الإمكانيات غير متوفرة فيه والمقالات الهادفة عسيرة المنال ، والإقبال من القراء كأنه عتقاء مغرب ، ولكن المحلّة مع ذلك صدرت واستمرت ، وتقدمت خطوة أخرى أكثر جرأة من الأولى ، وهى أنها تصدر من الآن - بعون الله وتوفيقه - شهريا ، أو عشرة أجزاء فى كل سنة على الأقل ، واسم مجلة الجامعة السلفية ، بدلا من صوت الجامعة . أما التكفير فى عواقب الخطوة الصالحة فلا نرى له داعيا ، ولو نواجه قلة الوسائل المادية ، فالذى وقفنا لإصدار المحلّة كل ثلاثة أشهر هو الذى يوقفنا لإصدارها كل شهر ، وما ذلك على الله بعزيز .

وثانيا أشيد بموقف الكتّاب المحترمين ، وأنوه بالجهود التى بذلوها فى سبيل رفع المستوى لمجلة دينية ، فلو لا مساعداتهم الأدبية القيمة لم نستطع الاستمرار فى إصدار المجلة على الصورة التى تمت . ولا شك أن هذه الجهود لها أهميتها وتأثيرها فى نشر الدعوة الإسلامية بالهند ، وفى رفع راية الاسلام والذود عن حياضه فى العصر الذى تسابعت فيه الهجمات على الدين الحنيف ، وكثرت المحاولات لقمعها على المسلمين ، فالكتاب الذين ساعدونا ببحوثهم ومقالاتهم فى هذه الظروف الصعبة ، لهم منا الشكر الحزيل والتقدير الجليل ، ومن المولى عز وجل الأجر المضاعف ، وهو لا يضيع أجر المحسنين .

وثالثاً أحد الله تعالى على أنه وقفنا للعمل ، وذلل لنا الصعاب ، وهياً لنا وسائل إصدار المجلة شهرياً ، وإياه أسأل أن يوفقنا للاستمرار في إصدار المجلة ولخدمة الإسلام والمسلمين ، ويحمل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، رنا تقبل منا، إلك أنت السميع العليم .

والاهداف التي كانت المحلة تسمى لتحقيقها في جميع مراحلها تلخص فيما يلي :

• إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحمل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيداً عن التحيز الفكري ، والتعصب المذهبي ، وتليغ رسالة الإسلام ، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ، ودحض الشبهات عنها ورفع مستوى الدراسات الإسلامية ، والثقافة الدينية

• مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادئ الهدامة ، وضلال الزيغ والإلحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب علمي رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور ، وكل ما في نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .

• موازنة الكتاب ، والأدباء الإسلاميين ، واستنهاض همهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الإسلام السمحة ، لينتمكفوا من الدود عن الإسلام ، وقيمه ، في تعمق وعى وجراءة ودأب ، وعى إيمان وإخلاص .

• إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعي الإسلامي ، في الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الإسلامية الواسعة ، وإعدادهم للإسهام في معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الإسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .

- نشر العلوم الإسلامية والعربية بين المسلمين في الهند، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين، ورفع مستواها كتابة وخطابة.
- التوجيه الديني السليم للمسلمين في القضايا الراهنة، والمشاكل الناجمة، حتى يتمكنوا من المضي في طريقهم على هدى وبصيرة.
- واقعه هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد.



وكننا ندرك جيدا أن إصدار مجلة شهرية باللغة العربية ليس أمرا سهلا، فإن الكتاب الذين يساهمون في مثل هذه المجلة يعدون على الأصابع، وأصعب من هذا أمر الطاعة والإخراج الهى، ثم توفر الوسائل المادية التي تحتاج إليها مجلة عربية شهرية.

إن الصعوبة أمر واقع لا شك فيه، ولكن حاجة الناس إلى صحافة هادفة نزيهة أشد، فإن العباد نلخوا عن الأعمال الصالحة، وأقلوا على الدنيا وزخارفها وتخلوا عن المسئوليات التي وقعت عليهم نحو الآخرين.

ثم لأنهم صاروا مرتعا خصبا للبدع والخرافات، وتسربت إليهم اتجاهاات الزيف والضلال ونظريات الإلحاد والانحلال. ضعفت ثقافتهم الدينية، وهنت صلتهم بتاريخهم، لحاولت الفرق الباطلة أن تنشر بينهم سمومها، وتصددهم عن سبيل الحق، وتقطعهم عن الماضي، وتؤدي بهم إلى مهادى الشرك والإلحاد.

هذه هي حالة المجتمع، انصراف عن الفضائل والمثل، وانغماس في الملهذات والشهوات، أما الإعلام المرتق والمسموع فانه صمم على التدمير والتخريب، وشغل الناس بالتوافه حتى يحلو له الحوفيدرك مآربه ويحقق أهدافه، والإعلام المقروء كذلك في حالة يرثى لها. أقلام مأحورة تفسد الاخلاق، وتنتشر المنحون باسم الادب والثقافة، والصحافة لا ترى إلا إلى المال أو الشهرة، شغلها الشاغل

موضوعات الجنس والبطن ، وليس فيها مكان للقيم والمثل ، وهذا هو سبب كثرة الجرائم وانتشار الفلق والرعب بين النفوس .

وفي مثل هذا الوضع لا تستطيع مجلة أو مجلستان أن تعيد الأمور إلى مجراها الطبيعي، وتقضى على الانحراف والفساد، ولكنها محاولة متواضعة لأداء أمانة الكلمة وإتمام الحجة على الناس لعل الله يعنح لها القلوب ويوفق للرشد والصواب، فإن الإنسان مكلف بتصحيح النية وبذل الجهد، وليس عليه أن ينظر إلى رد الفعل أو يربط الجهود بالنتائج في الأعمال التي أمره الله بأدائها . إن حياة الأنبياء عليهم السلام ترشدنا إلى ذلك، فإنهم قد بلغوا الدعوة، ثم فوضوا الأمر إلى الله العلي القدير .



إن جهودنا في الصحافة متجهة من الأخص إلى الأعم فالمجلة في المرحلتين كانت حسب اسمها في حدود الحامية، وإن كانت تعمل حساب الأمة في جميع الأمور، وتحاول أن تشاركها في آمالها وآلامها، والآن لأنها تصدر باسم الأمة، ولذا يجب عليها أن تركز حول شئون الأمة، وتوسع نطاق عملها، وتنطلق حيث مصلحة الأمة، وتوجه دائماً إلى تسديد مسارها حسب الوسائل المتوفرة .

إن كلمة « الأمة » يرددها اليوم كثير من الخطباء والكتاب، بل يستخدمها الأعداء الذين يحاولون القضاء على كيانتها، حتى يسهل لهم النفوذ إلى صفوف المسلمين والتلاعب بصيرهم . إنهم يتظاهرون بالإخلاص للأمة، فينادون بالوحدة الإسلامية وبالحفاظ على حرمتها واستقلالها، ولكن الحقيقة أنهم يهدفون إلى تمزيق كيانتها وإضعاف معنويتها بقطع صلتها عن ماضيها وتشكيك أفرادها في مبادئ دينها ومسلّمات عقائدها وتغييرهم من الشخصيات التي لها دورها البناء في تاريخ هذه الأمة .

إن كلمة الأمة لها احترامها ومعنويتها، إنها لا تصدق إلا على الجماعة التي تلتزم بدقة أصول الاسلام وأحكامه في العقيدة والعمل، وتحافظ على وحدة الأمة وتحترم تاريخها ورجالها ولا تخرج على الأصول التي اتفق المسلمون على اعتبارها من أساسيات الاسلام ولا تلجئ إلى النصوص التي لا تتفق ومعتقداتها فتأولها وتحرّفها.

وإنها لا تصدق - منها وسعاً معها - على الطائفة التي تشك في القرآن الكريم الذي تعتبره الأمة دستوراً بالغاً، وتسيىء إلى رعييل الاسلام الأول الذي حمل إلينا أمانة الدين وراثتها العلمي، وترفض التراث الديني للسليبي، وتنكر لتاريخهم المجيد، وتدمك حرمة المقدسات الإسلامية، وتتطاول على الشخصية التي أحلصت في إسلامها، وساهمت في إرساء قواعد الحضارة الإسلامية، ووقفت مع الأمة ضد الهجمات التي توالى عليها في دينها وراثتها.

وإنها لا تصدق على المعتزين الذين يصرون على أعمال الشرك والبدع، ويبيحون شد الرجال إلى القصور، والاستعانة بالموتى، وتقديم الهدايا والتذوّر إلى الصرائح، ويحصعون نصوص القرآن والسنة لمزاعمهم الباطلة، ويكفرون جميع الجماعات الإسلامية التي لا توافقهم على أعمالهم الشركية ومعتقداتهم الخرافية.



هذا، وتسع الكلمة أمة الدعوة أيضاً، والمجلة تحاول أداء واجبها نحو هذه الطائفة، وذلك بشرح تعاليم الاسلام وتوجيهاته السامية نحو البشرية كلها، وبإبراز ميزات هذه التعاليم على غيرها من المبادئ والنظم، ومع أن هذه الساحة تعتبر الآن مفروعا منها، فإن الناس أيقنوا بذلك بعد أن أطلست النظم والمبادئ الوضعية في حل مشكلات الإنسانية، ولكن ترتفع الأصوات أحيانا

من هما وهناك وتنادى بأن الشريعة الإسلامية لا تصلح لهذا العصر المتقدم وأن أحكامها في حاجة إلى المراجعة والتغيير. إن مثل هذا الكلام يأتي من الأغرار أو الحاقدين، ولذا لا يعطى له وزن ولا يستجيب له أحد. إن أحكام الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وقد جرب ذلك الناس في جميع العصور، ولكن الذين يشكون في صلاحية الشريعة الإسلامية هم أصحاب الجمل أو العناد والعصية.

وأهل الهند من غير المسلمين أعنتهم العصية الدينية الآن، فهبوا يوجهون الطعن إلى الإسلام وأحكامه، وخاصة في ظل هذا الحكم العلماني الذي يعتبر حكماً هندوسياً بالتعبير الدقيق. وفي هذا الوضع تحاول المجلة عرض تعاليم الإسلام ودفع المطاع عنها بأسلوب ملائم، لعل الله يفتح لها القلوب، ويهدي إليها العوس.

وهناك مجالات للعمل سوى ما ذكرنا، نمود إليها في أعداد المجلة إن شاء الله تعالى، والله هو المستول لأن يرزقنا الإخلاص، ويكتب للمجلة القبول والنجاح. إنه ولي التوفيق، ونعم المولى ونعم النصير.

ذم الحسد

قال الجاحظ :

الحسد عقيد الكمر وحليف الباطل وصد الحق، منه تولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومفرق كل جماعة وقاطع كل رحم من الأقرباء ومحدث التفرق بين القرناء وملقح الشر بين العلماء.

ولذلك قال النبي ﷺ : « دب إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء »
(مجموعة من النظم والنثر)

الدعوة الإسلامية

منهج الدعوة إلى الله

للدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي حفظه الله
مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
بالياس ورتيس رابطة الجامعات الإسلامية



بحث مقدم الى مؤتمر دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعوة
والتدقيق بين كليات الشريعة ، جامعة الأزهر بالقاهرة
٢ - ٢٤ / رجب ١٤٠٧ هـ - ١٨ - ٢٢ / أبريل ١٩٨٧ م

الحمد لله الذي ابتعث للدعوة إليه أنبياء ورسلا

والصلاة والسلام على خير من دعا إلى الله على بصيرة ، سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

الله تبارك اسمه ، وتعالى جده ، وحل ثناؤه ، واحد لا شريك له ، ولا
شئ يعمره ولا إله غيره .

ومحمد - ﷺ - عبده المصطفى ، وبيته المحجبي ، ورسوله المرتضى ، خاتم الأنبياء ،
وامام المتقين ، وسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، وكل دعوة النبوة بعده
نبي وهو المبعوث إلى عامة الجن ، وكافة الورى بالحق والهدى والنور والفضياء .
والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن ، وأكرمهم وأطوعهم له ، واتباعهم للقرآن ،
والإيمان هو : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، والقدر

حيه وشره .

ونحن مؤمنون بذلك لا نفرق بين أحد من رسله ، ونصدقهم على
اجاموا به .

ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القلعة ، وعلى من مات منهم .
ولا نزل أحدا منهم جنة ولا نارا ، ولا نشهد عليهم تكفر ، ولا شرك ،
لا نفاق ، ما لم يظهر منهم شيء من ذلك ، وسائرهم إلى الله ، ولا نرى السيف
على أحد من أمة محمد — ﷺ — إلا من وجب عليه السيف .

ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا ، وإن جاروا وطلبوا ، ولا
دعو عليهم ، ولا ننزع يدنا من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ،
ندعو لهم بالصلاح والمعافة ، وتبعية السنة والجماعة ، ونحسب الشذوذ والخلاف
الفرقة ، ونحب أهل العدل والأمانة ، ونغض أهل الجور والخيانة .

والحج والجهاد فريضتان ماضيتان مع أولى الأمر من المسلمين : برهم
فاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما .

ونثبت الخلافة بعد رسول الله — ﷺ — أولا لأبي بكر الصديق تفضيلا
، وتقديما على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم لعثمان رضى
الله عنه ، ثم لعلي رضى الله عنه ، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون الذين
ضوا بالحق وبه كانوا يعدلون .

وعلماء السلف من السابقين والتابعين ، ومن بعدهم من أهل الخير والأثر ،
أهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير
سبيل . ولا نفضل أحدا من الأولياء على الأنبياء ، ونقول : نبي واحد أفضل
من جميع الأولياء ، ونؤمن بما جاء في كرامتهم . ولا نصدق كائنا ولا عرافا ،

ولا من يدعى شيئا يخالف الكتاب والسنة واجماع الأمة، ونرى الجماعة حقا وصوابا، والفرقة ذما، وريفا وعذابا.

ودين الله تعالى في السماء والأرض واحد وهو: الاسلام، قال الله تعالى: ﴿ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾. وهو دين الغلو والتقصير، والتشبيه والتعطيل، وبين الجهر والقسور، وبين الأمن واليأس.

فهذا ديننا راعتمادنا طاهرا وباطنا، ونحس دراه الى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه.



هذه نقائس من كلام امام علم — من طحا مصر — هو: الامام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله.

وقد آثرنا أن ندخل الى موضوعنا — من هذا المدخل — لأسباب:

● أولا لنعلم كيف يفكر الدعاة الكفار؟

فالامام الطحاوي داعية، بل من أئمة الدعوة. بين ذلك ويؤكدده الامام أبو العز الادري — في شرح الطحاوية — فيقول:

ان علم أصول الدين من أشرف العلوم، وحاجة العباد اليه فوق كل حاجة، لانه لا حياة للقلوب إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاضلها، فأعرف الناس بالله عز وجل انهم للطريق الموصل اليه، وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه.

وقد مضى على ما كان عليه الرسول — ﷺ — خير القرون، وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان، يوصى به الآخر الأول، وبقندي فيه اللاحق بالسابق، وهم في ذلك كله بنبيهم محمد — ﷺ — مقتدون وعلى منهاجه سالكون، كما

- قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ .
- ومن قام بهذا الحق من علماء المسلمين : الامام أبو جعفر الأزدي الطحاوى .
- ثانيا : لوضوح المنهج ، فليس فى كلام هذا الامام العظيم غموض ولا لبهام ، ولا إيهام .
 - والوضوح من لوازم الدعوة .
 - ثالثا : لدقة مفهوم الدعوة ، فليست الدعوة كلاما مطلقا دائما دائما دائما ، ولا كلاما سبق به اللسان دون دليل من علم ، ودون ضابط من عقل .
 - وما ذكره الطحاوى يحدد مفهوم الدعوة من حيث ، اختيار الموضوع ، وتحرير المسألة وتعيين المراد ، وضبط الكلم .
 - رابعا . لأن هذا الكلام النفيس يؤلف الوحدة الاصولية بين الدعاة .
 - خامسا : لاطراد العلاقة بين هذه الاصول ، وبين عمل الدعاة فى كل عصر ومصر . فقد التمع فى نهج الامام الطحاوى قضايا أمات : قضية الربوبية والالهية .
 - وقضية الرسول الخاتم ، والرسالة الخاتمة .
 - وقضية الايمان بالملائكة ، وبما أنزل الله من كتاب ، وأرسل من رسول وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .
 - وقضية تعديل المسلمين — بوصفهم — وحسن الغان بهم ، مالم يظهر أحد منهم ما ينقض اسلامه .
 - وقضية دخول المؤمنين فى السلم كافة ، وغمد السلاح مطلقا بين المسلمين ، فلا يتنصى إلا بشروطه المعتبرة شرعا .

وقضية أداء الفروض والواجبات مهما كانت درجة التزام الحاكم بالاسلام .
 وقضية الكف عن منازعة الامر أهله ، والامتناع عن الخروج عليهم .
 وقضية وحدة الجماعة المسلمة ، والنأي عن العرقه والخلاف .
 وقضية مصي الحماد خلف ولاية الامر ، محسنهم ومسيئهم .
 وقضية الشهادة للظلماء الاربعة بالرشيده والعدالة والفضل .
 وقضية أن الصحابة عدول شهد لهم رسول الله - ﷺ - بالخيرية هم
 ومن تلاهم من القرنين الثاني والثالث .
 وقضية التأحي والتراحم بين الاحياء المسلمة فلا يذكر اللاحق السابق -
 من تقدم بالصلاح - إلا بما يثبت الفصل للسابق ، والوفاء لللاحق .
 وقضية التطهر النفسى والعقل من دجل الكمان والعرافين ، والبراءة من كل
 مصدر وهمى للمعرفة
 وقضية وحدة دين الله ، وأن الدين الواحد المقبول عند الله هو الاسلام .
 وقضية أن الاسلام وسط في الامر كله
 هذه القضايا الامهات لا يحل لداعية علم صدوق أن يزاور عنها وما
 ينبغي له ذلك . سواء حي هذا الداعية في أيامنا هذه ، أم كان قبلنا ، أم سيأتي
 بعدنا ؟
 فهما اتسع نطاق الأحداث - سمة الاممة والعالم - ومهما تجسدت
 الموضوعات لتحديد المصور ، فان كل الأحداث والموضوعات مرتبطة بهذه القضايا:
 ارتباط ديانة ، وارتباط ميزان .



وننتقل من المدخل الى المنهج ، وبين الامرين قربي علم ، وآصرة وظيفة ،

ووشيجة مقصد ، ووحدة سياق .

فا المنهج ؟

● المنهج هو : العلم بالاسلام : ﴿ أفن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنما يتذكر أولوا الالباب ﴾ .

فاذا كان المرء لا يعلم ما يدعو اليه ، فلائى شئ يدعو لذن ؟

ان المسبغة العلمية حملت أصحابها — الذين يدخلون ميدان الدعوة بغير عدة علمية — على أن يعوضوا القحط العلمى بالتهيج . فنقص العلم فى العبارة يعوض بالنفخ فى مضمونها ، وبالحدة فى إخراجها و بالتحويل فى المعلومـة والواقع ، وبالأحكام المتسرة ، وبالحط من قيمة العلم والعلماء .

فى حين أن العلم بالاسلام أظهر وجوباً على الدعاة ، وأشد الزاماً لهم من العلم بقوانين الحركة والطاقة بالنسبة لعلماء الفيزياء مثلاً .

إن الخطأ فى تشلنجر فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى تشرنوبل فى الاتحاد السوفيتى ، انتهى بدمار وعيب .

وهو خطأ سببه اختلال فى المركب التقنى ، أو الحساب الزمنى ، أى أن العقل كان حاضراً ، ولكنه حضور فيه غفلة .

والخطأ فى ميدان الدعوة أشد تدميراً ، لأنه يدمر الطاقات النفسية ، والروحية والعكرية والعقلية والعملية ، فى أمة ، من مسئولياتها : صيانة هذه الطاقات الذاتية ، وطاقات الآخرين .

ان العوج فى التفكير .

وتصرف الطاقة فى غير مصارفها الحقيقية .

والتصورات الخاطئة عن الحياة والمجتمع .

والأفكار المزورة عن العالم ، وعلاقاته .

هذه كلها مغللة بالتوجيه الخاطئ .

ولا نقول : ان الجهل بالدعوة هو : السبب الوحيد لكل هذه المتاعب .

يبد أنه حين يكون الحديث عن النقائص في ساحة الدين ، فمن الدقة أن يقال . ان المتدين يتلقون أفكارهم ، وتصوراتهم ، وزادهم الثقاي من الدعاة . . ومن العدل أن يقال : ان فريقا من الدعاة لا يتأكد من توافر الشروط الصحية في الغذاء الذي يقدمه للناس .

والنقطة قسمة بين ذوى الجهالة المجترئين على محال الدعوة ، وبين العلماء المنسحبين من المحال .

فما تقدم محترى . على الدعوة إلا في ذات المساحة التي انسحب منها عالم . وكلما كثرت الاسعافات ، ارداد عدد المواقع التي يحسب فيها المجترئون ، حتى يبدو الوضع وكأنه بداية لهاية محيطة أنبأها بها الرسول - ﷺ - بقوله : « ان الله لا يقص العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما ، اتخذ الناس رؤسا جهالا ، فاستلوا فأفتوا بغير علم مضلوا وأضلوا » .

فمن عزائم الدعوة أن ينشر العلماء في كل ناحية ، ولا يزالون ينتشرون حتى تضيق المساحة على مدعى البلاع عن الله بغير حق .

وهذا التقدم المقترح ، أو الانتشار الواثق يعالج معضلة أخرى في الوقت ذاته : معضلة العزلة بين كثير من العلماء ، وبين الشباب .

فكأى من عالم أثر العزلة طفق الشباب يأخذ العلم عن غير أولى الاحلام . وليس ذلك مما يرى ذمة العلماء ، ولا مما يوفر الاستقامة للشباب ، فمن أبواب

قال : « ان من سعادة الحدث أن يوققه الله لعالم من أهل السنة » .
وعن يوسف بن أسباط قال : « كان أبي قدريا ، وأخوالى روافض فأفقدنى الله بسفيان » .

وتنقل تبعة العزلة بالمضاف الطرفى والكمى .
فالوعى الاسلامى ينتشر — فى هذه الفترة — انتشارا سريما .
وكم المتدينين يعظم فى كل يوم ، بل فى كل ساعة .
وهذه عوامل توجب الخروج من العزلة ، والاختلاط اليومى البصير
بالشباب المتدين بعامة ، وبشباب الجامعات الاسلامية بخاصة .
فالعلماء هم أساتذة شباب جامعاتهم .

ولقد علم المطلعون على تاريخ المدارس التربوية والعلمية : كيف كان
تأثير العلماء فى طلابهم ؟

فقد أثر الأوزاعى ، والليث بن سعيد ، وأبو حنيفة ، ومالك ، والشافعى ،
وأحمد بن حنبل ، وابن خزيمة . والبحارى ، ومسلم ، وابن حجر ، وابن نيمية ،
ومحمد بن عبد الوهاب ، أثر هؤلاء — ويطائهم — فى طلابهم أعظم الأثر
وأحسه وأبقاه — بتوفيق الله — من حيث التحصيل العلمى ، ومحبة الله وتقواه
والنظام نهج الاعتدال فى الاعتقاد ، والعكر ، والعمل ، والسلوك .



● والمنهج هو : العلم بسنن الله تعالى فى المجتمعات .
ومن هذه السنن :

- أ — ان المجتمعات لا تتغير بالطفرة ، بل بالتدريج .
ب — وأنها لا تهمل على الحق جملة واحدة ، بل على مكث .

ج - وأنها أبدا خليط من الصلاح والفساد ، وأن المطلوب هو : تكثير فرص الصلاح بالتعليم والتزكية .

● والمسبح هو : معرفة الواقع .

فلن يبح داعية مقطوع الصلة بالواقع ، أو يهم الواقع على نحو غير صحيح .

ان معرفة الواقع على الوجه الصحيح تتطلب :

ا - إحاطة ثقافات البيئة وأعرافها وتقاليدها وقضاياها ومشكلاتها .

ب - وتعدبرا لمرحلة المسية التي تمر بها الامة ، بمعنى أن الامة تتطلع الى من يحررها من اكتئابها ، لا إلى من يريد انقباضا وعبوسا

ج - وتقديرا لطروف التفتت والشفاق ابتغاء رفق الفتوق لا توسيعها

د - وتمكنا من الثقافات المصرية المختلفة

هـ - وعلا بالاتجاهات والتيارات المعادية الغازية ، والمنافسة للدعوة الاسلامية في غير الملاد الاسلامية .

و - وبطرة نافذة لما تورط فيه الشعوب نفسها من أخطاء ومعايب . فمن الفهم غير السليم للواقع . تفسير كل كارثة ، أو نقص نفسيرا يدين الحكم ويبرىء الشعوب .

ولسا في مقام القضاء الذي يصدر أحكاما .

لكننا نقطع بأن هذه التفسيرات كانت قاعدة لصرائع مهلك بين بعض الحكام ، وبعض الدعاة .

ومن التقدير السديد للواقع : انها هذا الصراع

، وإنما يحسم هذا الصراع بموقفين واضحين رزينين صادقين متلازمين :

١ — الاستحضار الدائم لمنهج أهل السنة في هذه النقطة وهي : ألا ينازع الدعاة الأمر أهل

٢ — التمكين للدعوة ، واعزاز الدعاة ، بتوفير المناخ الواعد والامكانيات القوية : العاجلة والآجلة

وهذا التمكين يمد أقوم سياسة تنفي أسباب البلية ، وتحمي المجتمعات والدول من التيارات التي تهدد الحذور والثواب ، سواء كانت هذه التيارات ، الحادية ، أو تيارات تحمل شعار الاسلام : تخميناً بلا علم ، ورفضاً بغير دليل ، وتشبيهاً للفتنة إلى كل مكان

وأمامنا نموذج جد ناجح

ان الامام محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — عرف حدود الداعية فالترمها ، ولم ينازع الأمر أهل ، بل جرد نفسه وقصر همه على الدعوة الى الله . وهياً الامام محمد بن سعود — رحمه الله — ساطنه للتمكين للدعوة ، لحصل التعاون النبيل ، فتمكنت الدعوة ، وعزت الدولة

★ ★ ★

● والمهج هو : أن يعرف الداعية حدود وظيفته ورسالته

فهو داعية ، وليس رجلاً رح به الشوق الى السلطة ، فما يبالى أى مركب ركب .

وهو مذكر لاجبار : ﴿وما أنت عليهم بحبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ .

وهو مقنع لا مكهر : ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ .

وهو مكاف بما في طاقته ، ولم يكلف بتبديل السنن الكونية من أجل

هداية الناس : ﴿وان كان كبير عليك اعراضهم فان استطعت أن تبغى لفقاً في

الأرض أو سدا في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكون من الجاهلين» .

وهو منهي عن الحزن على الناس وهم يصدون ويشردون . ﴿ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون﴾
فإذا عرف الداعية هذه الحدود ، أدى ما عليه بصيرة ، وراحة أعصاب ،
وحبل توكل

فمن ينهض بهذه المسئوليات جميعاً ؟

إن الجامعات الإسلامية في العالم هي المؤسسات التعليمية والعلمية المؤهلة
للمنوص القوي والحي بهذا العمل الجليل
فهذه الجامعات تأخذ بحطها الوافر من ميراث النبوة في العلم بالله وكتابه ،
وسنة رسوله ، والعلم بالدعوة إلى الإسلام
وهي — بصوة العلماء الدين ترحر بهم ، ويثرونها بتدريسهم وبحوثهم —
قادرة — بعون الله — على انفاذ هذا المنهج في خططها الدراسية ، وبرامجها
التدريبية ، وبحوثها العلمية

ومن أجل هذا نظمت رابطة الجامعات الإسلامية هذا المؤتمر ، بالتنسيق
مع جامعة الأزهر العريقة ، ووزارة الأوقاف المصرية
جامعة الأزهر — التي ينعقد هذا المؤتمر في رحابها — التي ما انقطع
عطاؤها للدعوة : أعداداً للدعاة ، وقياماً بمسئولية الدعوة في داخل مصر
 وخارجها

كل ذلك في كنف جمهورية مصر العربية العزيزة البلد المسلم صاحب الدور
الرائد في خدمة الإسلام ولغته وثقافته وحضارته . وهذه كلها فرض تجعلنا
نأمل أن ينتهي المؤتمر إلى نتائج ذات بال تتصور أن يكون من بينها :

- ١ - اجتلاء منهج قوي متكامل للدعوة مستمد من الكتاب والسنة ، ومن سير الدعاة الموثوقين الناجحين في القديم والحديث
- ٢ - إعادة النظر في الزاد الدعوى المقدم للامة
- ٣ - ان تتعاهد الجامعات الاسلامية على تخطيط من يتهدى الدعوة الاسلامية دون اجازة أصلية ، أو اعتارية منها .
- على أن يستثنى من ذلك من تثبت مقدرته العلمية والمنهجية على الدعوة الى الله .
- ٤ - التشدد في شروط قبول الدعاة ، وهو تشدد يستهدف انتقاء ذوى المواهب العالية والاستعدادات النفسية والعقلية والاحناعية المناسبة .
- ٥ - صياغة منهج خاص بالدعوة الموجهة الى غير المسلمين ونقترح أن يركز هذا المنهج :
- ١ - على الأصول ، فان من لا يقر الأصل لا يؤمن بالفرع .
- ٢ - والمداخل النفسية والثقافية المناسبة للشعوب المختلفة
- ٣ - ومراعاة المستويات الحضارية ، والعروق بين عقليات المجتمعات الصناعية ، والمجتمعات الامية
- ٤ - واصطفاء شباب من ذوى النباهة والاخلاص . والحيوية لتعلم اللغات الحية ليمرضوا الاسلام بتلك اللغات على الشعوب التى تنطق بها
- والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات
- وصلى لله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان
- والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



السلف الصالح أثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه
من صفات الكمال أو ما أثبتته الرسول الكريم
+++++

سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز
ابن عبد الله بن باز حفظه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :
فقد اطلعت على ما نشر في صحيفة الشرق الأوسط في عددها ٣٢٨٣ في
٣ / ٤ / ١٤٠٨ هـ بقلم الدكتور محي الدين الصافي بعنوان « من أجل أن نكون
أقوى أمة »

وقد لفت نظري ما ذكره عن اختلاف السلف والخلف في بعض صفات الله .
وهذا نص كلامه :

« إلا أنه ورد في القرآن الكريم آيات تصف الله تعالى ببعض صفات المخلوقين
من مثل قوله تعالى : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ (كل شيء هالك إلا وجهه) .
﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وللعلماء في فهم هذه الآيات طريقتان : الأولى
طريقة السلف وهي أن تثبت لله تعالى ما أثبتت لنفسه ولكن من غير تكييف
ولا تمثيل ولا تعطيل واضعين نصب أعينهم عدم تعطيل الذات الإلهية عن الصفات

مع جزمهم بأن ظاهر هذه الآيات غير مراد وأن الأصل تنزيه الله تعالى عن كل ما يماثل المخلوقين لقوله تعالى ﴿ليس كمثل شيء وهو السميع البصير﴾.

أما طريقة الخلف فهي تأويل هذه الكلمات وصرها عن ظاهرها إلى المعنى المجازي فتكون اليد بمعنى القدرة والوجه بمعنى الذات والاستواء بمعنى الاستيلاء والسيطرة ونفوذ الأمر لأنه قام الدليل اليقيني على أن الله ليس بجسم، ولقوله تعالى ﴿ليس كمثل شيء وهو السميع البصير﴾ وكل من الطريقتين صحيحة مذكورة في الكتب المعتمدة للعلماء الأعلام الخ.

وقد أخطأ - عما الله عنه - في نسبته للسلف جزمهم بأن ظاهر هذه الآيات غير مراد، فالسلف رحمهم الله ومن سار على نهجهم إلى يومنا هذا يشنون الله ما أثبت له من صفات الكمال أو أثبت له رسول الله ﷺ ويعتقدون حقيقتها اللاتقة بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل لها عن ظاهرها ولا تعويض.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة الفتوى الحوية، مانعه: روى أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال كنا - والتابعون متوافرون - نقول إن الله - تعالى ذكره - فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات، فقد حكى الأوزاعي وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم مالك وإمام أهل الحجاز والأوزاعي وإمام أهل الشام والليث وإمام أهل مصر والثوري وإمام أهل العراق حكى شهرة القول في ركن التابعين بالآيمان بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية، وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهن المنكر لكون الله فوق عرشه والناس لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يحالف مدا.

روى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي قال : سئل مكحول والزهرى عن تفسير الأحاديث فقالا أمروها كما جاءت . وروى أيضا عن الوليد ابن مسلم قال : سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصمات فقالوا : أمروها كما جاءت ، وفي رواية قالوا أمروها كما جاءت بلا تكيف وقولهم رضى الله عنهم « أمروها كما جاءت » رد على المعطلة وقولهم بلا كيف رد على الممثلة

والزهرى ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهما والأربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ومن طبقاتهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهما إلى أن قال رحمه الله . « وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال . سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى قال . الاستواء غير مجهول . والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول المبين وعلينا التصديق وهذا الكلام مروى عن مالك بن أنس تليد ربيعة بن أبي عبد الرحمن من غير وجه . ومنها : ما رواه أبو الشيخ الأصمعي وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى قال . كنا عند مالك بن أنس فحاده رجل فقال يا أبا عبد الله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرصاص ثم قال . الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج

هقول ربيعة ومالك الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب موافق لقول الباقرين أمروها كما جاءت بلا كيف فإنما علم الكيفية ولم يسموا حقيقة الصفة ولو كان القوم قد آمنوا بالفاظ الجرد من غير فهم لمعتاه

على ما يليق بالله لما قالوا: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول .

ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل يكون مجهولا بمنزلة حروف المعجم وأيضا فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبت الصفات .

وأیضا فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقا لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف فن قال ان الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف ولو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف وأيضا نقولهم: أمروها كما جاءت يقتضى إبقاء دلالتها على ما هي عليه فأنها جاءت ألفاظ دالة على معان فلو كانت دلالتها معية لكان الواجب أن يقال أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول اهـ .

فهذا هو مذهب السلف في هذه المسألة وهو واضح في أهم يشنون لله سبحانه ما أثبتته لنفسه في كتابه من صفات الكمال أو وصفه به رسوله ﷺ فيما صح عنه وأن ما تدل عليه الآيات والأحاديث الصحيحة مراد ومفهوم ولكنهم لا يؤمنونها ولا يكيّفونها بل يكون علم الكيفية لله سبحانه ويعتقدون تنزيه الله سبحانه عن مماثلة المخلوقين . كما قال تعالى ﴿ليس كمثل شيء وهو السميع البصير﴾ وكما قال عز وجل ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله أعلم وأنتم لا تعلمون﴾ .

أما قوله : أما طريقة الخلف فهي تأويل هذه الكلمات وصرفها عن ظاهرها .

إلى قوله - وكل من الطريقتين صحيحة مذكورة في الكتب المعتمدة للعلماء الأعلام، اه
أقول هذا خطأ عظيم فليست كلتا الطريقتين صحيحة بل الصواب أن طريقة السلف
هي الصحيحة وهي الواجبة الاتباع لأنها عمل بالكتاب والسنة وتمسك بما درج
عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم بإحسان من التابعين ومن تبعهم من
الأئمة والأعلام وبها تنزيه الله سبحانه عن صفات الجسادات والناقصات
والمعدومات وهذا هو الحق. أما تأويلها على ما يقول علماء الخلف من أصحاب
الكلام فهو خلاف الحق. وهو تحكيم للعقل الماقص وقوله على الله بلا علم، وفيه
تعطيل لله حل وعلا من صفات الكمال فهم فروا من التشبيه المتوهم في أذهانهم
ورقموا في التعطيل الذي هو في الحقيقة تشبيه لله سبحانه بالجادات والمعدومات
والناقصات كما تقدم، وتحريد له سبحانه من صفات الكمال التي وصف بها
نفسه أو وصفه بها رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام ونص عليها سبحانه في
كتابه الكريم وتمدح بها إلى عباده وأرسل بها أفضل رسله وخاتم أنبيائه وفطر
عليها الخلق.

ولو أن هؤلاء المتكلمين المتأولين ساروا على مذهب السلف الصالح واثبتوا
لله صفات الكمال على الوجه اللائق بالله سبحانه واكتفوا بنفي التكيف والتثنييل
لأصاير الحق وفازوا بالسلامة من مخالفة الرسل وتحكيم العقول التي لم تحط
به علما

والخلاصة أن مذهب السلف هو الحق الذي يجب اتباعه والقول به، وأما
ما ذهب إليه بعض علماء الخلف من تأويل نصوص صفات الله جل وعلا فهو باطل
مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما عليه سلف الأمة.

فالجواب العدول عنه والوقوف عند نصوص الكتاب والسنة، وإثبات

ما أثبتته ونفى ما نفتته مع الإيمان بأن ما دلت عليه من المعاني حق ثابت لله سبحانه لا يشابهه فيه أحد من خلقه كما تقدم .

وقوله « قام الدليل اليقيني على أن الله ليس بجسم » هذا الكلام لا دليل عليه لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة وصف الله سبحانه بذلك أو نفيه عنه فالواجب السكوت عن مثل هذا . لأن ما أخذ صفات الله جل وعلا توقيفي لا دخل للعقل فيه ، فيوقف عند حد ما ورد في النصوص من الكتاب والسنة ، وبهذا يتضح خطأ قول الدكتور محي الدين الصافي ما نصه « لذا فإن علينا أن نتفق أن من ذهب من علماء المسلمين في العالم الإسلامي الآن إلى الأخذ بأحدى الطريقتين فهو على صواب » إلى آخر ما قال لأن الحق كما ذكرنا هو ما ذهب إليه السلف رحمهم الله . وما خالفه يعتبر باطلا يجب تركه وبيان بطلانه وإظهار الحق للناس وهو من التعاون على البر والتقوى ومن إنكار المنكر ومن الدعوة إلى الحق والله المسئول أن يوفقنا وجميع المسلمين للفق في دينه والثبات عليه والسير على ما دل عليه كتاب الله العزيز وسنة رسوله الناصح الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم وعلى ما درج عليه سلف الأمة في باب أسماء الله وصفاته وفي جميع أبواب الدين وأن يوفق أخانا الدكتور محي الدين الصافي للرجوع إلى الحق والتمسك به وترك ما خالفه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه



مسألة حياة النبي ﷺ في ضوء الأدلة الشرعية



(الحلقة الأولى)

للامامة محمد اسماعيل السلفي

بتعريب

الدكتور مقتدى حسن الازهرى



الحمد لله كبيرا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، وﷺ تسليماً كثيراً كثيراً
أما بعد :

ألقى عالم موحد خطاباً قبل مدة حول موضوع التوحيد في مدينة ملتان وقد أعجب به العامة والخاصة، ولكن اعترض على هذا الخطاب بعض من جماعته، مع الاستقامة في عقيدة التوحيد، ثم بدل الجهد لإزالة تأثير الخطاب.

وقد تناول الخطيب ضمن كلامه على التوحيد موضوع وفاة الرسول ﷺ وانتقد آراء الذين يرويه حياً مثلاً يحبون هم وغيرهم، وقال: لو كانت حياة النبي ﷺ حياة دنيوية لما دفنـه الصحابة، فإنه ليس من الممكن أن يرويه حياً ثم يدفونه في الأرض. (وهذا حكاية عن معنى الخطاب، وليست عن ألفاظه).

وهذه المعارضة كانت من قبل الديوبنديين، والخطيب أيضاً كان ينتمى إليهم. قد طهر صدى لهذا الخطاب في أقطار باكستان الأخرى، وحاول الناس مقاطعته

مثل هؤلاء الخطباء . وقد وصل تأثير الغطاب المذكور الى الهند أيضا ، فقد نشر في مجلة دار العلوم في ديوبند مقال للشيخ زاهد الحسيني بتعليق من السيد الشيخ محمد أنظر ولكنهما لا يتضمنان شيئا جديدا ، بل عرض الكاتبان وجهة نظر البريلويين بنوع من الشرح والتفصيل ، وأسلوب الاستدلال أيضا يشبه أسلوب البريلوية ، إلا أنهما قد اهتمتا بشرح المسألة ولم يتعرضا للشخصيات ، وهذا هو المطلوب والمأمول من العلماء .

ومهما كانت الأدلة من الجودة والرداءة ولكن جذور المقال تصل الى باكستان ، ثم انه نشر في مجلة مدرسة مركزية لاهل ديوبند . والمقال ينم عن أن عقلاء باكستان استخدموا كبار مركزهم لصالح المحلّة ، وهؤلاء الكبار قد نزلوا عند رغبتهم دون تحقيق وتبيين ، وهذا الاختلاف يقع طبقة البريلوية ، ومن هنا يجب توضيح هذه المسألة .

وكاتب هذه السطور لا يعرف شخصيا الشيخ محمد أنظر ولا الشيخ زاهد الحسيني ، ولذا اعتذر عن هذه المخاطبة وآمل أن المناقشة لا تتعدى حدود الموضوع . وما توفيق إلا بالله .

ولعل أكابر الهند لا يفهمون نشاط البريلوية بعد نشأة باكستان وانتشار القاديانية والرفض ، وكذلك الآثار التي ترتبت على ذلك والعراقيل التي تعترض سبيل الدعاة الموحدين في هذه البيئة .

ان أكابر ديوبند في باكستان يتشبثون بالمصالح والمتطلبات الراهنة يوما بعد يوم ، وتؤثر جرائم «الطرقية» في هذه البيئة . . ولا يفهم هذا الوضع إلا من عرف هذا الجو . ولذا يحسن أن لا يتدخل في هذه الأوجاع من يعيش على بعد عنها ، واتنا نعرف التوافق الذي يوجد عند حكومة باكستان وهذا أهل

الأهواء فيها . والقضاء على ذلك لا يتم بمراعاة المصالح ولا بكراسى التدريس ، ان هذه الفتنة الشعبية يخشى أن تقضى على الدعاة أنفسهم .
وتثار هذه المسألة الآن بحيث تنفتح بها كثير من أبواب البدع الشركية ، ولذا يحسن أن نلقى نظرة على الحركة الإصلاحية التى قامت للقضاء على هذه البدع ، فان ذلك يوضح خلفية هذه المسألة ولو طال البحث قليلا .

تطور الحركات الإصلاحية

كانت قوى الطواغيت جد قوية منذ القرن الحادى عشر الهجرى الى القرن الثالث عشر ، ولكن الرحمة الربانية أيضا عمت و شملت ، ففتح الله تعالى جماعة رزينة من المصلحين همة العمل فى هذه الفترة ، فظهرت جماعات نشيطة من المصلحين فى أطراف العالم ومع اختلاف آثار ونتائج الانتصار والانهزام نحمد الله تعالى على أنه وفى هذه الجماعات لأن تترك آثارا قوية ثابتة فى العالم بصبرهم وهويتهم ، ذلك فضل الله تعالى ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

فقد بدل كل من شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب والأسرة السعودية فى نجد ، والشيخ جمال الدين الأفغانى وتلاميذه فى إيران وافغانستان ومصر وسوريا ، ومجدد الألف الثانى والشاء ولى الله وأسرته وتلاميذه فى الهند ، جهودهم فى أوساطهم ، وكتب الله لهم النجاح حسب سعيهم . وتجلى مطهر نجاح الشيخ محمد ابن عبد الوهاب فى المجال العلمى والسياسى ، وقد نجح الشيخ جمال الدين فى اعداد جماعة من العلماء المخلصين أصحاب المواهب الذين جعلوا بجهودهم مصر والشام مهدا للعلم والإصلاح ، وأثروا فى الأفكار والأذهان ، وجهودهم أقامت فى مواجهة الخطط الأوربية المادية سدودا عجزت قوى الشيطان عبورها .

والجهود التى بدأها مجدد الوقت الشيخ جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد

عبده لها تأثير قوى فى استقلال مصر وسوريا وحركاتها الدينية. وقد واصل الجهد فى نفس الطريق السيد رشيد رضا والعلامة الخواجى وسعد زغلول والأمير شكيب أرسلان وغيرهم من النابهين ، وأحرزوا النجاح إلى حد كبير .

❦ حركة الهند الجديدة ❦

وحركة الاحياء والتجديد فى الهند ، التى ابتدأت بيد السيد أحمد السرهندى ، وأتمها الشاه اسماعيل الشهيد والسيد أحمد الشهيد وأتباعهما ، كانت فى بدايتها علمية اصلاحية ، ولكن تواطؤ علماء السوء مع الانجليز قد دفعها الى السياسة ، واضطر حق السيج جماعة المتقين هذه لافتحام نار الحرب وتضحية نفوسهم الغالية فى سبيل الحق .

ولعل مداد الفتاوى المضلة كان قد شوه وجه الملة تشويها لا نزول آثاره إلا بدماء الشهداء ، وكانت تهمة الوهابية المستعارة قد شلت الادهان ، وتراكم عليهم غبار الاتحاد تراكما لم ينفع فى ازالته إلا دماء الشهداء .

ففى صباح من شهر مايو ١٨٣١م نزلت هذه الجماعة بكل جهدها وعنادها فى ساحة بالا كوت ، وقبل أن نزول الشمس أثبت آثارها الدائمة لصدقهم واخلاصهم فى صفحات التاريخ وأحدثت الى اليوم الابدى : ﴿ولانقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (١) .

❦ طبيعة الحركة ❦

قبل الخوض فى مسألة حياة النبي ﷺ يجب أن نحاول فهم اتجاه الحركة وطبيعتها .

كان المصلحون العظام من عصر المجدد السرهندى الى عصر الشاه ولي الله

وأبناءه يقيمون الفقه الحنفي في الأعمال الظاهرة ، ولكنهم كانوا يهدفون من الناحية الفكرية إلى تحقيق أهداف ثلاثة :

(١) تعديل واصلاح اتجاه التصوف الغالى .

(٢) اصلاح الجود الفقهي والعقدي ، وإزالة العرافيل التي خلقها فقه العراق مع الاشعرية والماتريدية في سبيل التحقيق والاستنباط ، وإبعاد الحواجز التي قامت في سبيل الفكر والنظر بسبب الجود والاستكانة ، وتوفير الحرية الفكرية والنظرية على ميزان الكتاب والسنة وأئمة السلف رحمهم الله تعالى .

(٣) مقاومة البدع والعادات التي حلت محل السنن بسبب ابتعاد المسلمين عن العمل بأوامرهم الى جوانب السلوك ، وحصل لها التشجيع بمحور الوثنيين وبمغالة ملوك المغول في اتباع الهوى وعيشة الترف .

أى تعمير هذه الأوضاع العاسدة رأساً على عقب ، وإحلال الاسلام الصافي النقي محلها : تركتكم على ملة يضاء ليلها كنهارها^(١)

وانى لا أريد هنا التصيل ولا تضييع الوقت بذكر الشواهد من تصانيفهم بل اود ان ألفت الانظار إلى أمور عديدة فحسب :

ان المحدد السمرندى كان قد انتقد في رسائله البدع أشد النقد ، وانه لما أحس أن تقسيم الدعة إلى الحسنة والسيئة ينفع المتدعين في سبيل الحفاظ على البدع عارض هذا التقسيم بقوة ، منذ أن دل عليه العز بن عبد السلام وكان في موقفه هذا فريدا في الهند

(١) جزء من حديث مرفوع صحيح ورد من حديث العرابض بن سارية ، وأبي الدرداء عند أحمد (١٢٦ / ٤) وابن ماجه (١ / ٤١٦) والسنة لابن أبي عاصم (٢٧٠ ، ٢٦ / ١) والحاكم (٩٦ / ١) .

وانه قد تحمل أذى الحبس في قلعة كواليسار لمدة ثلاث سنوات ، ولكن لم يطلع جبينه برجس بجمود التعظيم . وكانت له ترجيحات في المسائل الفقهية ، وأنه قد أبى أن يسلك سبيل المتقدمين والمتأخرين رجما بالغيب مع معارضة العلماء له .

والشاهد الحى لذلك تليذه الرشيد المرزا مظهر جان جانان رحمه الله ، الذى اختار سبيل فقهاء المحدثين في قراءة الفاتحة خلف الامام ورفع اليدين عند الركوع ووضع اليدين على الصدر وغير ذلك من المسائل الشبهة ، ورفض المطابقة الكلية مع فقه العراق^(١) .

وقد استفاد الشيخ القاضى ثناء الله البانى بى رحمه الله من المرزا مطهر جان جانان ومن الشاه ولى الله ، ويشهد كتاب إرشاد الطالبين والتفسير المظهرى من مؤلفاته أو موقفه كان صارما ضد البدع وعباد القبور ، وأنه مع كونه حنفيا كره العادات البدعية أشد الكراهية .

وقد وقف الشاه ولى الله ، في مؤلفاته حجة الله البالغة والبلاغ المبين والمصنى والمسوى والانصاف وعقد الحيد ونخفة الموحدين ، من الجمود الفقوى والبدع والعادات الشركية موقفا حكيما وضع الحقائق توضيحا كبيرا ، وانتقد بعض مسلمات أصول الفقه انتقادا رزينا قد شجع النابهين . وقد فضح في إزالة الخفاء بدعة التشيع بطريقة سدت باب خدع العقلاء باسم حب أهل البيت .

وأظن أن هذه الاشارات الموجزة تكفى لتوضيح طبيعة هذه الحركة التى هدفت للإصلاح وإقامة الدين .

(١) اجمد العلوم (٣ / ٩٠٠) وعجوب العارفين (ص ٧٦)

أهل ديوبند وأهل الحديث

هاتان المدرستان تتبعان من الناحية المكرية وتمثلان عنهما أو تدعيان انضمامهما إليها . وكلام الشاه ولي الله الآتي يوضح كل التوضيح اتجاه هذه الحركة وطبيعتها .

«وصية هذا الفقير الأولى هي الاعتصام بالكتاب والسنة في العقيدة والعمل والاشتغال الدائم بتوجيهاتهما ، وقراءة جزء منهما كل يوم ، وإن لم يستطع القراءة فاستماع ترجمة ورقة منهما ، واختيار مذهب قدماء أهل السنة في العقائد والأعراض عن التفصيل والبحث اللذين أعرض عنهما السلف ، وببذ تشكيكات أهل المعقول الزائفة ، واتباع العلماء المحدثين في الفروع الذين جمعوا بين الفقه والحديث ، وعرض التفريعات الفقهية دائماً على الكتاب والسنة ، ثم قبول ما وافقهما ونسأ ما خالفهما ، فإن الأمة لا تستغنى أبداً عن عرض المجتهدات » الكتاب والسنة ، وعدم الاستماع إلى قول المنتقشين من الفقهاء الذين تشبثوا بتقليد عالم وتركوا تتبع السنة ، وعدم الالتفات إليهم ، وطلب قرب الله تعالى بالابتعاد عنهم^(١) .

ويقول في موضع آخر : « انتساب الصوفية غنيمة كبرى ، ورسومهم لا تليق بشيء ، وهذا القول يثقل على كثير ، ولكنني أقول ما كلفت به و التفت إلى قول زيد وعمر » .

ويقول أيضاً نحن لا نرضى بهؤلاء الذين يبايعون الناس ليشترىوا به ثمن قتيلاً أو ليشترىوا أغراض الدنيا بتعلم علم ، إذ لا تحصل الدنيا إلا بالتشبه بأهلهادبانه . ولا بالذين يدعون إلى أنفسهم ويأمرون بحب أنفسهم ، هؤلاء قتل

الطريق ، دجالون كذابون مفتونون فتانون ، اياكم واياهم ، ولا تتبعوا إلا من دعا إلى كتاب الله وسنة رسوله^(١) .

والظاهر أن الشاء ولي الله يكره التصوف المشوب بالرياء ، وسلاسل البيعة لكسب الدنيا ، ويرى الذين يفعلون ذلك دجالين فتانين ، فأى قيمة عنده لنظام الخوانق اليوم وللمؤسسات عبادة المرشدين ، حينما يكره الدعوة إلى عبادة المرشدين البتة .

أما نظرته إلى المذاهب الفقهية السائدة وإلى الجمود عليها فتتضح بما يأتي :
« رب انسان منكم يبلغه حديث من أحاديث نبيكم فلا يعمل به ويقول
أما عمل على مذهب فلان لا على الحديث ، ثم احتال بأن فهم الحديث والقضاء
به من شأن الكمل المهرة ، وإن أئمتهم لم يكونوا بمن يخفى عليهم هذا الحديث فما
تركوا إلا لوجه ظهر لهم في الدين من نسخ أو مرجوحية .

وليس ذلك من الدير ، والاييمان بالرسول يوجب اتباعه سواء كان مخالفا
للمذهب أو موافقا ، وإرادة الله تعالى هي التعلق بالكتاب والسنة^(٢) ،

والشاء ولي الله يكره بشدة الجمود المذهبي في الفروع الفقهية ، وكذلك
يكره الظاهرية المحضة (أى مذهب الامام داود الظاهري) ويقول :

« من الضلال البعيد ترك العمل بحديث صح بشهادة أئمة الحديث وعمل به
أهل العلم ، بحجة أن الامام الفلاني لم يعمل به^(٣) ،

ومثل هذه الأقوال توجد بكثرة في مؤلفات الشاء ولي الله الأخرى أيضا ،

(١) المصدر السابق (١ / ٢١٤)

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق (١ / ٢٠٩) ، (٢ / ٢١١)

وانى قد اطلت فى هذا المقام حتى يعرف اتجاه هذه الحركة ، وبالتالي آثارها طوال القرنين

ولو وجد فى مؤلفات هؤلاء الصالحين شىء يعارض الاهداف المذكورة لوجب حمله على معنى يلائم اهداف الحركة بحجة أنهم نظروا الى المصالح الوقتية ، فانهم قد مارسوا نشاطهم فى ظروف صعبة كانت تتغير فيها المصالح والمقتضيات ونحن لا نستطيع أن تصور تلك الصعوبات التى واجهتهم ، شكر الله مساعيهم .

موقف الشاه ولى الله الدهلوى

و يعتبر الشاه ولى الله نقطة اتصال فى هذه الحركة ، فانه قد تأثر تماماً بالجهود العلمية لاجدد السرهندى وتلاميذه وأتباعه ، ثم انه أتاح لابنائه وأتباعه ، فرصة الاستفادة من هذه الفوائد ، ولذلك عرضت موقفه بنوع من التفصيل .

مسألة حياة النبى ﷺ

وما قاله كاتب محلة (دار العلوم) فى مقاله عن مسألة حياة النبى ﷺ فانه لم يرد فيه التصريح بالحياة الدنيوية إلا لدى أكابر ديوبند بعد الشيخ عبد الحق الدهلوى ، نعم قد ألف الحافظ السيهى والسيوطى فى هذا الموضوع رسائل مستقلة قبل الشيخ عبد الحق ، ولكن الأسف أنهما لم ينقحا الموضوع ، ويبدو أنهم قد جمعا ذخيرة ليست متأكدة لديهما ، أنهما يثنان الحياة ولكن لا يحددان نوعيتها

ولم يرد فى رسالة السيوطى ذكر الحياة الدنيوية إلا عند السبكي ، بل يرد فى بعض المواضع أن السيوطى يميل الى الحياة البرزخية ، ولكنه لم يستطع .

جهد الدالغ أن يوفق بين قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) (١) ويؤيد

حديث (فرد الله على روعي^(١)) و (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون^(٢))
ثم ان السيوطي كحاطب ليل قد جمع ذخيرة غير موثوق بها قد تساعد
القبوريين ، وتورث الشبهة في قلوب الموحدين السذج .
وهكذا حال كتاب الروح للحافظ ابن القيم ، ونحن لانحشى على لحول
أهل الحديث والرجال المهرة من مثل هذه الأشياء ، ولكنها تكون مولة الأقدام
للعامه بدون شك .

كيف يحسم النزاع

وينبغي لحسم النزاع أن يحاول المتصلون بالشاه ولي الله والمعتقدون في
أسرته فهم هذه المسألة في ضوء اتجاه الحركة . فان كان القصد فهم هذه
المسألة باتباع الأكابر وتقليدهم ، وان تقرر صرف النظر عن الكتاب والسنة
والبحث والاستدلال . . . فلماذا لا يستفاد بنظريات أكابر الأكابر ومؤسسي
الحركة ؟ وان رأينا أن رأى الشيخ حسين أحمد والشيخ محمد قاسم حاسم فلماذا
لا نحكم مؤسسي الحركة ومدارجها في هذه المسألة ؟

الشاه محمد اسماعيل رحمه الله

ان عبقرية الشاه محمد اسماعيل وشهادته قد حول الحركة بتأمامها من عالم
النظريات والتصورات إلى ميدان العمل ، وحل التصريح مكان التعريض والاشارة
وقد وضع على رأس الثام كل ما انطوت عليه أوراق الكتب والمؤلفات . وقد
برهن المجاهدون أمام السيخ على أن معاني الحق والصدق والايتار والتعصبة

(١) رواه أحمد (٥٢٧/٢) وأبو داود (٥٣٤/٢) وحسنه الألباني .

(٢) رواه ابن عسدي في الكامل (٧٣٩/٢) وفي اسناده ضعيفان ، وانظر أيضا

لا تتجلى بالمناظرة والتحوار فقط ، بل من أكبر وسائل ظهورها السيف وساحة الحرب أيضا . وان مداد القلم يفصح عن كثير ، ولكن قطرات الدماء تملك قوة أكبر للتعبير والتوضيح . وان اصحاب التدريس والتأليف لا يستطيعون التأثير في القلوب والأفكار ، مثلما يستطيعه اصحاب السيف والسنان ، خبراء ساحة الحرب والنضال .

وقد الف الشاه محمد اسماعيل قبل استشهاده كتابه تقوية الايمان لنشر اهداف الحركة وشره بمشورة اصحابه ، وكذلك جمع مسودة تذكير الاخوان ورد على المعارضين ، لتأييد الحركة وتدعيمها . فلو قال اليوم اكابر ديوبند وعلماء اهل الحديث قولاً يعارض اتجاه الحركة فلا تلتفت اليه .

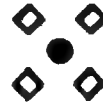
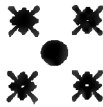
(يتبع)



السيادة والكمال في الحداثة



قدم وفد على عمر بن عبد العزيز من العراق ، فنظر الى شاب منهم يتحوز يريد الكلام ، فقال عمر : كبروا كبروا فقال القى : يا أمير المؤمنين ! ان الامر ليس بالسن ، ولو كان كذلك كان في المسلمين من هو أسن منك قال صدقت فنكلم (عيون الاخبار للدينوى ٢٣٠/١)



بحوث ودراسات :

السيرة العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي

الجامعة السلفية - بنارس

+++++

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا ورسولنا محمد وعلى

آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

فهذه فصول في سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية ، راعيت في تدوينها وترتيبها

جمع المعلومات التي تتعلق بحياته العلمية وسميتها : « السيرة العلمية في سيرة شيخ

الإسلام ابن تيمية » وأصلها باب من كتابي : « شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده

في الحديث وعلومه » الذي قدمته إلى قسم السنة في الجامعة الإسلامية لنيل

شهادة الدكتوراه ، ونوقشت الرسالة في ١٤٠٧/٦/٦ هـ ، وبالله التوفيق .

وترتيب الفصول كالآتي :

الفصل الأول

في نشأته وسرد أحداث حياته

اسمه ونسبه :

هو الشيخ الإمام الرباني ، إمام الأئمة ، وفقى الأمة ، وبحر العلوم ،

وسيد الحفاظ ، وفارس المعاني والالفاظ ، فريد البصر وقريح الدهر ، شيخ

الإسلام ، وعلامة الزمان ، وترجمان القرآن ، علم الزهاد ، قانع المتبتلين

صوت الأمة - مارس ١٩٨٨م

تقى الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المعالي
عبد الحلیم بن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام محمد بن عبد البر
عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر ، ابن محمد بن الخضر
ابن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني نزيل دمشق^(١) .

ولادته ونشأته :

ولد شيخ الإسلام يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى و ستين
وستمئة بمدينة حران

وهاجر أهل حران منها إلى دمشق ، فهاجر أبوه مع أسرته إليها في سنة
سبع وستين وستمئة عند استيلاء التتر على البلاد .

تبكيه في تحصيل العلم :

وكانت العادة في البلاد الإسلامية إحصار الأولاد الصغار في مجالس
أهل العلم التي تعقد لسماع الحديث لتحبيب العلم إليهم و إحصار البر
ولعلو الإسناد .

وكان شيخ الإسلام قد بدأ بتحصيل العلم في سن مبكر وساعده على ذلك
أنه كان أحد أفراد الأسرة العلمية والدينية الشهيرة في حران ودمشق ، ومد

(١) من كلام ابن عبد الهادي في العقود الدرية (ص ٢) وهكذا ذكر نسبه البرز
في تاريخه كما أورده ابن كثير في البداية والنهاية (١١٦/١٤) وقيل في تهذيب
« ابن تيمية » أن جده محمد بن الخضر حج على درب تيمية ، فرأى هناك طفلة
رجع وحدها أمراً أنه قد ولدت له بنتاً ، فقال : يا تيمية ، يا تيمية ، فلقب بذلك .
وقال ابن النجار : ذكر لنا أن جده محمداً كانت أمه تسمى تيمية وكانت واهية
فنسب إليها وعرف بها (العقود الدرية ص ٢) .

دمشق نفسها كانت تعتبر من أكبر المراكز الإسلامية بعد سقوط عاصمة الخلافة العباسية : بغداد عام ٦٥٦ هـ واستيلاء التتر عليها .

فكان أول سماع له بعد مجيئه من حران مع إخوانه من الشيخ المسند ابن عبد الدائم فسمع جزء ابن عرفة في عام ٦٦٧ هـ .

ثم واصل ليله بنهاره في الأخذ والسماع على شيوخه الذين يزدون عن مائتي شيخ في جميع العلوم والفنون مع عكوفه على قراءة الكتب ، وحل مشاكلا ، واستمر على ذلك ، وعنى بالحديث ، وسمع ما لا يحصى من الكتب ، والأجزاء وقرأ بنفسه ، وكتب بخطه جملة من الأجزاء ، وسنن أبي داود ، وبرز على أقرانه فهما وذكاء واستيعابا للعلوم ، وتأهل للفتوى والتدريس ، وله دون العشرين ، وأفتى قبل العشرين أيضا .

وأمدته الله بكثرة الكتابة ، وسرعة الحفظ ، وقوة الإدراك ، والفهم ، وبطء النسيان حتى قال غير واحد : إنه لم يكن يحفظ شيئا فينساها .

فاستمر شيخ الإسلام في التحصيل ، والسماع ، والإفادة مع التآليف والتصنيف ، وتحرير الفتاوى ، وآخر سماعه للحديث هو عام ٦٩٩ هـ .

وكان يحفظ الشيء الكثير من دواوين السنة كما سيأتي ذكر شهادة أهل الخبرة من أئمة هذا الشأن ، ومن جملة محفوظاته : الجمع بين الصحيحين للحميدى وهو أول كتاب حفظه في الحديث^(١) .

توفي والده في ٣٠ / ذى الحجة عام ٦٨٢ هـ ، وعمره إحدى وعشرون سنة ، فتولى مشيخة دار الحديث السكرية بعده ، وتصدر للتدريس في أول المحرم عام ٦٨٣ هـ ، و كان درسه حافلا ، حضره كبار أئمة عصره الذين بالغوا

في الثناء عليه ، و كان ألقى درسه في البسملة ، وقد قيد بخطه الشيخ تاج الدين الفزارى .

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي : و كان الشيخ تاج الدين الفزارى يبالغ في تمظيم الشيخ تقي الدين بحيث إنه علق بخطه درسه بالسكرية . وقال ابن ناصر الدين الدمشقي : وهذا الدرس كان بعد موت والد الشيخ تقي الدين ، في يوم الاثنين ثاني المحرم من سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة ، بدار الحديث السكرية ، التي بالقصاعين ، داخل دمشق . و بهما كان سكن الشيخ تقي الدين ، و والده من قبل .

و حضر هذا الدرس قاضى القضاة بهاء الدين يوسف ابن القاضى محى الدين أبي الفضل محى بن الزكي .

و شيخ الاسلام تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم الفزارى المذكور .

والشيخ زين الدين أبو حفص عمر بن مكى عبد الصمد ابن المرحل ، و كبل بيت المال ، والد صدر الدين ابن الوكيل الشافعيون .

و شيخ الحنابلة العلامة زين الدين أبو البركات ابن المنجا التنوخي و آخرون .

و كان درسا حافلا ، كتبه الشيخ تاج الدين الفزارى بخطه ، كما ذكره الذهبي وغيره لكثرة فوائده ، و أظن الحاضرون في شكره ، و كان إذ ذاك عمر الشيخ تقي الدين ابن تيمية نحو إحدى و عشرين سنة^(١) .

(١) الرد الوافر (١٤٦) و ذكره أيضا ابن كثير في البداية و النهاية (١٣ / ٣٠٣) .

ثم جلس على مكان والده بالجامع الاموى على منبر ايام الجمع ، واستمر في تفسير القرآن الكريم من حفظه إلى سنين طويلة .

وفي سنة ٦٩٠ هـ ذكر على الكرسي يوم الجمعة شيئاً من الصفات ، فقام بعض المخالفين ، وسعوا في منعه من الجلوس ، فلم يمكنهم ذلك ،

وحج عام ٦٩٢ هـ ، وفي عام ٦٩٤ هـ أذن له في الإفتاء العلامة الشيخ شرف الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن نعمة ، وكان يفتخر بذلك ويفرح به ويقول : أنا أذنت لابن تيمية بالإفتاء .

وفي هذه السنة حدث أن عساف المصري سب النبي ﷺ ، فألف شيخ الإسلام إثر هذه الحادثة كتابه العظيم « الصارم المسلول على شاتم الرسول » ، الذي لم يولف مثله في الإسلام في بابه

وفي شعبان سنة ٦٩٥ هـ درس شيخ الإسلام بالمدرسة الحنبلية عوضاً عن الشيخ زين الدين ابن المنجا (ت ٦٩٥ هـ) ونزل عن حلقة العباد بن المنجا لشمس الدين ابن الفخر البعلبكي .

و ألف في هذه السنة العقيدة الواسطية .

وفي سنة ٦٩٧ هـ سابع عشر شوال عمل شيخ الإسلام درساً في الجهاد ، وبالغ في بيان أجور المجاهدين ، وكان درساً حافلاً .

وفي سنة ٦٩٨ هـ ألف كتابه القيم « الفتوى الحوية » ، سأل عنها أهل حماة ، فوقع في أواخر دولة لاجين بعد خروج قبجق من البلد عنده لشيخ الإسلام بسبب هذه الفتيا ، قام عليه جماعة من الفقهاء ، وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفي ، فلم يحضر ، وانتصر له الأمير سيف الدين جاغان ، فسكت المشاغبون ، واختفوا ، ثم ناقشوه يوم الجمعة في الحوية

فأسكنهم ، وكانت هذه المحنة بداية المحن والابتلاءات التي لم تنته إلا بآتها عمره .
ونشط شيخ الإسلام نشاطا عجيبا لشرح مذهب السلف في الأصول والفروع ،
والرد على الفلاسفة ، والجهمية ، وسائر أهل البدع ، والآهواء ما لا يوصف ،
ولا يعبر عنه ، وأجرى له من المظاهرات العجيبة ، والمباحثات الدقيقة مع أقرانه
وغيرهم في سائر أنواع العلوم ما تضيق العمارة عنه .

وفي ربيع الآخر سنة ٦٩٩ هـ ذهب شيخ الإسلام مع أعيان البلد إلى
قازان سلطان التار الذي قصد دمشق بعد وقعة وادي الخزندار قرب سلبية ،
وكله كلاما قويا شديدا فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين ،
ثم خرج شيخ الإسلام في جماعة من أصحابه يوم الخميس ، العشرين من
ربيع الآخر إلى ملك التتر ، ولم يتفق اجتماعه به .

وفي رجب خرج إلى مخيم بولاي فاجتمع بقبجي في فكاك من كان معه
من أسارى المسلمين ، فاستنقذ كثيرا منهم من أيديهم ، وفي يوم سابع عشر
رجب يوم الجمعة أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر ، وكان يخطب لقازان
بدمشق وغيرها في بلاد الشام مئة يوم سوا .

ثم توجه شيخ الإسلام وأصحابه على الخانات ، والخانات فكسروا آنية
الخور ، وشقوا الظروف وأرقوا الخور وعزروا جماعة من أهل الخانات المتخذة
لهذه الفواحش ، ففرح الناس .

وفي عشرين من شوال هذه السنة ركب نائب السلطنة جمال الدين
آقوشى الأقرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد ، وكسروا ، وخرج شيخ
الإسلام ومعه خلق كثير لقتال أهل تلك الناحية بسبب فساد نيتهم ، وعفائهم ،
وكفرهم ، وضلالهم ، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسروا التتر ، وهربوا

حين اجتازوا بلادهم، فقد وثبوا عليهم، ونهبوا، وأخذوا أسلحتهم، وخیولهم، وقتلوا كثيرا منهم.

فلما وصلوا إلى بلادهم جاء رؤسائهم إلى شيخ الإسلام فاستأبهم، وبين للكثير منهم الصواب، وحصل بذلك خير كثير، وانتصار كبير على أولئك المفسدين، والنزمووا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش، وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلى بيت المال.

وفي سنة ٧٠٠ هـ وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام فدخل الرعب في قلوب أهلها فبدأوا يهربون، وجلس شيخ الإسلام في ثاني صفر بمجلسه في الجامع، وحرص الناس على القتال، وأوجب جهاد التتر حتما في هذه الكرة، وتابع المجالس في ذلك، ونودي في البلاد أن لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة، فتوقف الناس عن السير، وسكن جاشهم.

وفي مستهل جمادى الأولى خرج شيخ الإسلام إلى نائب الشام في المرح، فثبتهم، وقوى جاشهم، ووعدهم بالنصر، والطفر على الأعداء، ثم ذهب إلى مصر، واستحثهم على تجهيز العساكر إلى الشام إن كان لهم به حاجة وقال لهم فيما قال:

إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقنا له سلطانا يحوطه، ويحميه ويستغله في زمن الأمن.

وكان وصول العساكر إلى الشام سبب فرح الناس فرحا شديدا. ورجع شيخ الإسلام إلى دمشق بعد اجتماعه بالسلطان، والوزير، وأهيان الدولة، وأجابوه إلى الخروج.

وفي سنة ٧٠١ هـ في شهر شوال عقد مجلسا لليهود النخابة، والزوا

بأداء الجزية أسوة بأمثالهم من اليهود، فأحضروا كتابا معهم يزعمون أنه من رسول الله ﷺ يوضح الجزية عنهم، فلما وقف عليه الفقهاء تبينوا أنه مكذوب مفتعل، وحاققهم عليه شيخ الإسلام، وبين لهم خطأهم، وكذبهم، وأنه مزور مكذوب، فأنابوا إلى أداء الجزية.

وفي هذا الشهر ثار جماعة من الحسدة على شيخ الإسلام وشكوا منه أنه يقيم الحدود ويعزر، ويحاق رؤس الصياني، وتكلم هو أيضا فيمن يشكون منه ذلك، وبين خطأهم ثم سكنت الأمور.

ثم دروا له مكيدة أخرى في جمادى الأولى سنة ٧٠٢ هـ أن وقع بيد نائب السلطان كتاب مزور فيه أن ابن تيمية، والقاضي شمس الدين الحريري، وجماعة من الأمراء والخوادم يناصحون التتر، ويكاثبونهم، ويريدون تولية قبحق على الشام، وبعد أن أحرى التحقيق على هذا الكتاب المزور ظهر أن واضعه فقير يقال له اليعفوري، وآخر معه يقال له أحمد الغناري. فعزرا تعزيرا عنيفا وقطعت يد الكاتب الذي كتب لها هذا الكتاب وهو التاج المناديل.

ثم جاء شعبان، واجتمعت العساكر المصرية، والشامية، ووقع القتال بين العساكر الإسلامية والتتر، وشارك فيه شيخ الإسلام وأصحابه، وكان النصر حليف المسلمين.

وفي سنة ٧٠٤ هـ استتاب شيخ الإسلام عددا من الدجالين.

كما ذهب إلى المسجد التاريخي، وأمر أصحابه، ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار، وينذر لها قطعها، وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها.

وفي سنة ٧٠٥ هـ في المحرم خرج نائب السلطنة بمحيشه مع ابن تيمية إلى بلاد

الجود، والرفض، والتيامنة، وأباد حلقا كثيرة منهم، ومن فرقهم الضالة، وحصل بسبب شهود الإسلام هذه الغزوة خير كثير.

وفي شهر جمادى الأولى جرت بينه وبين الفرقة الاحمدية الرفاعية مناظرة، ونقاش، وانتهت على أنهم يحلعون الاطواق الحديدية من رقابهم، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه، وصنف شيخ الإسلام حزبا في الطريقة الاحمدية وبيان أحوالهم ومسالكهم وتحيلاتهم.

ثم امتحن في هذه السنة في رجب فعددت له ثلاثة مجالس، وبحثوا معه في العقيدة الواسطية، واسفرت هذه المجالس عن اتعافهم على أن هذه عقيدة سنية سلفية منهم من قال ذلك طوعا، ومنهم من قاله كرها، وعاد شيخ الإسلام إلى منزله معظما مكرما.

ثم دبر له المصريون حيلة فطلب من دمشق إلى القاهرة، وكان وراء هذه الفتنة نصر المنبجى الصوفى الاتحادى، ويبرس بن شنكير، والقاضى المالكى ابن مخلوف، فعددوا له مجلسا، وادعوا عليه عند القاضى ابن مخلوف بأمر فى العقائد:

فألحمه شيخ الإسلام بأنك كيف تحكم وأنت فى خصمى ا

وأخيرا حبس شيخ الإسلام، وحصل أذى للحنابلة بالقاهرة وبالنشام، وبقي فى سجون مصر إلى ربيع الأول سنة ٧٠٧ هـ حتى دخل منها بن عيسى أمير العرب فأخرجه من السجن، وعقد له مجالس حضرها أكابر الفقهاء، وأقام شيخ الإسلام بالقاهرة مشغولا بالدعوة إلى الله، وقراءة العلم، فكان يتكلم فى الجوامع والمجالس العامة، وقد حصل بوجوده فى مصر نفع عظيم.

ثم فى شوال من هذه السنة شكى جماعة كثيرة من الصوفية إلى الحاكم الشافعى، وعقد له مجلس لكلامه فى ابن عربى وغيره، وادعى عليه ابن عطاء الله

الاسكندراني بأشياء، ولم يثبت منها شيئا.

ثم خير بين الإقامة بدمشق، أو بالإسكندرية بشروط أو الحبس، فاختار الحبس، وأذن أن يكون عنده من يخدمه. وكان جميع ذلك بإشارة نصر المنبجى. واستمر شيخ الإسلام في الوعظ والإرشاد، والدرس، والإفادة، ويقصده الناس ويوزرونه، وتأتية الفتاوى المشكلة من الأفراد والأعيان.

ثم انتقل إلى الإسكندرية، وحس فيها في برج حسن مضى متسع، وبقي بها مدة سلطة المظفر، فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة، وتمكن، وأهلك المظفر عام ٧٠٩ هـ في شوال. أعيد شيخ الإسلام إلى القاهرة مكرما معززا، وأكرمه السلطان إكراما، وقام إليه، وتلقاه في مجلس حمل فيه قضاة المصريين، والشاميين، والعقهاء، وأعيان الدولة، وزاد في إكرامه عليهم.

وبقي شيخ الإسلام في القاهرة مشغولا بنشر دعوته، وتأليف المؤلفات القيمة النافعة حتى جاء شهر شعبان سنة ٧١١ هـ وحاول الفقيه البكرى المشاغبة عليه فوثب وتتش أطواقه، فثار بسب ذلك فتنة وأراد جماعة الانتصار من الكرى فلم يملكهم شيخ الإسلام من ذلك

وكانت مدة إقامته بمصر سبع سنين من عام ٧٠٥ - إلى ٧١٢ هـ وألف وهو في السجى الكتب التالية

كتاب الاستقامة، وجواب الاعتراضات المصرية على الفتاوى الخوية، وتلخيص الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، والمحجة المصرية (مجلدان)، والمسائل الاسكندرانية، والفتاوى المصرية، وكتب معها أكثر من مائة لفه ورق أيضا^(١). قلت: وفي هذه المدة ألف كتباً مثل كتابه المشهور: «منهاج السنة» فألفه عام ٧١٠ هـ، قال في منهاج إن الإمام المعقود للرافض، دخل السرداب سنة

(١) انظر المعقود الدرية (٣٦١) وذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٤٠٣).

٢٦ هـ، أو قريباً من ذلك وهو الآن غائب أكثر من أربعائة وخمسين سنة (٣٦/١ من المنهاج).
كما ألف قبل هذه السنة كتابه في الكلام المحصل للرازي (منهاج السنة ٥٢/).

وكتاب مسألة التعليل (١/١٦٦-٢٦٠ من المنهاج).
ورسالة في تفسير سورة الإخلاص (١/٢٦٠ منهاج)
ورسالة في تفسير «ليس كمثله شيء» (١/٢٦ منهاج)
ودره تعارض العقل والقل (٣/٧٠ و ١٠٦ و ١٠٩ منهاج)
وجواب المسائل التي سئل عنها في استدارة الأفلاك (٣/١١١ منهاج)
والرد على المنطقيين، وألفه قبل دره التعارض. (انظر: منهاج ٢/٢٨٢)
والرد على المنطقيين (٢٥٣ و ٣٧٣ و ٣٢٤)

ثم رجع شيخ الإسلام سنة ٧١٢ هـ بعد غيبته فوق صبع سنوات مع حوانه وجماعة من أصحابه إلى دمشق بنية الجهاد لما قدم السلطان لكشف التتر الشام، مرورا ببيت المقدس، فلما وصل إلى دمشق خرج خلى كثير لتلقيه الترحيب به، وسر الناس بمجيئه

واستمر على ما كان عليه من إقراء العلم وتدريسه بدار الحديث السكرية. والمدرسة الحنبلية، وإفتاء الناس ونفعهم، وتوجه في هذا العهد إلى تجلية البحوث الفقهية. وتوفيت والدته الكريمة عام ٧١٦ هـ، والتي كان شيخ الإسلام باراً بها غاية، وكان يعظمها ويعتنى بشئونها وقد كتب إليها رسالة رقيقة للغاية من مصر كر فيها أسباب تأخره في مصر قائلاً: وتعلمون أن مقامنا الساعة في البلاد إنما ر لأمور ضرورية متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا، ولسنا والله تارين للبعد عنكم، ولو حملنا الطيور لسرنا اليكم، ولكن الغائب عذره معه، ثم لو اطلعتم على باطن الأمور فأنكم - والله الحمد - ما تحتارون الساعة

إلا ذلك ، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهرا واحدا ، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم وادعوا لنا بالخير . فسأل الله العظيم أن يخبر لنا وللمسلمين ما فيه خيرة وعافية^(١) .

وكان شيخ الإسلام بشر دعوته بكل جد ونشاط حتى جاء عام ٧١٨ هـ وسمعه السلطان من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق بالكفر ، ثم عقد لهذا العرص مجالس في سنة ٧١٩ هـ حتى حبس بالقلعة ثم مع بسية من الفتيا مطلقا . وفي آخر الأمر دبوا عليه الحيلة في مسألة المدح من السفر إلى قبور الأبياء ، والصالحين . وأرموه من ذلك التنقص بالأنبياء ، وذلك كمر .

وأفى بذلك طائفة من أهل الأهواء ، وهم ثمانية عشر همسا رأسهم القاضي الأخواني المالكي ، وأفى قضاة مصر الأربعة بحبسه ، فحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهر . وبقي مدة في القلعة يكتب العلم ويصفه ، ويرسل إلى أصحابه الرسائل ، إلى أن منع من الكتابة ، ولم يترك عنه دواة ولا قلم ولا ورق فأقبل على التلوة ، والتهدد ، والمناجاة ، والذكر ، حتى وافته المنية في العشرين من شوال سنة ٧٢٨ هـ

وحصر جنازته جميع أهل دمشق لإثلاثه أنفس خوفا على أنفسهم ، واعتبرت جنازته أكبر جنازة في الإسلام بعد جنازة الإمام أحمد رحمه الله عليه رحمه واسعة ، وجزاه خيرا عن الإسلام والمسلمين عما قام بخدمات جليلة لخدمة الدين الإسلامي الحنيف^(٢) ◎ ◎

(للبحث صلة)

(١) العقود الدرية (٢٥٧)

(٢) اعتمدت في كتابة هذا الفصل على الكتب التالية: العقود الدرية لابن عبد الهادي والبداية والتهنئة ، والاعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وذيل طبقات الحنابلة ، والرواي بالوفيات للصفي .

الدين الإسلامي يأمر بالطاعة واتحاد الكلمة



الدكتور صالح بن غانم السدلان

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض



الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا ونبينا محمد وعلى آله

وصحبه ومن والاه وبعد :

فإن الدين الإسلامي يأمر بالاجتماع والطاعة ، اتحاد الكلمة والرأى والالتزامات حول القائد والالتزام بأمره والالتقاء عند نهيه ما دام ذلك في حدود ما أمر الله به ونهى عنه ، وبذلك تستقيم مصالح الأمة تنتظم حياتهم فيقبلون على ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم ، ويستطيعون بناء وطنهم بأفكار وسواعد متلاحمة منتظمة تحت ريادة القائد وسيادته المهيمنة على القطاع الخاص والعام والإسلام إذ يقرر هذا ويأمر به ويحض عليه يضع ضوابط والأطر التي تكفل ما يرسى قواعد الأمن والنظام : ويحمل ذلك مستتباً بين الخاص والعام فأمر تلك الضوابط والأطر

١ - أن يكون هم الفرد قبل كل شيء تقديم المصلحة العامة على الخاصة فلا يذهب بشيخ الفوضى ويخل بالأمن عند ما يفقد مصلحة خاصة به ولكن لا يمنع أن يطلب حقه بأسلوب نظامي فإنه إذا فعل ذلك حصل على ما يريد طال الزمان أم قصر :

٢ - أن يتصور الفرد عظم المسؤولية واختلاف وجوهات النظر والمقاصد فلا يذهب بتتقد شيئاً ما حتى يحيط بالموضوع من كل جوانبه من حيث تعدد الرغبات

واختلاف وجهات النظر وصعوبة العقبات التي تعترض تحقيق كل المتطلبات
٣ - على الفرد من الامة أن يكون في بعض الأمور التي يصعب تحقيقها
والأخطاء التي ترتكب نتيجة سهو أو نسيان أو اجتهاد يراود من ورائه تحقيق
مصلحة أو دفع لأكبر المفسدين أو أعظمهما ضرراً .

٤ - أن يتحمل الفرد ما يحصل من أخطاء في نظره فقد يكون لذلك وجه
وهو لا يعلمه أو لم يكن محيطاً بالامر من جميع جوانبه يدل لهذا كله قوله تعالى :
﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم ، والعدوان ﴾ ولا يتحقق
تعاون إلا بالسر والتحمل والتأني . قال النبي ﷺ في حديث العرياض بن سارية
قال . وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون
فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل
والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حشى ، فإنه من بعش منكم فسبرى
اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا
عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، فمن لم يعمل بالآية
والحديث وما ورد في معانها وذهب إلى تفريق كلمة المسلمين وخلع طاعة ولى
أمرهم في مخالفة النظام وإيجاد اللفة والتشويش فإنه بذلك آثم مستحق للعقوبة
مهما تصور من تأويل ومبرر لعمله حيث أنه يخالف بذلك هدى رسول الله ﷺ
وسيرة أصحابه والخلفاء الراشدين وما قرره علماء الإسلام . قال عليه الصلاة
والسلام : الفتنة نائمة لعن الله من أثارها وقال عليه الصلاة والسلام : من فرق بين
أمتي وم جمع فاضربوا راسه كأننا من كان . فأسأل الله بأسمائه الحسنى وبصفاته
العلی أن يجمع كلمة المسلمين على الحق والدين وأن يوفق ولاية أمور المسلمين
للعمل بكتاب الله وهدى رسول الله ﷺ ، إنه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله
على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ◆●

فتاوى دينية

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات الحوث العلمية
والدعوة والإفتاء بالرياض

السؤال : أثناء الدوام الرسمي يؤذن للصلاة ، وتكون لدينا رغبة شديدة في الذهاب إلى المسجد للصلاة مع الجماعة ولكن لا نذهب المسجد بالرغم من قرينة خشية مرور مراجعين علينا ، وخوفاً من المسئولين .
فهل الصلاة داخل المصالح الرسمية بالرغم من قلة عددنا ثوابها
ثواب الصلاة داخل المسجد ؟

الاجابة : الواجب الصلاة مع المسلمين في المسجد لقول النبي ﷺ « من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر » أخرجه ابن ماجه والدارقطني بسند صحيح ، ولما سأله رجل أعمى فقال : يا رسول الله ! ليس لي قائد يلائمني إلى المسجد فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فأجابه النبي ﷺ : هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم ، قال : فأجب ، رواه مسلم في صحيحه .

ويكون الخروج إلى المسجد بعد الأذان ، وبعد الفراغ ترجعون إلى عملكم ، وعلى المسئولين أن يساعدوكم في ذلك لقول الله سبحانه ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ وبالله التوفيق .

(مع الشكر لمجلة الدعوة ، الرياض غرة شعبان ١٤٠٧ هـ)

اختيار/ أحمد مجني السلفي

طبعة جديدة لكتاب فتح المغيث السخاوى^ح

(د. مقتدى حسن الأزهرى)

إن السنة النبوية الشريفة لكونها مصدرا من مصادر التشريع الإسلامى قد حظيت بعناية علماء المسلمين فى كل زمان ومكان، فهم بدلوأ أقصى جهودهم فى نشرها وتعميمها بين الناس بالرواية والكتابة، وأدوا أعمارهم فى الحفاظ عليها، وضجروا بأغلى ما يملكون فى سبيل الدفاع عنها. وقد دفعهم حرصهم على تدعيم أركان هذا العلم الشريف وتثبيت قواعدها إلى تأسيس بعض العلوم التى تساعد فى معرفة درجة الأحاديث فى الصحة والضعف، والاطلاع على أحوال روايتها وما اتصفوا به من الأوصاف والأحكام. وفى هذه العلوم ما تميزت به الأمة الإسلامية بين أمم العالم، فلم تعرف هذه الأمم مثل أصول الحديث وعلم الرجال ولم تهتد إلى المنهج العلمى الدقيق الذى طبقه المحدثون فى تناولهم علم السنة والحكم عليها والاستنباط منها والدفاع عنها.

ومن متأخري العلماء الاعلام الذين برزوا فى أصول الحديث ولقيت مؤلفاتهم قبولا عاما لدى العلماء والباحثين: العلامة أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوى (٨٣١-٩٠٢هـ) فقد شرح منظومة الزين العراقى (ت ٨٠٦هـ)، وسمى شرحه «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث»، وقد حظى هذا الشرح بعناية العلماء وثنائهم، وصار متداولاً لدى المشتغلين بالسنة

الشريفة تدريساً وتأليفاً ، حتى قال عنه صاحب كشف القانون : لعله أحسن الشروح ووصف السخاوى نفسه كتابه هذا فقال : هو مع اختصار في مجلد ضخم وسبك المتى فيه على وجه بديع ، فلا يعلم في هذا الفن أجمع منه ولا أكثر تحقيقاً لمن تدبره .

وسبب هذا الشمول والجمع أن السخاوى قد عاش في دور اكتمال التصنيف في علوم الحديث ، وتمكّر من الاطلاع على مؤلفات هذا الفن ، وتلقى من الشيوخ الذين عرفوا بالكمال فيه ، ولارم شيخه ابن حجر العسقلاني حتى حل عنه علماً جماً ، ومن هنا جاء شرحه جامعاً لكثير من الفوائد والأصول التي لم تجتمع في غيره من الشروح .

وطبعة حجرية قديمة كانت ظهرت لهذا الكتاب في الهند قبل أكثر من قرن ، ثم أعيد طبعه في مصر وفي الهند . وكلها كانت غير محققة بل غير مصححة ولما اجتمعت بحريج الجامعة السلفية الذين يواصلون دراستهم في الجامعات السعودية أبدوا شعورهم بحو تحقيق هذا الكتاب ، واستحسنوا أن يتم هذا العمل تحت إشراف إدارة البحوث بالجامعة السلفية . وتنفيذاً لهذا الاقتراح وإسهاماً منهم في هذا المشروع العلمي النافع حصلوا على صور المخطوطتين للكتاب من المكتبة العامة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأرسلوها إلى الجامعة السلفية جزاهم الله تعالى خيراً .

وبعد موافقة فضيلة أمين عام الجامعة والمجلس الاستشاري لإدارة البحوث بدأ عمل التحقيق والتصحيح توكلًا على الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات .

وكرحلة أولية للتحقيق بدأت المقابلة بين النسخ المخطوطة والنسخ المطبوعة ، وساهم فيها بعض مدرسي الجامعة وخريجيه . وبعد انتهاء المقابلة تولى الشيخ على حسين على المدرس بالجامعة عمل التحقيق والتخريج والتعليق ، وقصد أبدى

بهذا الصدد مهمة عالية وعناية بالغة، ولما انتهى من تحقيق جزئين بلغنا أن جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض قد وزعت هذا الكتاب على بعض طلابها في الدراسات العليا للتحقيق والتعليق . ولكن لم تستحسن ادارة البحوث إيقاف العمل في هذه المرحلة النهائية ، وعقدت أمهلها بأن تعدد العمل العلمى وتنوعه سوف يمعان المشتغلين بالعلم باذن الله وتوفيقه .



ومحقق هذا الطبعة قد اعتمد في تصحيح متن الالعية على النسخ المطبوعة الآتية :

١ - نسخة المطبع الماروقى بدهلى المطبوعة في سنة (١٣٠٠ هـ) بعناية الشيخ أبى سعيد محمد حسين الهزاروى تلميذ مسد الهد السيد نذير حسين الدهلوى ورمز اليها بـ « م » .

٢ - نسخة جمعية النشر والتأليف الازهرية بمصر، المطبوعة سنة ١٣٥٥ هـ، مع شرحها فتح المغيث ، كلاهما للزير العراقى ، ورمز اليها بـ « ع » .

٣ - نسخة (پاك اليكترىك پريس) بملتان فى باكستان ، بعناية جمعية النشر والتأليف الآثرية ، مع تعليقات الشيخ أبى الشفيق محمد رفيق . ورمز اليها بـ « ف » .

٤ - نسخة دار الكتب العلوية فى بيروت ، مع شرحها النصرة والتذكرة، وفتح الباقي . ولم يعمل لها رمزا بل ذكرها باسمها فى مواضع الإحالة .

٥ - نسخة طبعة الأعظمى مع شرحها فتح المغيث ، وهى ناقصة ، وقد رمز اليها بـ « ح » .



أما الشرح « فتح المغيث » فقد اعتمد فى تصحيحه وتحقيقه على المخطوطات والمطبوعات الآتية :

١ - نسخة المكتبة السليمانية فى تركيا ، وهى قديمة جيدة مصححة بقلم

المؤلف ، وعليها إجازة منه بخطه ، وكذلك تعليقات من الناسخ ، وخطها جلي جميل ، وناسخها هو الشيخ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني صاحب إرشاد الساري (٨٥١-٩٢٣هـ) ونظرا إلى صحة هذه النسخة وقرائنها على المؤلف وتصحيحها منه قد جعلها المحقق أصلا ورمز إليها بـ « د » .

٢ - نسخة المكتبة الأثرية ، لم يعرف ناسخها . ولعلها نسخت من السابقة . خطها جيد ، وهي مثل النسخة التركية في الصحة . وموقوفة على طلبة الأزهر كما نذل عليه العبارة الموضوعة على أعلى الورقة الأولى ، وقد رمز إليها بـ « د » .

٣ - مطبوعة مطابع (أنوار محمدى بالهند) ، طبعت سنة ١٣٠٣هـ بعد المقابلة على نسخة مكتوبة في عصر المؤلف ومقروءة عليه ، إلا أنها لم تغل من الأخطاء المطبعية . ويعلم بتاريخ النسخ أنها سابقة على النسخة التركية .

٤ - مطبوعة مطبعة الأعظمى بالهند ، بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى ولكنه طبع جزءا واحدا فقط ، ولم يحسن التحقيق والتصحيح ، بل اعتمد على طبعة أنوار محمدى ، ولم يعتن بتصحيح الأخطاء المطبعية أيضا ، وجاء الرمز إليها بـ « ح » .

وبمراجعة هذه المخطوطات والمطبوعات حاول المحقق تصحيح العبارة وإثبات النصوص على صورة تكون أقرب إلى ما أثبتته المؤلف . ولا ينبغي أن ندعى الكمال ، فانه لله وحده ، ولكن الذى يتأكد بعد قراءة النصوص المحققة هو أن هذه الطبعة هي أحسن الطبعات التي ظهرت إلى الآن لكتاب «فتح المغيث» فالحمد لله على ذلك .



أما عمل المحقق بعد المقابلة وتصحيح النصوص فانه يتلخص فيما يأتى :

١ - بيان أرقام الآيات القرآنية وأسماء سورها .

- ٢ - تخرج الاحاديث والآثار التي وردت في الكتاب مع الاشارة إلى درجتها في الصحة والضعف وتعليل بعض أحكام المؤلف بهذا الصدد .
 - ٣ - عزو الأقوال إلى أصحابها وذكر المصادر التي وردت فيها .
 - ٤ - ترجمة الأعلام الواردة في الكتاب سوى الأشهر منها ، وقد راعى الإيجاز في الترجمة دون التلويل .
 - ٥ - وضع العناوين الفرعية لما ورد ضمن المباحث الرئيسية .
 - ٦ - وضع المهارس التمهيلية المتنوعة لما ورد في الكتاب .
- وتحدينا بنعمة الرب عز وجل أصرح بأن الجامعة السلفية بنشرها هذا الكتاب تقدم إلى الناس نموذجاً لهمود أحد حريحيها وثمرة من ثمراتها العلمية . فالحق الشيخ على حسين على قد تخرج في هذه الجامعة ثم تعين مدرسا وباحثا فيها ، وقد مارس نشاطه العلمي بجد وإخلاص ، واستمر في طريق البحث والتحقيق دون سآمة وملل ، وتحمل مشاق التحقيق بصدر رحب ، وضرب مثالا رائعا لمن يتخرجون في المؤسسات التعليمية ويرغبون في التقدم في سبيل العلم والبحث . نسأل الله تعالى أن يتقبل عمله هذا ويكتب له النجاح في مشاريعه العلمية القادمة ويحسن له الجزاء في الدنيا والآخرة .



عن الجهاد في افغانستان

للشيخ ولي الله غلام

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، يقول الله تعالى :
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) .

وبعد : فإن الله عز وجل يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان
مرصوص . وكل ما من شأنه أن يخل بنسق هذا البنيان يجب على المسلمين اجتنابه
محافظة على الوحدة والوقوف أمام الأعداء .

هذه المقدمة اليسيرة أريد أن أشير بعدها الى ما نشرته «مجلة الغرباء» التي
تصدر في لندن في عددها الرابع في شهر شعبان سنة ١٤٠٧ هـ في لقاء لها مع
المهندس أحمد شاه الذي يشغل حالياً مهمة نيابة الاتحاد الاسلامي لافغانستان
في سؤال لها حول جماعة أهل الحديث «الجماعة السلفية» في أفغانستان ومن
المعروف أن المحاهدين لهم عدة منظمات ، ومن بينها هذه الجماعة (جماعة أهل
الحديث) وكان نص السؤال كالآتي :

وصلتنا منشورات صادرة عن جهات أفغانية بعيدة عن أرض المعركة ،
منها جهة تسمى نفسها بـ «أهل الحديث» فما موقف الجهاد من مثل هذه
النشاطات ؟

ولا يخفى أن وصف المحلة لهذه الجماعة بأنها بعيدة عن أرض المعركة^(١). وكذلك ما جاء في جواب الأخ أحمد شاه من قوله: (وعددهم لا يزيد عن ألف نفر في كل أفغانستان) - فيه بجانة للصواب وإخفاء للحقائق وهضم لدور هذه الجماعة وجهودها في نشر دعوة الحق ومقاتلة أعداء الله. كما أنه ينبغي أن يعلم أن هذه الجماعة لها خمسون ألف مقاتل يعملون في ٤٦ جهة في مختلف المحافظات داخل أفغانستان.

أما قوله: (ما موقف الجهاد من هذه النشاطات) فلا أدري ما مقصوده منه، فإن كان قصده أن تعمل المخططات الأخرى على محاولة إيقاف جماعة أهل الحديث عن مواصلة نشاطها ودورها في الجهاد، فهذا مما لا يملكه أحد، ولا يتصور صدوره من محاهدين يقاتلون أعداء الله لتكون كلمته هي العليا.

والأخ أحمد شاه يعرف هذه الجماعة ودورها في الجهاد، ويعرف أن الشيخ جميل الرحمن - قائد هذه الجماعة - هو الذي بدأ الجهاد المسلح العمومي في بلادنا وحقق لعون الله وتأييده انتصارات عديدة.

وجاء جواب الأخ أحمد شاه للأسف فيه من التعامل وإخفاء الحقائق ما هو بين وواضح، حيث قال: (إن هذه الجماعة موحدة ولا يتجاوز عددها

(١) مثل هذا الاتهام ليس بغريب من معاندى دعوة العمل بالكتاب والسنة، فهناك عديد من التهم التي توحى إلى أهل الحق في أفغانستان وغيرها من أقطار الدنيا، وبعضها طريقة جدا من حيث أنها تكشف عن مدى نفسية هؤلاء المعاندين وتقطع قلوبهم على وضوح الحق وتمكن الناس من الاطلاع على خبايا الجماعات التي تدعى الاسلام والجهاد وما إلى ذلك. وقد كشف عن حقيقة هذه التهم ومدى خبث أصحابها علامة الهند الشيخ ثناء الله الامرنسرى في كتابه بالاردية «أهل حديث كأمذهب» أى مذهب أهل الحديث فليراجعه من أراد الاطلاع (م. ح.)

ألف شخص) فنقول للأخ أحمد: وهل القلة عيب حق تصفنا بها؟ ألم تسمع قول الحق حل وعلا ﴿وكم من قصة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله﴾ الآية؟ وهل الكثرة هي ميزان النصر؟ إن الميزان الحقيقي هو الصدق مع الله وإخلاص العادة له وانتفاؤه وجهه في ذلك كله^(١).

وعما يحزن له القلب قول الأخ أحمد: (ومثل هذه المنشورات والنشاطات لا تخدم الجهاد بأي حال من الأحوال، ودورها في تعريف المسلمين وهذا لا ينبغي) وهل هذا الذي وصفه بأنه يفرق إلا هو بعينه الذي لا تكون الوحدة إلا ١٩٤٠! فإذا كانت الدعوة إلى توحيد الله وانتاع هدى خير المرسلين يفرق المسلمين فلا أدري أي مسلمين هؤلاء^(٢) وكيف وبم يتحدون؟

أما قوله: إن عقيدتنا هي (إذا لم يوجد هناك خلاف عقدي فلا بد من اتحاد المجاهدين). فنقول: وهذه هي نفسها عقيدتنا كذلك، ولكن الواقع أن التباين العقدي موجود لا ينكره أحد في أفغانستان أو غيرها من البلاد الإسلامية. وهذا الخلاف العقدي هو الذي يدعو الناس لبذره إذ لا يمكن الاتحاد بين قوم ما لم تتحد قلوبهم على عقيدة واحدة هي عقيدة السلف الصالح التي ندعو الناس جميعاً إليها، من عاش عليها أفلاح ومن مات عليها فاز باذن الله تعالى.

ودفعاً لما يفهم من قول الأخ أحمد: (وعددهم لا يزيد عن ألف نفر في كل أفغانستان) وقوله: (والحقيقة أنهم يفتقدون أي دور ممتاز في الجهاد) نورد

(١) وهذه هي الحقيقة التي يفعل عنها كل من يتهم أهل الحديث في منهجهم ونشاطاتهم، ويزعم أنه يقوم بالعمل الإسلامي المطلوب (م. ح. ٠).

(٢) تذكرت بذلك قول داعية معروف مخلص وتساؤله بأن قال: أيها الإخوان! لو أخلصتم في التمسك بالتوحيد لم تجمد الشيوعية سبيلها إلى بلادكم. (م. ح. ٠).

بعض الحقائق عن هذه الجماعة لا انتخاراً ولا رياءً، إنما على سبيل العلم بها وكفى بالله شهيداً فنقول :

— للجماعة ٥٠/١٠٠ «خمسون ألف» مقاتل مقسمون الى ٤٦ «ست وأربعين» جبهة قتال

— ١٥/١٠٠ من الطلاب بنين ونساء موزعون في ١٣٥ مدرسة في داخل المخيمات والمناطق المحررة في داخل أفغانستان

— جامعة الدعوة الى القرآن و السنة في مدينة بشاور، وعدد طلابها ٤٠٠ طالب .

— معهد شرعى لتأهيل الدعاة يتخرج منه سنوياً ١٠٠ طالب .

— دور للاهتمام في بشاور ومناطق الحدود تقوم بدورها في التربية وتدريبهم على مختلف الحرف والأعمال اليدوية .

— مراكز للدعوة في مناطق متفرقة

فهل بعد هذا كله يقال بأن هذه الجماعة ليس لها دور ممتاز في الجهاد ؟
الله المستعان .



من أخبار الجامعة السلفية

حرصت الجامعة منذ أول يومها على توثيق صلتها مع المؤسسات التعليمية الكبيرة ومع الشخصيات العلمية البارزة، وقد تحقق لها نجاح ملموس في هذا المجال بعون الله وتوفيقه، فقد تشرفت الجامعة في أوقات مختلفة بترحيب عدد من العلماء والمشايخ والاكاديميين من داخل الهند وخارجها. وكذلك تكونت منها عدة وفود لزيارة الدول الاسلامية العربية في مناسبات مختلفة. وقد ترتبت على هذه الزيارات فوائد عديدة في مجال التعليم والتربية وفي ادارة الاقسام المختلفة للجامعة. ومواصلة لهذا النوع من الجهود غادر وفد من الجامعة الى المملكة العربية السعودية في أول أسبوع من شهر رجب ١٤٠٨ هـ. وهذا الوفد مكون من فضيلة الشيخ عبد الوحيد عبد الحق أمين عام الجامعة، والدكتور مقتدى حسن ياسين وكيل الجامعة، والدكتور عبد الرحمن بن عبد الحبار الفريوائي الاستاذ بالجامعة السلفية.

ويجري الوفد أثناء زيارته لمدينة المملكة المحروسة اتصالات مع العلماء والمشايخ ومع المسؤولين عن الجامعات ومعاهد التعليم ورؤساء التحرير لمجلات وجرائد المملكة وللمكتبات ودور العلم، ويحاول الاطلاع على النهضة العلمية في المملكة عن كثب، والالمام بطريق التعليم ووسائل البحث والتحقيق التي عرفت حديثا وهي صالحة للتطبيق في معاهد الهند وجامعاتها التي تعنى بتدريس اللغة العربية والعلوم الاسلامية.

وتأتى أهمية هذه الزيارة من أنها حامت بعد الندوة العالمية التى عقدتها الجامعة السلمية عن حياة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وأعماله العلمية الخالدة ، وقد حظيت هذه الندوة بتشجيع من العلماء والباحثين فى العالم الاسلامى ، وكان للتوصيات التى اتفق عليها المشاركون فى الندوة تأثير طيب فى الأوساط العلمية ، وخاصة التوصيات التى تناولت ضرورة احياء ذكرى شيخ الاسلام فى هذا العصر والتعريف بمؤلفاته القيمة ونشرها فى هذا العصر . وحيث أن الندوة انعقدت بعد فترة العلاء الايرانيين فى الحرم المكى الشريف فان عديدا من الباحثين قد أشادوا بمجهود شيخ الاسلام وأبدوا إعجابهم بهيئته الناقمة حيث عرف نفسه القوم قبل قرون وحزر المسلمين من مكائدهم ومؤامراتهم .

ان فصيلة أمين عام الجامعة يبحث فى هذه الزيارة مع المسؤولين امكانية انشاء قسم خاص بدراسات ابن تيمية فى الجامعة حتى يتيسر للناس الاطلاع على معارف ابن تيمية ونظرياته السديدة وخاصة نحو الفرق الضالة التى تهدد كيان الأمة وتندل أقصى الجهد للقضاء عليها .

وكذلك يشرح فضيلته للعلماء وأهل الخير مشاريع الجامعة العلمية والبنائية التى تريد اعمارها فى المرحلة القادمة القريبة . كتب الله تعالى النجاح والسلامة للوفد ، وفق القائمين على الجامعة لكل خير ، وصلى الله على نبينا وآله وسلم .



صَوْتُ الْأُمَّةِ

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف والترجمة ، بنارس

شوال ١٤٠٨ هـ

المجلد الأول

يونيو ١٩٨٨ م

العدد الرابع

★ عنوان المراسلة : رئيس تحرير صوت الأمة ، بي ١٨/١ جى ، ريوزى تالاب
بنارس ، الهند

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوزى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

1 18/1 G 2, REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى } فى الهند ٤٢ روبية. فى الخارج ١٨ دولارا (بالبريد الجوى)
٨ دولارات (بالبريد العادى)
ثمن النسخة ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٦٣٥٧٧

© المنشور لا يعبر إلا عن رأى كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

لجالة تسهيف

- ◆ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكري ، والتعصب المذهبي ، وتليغ رسالة الاسلام ، وتوير الراى العام بمادتها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .
- ◆ مقاومة الافكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمادى الهدامة ، وضلال الزيف والاحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب على رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الامور وكل ما فى نشره ضرر للسليين أو خطر على وحدتهم وتسامنهم
- ◆ مؤازرة الكتاب والادباء الاسلاميين ، واستنهاض مهمهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، فى تعمق ووعى وحرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .
- ◆ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعي الاسلامى فى الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام فى معركة اللسان والقلم ، وتصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الاصلية من الكتاب والسنة .
- ◆ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين فى الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .
- ◆ التوجيه الدينى السليم للسليين فى القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى فى طريقهم على هدى وبصيرة .
- واقه هو المستول أن يهدينا إلى سبل الرشاد ؟

وأفنى في الناس بالحج !

د . مقننى ياسين الازهرى

يمتاز الإسلام بين الأديان بأنه حدد الغاية والهدف من كل عبادة وعمل ، وقد صرح بذلك حتى يكون المسلم على وعى وبصيرة إذا أتى بعمل ، ولا يغيب عن باله الهدف المنشود من العمل المشروع . فالصلاة مثلاً لها أهميتها وآثارها في حياة العبد وسألوكم وفي صلته مع خالقه ، إنها تمكن العبد من الابتعاد عن المعاصي والتخلي عن الرذائل ، يوضح القرآن الكريم ذلك فيقول : ﴿ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾

وكذا ورد التصريح في الصوم بأنه يورث في حياة المسلم التقوى وبجمله على خشية الله تعالى والاستشعار بعبادته وجلاله ، يقول جل شأنه . ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ .

وبين غاية الزكاة فقال : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم بها وتزكهم ﴾ . وأرشد عباده المسلمين إلى فوائد الحج : بقوله ﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ﴾ .

ومن هنا يجب على كل مسلم يوفق لإدائه فريضة الحج أن يحمل هذه الغاية نصب عينيه ، ولا يغفل عنها وهو يؤدي مناسك الحج ، ولا يتهاون في

السعى للوصول إليها، كي تقل عبادته وتترتب عليها آثارها المنشودة .

وبما أن فريضة الحج تتضمن مناسك وأعمالا يجب أن يعتنى العبد بكل ناحية من نواحيها وبحس أداء كل عمل من أعمالها، فإن العادة لا تحظى بالقبول عند الله تعالى إلا إذا أتى بها العبد حسب أوامر الشريعة وتوجيهاتها، ولا تكون طريقة أدائها محالمة لروح الاسلام ولا معارضة لأهدافه من أية ناحية . والعبادة إذا جاءت على هذه الصفة وروعى أدائها هذه المراعاة فسوف تؤثر في حياة العبد وتقوى صلته بربه وتمهد له سبيل الفوز والسعادة .

وفي الحج تتمثل مراحل التقدم الانساني كلها، فنه يتمكن الانسان من التجارة ومن ممارسة البحث العلمي والنشاط السياحي، ومن الاطلاع على وجوه الحياة وصنوف الحضارة وامكانيات التبادل بين المجتمعات الانسانية في الشؤون المختلفة .

وهو فرصة عظيمة لنشر الدعوة الاسلامية بين شعوب العالم، ولارشاد الناس وتوجيههم إلى تعاليم الاسلام الحقة، ولتطهير العقائد والأعمال من الأخطاء التي وقع الناس فيها نتيجة غيبوبة الوعي الديني وانتشار الجهل بالأحكام الشرعية السامية .

انه مؤتمر عالمي يحضره المسلمون من كل قطر وبلد، وهم يحددون في نفوسهم رغبة قوية صادقة لنشر الاسلام ومقاومة الفساد والانحلال الذي يهدد المجتمع ويرزع كيانه . فلو اتهم الدعوة إلى الاسلام هذه الفرصة، واستخدموا الوسائل المتوفرة، وواصلوا جهودهم في هذا المؤتمر العظيم لأفادوا كثيرا، وحققوا نجاحا باهرا في سبيل نشر الدعوة وتصحيح عقائد المسلمين وأعمالهم ونهذبهم من تيارات الالحاد والاباحية .

وأذن في الناس بالحج

وفي الحج درس للمساواة بين المسلمين ، فهم جميعا يؤدون مناسك الحج على طريقة واحدة ، وفي مكان واحد ووقت واحد ولباس واحد . انه مطهر رائع للمساواة الاسلامية والاخوة الدينية ، والانسان حبيبا يصل الى هذه اللذة الطيبة في موسم الحج يشعر بطمأنينة كبيرة ، ويعتبر هذه الجموع العاشدة أسرة واحدة ينتمى اليها ويعتز بها . وتتجسد هذه المساواة بكل معانيها حينما يتوجه الحجاج إلى منى وعرفات ملبين متضرعين

وفي الحج درس للاتحاد والتعاون ، وإرشاد إلى ما يجب أن يكون عليه المسلمون من التعاضد والتكاتف لنصرة دينهم وتدعيم مكاتبتهم وتعزيز موقفهم وحل مشاكلهم ، فان الحج يتيح لاسلم فرصة يرى فيها اخوانه المسلمين من كل مكان يجمعون في مكة المكرمة وحول بيت الله الحرام امتثالا لأمره وابتغاءا لمرضاته وتصديقا بقول الله عز وجل . ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ .

ثم انهم جميعا يخضعون وينقادون لربهم مقرين بتوحيده ، شاكرين على نعمه ، كلمة واحدة تجرى على ألسنتهم وتطاولها قلوبهم : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

وانهم جميعا يتوجهون في صلواتهم الى الكعبة المشرفة ، وهي : ﴿ أول بيت وضع للناس ﴾ .

ويطوفون حوله مسبحين حامدين شاكرين ، تحتك الأكتاف بالأكتاف وتهفو القلوب إلى خالق الأرض والسموات .

وهكذا تتحقق الوحدة والانسجام بين المسلمين في السعى بين الصفا والمروة وفي التوجه الى منى وعرفات ، وفي رمي الجمرات وغيره من مناسك الحج .

وتجلى هذه الوحدة بكل معانيها حينما تقف جموع الحجاج في عرفات يصلون ويلبون ويسحون ويدعون ، انهم جميعا يتجهون الى الله تعالى وحده بالاجلال والاکرام ، ويقرون لانفسهم بالعبودية والذل والطاعة والانقياد : ﴿ اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شئ قدير ﴾ .

ولاشك ان هذه الوحدة كانت حاجة المسلمين في كل عصر ، ولكنهم اوحوا إليها الآن بالسة لاي وقت آخر ، فاننا نرى الجهود تنسق والمؤامرات تحاك ضد الاسلام ، ويقف أهل الديانات المختلفة صفا واحدا للقضاء على دين الله الحامد والحرام الناس من الهداية الربانية : ﴿ يريدون ليطفثوا نور الله بأهوائهم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ .

وفي الحبح تذكر لاسلم بأسوة ابراهيم الحليل عليه الصلاة والسلام . وبمواقفه الجرئة صد قوى الشر والطفیان ، وتحريض على أن يتحلى كل مسلم بالصفات الحميدة والفصائل العظيمة التي تجلت في حياته عليه السلام ، وتخليد لذكراه الجليلة ، وتقويه بالتضحيات الكبيرة التي قدمها في سبيل القضاء على الشرك وإرساء أسس التوحيد .

انه - عليه السلام - دعا أباه وقومه إلى توحيد الله وعبادته ونبذ الأصنام التي يكمون عليها وقال بصراحة ﴿ لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴾ .

وسألهم في تنديد وتوبيح فقال : ﴿ أقمعدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون ﴾ .

ومسذه الدعوة الحكيمة لم نجد سبيلها إلى قلوبهم فأصروا على ضلالهم .

وازداد عنادهم وعدائهم للحق فلجأوا إلى منعاق القوة ، شأن المعاندين المكابرين في كل زمان ، وحاولوا أن يقضوا على حياة الخليل متصرين لآلهتهم : ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ﴾ .

وفلا نفذوا خطتهم واستفدوا طاقتهم لإنهاء هذه الحياة الطاهرة فألقوا الخليل عليه السلام في النار ، ولكن الله تعالى أحبط مؤامرتهم ودفع كيدهم وكتب السلامة والنجاة لعبده ابراهيم : ﴿ قلنا يا ناركوني بردا وسلاما على ابراهيم ﴾ .

وهذا الحادث وحده يحمل في طيه موعظة عظيمة وبعينا درسا بليغا ، ونحن الآن في حاجة إلى أن نستنير بهذا الموقف الرائع في سبيل نشر الدعوة ومواجهة التيارات المعادية ومواصلة العمل في ظروف غير ملائمة .

انه يرشدنا كيف نؤمن بالله وتشكل عليه ، وكيف محلص في أداء المسئولية التي ألقيت علينا ، وكيف نصبر على ما يلحقنا من الآدى في أداء هذه المسئولية ، وكيف نستقيم في سبيل ديننا ، وكيف نثق بنصر الله المؤزر ، وكيف نرضى بقضاء الله وقدره فينا بعد بذل الجهد والقيام بالواجب .

ان حالة المسلمين اليوم تتطلب منا أن نرى هذه الدروس والمصر يتطلب منا أن نقدم نفس التضحيات التي قدمها ابراهيم عليه السلام ، حتى نغرز دعوة التوحيد ونقضى على مظاهر الشرك والاحاد : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين ﴾ .

وبصدد الكلام عن الحج وفضائله وأحكامه ودروسه لا بد من التنبيه على شناعة الأعمال التي ارتكبتها حجاج من ايران في حج عام ١٤٠٧ هـ .

انهم توجهه من آيات ايران ، الذين فشلوا في سياسة بلادهم سياسة مادية
 بزيهة ، قادهوا بتنظيم مظاهرة صاخبة قرب المسجد الحرام ، وروعوا حجاج
 بيت الله الامنين ، وأشعلوا النيران في المحلات التجارية وأحرقوا السيارات
 الواقفة هناك ، وسدوا الطريق على المصلين وعامة المشاة ، وجرحوا الشيوخ
 والنساء ، وأحدثوا المشاغة والغوغاء .

كان موقفهم في احداث هذه الاعمال المشينة غريبا ، انهم بهذه الاعمال
 المحمية خرجوا على أحكام الشريعة الاسلامية ، ودنسوا أرض الحرم المكي
 الطاهرة ، ونذوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وراء ظهورهم ، وذلك أن
 الاسلام حينما شرع المح بين له أحكاما وآدابا ، وقد قام رسول الله ﷺ
 وأصحابه رضی الله عنهم بتطبيق هذه الأحكام أحسن تطبيق ، وراعوا هذه
 الآداب أحسن مراعاة . كانت حياتهم تجسيدا دقيقا ملصقا لأحكام الشريعة ،
 فكانوا يأتون بالأوامر ويحتشون النواهي بكل اخلاص وأمانة ، ولكن الأسف
 أن أهل الهوى والريغ في هذا العصر بدؤا يتلعبون بمعادات الاسلام ، ويحاولون
 تحقيق الاطماع السياسية بأسلوب خبيث وتمويه مزر . انهم يدعون الاسلام
 ولكن الاسلام منهم برئ ، وذلك أنهم يحرفون معاني الكتاب والسنة ، ويلجأون
 الى الكذب والافتراء للحصول على الأغراض التنافسية ، ويتكبرون للخدمات
 الجليلة التي قام بها سلف الأمة في نشر الدين والدفاع عن مبادئه وأهدافه .
 ان الفتنة المعاصرة التي يزعمها الخني ويطيبل لها أذنا به من أخطر الفتن
 وأحشها في تاريخ الاسلام ، فهؤلاء المنحرفون يهدفون الى القضاء على الاسلام
 والمسلمين بالتآمر مع أعداء الاسلام ، وهكذا يريدون إعادة دورهم القديم في
 تقويض دعائم الدين مع التظاهر بأنهم مخلصون للاسلام ويتمنون له ولاهله مجدا
 مؤثلا وكرامة ثابتة .

واذن في الناس بالهجو

ومما يبعث على العلمانية أن وجوه المتأمرين على الاسلام تكشفت الآن لدى الناس ، وتبين للجميع أن القوم ليسوا مخلصين في ادعائهم الاسلام ، وأنهم يريدون تحقيق الاهداف السياسية وفرض سيطرتهم على الآخرين باثارة النزعات العنصرية وإحياء الاتجاهات العنصرية .

وكذلك تصدى علماء الأمة للفتنة فدرسوها بخلفياتها وملابساتها ، وأبرزوا للناس اهدافها وغاياتها ، ثم بينوا حكم الشريعة الاسلامية في الذين أشعلوا نيرانها وحاولوا تمزيق صفوف المسلمين وتعمير جو الأمن والسلام في البلد الآمن ، كان موقف هؤلاء العلماء صريحاً في القضية ، وكان بيانهم مدعماً بنصوص من الكتاب والسنة وبشواهد من التاريخ الاسلامي ، ولذا استجاب له أصحاب العقول السليمة والاتجاهات المعتدلة ، ونددوا بموقف الخيبي وأذناه الذين يريدون تمزيق صفوف الأمة ويهدفون الى الخيلولة بينها وبين ماضيها المجيد ، ويتسترون بالدين لنيل مآربهم الخبيثة .

وحيث أن الشيء يرجع الى أصله ، وأن الاناء يترشح بما فيه ، فإن الرافضة لا يرجي منهم خير للاسلام والمسلمين ، وذلك أن بدايتهم قامت على السكيد والفس والكذب والخذاع ، انهم تأمروا مع أعداء الدين من اليهود والنصارى والتار ضد المسلمين في الزمن القديم ، ووقفوا مع الصهيونية والصليبية والشيعية ضد الدول والمقدسات الاسلامية في الزمن الراهن . ان تاريخهم المشبوه وموقفهم العدائي للاسلام والمسلمين واضح لدى كل من له إلمام بتاريخ الاسلام ، وقامت أدلة وشواهد على سوء نياتهم وخبت طواياهم لكل ذي عينين ، ولكن الشيطان زين لبعض الجماعات الاسلامية أمر الخيبي فزعموا أن الثورة الايرانية ثورة اسلامية ، وأن الخيبي يريد للاسلام والمسلمين عزة وكرامة ، وأن

الحكومة الالهية قدر لها أن تقوم على أيدي هؤلاء الراضة ، وأن الدول الكبرى المحاربة للإسلام سرا وعانا سوف تندحر أمام نظام الآيات في إيران ، وأن معاني الديمقراطية والحرية والمساواة والعدالة والرخاء تتجسد أمام الناس في ظل دولة الروافض التي تأسست على دماء الأبرياء وأشلاء الضعفاء .

هذا الزعم من بعض المسلمين يصدق عليه قوله تعالى :

(كسراب نقيمة يحسه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .)

ان احسان الظن بالغير قد يكون فضيلة ، ولكن الظن بأن النار لا تحرق والسم لا يقتل والسيوف لا يترسف وحق .

إن إقامة الحكومة الالهية مطلب عزيز دون شك ، ولكنه لم يبلغ منزلة يضمنى لها المبادئ والقيم التي نوهت بها نصوص الكتاب والسنة . ثم إن الحكومة الالهية لن تقوم بالاعلان والتمنى ، بل لابد أن تسبقها مرحلة اعداد الرجال المخلصين الذين يميزون بين الحق والباطل ، ويعرفون التوحيد من الشرك والسنة من البدعة ، ويتعلمون بتاريخ الاسلام ودوله ، ويدركون مغزى التربية الدينية السليمة ، ويعملون عصر الرسول ﷺ وصحابة الكرام قدوة يحتذون بها وغاية يسعون لها .

ان الروافض - ومن يحاربهم - يرددون اليوم أن الاسلام لم يفرق بين الدين والسياسة ، ويحاولون بذلك الوصول الى أغراض خيثة كلمة حتى أريد بها الباطل . حقا لا فرق في الاسلام بين الدين والسياسة ، ولكن هل يعنى ذلك أن يهمل المسلمون أمر العادات التي فرضها الله تعالى لتزكية النفوس وأن يسعوا وراء إقامة الحكومة دون العناية بالتربية ، وأن يتحالفوا لاجل هذه الحكومة مع أصحاب الهوى والضلال الذين ذمهم القرآن والسنة بنصوص صريحة ،

وأن يصرفوا النظر عن أمور العقيدة الأساسية على زعم أن التركيز عليها قد يحدث جفوة ويبعد المنضمين الى الجماعة من أهل العقائد الباطلة ؟؟

كلا ثم كلا ، ان الاسلام قام على العقيدة ، والرسول ﷺ ركز عناية حول تربية الصحابة على العقيدة ، وانه عليه الصلاة والسلام قد وضع أهمية جميع الشؤون التعبدية والسياسية وغيرها ، والسلف الصالح ، رضى الله عنهم ، قد وقفوا مواقف واضحة في ضوء توجيهات الرسول الكريم ﷺ ، والمسلمون قد أمروا بالاتباع لا بالانتماء ، والشرعية الاسلامية لم يبق فيها شيء يحى على من يريد مرضاة الله تعالى . ومن هنا يجب علينا في هذه المرحلة العصبية من تاريخ الامة أن نحتكم الى الكتاب والسنة ، ونستشير بمنهج السلف الصالح ، ونفرك بين المهتدين والضالين ، ونخضع عقولنا واهوائنا لنصوص الكتاب والسنة ، ونحكم على القضايا بمروسة المؤمن الذي لا يلدغ من جحر مرتين ، والله هو الهادى الى سواء السبيل ● ● ●



فضل العقيدة الإسلامية على العقائد الأخرى

(من غرائب المعتقدات)

+++++

د. محمد بن سعد الشويمر

+++++

الانسان بطبيعته فيه غريزة الولاء والالتزام، والاسلام يركز على هذه الناحية وينمياها ويوصلها في قلب المرء.

ومصدر التشريع في الاسلام كتاب الله، وسنة رسوله الكريم ﷺ تؤكد على هذه الناحية وتركيها، ومن هنا يلدس الانسان اهتمام الاسلام بمخاطبة العقل، والدعوة للتبصر والسؤال عما يحمله الانسان.

ولإذا غاب هذا الوازع، وأتمحنى المرشد للرم من تيه الضلالة - وكتاب الله هو المصدر التشريعي السماوى - تاه الانسان أو ضاع معتقده فأصبح كالغريق الذى تتقاذفه الأمواج يبحث عن قشة يتعلق بها وقشرة صغيرة يراها فيحسبها جسما، وعندما تمسك بها يداه تهوى به في القعر فتسبب له العرق ومن ثم الهلاك.

وهذا ما يحصل بالنسبة لمعتقدات كثير من شعوب الارض، ففي افريقيا نسمع العجائب في عبادات الوثنيين، وفي روسيا نلن أن الشيوعيين بعد ما فرضوا مذهبهم، واعتبروا الدين أميونا للشعوب، واعتبروا المادة هي كل شيء رجعوا رغما عنهم إلى المعتقدات التى تاهوا فيها، واحتارت عقولهم فيما يتمنون

اليه، وأنشاء زيارتي لبيبال لفت نظري في الطرق الصحراوية وفي القرى كثرة الغربان، والابقار، والكلاب.

وبحسب الفضول طلبت من المترجم وهو مسلم من تلك الديار تفسيراً لذلك فقال: لا أعلم لذلك شيئاً إلا لبعض المعتقدات حول البقرة، ذلك أننا معاشر المسلمين ننزل في بعض القرى عن الاختلاط بالهندوس ولا نعرف عن عاداتهم ومعتقداتهم إلا الشيء اليسير.

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الجهل المتعشى عدد كثير من الهندوس يجعلهم لا يعرفون هم أنفسهم كثيراً من أسرار المعتقدات التي وقعوا فيها، أو سار فيها بعضهم، لأن من كثرة المعتقدات عندهم أصبح بعضهم لا يعرف عن معتقد البعض الآخر، ولذا وصفت الهند بأنها ذات الـ ٤٠٠ ديانة.

وكانت فرصة الرحلة الطويلة التي صاحبنا فيها سائق هندوسي متعلم وهو يصاحب السواح دائماً ويعرف بلاده كلها شبرا شبرا، ويحيد اللغة الإنجليزية فرصة للدخول معه في الحديث بعد أن زادت محبة السفر عن عشرة أيام، نتجول خلالها في أطراف البلاد سياحة واستطلاعاً.

وقد بدأنا بسؤاله عن البقرة وقانون الجزاء لمن يقتلها أو يأكل لحماً منها: إن قانون الدولة يحرم ذلك والجزاء هو السجن مدى الحياة لمن يعمل ذلك والبقرة تترك حتى تموت ولا يؤكل لحماً.

أما السائق لودھسها في الطريق العام فإن السجن لسه لمدة عام وغرامة قدرها ثلاثة آلاف روبية نيابلية لصاحبها وللدولة، هذا في أول مرة ثم يضاعف إذا تكرر العمل.

فسألناه عن سر عبادتهم للبقرة فقال أولاً: إن المرأة الوديمة الهادئة

الخطوة عندنا تسمى بقرة لأنها انصفت بصفاتها لأن البقرة طبيعتها الهدوء بعكس الثور والجاموسة، فالبقرة لا تؤدى وكثيرة الخير، وتدر اللبن، وتنتج بالتوالد. ولذا تحرص النساء على الانصاف بالوداعة وخدمة الأزواج لتتصف بهذه الصفة المحببة.

والناس لا يسمعون البقرة من أكل حوائجهم وبضائعهم، بل يفرحون بذلك ويتركونها تعمل ما تشاء تيمنا وتبركا حتى ولو هلكوا جوعا.

وعن سر عبادة البقرة وتعلقهم بها قال: إننا نعتقد بوجود مشكلات كثيرة تأتى الإنسان بعد الموت، وإن أماننا أنها لا نستطيع عبورها فإذا وقفنا لتجاوز للجهة الثانية حلت البقرة فتعلقا بدنها فتخرجنا من هذه المشكلات المعترضة وتجاوز معها بأمان، ولذا نسجد لها ونحجبها، لأنها تسبح بنا إلى عالم آخر.

وحكى لنا السائق شيئا أغرب عن معتقداتهم، وأغرب من عبادة البقرة فقال: نحن نسجد مرة في السنة للكلاب وخاصة كلاب الحراسة، ونعمل لها أطواقا من الزهور وملقها في أعناقها، ولا تعرض للكلاب بأذى.

وسر هذا الاعتقاد أن هذا الكلب هو الذى يدخلهم الجنة بعد الموت، كما يقول السائق، لأنه يحرسهم فيعرفهم بما عملوا له في الدنيا فيجازيهم بهذا العمل بعد الموت.

لأن الجنة كما يزعمون فيها أشجار ومأكولات وعلى أبوابها كلاب تحرسها فهو لا شك ستعرفهم بعد الموت لأنهم قدموا لها هذه العبادة، فلا تنج عليهم عند الدخول ولا تمنع الدخول إلا من لم يعبدوا.

وهذا سر عبادتها سنويا، ولذا فإنهم يحترمون الكلب ويقدمون له المأكولات وهذا من أسباب تناسلها وكثرتها في كل مكان حتى في العاصمة «كاتمندو».

وهذا أيضا دفعنا السؤال عن كثرة الغربان وهل أسباب ذلك كثرة الجيف أم هناك سر آخر.

فقال : إن الغراب له مكانة في نفوسنا ونحترمه ، ونعبده فهو الذى يأتى لنا بالخبر الطيب ، ونقدم له القرابين ، وامل تعلقهم بالغربان له علاقة بتعلق الجاهلين العرب به ، قبل ظهور الإسلام بل وتعلقهم بكل شئ حتى الشجر والحجر .

دفعنا هذا الكلام للاستزادة خاصة وأن الطريق الطويل في حاجة إلى تربية وتخفيف بعده بما تشوق إليه النفوس ، ذلك أن كل أمر مستغرب تتطلب إليه النفوس ، وتريد المعرفة لجوانبه المفائدة من جانب ولحمد الله والشكر له على نعمة الإسلام التى لا تعدلها نعمة .

فلولا هداية الله لنا معشر المسلمين لتنهنا في الدنيا ، كما تاهوا . قال تعالى : ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ومن نعمته سبحانه التى لا يعدلها نعمة هدايته لمعرفة حقيقة الإسلام والايمان على العمل وفق شرعه الذى شرعه سبحانه وفق سنة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام .

لقد عرفنا قيمة النعمة التى هدينا اليها عند ما سمعنا — ورأينا — هذه المعتقدات التى هى أقرب للخيال منها للواقع ، وللهول منها للجد ، وللخيال أكثر بما هى للحقيقة التى يقبلها العقل . . أو يمكن أن يقبلها فالحمد لله ؟



مسألة حياة النبی ﷺ في ضوء الأدلة الشرعية



(الحلقة الرابعة)

للعلامة محمد اسماعيل السلفي

ترجمة -

الدكتور مقتدى حسن الأزهرى



❦ عقيدة الحياة وتناغمها ❦

ولكن المشكلة القائمة الآن أن البريلوية وبعض أكابر ديوبند يحاولون إثبات عقيدة الحياة الدنيوية بهذه الضعاف والمقطوعات ، وبدأوا يسمون هذا التصور البدعي بالعقيدة المتواترة ، ولذا ينبغي أن يعلم جيدا أن هذه الأسانيد مع تعدد الطرق والشواهد لا ترتفع إلى أن تكون أساسا لعقيدة .

ثم إن هذه الطرق والشواهد لا تذكر الحياة الدنيوية ، بل تكرر قوله ﷺ :
« أكثرُوا على الصلاة يوم الجمعة » .

والطرق والشواهد التي ورد فيها ذكر الحياة بصراحة لم يصح منها واحد ، ولا يستحسن أحد محاولة إثبات العقائد بالأحاديث الصحيحة لغيرها . أما العلماء الذين ينقل عنهم تصحيح وتوثيق هذه الأحاديث فلم يقل أحد منهم بالحياة الدنيوية ، ولم يحاول إثبات هذه العقيدة البدعية وأكثر من تكلم في هذا المقام . هو الحافظ ابن القيم ، وهو أيضا لا يقول بالحياة الدنيوية ، وكذلك لم يرض

مسألة حياة النبي ﷺ

ثبت بهذه الأحاديث الحياة المطلقة ، وذلك يكون الاستدلال بهذه المباحث هذه العقيدة المخترعة مثل تأويل القول بما لا يرضى به القائل ، وهذا يرضاه أهل العلم والفكر .

والحديث السادس صحيح ، وقد ورد فيه ذكر رد الروح عند السلام .
هذا خلاف الحياة الدنيوية ، والأحولة التي ساقها الحافظ السيوطي يبدو أن قلبه أيضا غير مقتنع بهذا الحديث ، فإن الغلط والتدبيل نارزاق جواب .

أما قول الشيخ حسين أحمد فانه معارض لصح الحديث ، والحديث يدل أن روح النبي ﷺ ترد للرد على السلام ، وعلى قول الشيخ حسين أحمد ساجدة لرد الروح ، ولذا ينبغي إعادة النظر الى معنى الحديث ، فانه لا يتصح فيه الشيخ حسين أحمد .

أما الحديث السابع فانه يذكر لقاء الأنبياء عليهم السلام ليلة الاسراء ، ولا كيف يستخرج منه الحياة الدنيوية .

وقد ذهب أئمة السنة في هذا اللقاء مذهبين معروفين . فالبعض يرى أنه روعي ، فقد ورد في فتح الباري حديث عن البرار والحاكم أنه صلى المقدس مع الملائكة وأنه أتى هناك بأرواح الأنبياء فأنشأوا على الله (١) .
عاه الغاطي . للحياة الدنيوية صار مشكلة وتعسر به الجمع بين الأحاديث .

والمذهب الثاني أن هذه الأرواح أعطيت أجساما ماثلة ، وبهذه الأجسام

تم اللقاء في بيت المقدس أو ليلة الاسراء ، وقد ذكر ذلك في فتح الباري^(١)
فقال :

« إن أرواحهم مشكاة بشكل أجسادهم ، كما جزم به أبو الوفاء بن عقيل .
والصورتان يمكن وقوعهما في البرزخ ، وإطلاق الحياة الدنيوية عليهما ليس
بمقول .

ويصرح بعد ذلك ابن حجر فيقول : لأنه بعد موته وإن كان حيا فهي
حياة أخرى لا تشبه الحياة الدنيا^(٢)

ويقول في ج ٤ ص ٢٨٢ : وهذه الحياة ليست دنيوية ، إنما
هي أخرى .

وقد قال في التلخيص الحبير ص ١٦٢ نقلا عن البيهقي : الأنبياء أحياء
عند ربهم كالشهداء

وهذه الحياة حياة برزخية أخرى ، ولا يعقل أن يصفها عاقل بأنها
حياة دنيوية .

وجميع الحقائق مثل صلاة موسى ، ورحح هارون ويونس ، وإحرام المسيح
والدجال تكون مثالية برزخية لا دنيوية . وقد قال النبي ﷺ حينما تولى ابنه
إبراهيم : له ظهران تكملا رضاءه في الحنة^(٣) .

فل ترون أن إبراهيم أعطى حياة دنيوية مع أنه ليس نبيا ولا شهيدا ؟
وتوجد في كتب السنة عشرات من الأحاديث في هذا المعنى ، فلو أثبتنا بها الحياة

(١) ح ١٥ ص ٤٠٩

(٢) جز ١٦ ص ٢٦ .

(٣) المشكاة ص ٥٢٠ .

الدنيوية فكأننا قلنا انه لا يموت أحد في الدنيا .

والاحاديث السابقة (٨، ٩، ١٠) لا تدل قطعا على الحياة الدنيوية ، ولا نعرف لماذا نقلها الشيخ راهد ؟ وبعد السطور السابقة لا تنق حاجة للكلام على هذه الاحاديث .

قصص وحكايات

شهادة جعفر وإخبار بعض الأرواح عن دينها وما يشهه ذلك من القصص قد ورد ذكرها في كتاب الروح ، وشرح الصدور ، والخصائص الكبرى ، ولكن : أولا ليست هذه القصص حجة شرعا .

وثانيا ليست هذه الأدلة جديرة بالوثوق في باب العقائد .

وثالثا يمكن الاستدلال بها على حياة الروح ونقلها وتحركها ، ولكن لا تثبت بها الحياة الجسمية أو الدنيوية قطعا .

ورابعا اذا ظهر الملام والكشف من غير نبي فيمكن أن يتيقن فيه صاحبه ، ولكنه لا يلزم عامة المسلمين .

وسماع سعيد بن المسيب الأذان في المسجد النبوي عند رقعة الحرة ليس له معنى ودلالة على ما نحن فيه ، فان سعيدا لم يكن يعرف صوت النبي ﷺ ، ويمكن أن يكون هذا الصوت لجى صالح أو ملك ، فكيف تثبت بذلك الحياة الدنيوية للنبي ﷺ ؟

وقد نقل الشيخ عن ابن القاسم أربعة أدوار للإنسان :

الاول دور الرحم . والثاني دور الدنيا . والثالث دور البرزخ . والرابع دور الآخرة .

وكل دور لاحق خير من سابقه . وعليكم أن تفكروا في هذه السعة ، وأن هذا

الدليل لكم أو عليكم ؟ فان كان في دور البرزخ سعة وهو خير من دور الدنيا فلماذا تحاولون إحراج النبي ﷺ من البرزخ الى الحياة الدنيوية ؟ ان الحياة البرخية أعلى وأرفع بكثير من الحياة الدنيوية

إن أحد رصا حار وأتباعه في غنى عن العقل والعلم ، ولكن عليكم أن تفكروا ، ان أمل التوحيد لا يتحدون من العلم والعقل . ﴿ ان في ذلك لآيات لأولى البصيرة ﴾

ويمكن التوسع في الكتابة حول بعض أحرار المقال ، ولكن لا أقصد الحث والمساطرة . وأحوالنا المحيية تقتضي ان لا يحاول المعيدون عما إبدأه آرائهم فيها ، فان دمه اليه يحسن فهمها علماؤها ان الجمهور التي تسدل لحرص اللادبيية لعلمكم لا تعرفونها ، ولذا لا بدعي أن تلقى مسؤولية المستقبل عليكم ، وتستعمل رسائلهم ، حطكم لأعرص سينه حبيبة ، نسأل الله تعالى التوفيق لأن نعمل شيئا لإبلاغ كلمة الاسلام ، ولا يكون سببا لفتح الأبواب الحميمية التي تدخل منها إلينا العاديانية ، والرفض ، والدعة والابتداع .

نظرة الى محتويات رسالة حياة النبي ﷺ

بعد أن أرسلت للنشر في مجلة رحيق بلاهور ملاحظاتي الانتقادية للقال المنشور في مجله دار العلوم بديوبند اد حامت إلى رساله حياة النبي ﷺ مؤلفه الشيخ احلاق حسين ، التي قدم لها الشيخ سيد أبو در الحار .

ولكن الأسف أنها لا تحتوي إلا على اندفاع الشباب ، ولا غرابة في ذلك حيث لم توفر الأدلة وكالت النصوص معارضة بصراحة يضطر الانسان الى الخفاف باسم المدرسة التي ينتمى اليها وإلى العسف والتكلف ، ويبدى الشباب خامسهم وقوتهم ويستخدمون لسانهم وعقلهم في صرف النصوص عن أصلها ،

وهكذا يسبحون في تحويل اتجاه الأذهان الى وقت ولو قصير ، ويستندون الحدار الذى يريد أن ينقص بالتوسل الى عظم مكانة الصلحاء و الحماط على منزلتهم . وهذا ما فعله اخلاق حسين وابوذر ، ولذا لا أرى حاجة للكلام على الحزب البدائي لهذه الرسالة .

وكنت قد سمعت من بعض أصدقائي أن الشيخ محمد قاسم النانوتوى رحمه الله قد كتب رسالة و هذا الموضوع ، ومع بدل الجهد لم أظفر بنسخة منها . ولكن وجدت ورسالة الشيخ اخلاق حسين اقتباسا من رسالته الشيخ النانوتوى ، واسمها « آت حياة » يقول فى (ص ٢٣٢) محاولا تعليل حديث « يرد الله على روى » لانه يعارض موقف الديوبندية ، فأراد بتأويله تحييته من الطريق :

« لما صارت روح النبي المفعوح عليها منعا وأصلا لسائر الأرواح وخاصة أرواح المؤمنين ، فأى فرد من الأمة يسلم عليه ﷺ ترد الشعبة التى فى جانبه ، ولا يلزم ارتداد الشعب كلها ، ومن الطاهر أن ارتداد تلك الشعبة يكون سببا للاطلاع على السلام ، ولكن لا يكون موجبا لزوال الاستغراق المطلق ، لأن الشعب غير متناهية » .

ان علو مكانة الشيخ النانوتوى وسعة نظره و غزارة عنه وإخلاصه وتقواه معلوم ومعروف ، و ان قلبى يرتجف من أن يقف متواضع مثل موقف الانتقاد من الشيخ الذى يعد بحر العلم والمعرفة ، ولكن فكرى لم يصب ، والله الحمد ، بالنقل والجود ، وليس أحد بعد النبي ﷺ معصوما ، ولذلك أفكر فيما يحتوى عليه هذا الكلام الموجز . والاسف أن علما متبحرا مثل الشيخ النانوتوى لم يذكر دليلا ولا كتب شيئا يؤثر فى العكس . وقد جاءت هذه البلية بسبب أنهم

قد اختاروا نظرية خاطئة بأن حياة الانبياء ليست برزخية بل جسمية دنيوية .
 وحاصل كلام الشيخ السانوتوى أنه تصور الروح التي وصفها القرآن بالامر
 مركبة في لغة المحازات ، ثم تصور الشعب غير المتناهية ، ثم ان عناية كل جزء
 من اجزاء هذا المركب يمكن أن تنصرف الى الجهات المختلفة ، ثم ان هذا
 الانقسام لا يورث خلا في الاستغراق مع العناية المذكورة ثم ان هذه الروح
 منبع لعام الأرواح ولأرواح المؤمنين ، أى أرواح المسلمين وغيرهم تنشعب من
 هذه الروح . ولأرواح المؤمنين نسبة خاصة وصلة مع روح النبي ﷺ
 المفتوح عليها .

ولا يوحد في الطاهر تعقيد في كلام الشيخ السانوتوى ، رحمه الله ، الذي
 سبق أن ذكرنا ، وكل ما قاله بأسلوب المحار والاستعارة لا يتجاوز تصريح
 الالفاظ وتكرارها ، ولم يذكر لها من الكتاب والسنة يؤيد رأيه .
 والقرآن الكريم اذ ذكر الروح أرشد لإرشادا بليغا جامعاً : ﴿ قل الروح
 من أمر ربي ، وما أنتم من العلم إلا قليل ﴾ .
 كان ينبغي ان يتفكر ان تفصيل الامر لو كان ذكر شمه غير المتناهية
 ليها القرآن .

وقد ذكر الشيخ احلاق حسين في صفحة ١٧ كلاما من راد المعاد ، لوقارنا
 بينه وبين كلام الشيخ السانوتوى لعرفنا ان كلام ابن القيم أقرب الى السنة
 وانسب وأبلغ في الجمع بين الأحاديث ، وكلام الشيخ السانوتوى غير مؤثر على
 أنه تلعب بالالفاظ . ولو نظرنا الى حديث « يرد الله على روى » لذهب
 استدلاله كله سدى ، مع معارضة الالفاظ الحديث .

علم كلام البريلوية

تبين لنا أن لعلم البريلوية ثلاثة أصول . الأول الإكثار من شتم الخصم

والثاني توجيه المطاعن والنهم اليه بقدر الامكان حتى يحتمل في الرد عليها والتبرؤ منها، والثالث إلحاق كلمة « الشريف » مع البدعة التي يراد نشرها، مثل الحادي عشر الشريف، المولد الشريف، الأربعين الشريف، وكل مسكونة تكون مركزا للشرك والدع تصاف بها كلمة الشريف، وتضاف الالهاب الرائفة إلى اسم المذنب المشرك، وذلك كي تكره العامة الحق، ويودوا البدع وأهلها.

❦ اخوان ديوبند ❦

وأصحاب ديوبند قد سلوا من المرضى الأولين، فانهم لا يشتمون ولا يكذبون، ولكنهم يغفلون في احترام الاساندة وبالعقول في محاسن الاكابر بطريقة خاطئة، وقد سبق أن اطلعتم على قطعة من كلام الشيخ محمد قاسم رحمه الله، واليكم الآن مثالا للبالغة في نفس الكتاب :

كتاب «آب حياة» كتاب قال فيه شيخ الهند رحمه الله: إني قرأته على شيخى رحمه الله درسا درسا حتى اطلعت على مدارك المؤلف. وإني قد رحوت من الشيخ حبيب الرحمن رحمه الله بعد ذكر هذا الواقع أن يدرسنى هذا الكتاب، فقال مع ذكائه وتوقد فهمه: إني لا أستطيع ذلك، فقل هذا الكتاب كيف يستطيع تدريسه أمثالنا غير الأكفأ؟

أرأيتم هذا الكلام؟ انه بالاردية وليس فيه إغلاق ولا حق، ولو اطلعت على غلو الشيخ محمد طيب هذا لفصص الغبار عن عبنى خيفة أن يكون هناك أسد قائم، ونحن لا نشك في مكانة الرواة وثقتهم، ولكن عرضه على الواقع يؤدي إلى صراع ذهني بأن هؤلاء الاكابر ماذا يقولون؟ ويمكن أن يكون موضع من الكتاب دقيقا رجوع له شيخ الهند إلى أستاذه، ولكن قراءة الكتاب كله درسا درسا أمر عجيب.

ونحن نرى أن تلك علم كلام البريلوية ورثه أهل ديوبند من البريلويين،

وبذلك انتشرت النظرية الخاطئة التي تقول : ان حياة الانبياء دنوية بين مدرسة ديونند، وشامنا الديونديون يرون أقوال الاساتذة لانتحمل المس ولدا لا يحترؤن على تحليل حسنهما وقبحهما (فشر عمادى الدير يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هدام الله . وأولئك هم أولو الآلئاب) .

إخوانى الكرام ! ان طريق العلم والعقل يختلف عن ذلك تماما ان احترام الاساتذة أمر ، وصرف النظر عن العلم والعقل أمر آخر ، وأمامكم أسوة الامام أنى حنيفة وتلاميذه ، فاما نحن عندم الاحترام والاختلاف حنفا إلى حنن ، والاختلاف لم يجمعهم من إظهار الحق ، ولم يحل إظهار الحق في طريق الاحترام والآداب ، وعاطفة إظهار الحق قد اندمجت مع الآداب والاحترام بحيث أن الأستاذ لا يتمتع وحده مع اختلاف تلاميذه معه في مئات من المسائل ولا يتكدر طوائع التلاميذ ، ولا يصل الأمر إلى التناحس المعالى فيه بين الطرفين ، رحمهم الله ورعى عنهم :

أولئك آباءى الخئى منسليم إذا جمعنا يا جرير المحامع

وبعد ذلك وجدنا رسالة طويلة للشيخ محمد طيب نقلها الشيخ اخلاق حسين ولو فصلت الكلام على هذه الرسالة فان وقت القراء يضع في بحث غير رافع ، والحقيقة أن كناية الشيخ النانوتوى رحمه الله مبحث أو نظرية نشمه كتاب فصوص الحكم أو الفتوحات المكية ، ولكن لا ينحل بها الحديث في ضوء ألقاظه ، ثم ان شرح الشيخ طيب ليست له علاقة مع كلام الشيخ النانوتوى ، بل انه آراء وأخيلة ولدها ذهن الشيخ طيب ، وانه يستحسن إذا ألقى أمام الطلبة والمعتقدين ، ولكن يصعب أن يثبت على ميزان الأدلة والبراهين . انه بحث مستقل لا يلقى ضوءا على كلام الشيخ النانوتوى ، ولا يساعد في حل معنى الحديث ، نعم يبدو أنه محاولة فاشلة لضم كلام النانوتوى إلى كلام ابن القيم وبعض كشوف .
الشاه ولي الله .

وإني قد وصفته هذه المحاولة بالفعل لأن الشيخ النافذ يرى روح النبي ﷺ أصلاً لسائر الأرواح وخاصة أرواح المؤمنين، ولكن الشيخ طيب يقتضى على هذا العموم لو وصف النبي ﷺ بالمؤمن الحقيقي، ويعبر عن تخصيص أهل الإيمان بأسلوب يوم أن الروح والإيمان مترادفان، والاصطلاح حق للجميع، ونحن لا نستطيع منعه، ولكن لينظر أهل العلم أى خط ينشأ بذلك؟ وكفى يصعب منع بدوي وخليفه عبد الحكيم من الاصطلاح! ولذا يحسن أن تتكلم مع الناس بلغتهم، كما فعل ابن القيم.

ثم أطال الشيخ في ذكر الشمس وأثرها في أسلوب التمثيل، ولكن هذه المحاولة أيضاً ناقصة بسبب أن كلمة «رد» في قوله ﷺ: «رد الله على روعي»، يقتضى غير ذلك، نعم، هذا الطول يؤدي إلى التخطي دون شك.

ولو ألقى هذا الكلام حول وجوب طاعة النبي ﷺ، وفرض به القيد على الجود الفقهي والمصوفي لكان أنسب، أما فهم الحديث المذكور فإن كلام الشيخ طيب يقتضى إخراج كلمة الرد من موضعه في الحديث.

وكان هناك طريق آخر للتخلص من هذا الحديث، وذلك أن في رواه أبا صخر حميد بن زياد، وقد رواه مسلم على طريق المتابعة، وقال يحيى بن معين أحياناً: إنه ضعيف، وروى عنه بعض المنكرات، فالجرح على الحديث كان طريقاً للتخلص منه، أما الاعتراف بصحة الحديث، ثم تقليب المصطلحات والتلاعب بالالفاظ، فإن ذلك يمهّد الطريق لأهل الإلحاد والبدع، والعلماء هم يكونون مسئولين عن ذلك.

أم اختيار طريق أهل السنة بأن الحياة برزخية، وهي تجتمع مع الموت الدنيوي، فلا تضاد بينهما، وهذا هو رأى أهل التحقيق وأكابرنا.

وقد قسم الشيخ طيب للاستغراق أيضاً إلى أقسام، فهناك استغراق في

ذاته ﷺ ، واستغراق في أرواح الأمة ، واستغراق في ذات الله تعالى .
 وحيث أن أمر الروح فوق فهمنا وإدراكنا فلا فائدة من هذا التكلف ،
 والفرار من ظاهر الانقراض لا يحسن بأهاليكم من متبعي الحديث ، هذا تصوف
 كشيء يشبه ما عند ابن عربي وابن سعيد ، ولا علاقة له مع زهد أبي حنيفة
 وأحمد وورعهما .

ورسالة الشيخ طيب كلها بالأسلوب الخطابي ، ومثلها كلام الشيخ محمد قاسم
 رحمه الله .

ولم تكن حاجة لهذا التصريح المر إن لم تكن مضابقة أهل التوحيد من قبل
 أهل الانداع في باكستان بالاستفادة من هذا التوبة والالفاظ المحتملة .
 ونحن - المساكين البعداء - نشكركم أن أحسنتم إلينا بطريق آخر ، أما الأسلوب
 الذي اخترتموه إلى الآن فإنه يدفعنا إلى الشكوى :

شكوت وما الشكوى لمثل عادة ولكن يفيض الكأس عند ثلاثها
 إننا نود أن نسمع منكم كلام التوحيد والسنة ، وقصص السلف واعتصامهم
 بالسنة ، أما المتاع الذي تصدره دار العلوم بدوبند فإنه يوجد بكثرة في باكستان ،
 فلماذا تتحشمون المشقة ، اختاروا طريقا آخر لارضاء الشيخ خير محمد .
 وإنى قد صرفت النظر عن كثير من رسالة الشيخ طيب ، مع توفر مجال
 القول والمناقشة .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

(يتبع)



السيرة العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية *****

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الحبار الفيرواني

الجامعة السلفية - بنارس

(٤)

٢٠- ووالده : الإمام العلامة شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (٥٦٢٨ - ٥٦٨٢) شيخ حران ، وحاكمها ، وخطيبها ، كان له فضيلة حسنة ، ولديه فضائل كثيرة ، وكان له كرسى بجامع دمشق ، يتكلم عليه عن طاهر قلبه ، وولى مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين ، وبها كان سكنه^(١).

وقرأ عليه شيخ الإسلام الفقيه والأصول ، كما روى عنه بعض كتب الحديث ، فقد صرح بتحديثه عنه غير مرة^(٢).

٢١- والشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن عباس الفافوسي ، توفي في شعبان سنة ٥٦٨٢ وله خمس وسبعون سنة ، روى عنه حديثا في الأربعين وهو الحديث الثالث والثلاثون^(٣).

(١) انظر لترجمته : البداية والنهاية (٣٠٣ / ١٣) والعبير (٢٤٩ / ٣) وذيل طبقات

الحنابلة (٣١٠ / ٢) وشذرات الذهب (٣٧٦ / ٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (٥٤ / ١٧ - ٥٥ و ٩٢ / ١٨) ، والرد الوافر (٩٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (١١٢ / ١٨) .

٢٢ - والإمام المسند الزاهد شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الزين أحمد ابن عبد الملك بن عثمان بن عبد الله بن سعد المقدسي، ولد سنة ٦٠٦ هـ وتوفي في ذي القعدة سنة ٦٨٩ هـ، كان ثقة من أولى العلم والفضل، قال الذهبي: كان واسع الرواية عالي الإسناد، وأجاز لنا مروياته^(١).

روى عنه شيخ الإسلام عام ٦٨١ هـ، وعنه عدة أحاديث في الأربعين^(٢).

٢٣ - والإمام الفقيه العالم البارح جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن سليمان ابن سعيد بن سليمان البغدادي نزيل دمشق، ولد سنة ٥٨٥ هـ بخران، وتوفي في شعبان سنة ٦٧٠ هـ بدمشق^(٣) سمع منه شيخ الإسلام عدة أحاديث في الأربعين، وقد سمع منه عام ٦٦٨ هـ^(٤).

٢٤ - والرئيس عماد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الصغر بن السيد بن الصائغ الأنصاري، توفي في رمضان سنة ٦٧٩ هـ. وسمع منه شيخ الإسلام سنة ٦٧٦ هـ^(٥).

(١) معجم الشيوخ للذهبي (ق/٧٥/أ) وانظر لترجمته أيضا: العبر (٣/٣٦٩ طبعة البسيوني) والمعين (٢٢٠) والنجوم الزاهرة (٧/٣٨٦) وشذرات الذهب (٥/٤٠٨)

(٢) أرقام الأحاديث: ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٩ - ٢٩ - ٣٦ من الأربعين في الجزء الثامن عشر من الفتاوى له.

(٣) انظر لترجمته: العبر (٣/٣٢١ طبعة البسيوني) والنجوم الزاهرة (٧/٢٣٧) وشذرات الذهب (٥/٣٣٢).

(٤) انظر الأرقام: ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٩ من أحاديث الأربعين في الفتاوى الجزء الثامن عشر.

(٥) الحديث رقم (٢٠) من الأربعين في الجزء الثامن عشر من الفتاوى.

٢٥ - والشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد شيخ الاسلام قاضى القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى الحنبلى (٥٥٩٧ - ٦٨٢ هـ).

قال الذهبي: وهو ممن اجتمعت الألسن على مدحه والثناء عليه بالعلم والعمل والأخلاق الشريفة^(١).

وترجم له ابن الخباز في مئة وخمسين جزءا، ومن مؤلفاته شرح المقنع لعمر الموفق^(٢).

سمع منه شيخ الاسلام في شعبان سنة ٦٦٧ هـ بقاسيون، وروى عنه في الاربعين عدة أحاديث^(٣) وذكره في الفتاوى في إسناده للسند^(٤).

٢٦ - والشيخ الجليل المسند الصالح كمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن عبد الملك ابن يوسف بن قدامة المقدسى، ولد في حدود سنة ٥٩٨ هـ، وتوفي في جمادى الأولى سنة ٦٨٠ هـ عن بضع وثمانين سنة^(٥).

(١). معجم شيوخه (ق ٧٩ / أ - ب).

(٢). انظر لترجمته: تذكرة الحفاظ (١٤٩٢) ومعجم الشيوخ (ق ٧٩ / أ) والعبر (٣٣٨ / ٥)، وطبعة البسيوني (٣ / ٣٥٠) والبداية والنهاية (١٣ / ٣٠٢) والمعين في طبقات المحدثين (٢١٨) ومرآة الجنان (٤ / ١٩٧) وذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٣٠٤) والدرر الكمنية (١ / ١٤٤) والتجزم الظاهرة (٧ / ٣٥٨) وشذرات الذهب (٥ / ٣٧٦).

(٣) انظر الأحاديث: ٥ - ١٧ - ٢٤ - ٢٨ - ٣٥

(٤) الفتاوى (٢٥ / ١٤٦).

(٥) انظر لترجمته: تذكرة الحفاظ (١٤٦٥) والعبر (٥ / ٣٢٨) وطبعة البسيوني (٣ / ٣٤٣) وشذرات الذهب (٥ / ٣٦٦).

روى عنه شيخ الاسلام عدة أحاديث في الأربعين^(١).

٢٧ - والشيخ المحدث الفقيه الزاهد الأثرى عفيف الدين أبو محمد عبد الرحيم ابن محمد بن أحمد بن فارس بن راضى بن الزجاج العللى ثم البغدادي (٥٦١٢ - ٥٦٨٥) .

قال البرزالي : محدث بغداد في وقته موصوف باتباع السنة ونصرها والذب عنها .

وقال الذهبي : وله أتناع وأصحاب يقومون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حدث بالكثير ببغداد وبدمشق .

سمع منه بدمشق الكبار كالشيخ على بن النفيس الموصلى ، والمزى والبرزالي وابن تيمية وغيرهم^(٢).

٢٨ - والشيخ المسند كمال الدين أبو نصر عبد العزيز بن عبد المنعم بن النضر ابن شبل بن عبد الحارثى (٥٥٨٩ - ٥٦٧٢)^(٣)

سمع منه شيخ الاسلام كثير^(٤) ، ومن جملة مسموعاته عنه في يوم الجمعة سادس شعبان سنة ٥٦٦٩ بمجامع دمشق الحديث الثاني من أحاديث

(١) أرقام الحديث : ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٢٧

(٢) انظر ترجمته في : العبر (٣ / ٣٥٩) طبعة السيوتى ، وذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٣١٥ - ٣١٦) والنجوم الزاهرة (٧ / ٢٧٠) وشذرات الذهب (٥ / ٣٩١ - ٣٩٢) .

(٣) انظر لترجمته : العبر (٣ / ٣٢٥) والنجوم الزاهرة (٧ / ٢٤٤) وشذرات الذهب (٥ / ٣٣٨) .

(٤) العقود الدرية ص ٣

الأربعين^(١)

٢٩ - والقاضى شمس الدين أبو محمد عبد الواسع بن عبد الكافى بن عبد الواسع
الابهرى الشافعى نزيل دمشق (٥٥٩٩ - ٥٦٩٠)^(٢).

قال الحافظ ابن حجر فى ترجمة محمد بن حمد بن عبد المنعم بن حمد بن منيع
ابن أبى الفتح الحرقانى التاجر المعروف بابن البيع (ت ٥٧٧٢)

سمع جزء البانياسى بقراءة الشيخ تقى الدين ابن تيمية على عمته ست الدار
بنت مجد الدين ابن تيمية حاضرا فى سنة ٥٦٨٣ .

وسمع بقراءته أيضا على عبد الواسع الابهرى شيئا من المغازى لابن إسحاق
رواية يونس بن بكير^(٣).

٣٠ - والفخر ابن البخارى : مسند الدنيا غر الدين أبو الحسن على بن أحمد
ابن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور بن
البخارى السعدى المقدسى الصالحى الحنبلى (٥٥٩٥ - ٥٦٩٠)^(٤).

سمع من حنبل ، وابن طبرزد ، والكندى ، وخلق ، وأجاز له أبو المكارم

(١) الفتاوى (٧٨ / ١٨) .

(٢) انظر لترجمته : معجم الشيوخ للذهبي (٩٠ / ب) و العبر (٣ / ٣٧٣) وشذرات
الذهب (٥ / ٤١٤) .

(٣) الدرر الكامنة (٣ / ٤٣١) .

(٤) انظر لترجمته : غاية النهاية (١ / ٥٢٠) و معجم شيوخ الذهبي (ق ١ / ٩٧)
والعبر (٥ / ٣٦٨) وطبعة السيوفى (٣ / ٣٧٣) ودول الاسلام (٢ / ١٩٢)
والبداية والنهاية (١٣ / ٢٢٤) وذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٣٢٦) والدرر
الكامنة (١ / ١٤٤) والنجوم الزاهرة (٨ / ٣٢) وشذرات الذهب (٥ / ٤١٤) .

اللبان ، وابن الجوزى ، وخلق كثير ، وطال عمره ، ورحل الطلبة إليه من البلاد وألقى الأسباط بالاجداد في علو الإسناد^(١).

وقال الذهبي : هو آخر من كان في الدنيا بين النبي ﷺ وثمانية رجال ثقات خرج له ابن الظاهري مشيخة بمصر^(٢).

وقال : قال ابن تيمية : بنفح صدرى إذا أدخلت ابن البخارى في حديث^(٣).

وسمع منه شيخ الاسلام عام ٥٦٨٠ و عام ٥٦٨١ ومن مسموعاته عنه عدة أحاديث في الأربعين^(٤)، ومنها كتاب العرش لمحمد بن عثمان بن أبى شيبه .

٣١ - والشيخ الفقيه أبو الحسن على بن قرباص^(٥).

٣٢ - والشيخ الأديب على بن محمود بن حسن بن نبهان أبو الحسن الرضى المنجم (٥٥٩٥ - ٥٦٨٠) عاش خمسا وثمانين سنة وروى عن طبرزد الكندى ، وتركه بعض العلماء لأجل التنجيم^(٦).

سمع منه شيخ الاسلام عام ٥٦٨١ ، ومن مسموعاته حديث في الأربعين^(٧).

(١) المبر (٣ / ٣٧٣) .

(٢) معجم الشيوخ (ق ١ / ٩٧) وذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٣٢٦) .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٣٢٦) وذكر فيه أيضا تلميذه على القنبر ابن البخارى

(٤) أرقام الأحاديث : ١٠ - ١٩ - ٢٤ - ٢٦ - ٣٤ - ٣٧ في جزء الأربعين (الفتاوى

١٨ / ٨٧ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٧) .

(٥) قال في مجموعة الرسائل والمسائل : حدثني صاحبنا الفقيه ... (٤ / ٧٥)

(٦) انظر ترجمته : المبر (٤ / ٣٤٤) - طبعة السيوطى ، والنجوم الزاهرة (٧

٣٥٠) والشذرات (٥ / ٣٦٧) .

(٧) وهو الحديث السادس والعشرون . ويحرف فيه « نبهان » إلى « شهاب » .

٣٣- والرئيس العام الأوجده علاء الدين أبو الحسن علي بن الإمام أبي عبد الله محمد بن سنان بن غانم المقدسي ، ثم الأديب الدمشقي المنشيء البليغ (٦٥١-٥٧٣٧هـ) (١).

قال شيخ الإسلام: حدثني الشيخ أبو الحسن بن غانم حال الشيخ إبراهيم ابن عبد الله الأرموي (٢).

وله قصيدة رثي بها شيخ الإسلام ، وهي أول ما قيل بدبها على الضريح أولها:

أى حبر مضى ، وأى إمام لجمت فيها ملة الإسلام

ابن تيمية التقي ، وحيد الدهر سر من كان شامة في الشام (٣)

٣٤- وابن أبي عصرون: الإمام الشيخ المسند محي الدين أبو الخطاب عمر بن محمد بن القاضي أبي سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون التيمي الدمشقي الشافعي (٥٩٩-٦٨٢هـ) درس بمدرسة جده بدمشق (٤).

وسمع منه شيخ الإسلام سنة ٦٨٢هـ ومن مسموعاته عنه الحديث الرابع والثلاثون من الأربعين (٥).

(١) انظر لترجمته: معجم شيوخ الذهبي (ق ١٠١ / أ)

(٢) كتاب الاستقامة (٨٧/١)

(٣) الرد الوافر (٢٢٣ - ٢٢٤)

(٤) انظر لترجمته: معجم الشيوخ للذهبي (ق ١١١ / أ) ، والمعبر (٣٣٩/٥ - ٣٣٤٠/٥) ،

وطبعة البسبوني (٣ / ٣٥٠) ، وتذكرة الحفاظ (١٤٩٢) ، والنجوم الزاهرة

(٣٦٠/٧) ، وشذرات الذهب (٣٧٩/٥)

(٥) الفتاوى (١١٣/١٨) ، وتحرف فيه «أبو الخطاب» ، إلى «أبي حفص» . .

٣٥ - الأمين القاسم الأيرلي: المسند العدل أمير الدين أبو محمد القاسم بن أبي بكر ابن قاسم بن غنيمة المقرئ الأيرلي، ولد سنة ٥٩٥هـ أو قبلها باري، وتوفي في جمادى الأولى سنة ٦٨٠هـ، وله خمس وثمانون سنة، رحل مع أبيه وله بضع عشرة سنة، فذكر وهو صدوق أنه سمع صحيح مسلم من المؤيد الطوسي، رواه بدمشق، وسمعه منه الكبار^(١).

وسمع منه شيخ الإسلام عام ٦٧٧هـ صحيح مسلم، ومن مسروعاته الحديث الخامس عشر من الأربعين^(٢).

وذكر الذهبي في معجم شيوخه روايته صحيح مسلم عنه، وذكر تلمذ شيخ الإسلام عليه.

٣٦ - وابن الأنماطي: الشيخ الإمام زين الدين أبو بكر محمد بن أبي طاهر إسماعيل بن عبد الله بن عبد الحسن الأنماطي (٦٠٩-٦٨٤هـ) بالقاهرة^(٣). سمع منه شيخ الإسلام في رجب سنة ٦٦٨هـ ومن مسروعاته حديث في الأربعين^(٤).

٣٧ - والأمير الكبير الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن

(١) معجم شيوخ الذهبي (ق ١١٨/ب) وفيه تحريف «غنيمة» إلى «عمر»، والتذكرة (١٤٦٥)، والمعبّر (٣٣٠/٥ و ٣٤٤/٣)، طبعة البسيوني ودول الإسلام (١٨٣/٢ - ١٨٤)، والدرر الكامنة (١٤٤/١)، والنجوم الزاهرة (٣٥٣/٧) وشذرات الذهب (٣٦٧/٥)

(٢) الفتاوى (٩٢/١٨)

(٣) انظر ترجمته: المعبر (٣٥٧/٣)، والوافي بالوفيات (٢١٩/٢)، وشذرات الذهب (٣٨٨/٥)

(٤) الفتاوى (١٠٧/١٨)

أبي سعد بن علي المنصور بن محمد بن الحسين الشيباني الأمدى ثم المصرى
الحنبلى (٦٣٣-٥٧٠٤هـ)

سمع منه جماعة منهم ابن تيمية ، والمزى ، والبرزالي ، والذهبي^(١).

٣٨- والمسند الاصيل العدل مجد الدين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن عثمان
ابن المطهر بن هبة الله بن عساكر الدمشقي ، مولده عام (٨٧٥هـ) وتوفى
في ذى القعدة سنة (٦٩٩هـ)^(٢).

ومن مسموعات شيخ الإسلام عنه حديث في الأربعين^(٣).

٣٩- والشيخ الصالح المسند أبو عبد الله محمد بن بدر بن محمد بن يعقوب الجزري
توفى في شعبان سنة ٦٧٥هـ

سمع منه شيخ الإسلام ، ومن مسموعاته عنه الحديث الحادى عشر ،
والحديث الأربعون من أحاديث الأربعين^(٤).

٤٠- والشيخ محمد بن أبي بكر بن قوام^(٥).

٤١- والرشد العامرى . الشيخ العدل رشيد الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر
ابن محمد بن سليمان العامرى الدمشقي البزار (ت ٦٨٢هـ)

(١) انظر لترجمته : معجم شيوخ الذهبي (ق ١٣١ / ب) ، وذيل طبقات الحنابلة

(٣٥٣/٢) ، والوفاء بالوفيات (٢٢٧/٢) ، وشذرات الذهب (١١/٦)

(٢) انظر لترجمته : الوفاء بالوفيات (٢١٩/٢)

(٣) الحديث الثامن عشر من الأربعين في الفتاوى (٩٦/١٨)

(٤) الفتاوى (٨٨/١٨ و ١٢٠)

(٥) قال شيخ الإسلام : وحدثني أيضا الشيخ محمد بن أبي بكر بن قوام أنه سمع جده

الشيخ أبا بكر بن قوام (الاستقامة ٨٨/١)

سمع دلائل النبوة، وصحيح مسلم من ابن الحرستاني، وجزء الانصارى من الكندى^(١).

سمع منه شيخ الاسلام عام ٦٦٧ هـ و عام ٥٢٦٩ هـ ومن مسموعاته عنه في الاربعين عدة احاديث^(٢).

٤٢ - وابن عامر: الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن عامر بن ابي بكر الصالحى المقرئ القسول، توفى في جمادى الآخرة سنة ٦٨٤ هـ وقد قارب الثمانين، روى عن ابن ملاعب وجماعة، وكان صالحاً متواضعاً خيراً حسن الوظف، حلوا العبارة في الدعاء^(٣).

قرأ عليه شيخ الاسلام سنة ٦٨٢ هـ ومن مسموعاته حديث في الاربعين بسنده عن الدارقطى في فضائل الصحابة^(٤).

٤٣ - وابن الكمال: الشيخ الامام المحدث الزاهد شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن الكمال عبد الرحيم بن عبدالواحد بن احمد بن عبد الرحمن المقدسى الحبل (٦٠٧ - ٦٨٨)، عى بالحديث، وجمع وخرج مع الدين المتين،

(١) انظر لترجمته: تذكرة الحفاظ (١٤٩٢) والعب (٣٤١/٥) وطبعة البسيونى (٣٥١/٣-٣٥٢) والمعين فى طبقات المحدثين (٢١٨) ورسالة الجنان (١٧٨/٤) والنجوم الزاهرة (٣٦١/٧) وشذرات الذهب (٣٨١/٥).

(٢) أرقام الاحاديث: ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ١٥ - ٢٨ - ٣٣ القتاوى (٨٠/١٨)، ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٩٢ - ١٠٧ - ١١٢

(٣) العب (٣٥٠/٥) وطبعة البسيونى (٣٥٧/٣) والبداية (٣٠٦/٦٣) وشذرات الذهب (٣٨٠/٥).

(٤) الحديث الثالث والعشرون من الاربعين (القئاوى ١٠٢/١٨).

- والورع ، والعبادة^(١). سمع منه شيخ الإسلام سنة ٦٨١ هـ^(٢).
- ٤٤- وقاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى الشافعى (ت ٥٧٣٩ هـ) أحو إمام الدين القاضى.
- حضر شيخ الإسلام درسه فى اليوم الثانى والعشرين من شعبان بالسرورية^(٣).
- ٤٥- والعلامة الشيخ شمس الدين ابو عداة محمد بن عبد القوى بن بدران بن عبد الله المرادوى المقدسى الصالحى الحنبلى المحدث النحوى (٣٠٦ - ٦٩٩ هـ)، درس ، وأفتى وصنف وبرع فى العربية واللغة ، واشتغل مدة ، وكان من محاسن الشيوخ^(٤).
- وقرأ عليه شيخ الإسلام العربية^(٥).

- (١) انظر لترجمته : معجم شيوخ الذهبى (ق ١٤١/ب) والعبير (٣٥٩/٥) وطبعة البسيونى (٣٦٧/٣) والمعين فى طبقات المحدثين (٢٢٠) والقلائد الجوهريّة فى تاريخ الصالحية (١٣٥/١) وذيل طبقات الحنابلة (٣٢٠/٢) والوفاء بالوفيات (٢٤٧/٣) والنجوم الزاهرة (٣٨٢/٧) والشذرات (٤٠٥/٥) .
- و تصحف فى المعين ، السكمال ، إلى ، الجمال ، كما ورد فى العبير ، عبد الرحمن ، بدل ، عبد الرحيم .
- (٢) الحديث السادس والثلاثون من الأربعين (الفتاوى ١١٦/١٨).
- (٣) البداية (٣٣٦/١٣) ، وراجع لترجمته : البداية (١٨٥/١٤) . وذيل العبير للذهبي (١١٣/٤) والنجوم الزاهرة (٣١٨/٩) .
- (٤) انظر لترجمته : العبير (٤٠٣/٢) ، وطبعة البسيونى (٤٠٢/٣) ، وتذكرة الحفاظ (١٤٨٦) والوفاء بالوفيات (٢٧٨/٣) وذيل طبقات الحنابلة (٣٤٣/٢) والنجوم الزاهرة (١٩٢/٨) وشذرات الذهب (٤٥٢/٥)
- (٥) ذيل طبقات الحنابلة (٣٤٣/٢)

٤٦ - وابن القواس: المسند شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غدير بن القواس الطائي الدمشقي (٦٠٢ هـ - ٦٨٢ هـ) كان شيخا متميزا حسن الديانة، وله مشيخة خرجها الذهبي^(١). وسمع منه شيخ الاسلام عام ٦٧٥ هـ، ومن مسوعاته عدة احاديث في الاربعين^(٢).

٤٧ - والشيخ الشمس أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب الحراني- الحنبلي (ت ٦٧٥ هـ) كان بارعا في المذهب والاصول والخلاف، وله حلقة اشتغال بدمشق، وكان موصوفا بمجودة المناظرة والتحقيق والذكاء^(٣) وصرح شيخ الاسلام بسماعه منه في الفتاوى^(٤).

٤٨ - والجمال ابن الصابوني: الشيخ الامام المحدث الحافظ المفيد جمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن محمود بن احمد بن علي بن الصابوني المحمودي، شيخ دار الحديث النورية (٦٠٤ هـ - ٦٨٠ هـ) سمع من

(١) انظر لترجمته: تذكرة الحفاظ (١٤٩٢) والمعبر (٣٤١/٥)، وطبعة البسيوني

(٣٥١/٣) والنجوم الزاهرة (٣٦١/٧) وشذرات الذهب (٣٨٠/٥).

(٢) انظر: أرقام الاحاديث في الاربعين (٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ١٠) في الفتاوى (١٨/

٨٠، ٨٢ - ٨٣ - ٨٤، ٨٧)

(٣) انظر لترجمته. المعبر (٣٠٦/٥) وطبعة البسيوني (٣٣٠/٣)، والبداية والنهاية

(٢٧٣/١٣) والوافي بالوفيات (٧٥/٤) وفوات الوفيات (٤٢٨/٣) وذيل

طبقات الحنابلة (٢٨٧/٢) والنجوم الزاهرة (٢٥٨/٧) وشذرات الذهب

(٣٤٨/٥).

(٤) الفتاوى (٣٨٢/٨)

أبي القاسم الحرستاني ، وخلق كثير ، وكتب العالي والنازل ، وبالغ ،
وحصل الأصول ، وجمع ، وصنف ، ومن تصانيفه : تكملة إكمال الكمال^(١) .
وروى عنه شيخ الاسلام ، ومن مروياته عنه في الأربعين عدة أحاديث^(٢)

للبحث الصلة

(١) انظر لترجمته : معجم شيوخ الذهبي (ق ١/١٤٩) وتذكرة الحفاظ (١٤٦٤)
والعبر (٣٣٢/٥) وطبعة البيهقي (٣٤٦/٣) ودول الاسلام (١٨٤/٢)
والمعين في طبقات المحدثين (٢١٧) والوفاء بالوفيات (١٨٨/٤ - ١٨٩)
ومرآة الجنان (١٩٣/٤) والنجوم الزاهرة (٣٥٣/٧) ومعجم المؤلفين
(٦٢/١١) .

(٢) ارقام الاحاديث : (٢٨ - ٣١ - ٣٤) من الأربعين في الفتاوى (١٠٧/١٨) ،
(١١٣، ١١٠) .

كنتم خير أمة أخرجت للناس

ليس الاسلام ديناً ينتقل بالوراثة أو اسماً أو قومية بها تكون مسلماً وبدونها لا تكون . إنما الاسلام مجموعة من العقائد والعبادات والمعاملات على قدر التزامك بها يكون حظك من الاسلام ، سواء تعلق الأمر بفرد أو أمة على السواء . ومن المبادئ الأساسية التي تقوم عليها هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والايان بالله مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وإذا كان الايمان بالله لا يزال موجوداً بفضلته تعالى ولو في حدود ، فإن واجبي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد انتفيا كلياً تقريباً .

ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو دليل حياة هذه الأمة وسريان الدم في عروقها فإذا توقفا فقد بدأ الموت يتطرق إليها وبدأ الخطر يمدق بها من كل جانب حتى تتناقص أطرافها ، وكمن أطراف هذه الأمة انتقصت أو تكاد وإن لم يرجع إلى الصواب والبقية لا قدر الله تعالى وما مأساة الاندلس منا بعيد .

نحن أمة كان علينا منذ أول يوم شعرنا فيه بأن الإلحاد بدأ يجد طريقه إلى صفوف شبابنا أن نقيم الدنيا ولا نقعدها ونقيم الحسد على من أعلن بذلك وندمغ بالحجة والبرهان من استخفى به وأذاعه سرا ولكننا لم نفعل فشاع فينا الإلحاد .

نحن أمة كان علينا منذ بدأت ظاهرة ترك الصلاة أن نتنبه فنكتف الدروس

في مساجدنا ومدارسنا ووسائل إعلامنا على أن ترك الصلاة هدم للدين ونعاقب من جحد القيام بها ونقاطع في الطعام والمعاشرة من نهاون عنها ونرفض تزويج تارك الصلاة ونأبى التزوج بتاركها ولكننا لم نفعل فشاخ فينا ترك الصلاة .

نحن أمة كان علينا منذ كشفت فتياتنا زينتهن وخرجن عن حدود الشرع في لباس المرأة ان تهتز منابرنا بانكار هذا المنكر وتلهج السنة علمائنا وأولى الراى والمشورة فينا بوجوب الالتزام بشرع الله في اللباس ولكننا لم نفعل وتساهلنا فسات الاحوال من ترك الحجاب إلى التعرى في الشواطىء إلى شيوع الفساد إلى شيوع أبناء الزنا مع أن الرسول ﷺ يقول: لا تزال أمتى بخير ما لم يعش فيهم ولد الزنا .

حسب مفهوم الآية الكريمة فنحن أساتذة العلم الذين أمرنا بأمر الناس بالمعروف والنهي عن المنكر . فلما تركنا أساتذتنا وجرينا وراء الناس نتعلم منهم ما أمرنا بنهيهم عنه بقيت البشرية من دون استاذ يأمرها وينهاها ويبين لها الحق ويكشف لها الباطل ففسدت وشقيت ، واحسب أن الله يسأنا ليس عن أنفسنا فقط ولكن كذلك عن هذه البشرية التي ضلت السبيل فإن كان عندنا حرص على آخرتنا فلا بد من معاودة الكرة ، من جديد والتنبية على هذا الدور الذي كلفنا به من السماء وإلا فقد قال ﷺ : لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر وإلا ليطعن الله عليكم شراركم فيدعوا أخباركم فلا يستجاب لهم . وهذا ما نراه في أكثر ديار المسلمين ان لم نقل كلها .

مع الشكر لمجلة الإصلاح المغربية (عدد رقم ١١/١٤٠٨)

تسهيل المنهج إلى منسك الحج *****

(ملخص من رسالة الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني في المناسك)

للشيخ محمد عبد الغفور بن حسين الرمضانفوري البهاري

« هذه رسالة قيمة في سرد هدى النبي ﷺ في حجه و عمره للشيخ محمد عبد الغفور ابن حسين الرمضانفوري البهاري ، أحد علماء الهند الذي حج عام ١٣٢٣ هـ ، فوجد هناك كتاباً للأبير الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ) في مناسك الحج والعمرة ، فلخصه لنفسه ، ثم نشرت هذه الرسالة في الهند في عدة المطابع المكناة باسم : تسهيل المنهج إلى منسك الحج ، و لقبها : بإشاعة السنن المشهورة في المناسك الماثورة .

وإني لم أطلع على رسالة الأمير الصنعاني إلا أني حينما عرضت هذا التلخيص على زاد المعاد لابن قيم الحوزية رحمه الله ، ظهر لي أن أصل كتاب الصنعاني هو ما كتبه ابن القيم في هدى النبي ﷺ في الحج والعمرة .

ونظراً إلى أهمية هذا التلخيص الموجز لمناسك الحج والعمرة راجعت نصوصه من المراجع ، وخاصة من « زاد المعاد » وعقلت عليه بقدر الحاجة لنشره في المحلة نعيماً للعائدة ، والله ولي التوفيق .
(الفريواني)

الحمد لله الذي قال في كتابه : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً^(١) ﴾ والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي اصطفاه الله للانطلاق هادياً ودليلاً ، وعلى آله وأصحابه الكرام نكرة وأصيلاً ، وبمدد : فيقول العبد الكتيب

المسكين محمد عبد الغفور بن حسين الرصاصفوري الهاري غفر الله له ، ولوالديه ولاخوانه المسلمين ، وتجاوز عن سيئاتهم أجمعين : قد وفقني الله رب العالمين لأداء فريضة الحج ، ومنن سيد المرسلين في السنة الثالثة والعشرين بعد الألف وثلاثمائة من هجرة خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه أجمعين ، حتى وصلت إلى البلد الأمين في الثالث عشر من شهر رمضان ، وأقمت به بضعا وثلاثة أشهر ، وحينا كنت في مكة المكرمة دخل عشرة ذى الحجة تذكرت بأنى لم أصطحب معي رسالة في المناسك المأثورة ، كي أستعين بها على أداء مناسك الحج على طريق السنة السنية المشهورة ، ففحصت رسالة في هذا الباب عند جميع رفقتي أولى الألباب ، فلم أجد عند أحد منهم سوى أنى وجدت رسالة عند أحدهم لمؤلفها البهيل محي السنة محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني المتوفى سنة ١١٨٢هـ لكن كان فيها شيء من التطويل ، فاستعنت بالله الجليل لتلخيصها ، وفقني ربي لما أردت ، وما في صريى طويت ، ففي ساعة خفيفة لخصتها بحذف الزوائد ، وصممت عليها بعض العوائد حتى صارت من أعظم الغرائد^(١) ، وقد كانت لي هادية إلى نمرة ، وعرفات ، وإلى مزدلفة ، ومنى ، ورعى الجمرات أحسن قائد ، فسميتها بتسهيل المسح إلى مسك الحج ، ولقبته بإشاعة السنن المشهورة في المناسك المأثورة ، اللهم اجعلها مفيدة مشهورة ، وفي أيدي الناس متداولة منشورة ، وانفع بها الخاص والعام ، واكتب لنا العود إلى بيتك الحرام ، ومدينة نبيك المصطفى خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، والمستول من الله تعالى حسن الخاتمة والنجاة من الدار الحاطمة .

١ - فصل

كان من هديه ﷺ في أسفاره قصر الصلاة الرباعية ، والاعتصار على

(١) جمع الغريدة : أى الألوثة .

الفرائض دون نوافلها إلا سنة الفجر، والوتر، فإنه كان لا يدعيها، وصلاة النافلة المطلقة على راحته.

وكان من هديه ﷺ إذا ارتحل بعد زوال الشمس جمع العصر إلى الظهر، وإذا ارتحل قبله أخر الظهر إلى العصر، وكذلك المغرب والعشاء، ولم يثبت عنه أنه صلى الصلاة لأول وقتها مفردة عن الأخرى.

النسك الأول: الإحرام

خرج ﷺ يوم السبت لست بقين من ذي القعدة بعد صلاة الظهر بالمدينة، فنزل بذي الحليفة، فصلى بها العصر ركعتين، ثم صلى المغرب، والعشاء، وبات بها^(١)، ثم صلى العجر، ولما أراد الإحرام اغتسل لإحرامه، ثم طيبته عانقة يدها بزيرة^(٢) وطيب فيه مسك في بدنه ورأسه حتى كأن ويص المسك يرى في مدارقه ولحيته، ثم استدامه ولم يفسله، ثم لبس إزاره ورداءه، وصلى الظهر ركعتين. ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه قائلاً في إهلاله: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والمنة لك والملك لا شريك لك، لبيك^(٣).

وكان ﷺ يقول: لبيك عمرة وحجاً، ويرفع صوته بالتلبية ويأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بها^(٤).

ويلي إذا لقي ركباً، أو علا أكمة، أو هبط وادياً، وفي أدبار

(١) أخرجه البخاري من حديث أس (٣/٣٢٤).

(٢) الزبير: نبات له نور أصفر يصبح به (اللسان ٤/٣٢٣).

(٣) أخرجه الدارقطني (٢/٢٢٦) وعنه نقله ابن القيم في زاد المعاد (٢/١٠٧).

(٤) انظر: زاد المعاد (٢/١٥٩).

المكتوبات ، وأواخر الليل ، ولم يزل يلبي حتى رمى الجرة العقبية ، وقد ﷺ قبل الإحرام بدنته بنعلين ، وأشعرها في جانبها الأيمن ، فشق سنامها ، وسلك الدم عنها .

فلما نزل بسرف ، قال ﷺ : من كان معه هدى ، فليهل بالحج والعمرة ، ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا إذا بلغ الهدى محله يوم النحر .

٢ - فصل

وحرم الله تعالى على المحرم الرفث ، والفسوق ، والجدال .
أما الرفث فيطلق ، ويراد به الجماع ، ويطلق ويراد به الفحش ، ويطلق ويراد به خطاب الرجل المرأة فيما يتعلق بالجماع ، وبالجملية فيحرم الجميع .
ثم حرم الله تعالى على المحرم صيد البر ما دام محرما .
ويحرم عليه النكاح بأن يعقد لنفسه أو لوليته لغيره ، ويحرم عليه خطبة .
والمحرم عليه من الطيب هو ما تطيب به بعد إحرامه ، لا ما فعله ابتداء .
عند إرادة الإحرام ، وبقي أثره لونا وريحاً ، وقد نهى ﷺ عن تطيب من مات محرما ، وقال : لا يلبس المحرم القميص ، ولا العمامة ، ولا البرنس ، ولا السراويل ، ولا ثوبا مسه ورسر ، أو زعفران ، ولا الخفين ، إلا أن لا يجد نعلين فليقطعهما ، حتى يكونا أسفل من الكعبين^(١) ، ولا تلبس المحرمة القفايز ، والتقاب ، وما مسه الورس والزعفران من الثياب ، وما عدا ذلك مباح لها .

٣ - فصل

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذا طرى ، بات ليلته ، وصلى بها الصبح ، ثم اغتسل من يومه . فنهض إلى مكة ، ودخلها نهارا من وجه الكعبة من الناحية

(١) أخرجه البخارى (٤٠١/٣) ومسلم كلاهما في الحج (٨٣٥/٢) .

العليا التي فيها اليوم باب المعلاة ، ثم دخل المسجد وقت الضحى من باب بنى شية وهو اليوم يعرف بباب السلام^(١) .

٤ - فصل

وأنه ﷺ لما رأى البيت رفع يديه ، وكبر ، وقال : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، حينئذ بنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من حجه ، واعتمره تكريما ، وتشريفا ، وتعظيما ، وبر^(٢) .

النسك الثاني . الإحرام

فلما دخل ﷺ المسجد الحرام بدأ بطواف العمرة ، ولم يصل تحية المسجد ، فلما حاذى الحجر الأسود استلمه ، ولم يقل : نويت طوافي لك ، ولا افتتح بالتكبير^(٣) ، ثم جعل البيت عن يساره يرمل في الثلاثة الأولى من الأشواط السبعة ، ويستلم الركن اليماني ، والحجر الأسود لا غيرهما قائلا : بسم الله ، الله أكر ، ولم يحفظ عنه دعاء معين في الطواف إلا أنه قال ابن الركنين : ﴿ ربنا آتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ﴾^(٤) ، ^(٥) وفي الطواف : اللهم قمعي بما رزقني ، وبارك لي فيه ، واخلف على كل غائبة لي بخير ، وهذا المرضع موضع دعاء ، فيتخير العبد فيه ما شاء .

(١) انظر زاد المعاد (٢/ ٢٢٣ ، ٢٢٤) .

(٢) أخرجه الطبراني وقال : ابن القيم : وهو مرسل ، ولكن سمع هذا سعيد ابن المسيب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله . (زاد المعاد ٢/ ٢٢٤) وأثر عمر أخرجه البيهقي (٥/ ٧٣) بسند حسن .

(٣) قال ابن القيم : بل هو من البدع المنكرات (زاد المعاد ٢/ ٢٢٥) .

(٤) سورة البقرة : ٢٠١

(٥) انظر : زاد المعاد (٢/ ٢٢٥) .

وثبت عنه في استلام الحجر الأسود ثلاث صفات : أحدها : تقييله ، وثانيها : أنه وضع اليد عليه ، ثم قبلها ، وثالثها : أنه أشار إليه بالمحجن^(١) ، وقبل المحجن . فلما فرغ ﷺ من طوافه ، أتى مقام إبراهيم عليه السلام ، والمقام بينه وبين البيت ، فقرأ ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾^(٢) وصلى فيه ركعتين جهرا ، فقرأ فيهما بعد الفاتحة في الأولى الكافرون ، وفي الثانية الإخلاص ، فلما فرغ منهما أتى إلى الحجر الأسود ، فاستلده ، ثم خرج إلى الصفا .

النسك الثالث : السعي

فلما دنى ﷺ من الصفا قرأ : ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾^(٣) ثم قال : ابدأ بما بدأ الله به ، وفي رواية : ابدؤا ، ثم رقى عليه ، فاستقبل البيت ، فوحد الله وكبره ، وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ، ثم دعا ، وقال هذا ثلاث مرات ، يدعو بين ذلك .

ثم نزل إلى المروة يمشي ، وكلما وصل إلى المروة رقى عليها ، واستقبل البيت ، وكبر الله وحده ، وفعل كما فعل على الصفا ، حتى ختم السابع على المروة ، ولم يخلق الرأس ، بل بقي على إحرامه لأنه كان قارنا ، وأمر ﷺ من لم يكن ساق الهدى أن يحل ، حل من لم يكن ساق الهدى ، وجعله عمرة . وقال للعميرين : أن يهلوا بالحج يوم التروية ، وليهدوا يوم الحرة ، فن لم يجد منكم هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله .

(١) كل معوج الرأس كالصولجان (المعجم الوسيط)

(٢) سورة البقرة : ١٢٥

(٣) سورة البقرة : ١٥٨

٥ - فصل

ثم أقام ﷺ محرماً بمكة في الموضع الذي نزل فيه ، يصل بالناس قصراً في مكانه ، ولم يأت المسجد الحرام للصلوات .

٦ - فصل

فلما كان يوم التروية نهض بمن معه إلى منى بلا طواف ، ولا سعى ، ونزل بها ، وصلى بها الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، وبات بها ، فلما صلى الفجر ، وطلعت الشمس يوم عرفة نهض ﷺ سائراً إلى عرفات ، أخذاً على طريق ضب ، وكان أصحابه (رضي الله عنهم) معه ، مهم الملبى ، ومنهم المكبر ، وهو يسمع ، لا يتكبر ، حتى نزل بمنى حيث ضربت قننه ، وهي قريبة شرق عرفة ، وهي اليوم خراب فلاة .

٧ - فصل

ثم لأنه ﷺ بقي في منى حتى زالت الشمس ، ثم أمر بواقته القصواء فرحلت ، ثم سار حتى أتى بطن الوادي ، غطط الناس و هو على راحلته خطبة واحدة بليغة ، فلما أتمها أمر بلالا ، فأذن ، ثم أقام ، فصل الظهر ركعتين ، أسر فيهما بالقراءة ، وكان يوم الجمعة ، ثم أقام ، فصل العصر ركعتين ، ولم يصل قبل صلاة الظهر ، ولا بينهما شيئاً ، وصلى صلاته أهل مكة قصراً وجما .

٨ - فصل

ولم يقل عنه ﷺ في الحج إلا ثلاثة أغسال : غسل الإحرام ، والغسل عند دخول مكة ، والغسل يوم عرفة ، وما سوى ذلك فليس له أصل .

التسك الرابع : وهو الوقوف

فلما فرغ من صلاته ، أتى الموقف ، فوقف في ذيل الجبل عند الضحرات ،

وقال : « وقفت هنا وعرفة كلها موقف ^(١) ».

ثم استقبل القبلة ، وكان على معبره ، فرفع يديه إلى صدره ، واخذ في الدعاء والابتهاال والتضرع إلى غروب الشمس .

وأخبرهم أن خير الدعاء دعاء يوم عرفة ^(٢) .

وذكر من دعائه في الموقف : اللهم لك الحمد كالذي نقول ، وخيرا مما نقول ، اللهم لك صلاتي ، ونسكي ، ومحياي ، ومماتي ، وإليك مآبي ، ولك رب تراثي ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر ، اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الرياح ^(٣) .

اللهم إنك تسمع كلامي ، وترى مكاني ، وتعلم سري ، وعلانتي ، لا تخفي عليك شيء من أمري ، وأنا البائس الفقير ، الخائف ، المستجير ، الوجل ، المشفق ، المعترف بذنبيه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتل إليك ابتهاال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضريب ، من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عيناه ، وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تحملني بدعائك رب شقيا ، وكن بي رؤفا رحيمًا ، يا خير المسؤولين ، ويا خير المعطين ^(٤) .

(١) أخرجه مسلم في الحج (رقم ١٢١٨) .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٤٢٢ / ١) مرسلًا ، وله شاهد عند الترمذي (٣٥٧٩) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وفي سننه محمد بن أبي حميد ليس بالقوى لكنه حسن في الشواهد .

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات (رقم ٣٥٢٠) وقال : غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوى .

(٤) أخرجه العياشي في المعجم الصغير والكبير وفيه يحيى بن صالح الأيلي قال العقيلي : روى عنه يحيى بن بكير مناكير ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح قاله الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٢ / ٣) .

وقال ﷺ : أكثر دعائى ودعاء الأنبياء قبل يوم عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وإله الحمد ، وهو على كل شئ قدير ، اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى صدرى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، وأعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وفتنة القبر ، اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ، وشر ما يلج فى النهار ، ومن شر ما تهب به الرياح ، ومن شر بوائق الدهر^(١) .

٩ - فصل : فى الإفاضة من عرفة

فلما غربت الشمس ، واستحكم غروبها بحيث ذهبت الصفرة ، أفاض ﷺ من عرفات بالسكينة على طريق المأزمين^(٢) وهو طريق الناس اليوم ، وقال : « أيها الناس ! عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس فى الإيضاع » . ثم جعل يسير العنق ليس فى الطل ولا المسرع ، فإذا وحد فجوة نصر^(٣) فيها .

السك الحامس . المبيت بمزدلفة

ثم سار ﷺ حتى أتى بمزدلفة ، فتوضأ ، ثم أمر بالأذان ، فأذن المؤذن ، ثم

(١) أخرجه البيهقي (١١٧/٥) من حديث على ، وفيه انقطاع ، وفى سنده أيضاً موسى ابن عبيدة الرضى وهو ضعيف وقال ابن القيم بعد أن أورد هذه الادعية : وأسانيد هذه الادعية فيها لين (راد المعاد ٢/٢٣٨) .

(٢) بفتح الميم ، وإسكان الهمزة وكسر الزاى ، تشبیه مأزم ، موضع معروف بين عرفة والمشعر .

(٣) أخرجه البخارى فى الصحيح (٤١٧/٣) ومسلم (١٢١٨) من حديث جابر ، والإيضاع بمعنى الإصراع

(٤) أى رفعه فوق ذلك .

أقام ، فصلى المغرب قبل حط الرحال ، فلما حطوا رحالهم ، أمر ، فأقيمت الصلاة ، ثم عشي الآخرة بإقامة بلا أذان ، ولم يسبح بينهما ، ولا على اثر كل واحدة منهما ، وقال : « وقفت ههنا ، وجمع كلها موقف » ،

ثم أقام بها ليلته إلى أب طلح الفجر ، فصلى العجر في أول الوقت بأذان وإقامة .

🕌 النسك السادس : المرور بالمشعر الحرام 🕌

فلما فرغ ﷺ من صلاة العجر ركب راحلته حتى أتى مشعر الحرام ، فاستقبله ، وأخذ في الدعاء ، والتضرع ، والتكبير ، والتهليل ، والذكر حتى أسفر جداً ، وذلك قبل طلوع الشمس ، وهو نص القرآن ، وسنة رسول الله ﷺ ، ولكنه صار اليوم شرعاً منسوخاً فلا يقف أحد عنده ، فإيا الله وإنا إليه راجعون .

١٠ - فصل

ثم سار ﷺ مردفاً للفضل بن عباس ، وعند ذلك أمره أن يلتقط حصي الجمار سبع حصيات مثل حصي الخذف ، وقال للناس : « بأمثال هؤلاء فارموا^(١) » ، ولم يلتقطها من الليل ، ولا كسرهما من الجبل^(٢) ، فلما أتى بطن محسر ، حرك راحلته ، وأسرع السير ، وسلك الطريق الوسطى بين الطريقين ، وهي التي تخرج على الجمرة الكبرى .

(١) وإياكم والغلو في الدين ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين . وهو حديث

صحيح ، أخرجه أحمد (٣٤٧/١ و٢١٥) والنسائي (٢٦٨٥) وابن ماجه (٣٠٢٩)

(٢) قال ابن القيم : ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة كما يفعل من لا علم عنده ، ولا

التقط بالليل (زاد المعاد ٢/ ٢٥٤) .

السك السابع : رمى جرة العقبة

إنه ﷺ أتى جمرة العقبة ، فوقف في أسفل الوادي ، جعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ، ثم استقبل الجمرة وهو على راحلته ، فرماها راكبا بعد طلوع الشمس سبع حصيات ، واحدة بعد واحدة ، يكبر مع كل حصاة ، وعند ذلك قطع التلبية .

١١ - فصل

ثم رجع ﷺ إلى منى ، فخطب الناس خطبة بليغة ، وهناك قيل له ﷺ في الرمي ، والذبح ، والحلق في التقديم والتأخير ؟ فقال : لا حرج^(١) .

١٢ - فصل

ثم انصرف ﷺ إلى المنحر ، فذبح في المنحر بمى ثلاثا وستين بدنة بيده ، وأعلمهم أن منى كلها منحر ، وأن لحاج مكة طريق ومنحر ، وقال : « فأنحروا في رحالكُم^(٢) » .

السك الثامن : وهو الحلق والتقصير

ولما فرغ ﷺ من نحر بدنه ، دعا بالخلق فأشار إليهم ، فحلق رأسه من جانبه الأيمن ، ثم من جانبه الأيسر ، ودعا للحلقين بالمفجرة ثلاثا ، وللقصرين مرة .

السك التاسع : طواف الزيارة ويسمى الإفاضة

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤/٣ و٤٥٦) ومسلم (١٣٠٦) كلاهما في الحج من حديث عبد الله بن عمرو .

وأخرجه البخاري (٤٥٣/٣) من حديث ابن عباس .

وأخرجه أبو داود في الماسك (٢٠١٥) من حديث أسامة بن شريك .

(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر (٨٩٣/٢) .

ثم إنه ﷺ أفاض إلى مكة قبل الظهر، لبي، وطاف طواف الإفاضة، ولم يطف غيره، ولم يسع، وكذلك الذين جمعوا الحج والعمرة، فإنهم طافوا طوافاً واحداً، ثم صلى ركعتين على الصفة التي ذكرت في النسك الثاني.

ثم أتى زمزم، وهم يسقون، ثم تناولوه الدلو فشرب قائماً^(١).

١٣ - فصل

وأنه ﷺ لم يدخل البيت في حجته، ولا في شيء من عمره الثلاث، بل لم يثبت بدخوله إلا في عام الفتح^(٢).

السك العاشر: المبيت بمنى

ثم إنه ﷺ رجع إلى منى، فصلى الظهر بمنى في القول الرابع، فبات بها.

السك الحادي عشر

فلما أصبح انتظر زوال الشمس، فلما زالت، مشى من رحله إلى الجمار، ولم يركب، فبدأ بالجرة الأولى، فرماها بسبع حصيات، واحدة بعد واحدة يقول مع كل واحدة: الله أكبر، ثم تقدم على الجرة أمامها، فقام مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو طويلاً بقدر سورة البقرة، ثم أتى الجرة الوسطى، فرماها كذلك، ثم انحدر ذات اليسار مما يلي الوادي، فوقف مستقبل القبلة رافعاً يديه يدعو قريباً من وقوفه الأول، ثم أتى جمره العقبة فاستبطن الوادي، واستعرض الجمره، فجعل البيت عن يساره، ومنى عن يمينه، فرماها بسبع حصيات

(١) أخرجه البخاري (٣/٣٩٤ و ١٠/٧٤ و ٧٥)، من حديث ابن عباس وأخرجه

مسلم (١٢١٨) من حديث جابر دون قوله «وهو قائم».

(٢) انظر زاد المعاد (٢/٢٩٧).

كذلك^(١).

ولم يومها من أعلاها^(٢)، ولا جعلها عن يمينه .
ورجع من هوره ، ولم يقف عندها .
ثم رمى في اليوم الثاني من منى مثل ما رمى في الأول .

١٤ - فصل

خطب ﷺ في أوسط أيام التشريق خطبته نحو خطبته يوم النحر ، وكان يصل بالناس قصراً بلا جمع بمى .

١٥ - فصل

رفع ﷺ يديه للدعاء ست مواضع : الأول : الصفا ، الثاني : على المروة ، الثالث : بعرفة ، الرابع : بمزدلفة ، الخامس : عند الجمرة الأولى ، السادس : عند الجمرة الثانية^(٣) .

١٦ - فصل

ولم يتمجل ﷺ في يومين ، بل أكل الأيام الثلاثة ، ففي اليوم الثالث بعد زوال الشمس رمى الحجار الثلاث ، ثم أفاض إلى المحصب ، وهو لا يطح ، فوجد قبة قد ضربت هناك ، فصلى الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء .

النسك الثاني عشر : طواف الوداع

ثم إنه ﷺ قد رقد رقدة خفيفة في المحصب ، ثم نهض إلى مكة ، فطاف

(١) أخرجه البخاري في الحج (٢/ ٤٦٤ و ٤٦٥) من حديث ابن عمر ، وأخرجه هو

(٢/ ٣٦٣ و ٣٦٤) ومسلم في الحج (١٢٩٦) من حديث ابن مسعود .

(٢) وفي زاد المعاد بعده : كما يفعل الجهال (٢/ ٢٨٦) .

(٣) انظر زاد المعاد (٢/ ٢٨٧ و ٢٨٨) .

للوداع ليلاً محراً، ولم يرمل، وصلى الفجر في المسجد^(١)، وقرأ بالطور وكتاب مسطور.

ثم نادى بالرحيل، فارتحل راجعاً إلى المدينة، فلما أتى ذا الحليفة، بات بها، فلما رأى المدينة كبر ثلاثاً وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آتبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دخلها نهاراً،

١٧ - فصل

وكان من هديه ﷺ إذا رجع من سفره بدأ بالمسجد فيصلي فيه ركعتين، وكان يأمر أصحابه رضي الله عنهم بذلك.

نسأل الله الاهتداء بهدى رسول الله ﷺ، والاتباع لستته، وأفضل السنن سنته، وخير الهدى هديه.

خاتمة في شد الرحال إلى مسجد المدينة المنورة

ويدخل فيه الزيارة، قال النبي ﷺ: لا تشد الرحل إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا^(٢).

فإذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده - وهذا أولى منه - فانه يأتي مسجد النبي ﷺ، فإن كان وقت الصلاة يصلي فيه، والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيها سواه إلا المسجد الحرام^(٣)، ثم يسلم على النبي ﷺ وضجيجيه مستقبل

(١) انظر صحيح البخارى (٣٨٩/٣) و٣٩٠ وزاد المعاد (٢/٢٩٩).

(٢) حديث متواتر، وقد توسعت في تخريجها في كتابي «نخبة الراعي» والساجد في شرح حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

(٣) كما ورد في حديث أبي هريرة عند البخارى في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة =

الحجرة، فإنه قد قال: «ما من رجل يسلم علىّ إلا رد الله عليّ روحى حتى أرد عليه السلام»^(١).

وكان عبد الله بن عمر إذا دخل المسجد يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا ابنى، ثم ينصرف^(٢).

وهكذا كان الصحابة يسلمون عليه، وكذلك إذا صلى مع السلام عليه، فهذا كله مما أمر الله به ورسوله حيث قال الله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. وقال النبي ﷺ: صَلُّوا عَلَىَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي^(٣).

والباقي في الرسالة الأخرى التي فيها توضيح ما أجملته في رسالتى هذه وهذا آخر ما أردت لإيراده، وصلى الله تعالى على رسوله محمد وآله وأصحابه أجمعين. (آمين) ●●

= والمدينة (٦٣/٣) ومسلم في الصحيح (١٠١٢/٢ - ١٠١٣) وغيرهما، وعده الكتانى من الأحاديث المتواترة (رقم ٥٨)، وقد توسعت في تحريجه في كتائى: شيخ الاسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه (رقم ٥٥٦).

(١) أخرجه أحمد (٥٢٧/٢) وأبو داود (٥٢٤/٢) من حديث أبي هريرة، وقد حسنه غير واحد من أهل العلم مثل شيخ الاسلام ابن تيمية، وابن القيم، والألانى وقد توسعت في تحريجه وذكر كلام أهل العلم حول الحديث في كتائى: شيخ الاسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه (رقم ٦٩٢).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٦٦/١) واسماعيل القاضى في فضل الصلاة على النبى ﷺ (رقم ٩٨) والبيهقى (٢٤٥/٥) وإسناده صحيح. وراجع: شيخ الاسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه (رقم ٧٠٣).

(٣) ورد في هذا الباب عدة أحاديث قال شيخ الاسلام: هذه الأحاديث المعروفة ضد أهل العلم التي جاءت من وجوه حسان يصدق بعضها بعضها (الصارم المنكى ٢٦٢). راجع شيخ الاسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه (رقم ٦٩٢).

من تراثنا:

تعريف بكتاب «اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومثا»

الدكتور محمد لقمان السلفي
+++++

إن السنة النبوية الشريفة مصدر ثان من مصادر التشريع ، وبها نعلم كثيرا من الأحكام ، ونطلع على تفاصيل العبادات التي فرضها الله تعالى على العباد ، بين النبي ﷺ بالسنة ما نزل إليه ، ونطق القرآن الكريم بوجوب اتباع هذه السنة وبأهميتها في باب التشريع والتربية . ومن هنا تركز اهتمام المسلمين في كل عصر حول السنة ، حفظوها وعضوا عليها بالنواجذ ونشروها بين الناس ووضعوا القواعد والفنون للحفاظ على هذا التراث الغالي المهم .

ونظرا الى أهمية السنة هذه وضرورة نشرها والدفاع عنها تفرغ لها علماء المسلمين ، فألفوا الكتب ، ونظموا حلقات الدرس ، حتى تتجلى أهمية السنة وتبين حجتها في الأحكام ، ويتم تنفيذ المزايم والشبهات التي تثار حول هذا المصدر التشريعي المهم .

والسنة عبر التاريخ تعرضت لمطاعن أهل الأهواء والضلالات ، وأجاد علماء الاسلام في الرد على هذه المطاعن ، وفي نفس الوقت بذلوا جهوداً طيبة في خدمة السنة ، وقدموا دراسات موضوعية تكفلت ببيان مكانة السنة وضرورة

العودة إليها في التشريع . وفي العصر الحديث ، حيث قامت نهضة علمية في البلدان الإسلامية ، اهتم العلماء بدراسة السنة أيضا ، وجامعات العالم الاسلامي ساهمت في هذا المجال مساهمة فائلة ، وخاصة جامعات المملكة العربية السعودية وجامعة الأزهر . فقد اترك طلبة العلم على تراث السنة الشريفة ، وأخرجوا الى النور كثيرا من مخطوطات الحديث بعد التصحيح والتعليق وقدموا المؤلفين وعرفوا بمكانتها وأهميتها . وكذلك تم التأليف حول كثير من الموضوعات التي تعلق بالسنة ، مثل أهمية السنة وحجيتها ، وجمعها وتدوينها ، وتاريخها وتطور المؤلفات والمحاميع فيها ، وشروط الأئمة المؤلفين فيها ، ومراتب الكتب التي ألفت فيها ، وأصول الرواية والدراية ومدى أهميتها ، وأهمية منهج المحدثين في نقد الروايات والحكم على الرواة ، وما الى ذلك . وهناك كثير من الموضوعات التي أجريت حولها الدراسات وتمت مناقشتها في المؤتمرات والدورات التي انعقدت على الصعيد العالمي أو على مستوى العالم الاسلامي .

وقريبا ظهر كتاب قيم يتناول جهود المحدثين في نقد الحديث باسم «اهتمام المحدثين بنقد الحديث سدا ومتا ودحض مزاعم المستشرقين وأنابهم» من تأليف الدكتور محمد لقمان السلي .

يضع هذا الكتاب في ٥٨٤ صفحة ويستحق أن نعرف به تعريفا وإقبيا ، ولكن أكتفي الآن بالسطور التالية :

إن أهمية الدراسة التي قام بها الدكتور محمد لقمان تأتي من النواحي العديدة :

١ - ان الباحث يتنمى الى جماعة أهل الحديث بالهند ، وإن هذه الجماعة قد دخلت معارك حامية ضد منكري حجية السنة في شبه القارة ، وجمعت خطواتهم ، وقددت مزاعمهم ، حتى أثبتت بالأدلة والبراهين أن السنة الشريفة مصدر من

مصادر التشريع ، ودون الاهتداء بها لا يمكنها العمل بالشريعة الاسلامية

٢ - وأنه بصفة اتيانه الى الهند قد اطلع على معظم ما كتب باللغة الاردية حول حجية السنة وشبهات أهل الاهواء بهذا العدد ، كما أنه تعمق في المصادر المتوفرة باللغة العربية وكذلك باللغة الانجليزية .

٣ - وأنه أحاط بكثير من الملاحظات التاريخية التي مرت بها حركة انكار السنة في شبه القارة الهندية ، وتبع المراحل والتطورات التي طرأت على هذه الحركة ، وكيف ان النقاش طال و تعمق بين علماء أهل السنة و بين الفرق الضالة والشخصيات المحرفة التي خرجت على السنة وحاولت بذلك تشويه معالم الشريعة الاسلامية والويل من سوءها وكما لها ، وكيف ان أهل الاهواء والاغراض اسحبوا من الساحة صاغرين خاسئين .

٤ - وأنه أسس دراسته على أسس ثابتة ، فقد تناول بدقة وعمق المراحل التي مر بها علم نقد الحديث الى أن وصل إلى مرحلة التدوين ، وتكلم على المؤلفات الشهيرة في هذا الباب وعلى الشخصيات التي ساهمت فيه ، وساق النصوص من المصادر ليبرهن على حرص المحدثين على نقد الحديث وشدة عنايتهم بالتمحيص والانتقاء حتى يبقى تراث السنة حالصا من الشوائب يهتدى به المسلمون في كل عصر .

٥ - وأنه خصص بابا مستقلا لعرض مزاعم المستشرقين ومن تبهم ، ثم تولى الرد عليهم بالأدلة العلمية ، وكشف حقيقة ادعائهم بأنهم لا يتبعون إلا المنهج العلمي ولا يهدفون إلا الى الوصول الى النتائج السليمة التي يقرها المنطق والعقل ! ولا شك أن هذا الباب يعد أنفع وأهم لكل من يريد الاطلاع على المطاعن الموجهة الى السنة ، وعلى الكتابات التي فندت هذه المطاعن .

٦ - ولا يبراز الرواسب التاريخية لحركة الاساءة إلى مكانة الصحابة وإلى

السنة النبوية أشار المؤلف الى دور ابن سبأ ومن تبعه من الروافض عن تعمد الكذب على النبي ﷺ وإثارة الفتن بين جماعة المسلمين .

٧ - ان الطاعنين في السنة النبوية يدعون أنهم اذ يتكلمون حول السنة لا يتجهون إلا المنهج العلمي ولا يريدون إلا الموضوعية و العبادة ولكشف هذا التضليل وخبط نوايا أعداء السنة يقول المؤلف :

« لقد تأكد عند المستشرقين والمبشرين - وهم من أكبر أعداء السنة - أن السنة هي المصدر الثاني للشريعة الاسلامية ، وأنه لا يمكن الوصول الى الاهداف الذميمة التي قصدوها إلا اذا هدم هذا المصدر . . . ولذلك حاولوا قبل كل شيء أن يلقوا في الأذهان أن أعمال الرسول ﷺ وتوجيهاته وقيادته إنما كانت صالحة لفترة الجاهلية ، وتلك المرحلة قد انتهت وليس من الاصلاح أن تصحب توجيهات الرسول الى العصر الحاضر ، فشتان بين العصرين . ثم تدرجوا الى الامام وأرادوا أن يبحثوا عن مطاعن في الحديث النبوي ، وحاولوا إقناع قرائهم أن الأحاديث متناقضة الخ » .

٨ - عاية المحدثين بنقد الحديث سندا ومثنا كانت مضرب المثل ، ومنهمج في الجرح والتعديل كان منهجا فريدا ، ولذا اضطر بعض المنصفين للاعتراف بذلك ، ولكن هالك ناس يزعمون أن المحدثين اعتنوا بناحية السند فقط وأهملوا ناحية المتن !

يرد الدكتور محمد لقمان على هذا الزعم فيقول :

« أثبت بالدلائل العلمية أن المتن هو الذي كان محور نقد المحدثين ، وأن السند وال متن جزءان لا يتجزآن من علوم الحديث و نقده ، وأن جميع العلوم الخاصة بنقد الحديث روعي فيها نقد المتن تماما ، كما روعي فيها نقد السند » .

٩ - ولإعطاء الخلفية التاريخية لفتنة إنكار السنة قال المؤلف :
 « ماتت الفتنة بهاية القرن الثالث الهجرى ، وظلت مقبورة حتى أحياءها
 من جديد أناس في البلدان العربية وأشخاص في شبه القارة الهندية » .
 « أثارها في البلاد العربية توفيق صدق وأحمد أمين وإسماعيل أدهم وأبورية
 وأصبحت مؤامرة محبوكة في شبه القارة الهندية واتخذت طابع جماعة منظمة منذ
 أوائل هذا القرن .

وعن علاقة الاستعمار الانجليزى بالقضية يقول الدكتور محمد لقان :
 « ولا يخفى على من لديه إلمام بمؤامرات الاستعمار الانجليزى في البلدان
 الاسلامية أنه كلما دخل بلدا اسلاميا سعى للتفريق بين المسلمين واتخذ جميع
 السبل الممكنة لهذا الغرض . ومن سوء طالع المسلمين في القارة الهندية أنهم
 ابتلوا بهذا النوع من المؤامرات أشد مما وجدت في البلدان الاسلامية الأخرى .
 ففيها وجدت القاديانية التي طمر للعالم كله سوء طويتها وهدفها الحق وهو التفريق
 بين المسلمين . والبريلوية التي لم تكن إلا غرسا للاستعمار ، ولم تختلف أهدافها
 من الفئة التي سبق ذكرها . ثم أوجد الاستعمار فرقة أهل القرآن ليشغل المسلمين
 بزرع الخلافات بينهم والأفكار الغريبة عن الاسلام . وقد اختار الاستعمار منهم
 أفرادا وجد فيهم الانحراف عن الدين والتحلل عن المثل العليا ، ليكونوا عملاء .
 يشرون هذه الأفكار بين المسلمين ويخدمون الأهداف المشبوهة للاستعمار .
 ويمكن أن نمثل لهذا بالسير سيد أحمد خان الذي لقبه الانجليز بنجم الهند ،
 ولقبوا نذير أحمد أحد أعضاء حركة أهل القرآن بشمس العلماء . وكذلك عبدالله
 الجكرالوى وأمثاله الذين رباهم الانجليز لخدمة أهدافهم فحفظوا بحظوظ وافرة
 دنيوية من الانجليز » .

١٠ - وفي خاتمة الكتاب أشار المؤلف الى خلاصة دراسته فقال :

« وبهذا عرفنا أن السنة النبوية حفظت بحفظ الله لها ، ووصلت إلينا صافية
 فنية من كل الشوائب والعكوك ، اذ قيض الله لها الأئمة العظام الذين سلكوا
 المنهج القويم المتضمن نقد السد والماتن بكل ما تعنى الكلمة من المعاني والمفاهيم ،
 فبرزوا صحيحها من سقيمها ، وجمعوا الأحاديث الثابتة الصحيحة في مجموعات حديثة
 قبلتها الأمة بالاجماع مصدرا لتشريعها ومأخذا لجميع الخيرات الدينية الاخرى .
 وأن الشبهات التي تثار ضدها من قبل أعداء الاسلام أو أبنائه المغترين
 لا تقوم في وجه الدليل والاحتجاج العلمي أدنى قيام ، وأنها أغاليط وتمويهات
 تنكشف وتزول عند ما تواجه المهج العلمي الاصيل الذي هو منهج النقد
 عند المحرئين » .

ورحتى نحصل للقراء الكرام فكرة إجمالية عن محتوى هذه الدراسة القيمة
 أسرد موجزا عن الكتاب في السطور التالية .

يحتوى هذا الكتاب على مدخل وثلاثة أبواب وخاتمة .
 أما المدخل فقد تضمن سبعة مقاصد ، وفي الباب الاول أربعة فصول ،
 وكذلك في الباب الثانى ، أما الباب الثالث ففيه ثلاثة فصول .

وفي المقصد الاول من المدخل أورد المؤلف توجيهات من القرآن الكريم
 والسنة النبوية للدلالة على أن رواية الحديث وتلقيه عن الآخرين يحتاج الى كثير
 من التحرى والتثبت والدقة .

ثم ساق أسماء بعض الصحابة مرتبة حسب السنين ، وبين إشارهم مسلك
 التثبت من صحة النقل والتحرز من الوهم وإثارة الشبه حول بعض الروايات .

وفي المقصد الثانى ألقى الضوء على نشأة علم الحديث ، وأسباب الاهتمام
 بهذا النقد ، وكيف كان هذا النقد في دور التابعين ، وأنباعهم ، وكيف ظهرت
 التفتيدات العامة للنقد .

والمقصد الثالث يتناول تكامل علم نقد الحديث . وفي النقطة الثانية من هذا المقصد أورد المؤلف النتائج العلمية لدراسته لحياة الأئمة النقاد من أتباع التابعين ، ولخص هذه النتائج في أربع نقاط وصل بعدها الى أن أتباع التابعين أخذوا علم الأصحاب وعلم التابعين وزادوا عليه ما اجتمع لديهم من خبرتهم الشخصية ومعرفة الرجال .

وفي نهاية هذا المقصد أورد المؤلف الجدول البياني لأئمة النقد فذكر سبعين اماما كان لهم دور عظيم في جمع السنن من الأمصار وإطلاق الجرح على المتروكين والقدح على الضعفاء وبيان كيفية أسوال الثقات والمدائين والأئمة والمتروكين .

وفي المقصد الرابع أجمل المؤلف الكلام عن المراحل الأربع التي مر بها تدوين النقد وهي مرحلة النشأة ، ومرحلة انفصال علوم النقد عن كتب الحديث ، ومرحلة انفصال مادة المال عن مادة نقد الرجال ، ومرحلة التدوين . وفي هذا المقصد بين سبب تأخر تدوين علوم النقد فقال :

« انه أمر طبيعي جدا أن يتأخر تدوين ما كان يتعلق بالنقد عن تدوين الأحاديث النبوية ، اذ ان وجود تلك الآراء كان تابعا للأسباب والدواعي التي تأخرت عن وجود الحديث ، ألا وهي الكذب على رسول الله ﷺ والتساهل في أخذ أحاديثه والغفلة والسهو وما تبع ذلك من الانقطاع والإرسال والتدليس وغيرها » .

والمقصد الخامس يوضح الخطوات التي سار عليها النقاد ، وقد تضمن بحث مراجعة العقل في قبول الحديث ورفضه ، وهذه النقطة مهمة جدا ، فان بعض الناس اتخذوا بكلمة «مراجعة العقل» وفسروها تفسيراً خاطئاً جداً .

والمقصد السادس تضمن الأسس المبدئية لقواعد النقد، والقواعد العامة للنقد، واسباب الجرح في الضعفاء.

وذكر في المقصد السابع خطوات الجهود النقدية وآثار هذه الجهود. أما أبواب الكتاب فقد بدأ المؤلف الباب الأول بتوطئة عن الاسناد وأهميته، ثم تكلم في الفصل الأول عن العدالة، وفي الفصل الثاني عن الضبط، وفي الفصل الثالث عن الاتصال والانقطاع وطرق تحمل الحديث، وفي الفصل الرابع عن الشذوذ،

وبدأ الباب الثاني بتوطئة عن اهتمام المحدثين بنقد المتن، ثم تكلم في الفصل الأول عن العلة وقواعد إدراكها، وفي الفصل الثاني عن الشذوذ، وفي الفصل الثالث والرابع عن الموضوع ومعرفة.

أما الباب الثالث فأنه مخصص لرد على مزاعم المستشرقين وأتباعهم، وخاصة الزعم بأن المحدثين لم يهتموا بنقد متن الحديث. وهذا الباب جديد نافع مهم.

وفي الخاتمة أورد المؤلف النتائج التي وصل إليها بعد الدراسة التي قام بها حول موضوعه.

وإذ أهني المؤلف الفاضل على هذه الدراسة النافعة أسأل الله تعالى أن يكتب لها الانتشار والقبول وينفع بها الاسلام والمسلمين ويوفق الباحث لمواصلة الجهود في خدمة السنة النبوية الشريفة فان العصر بحاجة ماسة الى ذلك. صلى الله تعالى على رسوله خاتم الانبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين...

(اعداد : مقتدى ياسين الازهرى)

في ١٠ شعبان ١٤٠٨ هـ

صَوْتُ الْأُمَّةِ

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف والترجمة ، بنارس

ذوالقعدة ١٤٠٨ هـ

المجلد الأول

يوليو ١٩٨٨ م

العدد الخامس

★ عنوان المراسلة : رئيس تحرير صوت الأمة ، في ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب
بنارس ، الهند

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

P.18/1 G 2, REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى }
في الهند ٤٢ روية. في الخارج ٢٠ دولارا (بالبريد الجوي)
١٠ دولارات (بالبريد العادى)
ثمن النسخة ٤/٥٠ رويات

★ تليفون : ٦٣٥٧٧

© المنشور لا يعبر إلا عن رأى كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

لِحَاجَةِ تَسْهِيلِ

- ◇ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكري ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .
- ◇ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادئ الهدامة ، وضلال الزيغ والالحاد ، وسائر المنكرات ، بأسلوب على رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما في نشره ضرر للسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .
- ◇ موازنة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض مهمهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، في تعمق وعى وجراءة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .
- ◇ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعي الاسلامي في الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للإسهام في معركة اللسان والقلم ، وتبصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .
- ◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين في الهند ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .
- ◇ التوجيه الديني السليم للمسلمين في القضايا الراهنة ، والمشاكل الناجمة ، حتى يتمكنوا من المضى في طريقهم على هدى وبصيرة .
- ◇ والله هو المسئول أن يهدينا إلى سبيل الرشاد ؟

مواجهة التحديات المعاصرة لا تيسر إلا بترية الأمة المسلمة على العقيدة الصحيحة

د . مقتدى يامين الازهرى

من سمو الاسلام وكاله أن ينتهج طريقة فطرية سليمة في تربية الأفراد والجماعات على فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق وعلى العقيدة الحقة والسلوك القويم ، فركز على العناية بأمور العقيدة والايمان ، ويطالب العبد بالاخلاص في تحقيق توحيد الربوبية والالوهية والأسماء والصفات وبالاجتناب عن الشرك والبدع والخرافات التي تحبط الأعمال وتزدي الى الخسران ، ثم يرشد الى التحلى بمضائل الأعمال ومحاسن الأخلاق .

والتوجيهات الاسلامية الخاصة باحياة العقيدة والعمل موضحة كل التوضيح في نصوص الكتاب والسنة ، ومواقف علماء الحق نحو هذه النصوص وشرحها وتطبيقها مفعنة كل الاقتناع ومؤيدة بالأدلة والبراهين . ولكى الأسر قد يلتجئ على بعض الأفراد والجماعات فيصرون عايتهم عن ناحية العقيدة والايمان الى جانب بعض الأعمال ظنا منهم أن العمل هو الأهم وأن ناحية العقيدة لكونها نظرية لا تستحق كل هذه العناية والاهتمام !

ومنه أن خاضت الأمة الاسلامية الجهاد في أفغانستان ضد الاحتلال

الروسى تبين أن افرادا من المسلمين قد أخطأوا فى وضع الأمور فى مواضعها ، وخططوا بين تصحيح العقيدة والقيام بالجهاد . ولذا أحببنا أن نشير هنا الى بعض النقاط لعلها تنفع أهل الاخلاص .

ان أمر التربية على العقيدة والتوحيد مقدم على الجهاد فى سبيل الله الذى أمر الله به لدفع الظلم وتأمين الدعوة إلى الحق وقمع الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله .

وقد يختلط الأمر على البعض فيرى أن الجهاد أسبق من التربية ، وأن العناية بناحية العقيدة قد يستغنى عنها بمباشرة القتال ، وقد لمست هذا الاختلاط عند الكلام على جهاد الشعب الأفغانى الباسل ضد الاحتلال الروسى الغاشم ، حيث أكد البعض على ضرورة العناية بالناحية المادية ، وأغفل الناحية التربوية من التركيز على تصحيح العقيدة وشرح معنى التوحيد وفهمه فهما سليما والتحذير من الشرك والبدع التى تحبط الأعمال الصالحة .

ولكن الحق أن الشعب الأفغانى المسلم فى حاجة إلى الدعم المادى والمعنوى معا ، بل العناية بالجانب العقدى أوكد حتى لا تجد الشيوعية سبيلها إلى الجيل الجديد مرة أخرى . ومن يزعم أن العناية بالعقيدة وتعليم المسلمين التوحيد الصحيح أمر مفروغ منه الآن فإنه على خطأ وموقفه هذا يناهى الايمان ويدل على قصور النظر وفساد الذهن والانبهار بالقوة المادية والوسائل الظاهرة .

فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر أهمية الاستعداد المادى ولكن هذا لا يعنى إغفال الناحية الروحية ، فإن الاسلام يبنى جميع أمور العباد على القوة الروحية ، وفى نفس الوقت يفرض العناية بالناحية المادية ويوجب الاستعداد الكافى والتأهب . التمام فى جميع الشئون ، ومنها الجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الدين ، فإن السبيل

الأمثل أن يتمتع الإنسان بصحة العقيدة وسلامة النية وإخلاص العمل وإيثار التوكل على قدرة الله وحكمته، ثم يلتزم بالتوجيهات الربانية التي تدعو إلى إعداد العدة واستكمال الناحية المادية لمواجهة مشكلات الحياة، ومنها الجهاد في سبيل الله.

وقد أحسن رعبيل الاسلام الأول في التطبيق بين الناحية المادية والروحية في شئون الحياة. وكان هذا هو السر في نجاحهم وسيادتهم على غيرهم.

وإني استغربت جدا انحاء رجل من الدعاة قابلته في المملكة العربية السعودية في موسم الحج، كان ينتمى إلى دولة باكستان ويعمد نفسه من المفكرين الذين نذروا أنفسهم للتفكير في السبل التي تحقق مصالح الأمة الإسلامية.

إن هذا الرجل سمع محاضرة ضمن المحاضرات التي تلقى أيام إقامة الحجاج بمكة في موسم الحج. ألقى هذه المحاضرة أستاذ جامعي سعودي عرف بسعة النظر وعمق التفكير ووزارة العلم وحسن التصرف في ضروب التعبير وإجادة أسلوب التوجيه والارشاد وسعة الاطلاع على مصادر الشريعة وأهدافها. هذا العالم الكبير قد نبه الدعاة في محاضراته على العناية بتصحيح عقائد المدعوين وشرح معنى التوحيد وبيان أقسامه وآثاره، واستند المحاضر في ذلك إلى أسوة الرسول الكريم ﷺ في العصر المكي، فإنه ﷺ بقى طيلة حياته بمكة المكرمة يدعو الناس إلى توحيد الله تعالى ويشرح أقسامه من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ويذكر الأدلة على ذلك ويفصّل أحوال الرسل عليهم السلام وكيف أنهم اهتموا بالدعوة إلى التوحيد واذموا الشرك وحذروا من عواقبه.

إن المحاضر كان قد رأى مشاهد مؤلمة في مدن الهند وباكستان، وأطلع عن كتبها على أعمال الشرك والبدع التي يمارسها المسلمون في شبه القارة الهندية

وغيرها من مدن إفريقيا، وآسيا، وأدرك في ضوء إحاطته بنصوص الكتاب والسنة ودراسة لأحوال الأمم والشعوب أن عدداً كبيراً من المسلمين في هذه البلاد قد ابتلى بالانحراف في العقيدة والعمل ووقع فريسة لأعمال الشرك والخرافات.

أنهم يجهلون أساسيات الاسلام، و يشغلون بعادات وتقاليد لا تمت إلى الاسلام بصلة، فيشدون الرحال إلى قبور الأولياء والصالحين ويسجدون لها ويستغيثون بالأموات ويأتون بالمنكرات ثم يزعمون أنهم يحسنون صنعاً

إنهم يعرضون عن السنن النبوية الكريمة التي حث الشرع على عض الواجد بها ويستبدلون بها البدع والعادات التي تنافي روح الاسلام وتشوه معالم الدين.

إن القوة التي يستمدّها المسلم من العقيدة الإسلامية الصحيحة ومن الإيمان بالله والتوكل عليه ويخوض بها معارك الحياة ويتغلب على مشكلاتها، هذه القوة تتلاشى أمام التيار الحارف للبدع والمنكرات فيبقى الإنسان المبتدع قلق البال مشوش الفكر خائفاً متردداً مجرداً من المعنوية التي تدفع المؤمن إلى سبيل الخير وتحمله على الصبر والمواجهة في الحياة.

ومن هنا نرى أن المسلمين يضاعفون مع ازدياد عددهم ويستنهين بهم أعدائهم ويتعدى عليهم خصومهم، أراضيهم مقتنصة، وأموالهم منهوبة، وحقوقهم مسلوقة. إن المحافل الدولية تنادى بحماية الحقوق الإنسانية، وتقرر المبادئ والأصول في تحقيق التعايش السلمي بين الدول والشعوب، ولكنها تلتزم الصمت حينما تنتهك حقوق المسلمين في فلسطين وأفغانستان وأريتريا ويوغوسلافيا وغيرها من الدول. إن المجرمين في هذه البلاد ينتهكون حرمة المسلمين تعصبا

منهم ضد الاسلام وأهله ، ولكن المحافل الدولية حينما تتكلم في مثل هذه القضايا تعرضها مجردة عن هذه الملاحظات وتوهم بأن الدين ليس عنصرا أساسيا في المواقف المعادية للمسلمين !

والرجل حينما سمع من المحاضر هذا الكلام القيم عجز عن إدراك مغزاه واستغرب من التركيز على التوحيد وتصحيح عقيدة المسلمين فقال :

المسلمون الأفغان يقاتلون الآن الجيش الشيوعي ، فإذا يستفيدون من عقيدة التوحيد وماذا يفهمهم التركيز على العقيدة والتحذير من الشرك والبدع ؟

هذا الرجل وأمثاله يجهلون في الحقيقة قوة العقيدة السليمة والايمان بالله في حل مشكلات الحياة ، ولا يتعظون بالوقائع والأحداث التي وقعت في عصر النبوة وبعده ، ويتجهون اتجاهها ماديا بحثا في شئون الحياة كلها . يغيب عن بالهم أن الرسول الكريم ﷺ ركز على العقيدة في العصر المكي كله ، وربى جيل الصحابة رضی الله عنهم تربية مثالية ثم غاض معهم في معترك الحياة وأسس الدولة الاسلامية الأولى التي بلغت ذروة المجد والعزة وضربت أروع مثال لتحقيق السعادة والرخاء للبشرية كلها .

وللمسلمين في العصر الراهن أسوة حسنة في حياة الرسول ﷺ وقنوة في الصحابة رضی الله عنهم ، أنهم لم يهملوا قط ناحية العقيدة ، بل نجحوا في التوفيق بين الامور المادية والمعنوية ، ولم يلتفتوا الى المطامير والقشور بل تعمقوا في الامور ، ووضعوا كل شيء في موضعه ، وحققوا مقاصد الشريعة السمحة ، فصرهم الله نطل على أعدائهم ، وكتب لهم للعزة والسعادة في الدنيا والآخرة .

فالجهد في أفغانستان أو في غيرها من البلدان لا بد أن تسبقه مرحلة التربية الدينية السليمة ، فان الفساد في العقيدة يؤدي دائما الى الفشل ، والانسان

المبتلى بالدع والخرافات لا يتمكن من تحقيق مقاصد الاسلام، ولا تترتب على جهوده الآثار الطيبة التي تنتظرها الأمة.

صار الجهاد الآن أمراً محتماً على المسلمين اليوم، فإن قوى الشر تكالبت عليهم من كل صوب، ولكن نصر الله لا ينزل إلا على المجاهدين الموحدين الذين يخلصون النية و يحسنون التمسك بالتوحيد و يتفانون في العمل على المنهج الذي أيدته نصوص الكتاب والسنة وأقره السلف الصالح رضى الله عنهم.

وبعد كتابة السطور المتقدمة وصلتني رسالة أصدرتها جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة (أحدى منظمات المجاهدين الأماص) وقد تصننت هذه الرسالة توصيحا لطيفا لبعض النقاط التي يسى. «همها بعض الناس، وكذلك ترد على المطاع التي توحه حيناً بعد آخر إلى أهل الحديث والسلفيين الذين يقدمون أمر العقيدة والتوحيد على الأمور الأخرى ويرون ضرورة انقاذ الأمة من الفكر والدع التي أسرت إلى صمودها بعد شيوخ الجيل النالين و ظهور أهل الهوى والصلال في الساحة.

ونحن نرى إثبات مقتطفات من الرسالة في هذا الموضع لما لها من الماسة مع الموضوع.

(١)

السؤال: هل الدعوة لتصحيح العقيدة تحتاج أن يتوقف الجهاد الآن حتى يتم ذلك؟

الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

الجهاد في أفغانستان فرض عين على كل أفغانى مسلم قادر على حمل السلاح صغير أو كبير، رجل أو امرأة من غير أصحاب الأهذار، لأن العدو الكافر حل بأرضنا.

فلا تحتاج الدعوة إلى أن يتوقف الجهاد، وأن جماعتنا التي أسست على

مبدأ عقيدة التوحيد واتباع الكتاب والسنة يتبعها ألوف من المجاهدين وهم يحملون السلاح ويقاتلون في جبهات كثيرة في عافيات متعددة، وهم معتمدون بالكتاب والسنة والعقيدة الصحيحة .

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال ٤٥ ، ٤٦) . فأمر سبحانه وتعالى في هذه الآيات بالجهاد والثبات والإكثار من ذكره سبحانه ، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ ، ونهى سبحانه عن التفرق والتنازع . وهذا هو سبيلنا الجهاد والثبات والذكر والطاعة ، والمادة والدعوة للاعتماد بالكتاب والسنة ونبتذ الأهواء والبدع ، فهذا وحده هو سبيل الاتحاد والاتلاف . ومع هذا كله صبر جميل على أذى عدونا وصبر جميل على مخالفة من خالفنا من الناس وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال تعالى : ﴿ وَالْمَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَاسِرٌ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

(٢)

السؤال : ألا ترون أن من الأفضل ترك الدعوة لتصحيح العقيدة أو تأجيلها تجنباً عن مزيد من التمزيق وإثارة العداوة بين صفوف الأفغان حتى يتفرغ الجميع لجهاد العدو الروسي الملاحد ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . نحن نقدر للسائل غيرته ووجهه للجهاد ورغبته في استمراره ، ولكن هناك حقيقة شرعية ينبغي ألا تغيب عن أذهانتنا في غمرة حماسنا للجهاد .

١ - ذلك أن الجهاد بمعنى الحرب ليس مطلوباً لذاته إذ فيه ضرر يؤدي إلى هلاك الحرث والنسل وإراقة الدماء ومع ذلك شرعه الله ورغب فيه بالثواب العظيم لدفع صرر أعظم منه هو الشرك بالله والفتنة في الدين.

والجهاد ليس هدفاً بل وسيلة إلى هدف أعظم هو إخلاص التوحيد وإزالة الفتنة ولأن حفظ الدين مقدم على حفظ النفس في الضرورات الخمس كما تقرر في أصول الفقه.

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كَلِمَةً تَحْيَا وَتَمُوتَ﴾ (الأنفال) الفتنة في هذه الآية الشريفة هي الشرك وهو قول جمهور المفسرين، (حتى لا تكون فتنة) يعني لا يكون شرك، وهو قول ابن عباس وابن عمر وعروة بن الزبير وأبي العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وريد بن أسلم ومحمد بن اسحاق رضي الله عنهم أجمعين.

وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» (الحديث، متفق عليه) لعل المقصد هو التوحيد وجعل القتال سبيلاً إلى ذلك لا مقصوداً لذاته إذ قيده بعبارة دلت عليها كلمة (حتى).

والجهاد وسيلة أى مطلوب لغيره، أما الهدف أى المطلوب لذاته فهو التوحيد وإبطال الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، هذه هي الغاية التي خلق الله الخلق لأجلها قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٦) وكذلك دعوة التوحيد مقدمة على مشروعية الجهاد، فقد بعث الله الأنبياء جميعاً من لدن آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام بالتوحيد ودفع الشرك لكنه سبحانه لم يشرع القتال قبل شريعة موسى عليه السلام. كل رسول يأتي قومه بدعوة التوحيد قال تعالى: ﴿وَأَقْدَمْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

واجتنبوا الطاغوت) (الحل ٢٦) وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء ٢٥) فكان الناس بين مؤمن وكافر بدعوة التوحيد . ولم يشرع الله قتال الكافرين إلا في شريعة موسى عليه السلام أما قبله فكان ينجي العنة المؤمنة ويهلك العنة الكافرة بعذاب من عنده ، فقد أهلك قوم نوح بالطوفان ، وعاد قوم هود بالريح العقيم ، ونمود قوم صالح بالصيحة ، وقوم لوط بحجارة من سجيل ، ومدين قوم شعيب بعذاب يوم الطلة ، وفرعون وقومه بالفرق ، وقارون بالحسف . ثم بعد نجات بني إسرائيل من فرعون شرع الله قتال الكافرين فكان هذا بدء شرع القتال في سبيل الله في بني آدم فالقتال كما قلنا من قبل وسيلة لحماية التوحيد .

فاعلم أيها السائل الكريم أن إحلاص التوحيد وتصحيح العقيدة الذي يدعو إليه هو أصل الدين لا يسكت عنه ولا يؤجل وهو دعوة الرسل جميعا عليهم الصلاة والسلام . وإما شرع الجهاد لحماية هذه الدعوة ونصرتها فكيف تؤجلها وإذا كننا نقاتل الروس لحماية دين الاسلام فكيف نسكت عن يانه والدعوة إليه وإذا كان الناس لا يستجيبون لدعوتنا الآن وهم في المحنة والبأساء والضراء فحق يستجيبون ؟ إن الله ابتلانا لنعود إلى الحق والاخلاص كما قال سبحانه : ﴿وانفذ أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾ (الأنعام) وقال سبحانه ﴿طهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ (الروم ٤١) فإذا لم تتضرع إلى الله في المحنة ، ولم ترجع فحق يكون ذلك ؟

٢ - إن الجهاد دون تصحيح الدين لن يأتي بشمرة بل هو استنزاف دائم لدماء المسلمين وأموالهم نحن أصبنا بشهادة ما يزيد على مليون نفس من الأفغان وترك خمسة ملايين بلا دم وهلكت الأرواح والحيوانات وأطفالنا يخطفون

بالآلاف ويرسلون إلى روسيا ليعلموهم الاتحاد والشيوعية ثم يرسلونهم بعد حين ليقاتلوننا في أفغانستان فما يصيبنا ونحن على فساد في الدين ، هو عقوبة من الله أما ما يصيبنا إذا صححنا ديننا فهو بلاء الله للصالحين نرضى بقدره وندعوه سبحانه أن يكشفه عنا .

في وقت من الأوقات كان عدد جيش العدو مائة ألف و عددنا ثلاثمائة ألف ، أى ثلاثة رجال من الألفان لكل رجل من العدو ، لماذا لم نتصر عليهم وقد وردت النصوص بأن مائة من المسلمين يغلبون مائتين من الكفار في حالة ضعف المسلمين قال سبحانه : ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ (الأنفال ٦٦) وذلك لأن المعاصي فرقت القلوب ومزقت الصفوف ، فإذا قنا بالأمم بالمعروف والنهي عن المنكر قالوا : تمزقون الصفوف وتمزقون سائر الجهاد . ألم يأتهم قول رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم» رواه الترمذى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وقال : حديث حسن .

وروى الامام أحمد عن عدى بن عميرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه . . فلا ينكرونها ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة . .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مثل القمام في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم في

أعلامها وبمضهم في أسفلها ، وكان الدين في أسفلها إذا استقروا الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ، (رواه البخارى) .

القائم في حدود الله أى من ينكر ويترجر عما نهى الله عنه .

فن يتهمنا أن دعوتنا الآن هى خيانة للجهاد ، نسأل الله لنا ولهم العافية ، إنما الخيانة هى ترك هذه الدعوة التى يدور عليها صلاح الدين وصلاح الجهاد ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ (الأنفال) . فأى أمانة أعظم من دعوة التوحيد دعوة الأنبياء جميعا ١٩ وأى خيانة أعظم من السكوت عن هذه الدعوة ١٩

إن الدين يطلبون منا السكوت عن دعوتنا الآن لا يفهمون مقاصد هذا الدين الخفيف ولا يعرفون مراتب الأعمال وما هو مقصود لذاته مما كالتوحيد وما هو مقصود لغيره كالجهاد ، ويريدون منا أن نرى السفينة تفرق بأهلها ونحن فيهم ولا نسمى لاستنقاذهم مع علما بموضع الحل ، فأى خيانة بعد هذا ، وأى إثم وجرم أعظم من هذا ؟ ويريدون أن نستوى نحن وهم في السكوت فلا يظهر نقصهم وسوء معتقدهم وتحمل علينا جميعا لعنة الله المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله وyleعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ (البقرة) فنعوذ بالله من السكوت وكتم الحق ونعوذ به سبحانه من أن تحمل علينا لعنته .

(٣)

السؤال : ما موقف العلماء والقادة الأفغان بإزاء دعوتكم إلى التوحيد وانتهاجكم منهج السلف الصالح ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . لا شك أن اصطلاح الكتاب والسنة في إطلاق اسم العلم والعالم غير ما اصطلاح عليه كثير من الناس في هذه الأيام ، فإن الكتاب والسنة إنما يطلق العلم على ما يورث خشية الله وتكون ثمرته التقوى والايان وما يوجب العمل ، ولذلك وصف الله العلماء في كل زمان بالايان والحشوع وخصهم به ، كما قال تعالى : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ، إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا بئى عليهم يخرون للأذقان سجدا ، ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للأذقان يكون يزيدهم خشوعا ﴾ (الاسراء) .

وقال عز وجل : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ فهؤلاء العلماء يعلون أن دعوتنا إلى الدين الخالص وانتهاجنا منهج السلف الصالح هي مقتضيات عقيدة الايمان وأما عامة الناس فإنهم توسعوا وترخصوا في إطلاق اسم العالم حتى أنهم يطلقون على من يقرأ من مصنفات العلماء وعلى من يتزيا بزي العلماء وعلى من يقلد العلماء وقرأ من أقوالهم ، وهؤلاء العلماء بعيدون عن العلم كعامة الناس وموقفهم منا كوقف العامة . فمنهم من يؤيدنا ومنهم من يماندنا ويقولون للذين ينتهجون السلفية : هؤلاء أضل من الذين يلحدون وخرجوا من الملة !!

وأما القادة فلا نذكر منهم من ينتهج منهج الصوفية لأن أمرهم وشأنهم واضح ونحن في غنى عن ذكر موقفهم إزاء الدعوة الحققة . وأما الآخرون الذين يرجى فيهم الخير ، وكانوا يدعون السلفية حينما كانوا يلاقون المسلمين من

بلاد كثيرة وكانوا يرون أن ما كان عليه السلف الصالح هو الحق وأنه ليس لأراء الرجال في مقالة الكتاب والسنة اعتبار ، وكانوا يدعون أنهم يؤدون مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الخير بطريق الحكمة البالغة ، فهؤلاء القادة ما تركوا لنا مجالا إلا قد اتخذوا فيه موقفا عدائيا ، ورمونا عن قوس واحدة ، وينسبونا إلى الضلالة ويقولون عنا : هؤلاء جاءوا بالهتكن والاختلاف والفرقة ويطعنوننا بالوهابية وغيرها من الألقاظ المذمومة عند عامة الناس ، ويخرجوننا من الملة ، وينشرون عنا في مجلاتهم أننا أعدى أعداء الاسلام وأتلا طلاب الدنيا ، وما كل ذلك إلا لأجل الحرص على الرياسة والمال وقد قال رسول الله ﷺ : (ما ذنبان جائعان أرسلنا في غم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف (أى الرياسة) لدين المسلم) .

ان من أهم واجبات القائد في تعاهد أتباعه أن يعلمهم أمر دينهم ويفصل لهم الحق ، لا أن يداخهم ويسكت عن معاصيهم وقد قال رسول الله ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» (متفق عليه) .

ولهؤلاء وأولئك أوجه سؤال : لماذا نشأ في أفغانستان المسلمة حزاب شيوعيان وهما اللذان تسلط الروس بهما على بلادنا اليوم ؟ وظاهر أنه ما حصل ذلك إلا بسبب سكوت العلماء على المنكرات والبدع ، فنشأت طائفة من الناس لم يقنعوا بما كانوا يرون من تبرك الناس بالقبور والشجر والحجر واعتقاد النفع والضر في تيممة أو ودعة أو خيط معقود ، ووجدوا العلماء ما بين مسير للناس وبين ساكت عنهم فظنوا أن ذلك هو الاسلام الحق ولم يجدوا من يرشدهم الى العقيدة الصحيحة ، فلم تقبل عقولهم هذا واستخفوا عقول قومهم ثم وقعوا في مستنقع الإلحاد والشيوعية ثم استولوا على مقاليد الأمور والحكم بالبلاد فاسموا قومهم سوء العذاب دمروا البلاد وشردوا العباد . قال الله تعالى :

﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾ (الأنعام ١١٥) .
 ألم يحدث كل ما حدث بسبب سكوت الاجيال السابقة ومداهنتهم وأنتم
 تريدون أن تفضوا على العقبة الباقية بسكوتنا ومداهنتنا اليوم . ألا نعتبرون
 وتذكرون بكل هذه النكبات وأسبابها ؟ وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ كلا
 بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ .

إن ما نزل بنا من المحن هو بسبب المتكررات وعدم الإصلاح ، قال تعالى
 ﴿ وما كنا مهلكي القرى إلا رآهلها ظالمون ﴾ (القصص) ولقد كان الله
 سبحانه لطيفا بنا في هذه المحنة فحاشا معها بمحنة ونعمة ألا وهي الجهاد في سبيله ،
 ولا إصلاح للجهاد إلا بتصحيح العقيدة والعمادة وهو ما يدعو إليه ، إذ الأسباب
 التي جلبت لنا المحنة والدمار ما زالت كما هي لم تتغير وليس لنا حق في الطمع
 في نصر الله ما لم نغيرها حسب وعده الصادق عز وجل : ﴿ إن الله لا يغير
 ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم
 من دونه من وال ﴾ (الرعد)

وإن الدين يحاربون دعوتنا الإصلاحية ويرموننا بالالقباب المنفرة إنما
 يريدون أن تستمر المحنة فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً وليعتبروا بمن سبقهم
 وليحذر كل مسلم من معاونتهم بالقول أو الفعل . والله يهدينا إلى سواء السبيل
 وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(٤)

السؤال : يقال : إن أسلوبكم في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة أسلوب

فظ منفر ؟

الجواب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

نحن نعلم أن من واجبات الدعوة أن يراعى الداعى حال المخاطب وأن يختار أسلوبا لينا غير فظ ولا مفر، يقول الله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لَيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه) .

ويقول الله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَسْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران) .

ويقول الله سبحانه : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَادِلْهُمْ بَاتَى هِيَ أَحْسَنُ﴾ (المحل) .

ونحن لا نخرج عن تلك الحدود تعظيما لأمر الله عز وجل واقتداء بأنبيائه عليهم الصلوات من الله والسلام، فالذين يطعنوننا بالفظاعة والشدة - إن كانوا من أصحاب العقيدة الصحيحة ويعرفون من واجب الدعوة إليها يودون حقها ويقفون موقفا صريحا بحيث يعرف الناس من عقيدتهم ودعوتهم ويرون في أسلوبنا من الفظاعة فعلهم أن يصلحوا ما رأوا ويهدونا إلى أسلوب مناسب متلطف لأننا لسنا ندعى أن أسلوبنا أسلوب جيد راق في الدعوة إلى أقصى ما ينبغي أن يكون عليه طريق الدعوة بل يحسب هذا من شأن الأنبياء عليهم السلام لأنهم معصومون في التبليغ والرسالة معصمة الله ومؤيدون بوحى الله ، غاية ما يدعى وننتقى أن عقيدتنا عقيدة صحيحة وأن الدعوة إليها واجبة ويجب علينا أن نختار من بين أساليب الدعوة التي نعرفها أسلوبا جامعا للحمات المناسبة ومحظوظا بما يتوفر فيه دواعى الاجابة والقبول . وإن كانوا ممن يخالف في العقيدة والدعوة أو الدعوة وحدها، فهؤلاء لا يريدون من الطعن بالمعاطلة إلا مخالفة أصل الدعوة ومحاربتها بأسلوب مآكر . فنقول هؤلاء : تعالوا لبحث أصل القضية وهي قضية العقيدة والدعوة ثم بعد القضاء والاتفاق نبحث في كيفية أسلوب الدعوة

ونختار بالاتفاق من أساليب الدعوة أسلوباً رصياً عندكم ، أما إذا كنتم في اختلاف من مبدأ الأمر أو كنتم اخترتم موقف السكوت والمداينة فلا ينبغي أن تطعموا في طريق الدعوة الحقبة بل حاسدوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا الآخرين .

فبعد وضوح ما مر من داعية الطعن نقول : ان أصحاب الدع والاهواء دائماً يقابلون أهل السنة بالفظاظة والغلظة ، ويكفرون من خالف أهواءهم ويخرجونهم من الملة ولا يصلون خلفهم بل لا يحوزون ذلك ويفتنون بحواز قتلهم ويحرضون عامة المسلمين على قتلهم وإيذائهم ، وهذا واضح لكل من يعرف من أحوال المبتدعين من سائف الزمان فنقول لهؤلاء الذين ينسبوننا إلى المظاظة : كيف تحاسبونا بالقض والقضيض وتغضبون عن عدوان أهل الاهواء وفضاظتهم .

يقول الله تعالى : ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعداوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون ﴾ (المائدة) .

تم جواب السؤال الثامن والحمد لله رب العالمين .



ويدخل في ذلك طاعته سبحانه في جميع أوامره ، وترك نواهيه على ما دل عليه كتابه الكريم ، وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم . وقد أمر الله سبحانه جميع الثقلين بهذه العبادة التي خلقوا لها ، وأرسل الرسل جميعا ، وأنزل الكتب لبيان هذه العبادة ، وتفصيلها ، والدعوة إليها بإخلاصها لله وحده كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ، والدين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾

وقال عز وجل : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبالوالدين إحسانا ﴾ . ومعنى قصي في هذه الآية أمر وأوصى .

وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ . والآيات في هذا المعنى في كتاب الله كثيرة .

وقال عز وجل ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم فان تنازعتن في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . الآية .

وقال سبحانه : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ . الآية .

وقال سبحانه . ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .

وقال تعالى: ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
ألا تعبدوا إلا الله إني لكم منه نذير وبشير﴾.

فهذه الآيات المحكمات، وما جاء في معناها من كتاب الله كلها تدل على
وجوب إحلاص العبادة لله وحده، وأن ذلك هو أصل الدين، وأساس الملة،
كما تدل على أن ذلك هو الحكمة في خلق الخس والانس، وإرسال الرسل،
وإنزال الكتب، فالواجب على جميع المكلمين العاية بهذا الأمر، والتفقه فيه،
والحذر مما وقع فيه الكثيرون من المتسبين إلى الاسلام من الغلو في الانبياء
والصالحين، والبناء على قورهم، وإتحاذ المساجد والقباب عليها، وسؤالهم
والاستغاثة بهم والالحاء إليهم، وسؤالهم قصاء الخاحات، وتفرج الكروب. وشفاء
المرضى، والنصر على الاعداء إلى غير ذلك من أنواع الشرك الأكبر.

وقد صح عن رسول الله ﷺ ما يوافق ما دل عليه كتاب الله عز وجل
في الصحيحين عن معاذ رضى الله عنه. أن النبي ﷺ قال له: «أندرى
ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟» فقال معاذ: الله ورسوله
أعلم. فقال النبي ﷺ: «حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً،
وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً». الحديث.

وفي صحيح البخارى عن اس مسعود - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ
قال: «من مات وهو يدعو لله ندأ دخل النار».

وأخرج مسلم في صحيحه عن جابر - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال:
«من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار».
والاحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وهذه المسألة هي أهم المسائل، وأعظمها، وقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ

بالدعوة إلى التوحيد ، والنهي عن الشرك ، فقام بتبليغ ما بعثه الله به عليه الصلاة والسلام أكل قيام ، وأوذى في الله أشد الأذى فصبر على ذلك ، وصبر معه أصحابه - رضى الله عنهم - على تبليغ الدعوة حتى أزال الله من الجزيرة العربية جميع الأصنام ، والأوثان ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وكسرت الأصنام التي حول الكعبة ، وفي داخلها ، وهدمت اللات والعزى ، ومناة ، وكسرت جميع الأصنام التي في قبائل العرب ، وهدمت الأوثان التي لديهم وعلت كلمة الله .

وطهر الإسلام في الجزيرة العربية ، ثم توجه المسلمون بالدعوة ، والجهاد إلى خارج الجزيرة ، وهدى الله بهم من سقت له السعادة من العباد ، ونشر الله بهم الحق والعدل في غالب أرجاء المعمورة ، وصاروا بذلك أئمة الهدى ، وقادة الحق ، ودعاة العدل والإصلاح ، وصار على سبيلهم من التابعين ، وأتباعهم بإحسان أئمة الهدى ودعاة الحق ينشرون دين الله ، ويدعون الناس إلى توحيد الله ، ويجاهدون في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم لا يخافون في الله لومة لائم ، فأيدهم الله ، ونصرهم ، وأطهرهم على من ناوهم ، ووفى لهم بما وعدهم به في قوله سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾

وقوله عز وجل . ﴿ وَلِيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِن مَكَنَاهُم فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ .

ثم غير الناس بعد ذلك ، وتفرقوا وتساھلوا بأمر الجهاد ، وآثروا الراحة ، واتباع الشهوات ، وطهرت فيهم المنكرات إلا من عصم الله سبحانه

فغير الله عليهم ، وسلط عليهم عدوهم جزاء بما كسبوا : ﴿ وما ربك بظلام
للمعبد ﴾ .

قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

فالواجب على جميع المسلمين حكومات وشعوباً الرجوع إلى الله سبحانه ،
وإخلاص العبادة له وحده ، والتوبة إليه بما سلف من تقصيرهم ، وذنوبهم
والبدار بأداء ما أوجب الله عليهم من الفرائض والاعتقاد مما حرم عليهم ،
والتواصي فيما بينهم بذلك والتعاون عليه .

ومن أهم ذلك إقامة الحدود الشرعية ، وتحكيم الشريعة بين الناس في كل
شيء ، والتمسك إليها وتمطيل القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله ، وعدم التحاكم
إليها ، وإلزام جميع الشعوب بحكم الشرع ، كما يحب على العلماء تفقيه الناس في
دينهم ، ونشر التوعية الإسلامية بينهم ، والتواصي بالحق والصبر عليه ، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتشجيع الحكام على ذلك .

كما يجب محاربة المادى الهدامة من شيوعية ، واشتراكية ، وبعثية ، وتعصب
للقوميات وغيرها من المادى والمذاهب المخالفة للشريعة ، وبذلك يصلح الله
للسليين ما كان فاسداً ، ويرد لهم ما كان شارداً ، ويعيد لهم مجدهم السابق ،
وينصرهم على أعدائهم ، ويمكن لهم في الأرض كما قال تعالى وهو أصدق القائلين :
﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ،
وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك
 فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ انا لننصر رسلا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم
يقرم الاشهاد يوم لا يسمع الظالمين معدرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ .
والله المستول سبحانه أن يصلح قادة المسلمين وعامتهم وأن يمنحهم الفقه
في الدين ، ويجمع كلمتهم على التقوى ، ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم ، وينصرهم
الحق ، ويحذل بهم الباطل ، وأن يوفقهم جميعاً للتعاون على البر ، والتقوى ،
والتواصي بالحق ، والصبر عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على
عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله
وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ◎ ◎



من هو الصديق

عن أنى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إنما
مثل الخليس الصالح والخليس السوء كحامل المسك ونافع الكير . فحامل المسك
أما أن يخذبك (أى يعطيك) وإما أن تبتاع منه . وإما أن تجدد فيه
ريحاً طيبة . ونافع الكير أما أن يحرق ثيابك وإما أن تجدد منه ريحاً خبيثة .
(الحديث)

مسألة حياة النبي ﷺ في ضوء الأدلة الشرعية



(الحلقة الخامسة والاخيرة)

للعلامة محمد اسماعيل السلفي

ترجمة

الدكتور مقتدى حسن الازهرى



حل بعض الشهات

قبل عدة شهور كنت عرضت بعض النقاط في مجلة « رحيق » حول موضوع حياة الانبياء . وموقف الربلوية واضح في هذا الموضوع ، فقد كتب المولى أحمد رضا خان في الفتاوى الرضوية عليه وجمل حياة الانبياء جسمية دنيوية . ولكن موقفهم يبنى على العاطفة بدل الادلة ، ولذا لا تؤثر في الاوساط العلمية .

والمولى أحمد رضا خان نفسه حينما يكتب في مثل هذه المسائل فانه يختار طريق الطعن في الخصم وشتمه واتهامه بدل الاستدلال ، ولا يختار طريقا ايجابيا ، ولذا لا يهتم أهل العلم والنظر بكتاباته وكتابات أتباعه . ولكن منزلة أهل ديوبند تختلف عن ذلك تماما ، فمنهم أهل التحقيق والنظر ، ينظرون إلى الدلائل ، ولا يبنون تأييد مذهبهم على العاطفة . ولكنني استغربت أن الشيخ حسين أحمد

والشيخ محمد قاسم وبعض أكابر ديوبند قد اختاروا رأى الشيخ أحمد رضا خان نفسه فى هذا الموضوع .

ثم زاد الاستغراب بأن جعل بعضهم هذه الصورة لحياة الأنبياء مسألة اجماعية ، مع أن هذا الادعاء يناقى التحقيق والعدالة معا ، بل يرى كاتب هذه السطور أن أحلة ديوبند أيضا لا يتفقون معهم فى هذه المسألة . وقد أيد بعض المجلات الديوبندية مقال المنشور . والذين اختلفوا معى فلم يكن أساس الخلاف هو الأدلة والتحقيق ، بل اعتمدوا على عظم منزلة الاساتذة أو على الجمود .

ومراعاة لاتجاه أهل العلم والتحقيق سبق أن كتبت فى مجلة « رحيق » وأكتب السطور الآتية أيضا ، حتى يتم التفكير فى هذه المسائل على منهج أهل التحقيق من الأكابر . وانى لا أظن أن أهل الحديث أقل حبا للشاه ولى الله وأبنائه وأحفاده ، أو أقل حفا فى الاستفادة من تحقيقهم فى المسائل ، ولكن كما قال الامام مالك رحمه الله : ما من أحد إلا ويؤخذ من قوله ويرد عليه . فلا يستثنى أحد سوى الأنبياء من هذه الكلية ، ومع ذلك تنحنى الجباه أمام تحقيق الشاه ولى الله وأبنائه ، رحمهم الله وحمل الجنة مثوهم .

وبالنظر إلى منزلة ديوبند العلمية وعلو مكانة الشاه ولى الله رحمه الله تعالى لا يمكن صرف النظر عن مسألة اذا حامت من عندهم . وقد سبق أن ذكرنا الاحاديث الواردة فى هذا الباب بنتونها وأسانيدها وآراء أئمة الحديث وأقوال المحققين وما تيسر من الأدلة فى الموضوع فى صفحات مجلة رحيق .

آب حياء

وقربا اطاعت على كتاب الشيخ النانوتوى (آب حياء) بواسطة الأخ المحترم الشيخ محمد چراغ . وكنت من ذى قبل على يقين بعلمه وجلالة قدره ،

وهذا الكتاب قد زاد عدى منزلته واحترامه ، ومع ذلك أجدني مضطرا للقول بأن أسلوب الكتاب يبنى على التأويل لا التحقيق .

وقد ألف الشيخ هذا الكتاب في الرد على وجهة نظر الشيعة نحو الوراثة النبوية ، واختار طريق المأطرة هذا للتخلص من شبهات الشيعة ، وذلك بأن البى ﷺ حتى بحسبه وهذا الحياة دنيوية ، وعلى هذا لا يأتى سؤال وراثته ومع احترامنا البالغ للشيخ فلا شك أن هذا طريق المأطرة ، ولا تحل به النصوص التى تذكر وفاة البى ﷺ وانتقاله من هذه الدنيا ودفعه ، وقد صرح القرآن الكريم فقال : ﴿ اَبَكَ مَيِّتٌ وَاِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ووردت فى الاحاديث تفاصيل وفاته ، ثم خطبة أبى بكر وسكوت الصحابة ورجوع عمر وحزن أمهات المؤمنين كل ذلك ليس بحيث تصرف عنه الطر لمكانة الشيخ البانوتوى العلمية

ثم ان أكابر ديوبند أو أكثرهم لا يتفقون مع الشيخ فى هذه العقيدة ، وليست حقيقة أنها أكثر من تحيل صوفى ، ويعارضها التعبير الطاهرى لنصوص الحديث ، ولا نقول شيئا فى الجود التقليدى ، ولكن البصيرة الدينية تأبى قبول هذا التأويل ، ولذلك نقول لأبناء ديوبند مع الآداب إن أكابر ديوبند يستحقون الاحترام دون شك ، ولكن ليسوا مثل أبى حنيفة وأبى يوسف فى هذا العصر حتى نسلم جميع ما يقولون تقليدا لهم ، ولذا نرجو بذل الجهد حذرا من الجمود ، فان الكتاب والسنة بيننا وكذلك نصريح الأئمة السلف ، ولا قول لأحد مع الله ورسوله .

﴿ حياة النبي وأهل الحديث ﴾

وانى مسرور بأن مثل هذه الزلة لم تصدر عن أحد من أكابر أهل الحديث ، ولا يخفى ما للأئمة الغزنوية من أكبرنا من الشغف والاتصال

بالنصوف ، ولكن لم يصب الشيخ عبد الله الغزوى ولا أحد من أبنائه وتلاميذه
بمثل هذا الجمود في العقيدة ، فالحمد لله على ذلك .

والذين استفادوا من علوم الشاه اسحاق بواسطة شيخ الكل السيد نذير حسين
كانوا بمعزل عن مثل هذا الاعتقاد ، وكذلك سلم من هذه التأويلات الضعيفة
المهمة الذين استفادوا من علماء اليمن في علوم السنة . وهذه السلامة قد تحققت
بناء على خلو الطريقتين من الجمود التقليدي ، ففهم احترام الأساتذة ولكن ليس
على سبيل الجمود والتقليد ، وهذه هي سبيل المحدثين الحقيقي . ومنذ أن وصف
النقد التحقيقي بسوء الأدب سدا لجمود سبل العقل والمعكر وتركت الأذهان
التفكير .

❦ موقفي في الكتابة ❦

كنت انتقدت كلام هؤلاء الأساطين في كتابتي بالتزام حدود الأدب .
ولو كانت هذه المسألة آتية من قبل بريلى لما رأيت حاجة للكتابة كلمة واحدة
فيها ، فان أهل بريلى لم يعرفوا التفكير ، وليس لهم تأثير في وسط علمي .

ولكن حملني على هذه النقد ما لا كابر ديونند من الاحترام العلمي وتأثيره
البالغ ، حتى يتعلم الطلاب النقد العلمي وعادة البحث والنظر .

وكانت لكتابتي آثار عجيبة في أوساط مختلفة ، فقد أعجب بها البعض جدا
لأنها جاءت في أوانها ، وتناقلتها عدة حرائد الهند وباكستان . وكرهها البعض
الآخر أشد الكره ورأها اساءة الى أكابر ديونند ، أعاذني الله من ذلك .

وقد انتقدها البعض في بعض أجزائها نقدا سليما ، وأشار الى أنها لا تروى
الغلة مع بسطها المعتدل ، فبعض النواحي بحاجة لا بد من توضيحها .

ورأى البعض أن المسألة بأساسها تحتاج إلى إعادة النظر الى جميع نواحيها

في ضوء النصوص ، والرسائل التي وصلتني بالبريد تنحو نفس المنحى .

﴿ نظرية المنشئ محمد شفيع ﴾

فقد لمت صديقا المحترم المنشئ محمد شفيع اللاهورى (مشربه ديوبندى ، وهو محب للحق ومتعود على البحث والمطالعة والقدر والتحقيق) النظر الى أن بعض جوانب المسألة محل للنظر ، ولذا ينبغي أن نذكر فيها أكثر .

وإني كنت قلت في كتابتي أن حياة الأنبياء عليها إجماع الأمة . ومع أن صحة الأحاديث محل للنظر ولكنها تعيد بأن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام :

ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء^(١).

ويقول المنشئ : ان هذه الكلية ليست صحيحة بأن أجساد جميع الأنبياء حرام على الأرض ، فقد علم عن أجساد بعض الأنبياء أن الأرض غيرتها ، فقد نقل الحافظ نور الدين الهيثمي (٨٠٧ هـ) في مجمع الزوائد من أبي يعلى والطبراني حديث أبي موسى وعلى : فقال علماء بني إسرائيل ان يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى تنقل عظامه ... الى أن قال : فلما احتفروا أخرجوا عظام يوسف .

وترتيب الالتفات في حديث على هكذا . قال له انك عند قبر يوسف فاحتمل عظامه وقد استوى القبر بالأرض ، الى أن قال . فخرج العظام وحاوز البحر^(٢) .

ويرى المنشئ أن الأحاديث التي وردت في سلامة الجسد الأطهر ليست

(١) ابن ماجه ٧٧ ، ١١٩ ، الترغيب للندري ١١/٢

(٢) مجمع الزوائد ١٧١/١٠

صحيحة ، ولكن رواية أبي صحيحة بأن عظام يوسف عليه السلام قد حملها موسى عليه السلام معه ، أى كان الجلد واللحم قد بليا وبقيت العظام . وقد قال الهيثمي في رواية أبي يعلى : رجال أبي يعلى رجال الصحيح ، وهذا الذى حملنى على سياقها .

وقال في رواية الطبراني : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه من لا أعرفهم . ونقل المنشى نفس هذا المعنى من البداية والنهاية لابن كثير (٢٧٥/١) : ولما خرجوا من مصر أخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام .

ونجد نصا آخر فى ابن حلدون (١٣١/١) يؤيد المنشى : لما فتح يوشع مدينة أريحا سار إلى نابلس فلكها ودفن هنالك شلو يوسف عليه السلام ، وكانوا حملوه معهم عند خروجهم من مصر ، وقد ذكرنا أنه كان أوصى بذلك عند موته .

وبهذه النصوص يبدو أن حكم عدم أكل الأرض الأجساد ليس هاما لجميع الأنبياء ، بل استثنى منه البعض .

وعلى أهل العلم أن ينظروا فى هذه النصوص ويحاولوا التوفيق أو الترجيح بين النصوص التى تبدو متعارضة ، والمرجو من المتوسلين الى ديوبند خاصة أن يثبتوا مذهب أكابرهم فى ضوء هذه النصوص ، فإن المسائل لا تنحل بالعصية أو السخط ، ولا الاعتماد المفرط محل الأدلة والبراهين .

والظاهر أن هذه الأدلة المتعارضة لا تؤثر فى الحياة البرزخية ، فانها ثابتة فى جميع الأحوال ، ومع وجود أحداث العذاب والثواب فى القبر لا بد أن توجد صورة للحياة فى القبر ، ولكن المشكلة فى الحياة النوعية ، وخاصة اذا فهمناها جسمية دنيوية ووجهة نظر البريلوية تزيد المسألة اشكالا ، فانهم يرون

أن صلحاء الأمة يكلفون في القبر ببعض التكاليف الشرعية أيضا، وكذلك عرفت
عندم قصص العلاقات الازدواجية أيضا .

وقد فصل صاحب روح المعاني تفصيلا كافيا ضمن مبحث حياة الشهداء عن
أنواع هذه الحياة، ويبدو أن المنشى محمد شفيع يقول بالحياة البرزخية للأنبياء
عليهم السلام، ولكنه لا يرى الجسم ضروريا لهذه الحياة، ولا يشعر بضرورة
لوازم الحياة الدنيوية لها .

تحليل أدلة المنشى

ولا شك أن الأدلة تسع مثل هذا الرأي، فإن يقبل التصور الجسمى
والدنيوى للحياة، فلا مانع من قبول تصور للمنشى هذا؟ ولكنى أرى أن أدلة
المنشى تبدو ضعيفة ومرجوحة من عدة وجوه:

(١) أن حديث: أن الله حرم على الأرض أن تاكل أجساد الأنبياء،
وإن لم يصح سندا ولكن علوا لمنزلة الحاصل للأصول الستة على الطبراني
وأن يعلى لا يصرف النظر عنه، فهذه الأصول من حيث المجموع فوق الطبراني
وغيره، ولحول أئمة الحديث يستدلون بكتب الطائفة الرابعة بعد النقد والتحقيق، أو
يستدل بها أهل البدعة الذين يهدون إلى تأييد بدعهم ولا يهتمون بقوة الدلائل .
(حجة الله)

(٢) والحافظ الهيثمى قد اعتمد في جمع الزوائد بجمع الزوائد فقط، حتى
تبرز المواد لأهل العلم، ولذا لا يتكلم على هذه الزوائد باستيعاب ولا يخوض
في تفاصيل الجرح والنقد أيضا .

(٣) ولأنه قال في رواية أبي يعلى « رجاله رجال الصحيح، وهذا يدل على
أن أصحابه الصحيح اعتمدوا على رجال هذا السند، ولكن ذلك لا يكفي لصحة

الحديث ، فقد روى مسلم في اشواهد من رجال تكلم فيهم أئمة الحديث ، وانه قد ذكر ذلك في مقدمة صحيحه .

(٤) ثم هناك شروط أخرى لتصحيح الحديث سوى ثقة الرجال ، ولا يدعى في المراسيل والمقطوعات بصحة الحديث مع وجود الرجال الثقات ، ولذا ينبغي أن تكون شروط الراوى والرواية أمام الطر .

(٥) ويقول الهيثمى عن رواية الطبرانى : رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه من لم أعرفهم . فالرواية التى رويت عن رجال غير معروفين كيف يدعى بصحتها . وبإيراد هذه الروايات الضعيفة قد قبل جمهور الأمة رواية ابن ماجة مع ضعفها ، وهى : (ان الله حرم على الأض ان تأكل أجساد الأنبياء) وإذا انها ترجع على روايات أبى يعلى والطبرانى الضعيفة ، اتلقى الأمة مفهومها بالقبول ، والقرائن تقتضى أن ترجح رواية ابن ماجة وتسلم سلامة الجسم مثل تسليم الحياة البرزخية .

(٦) ثم أن تسليم رواية ابن ماجة على علانها يرفع التعارض أيضا وذلك بأن يراد بالعظام فى رواية أبى يعلى والطبرانى نعش يوسف عليه السلام ، كما ورد فى البداية والنهاية (٢٧٥/١) بلفظ : أخرجوا معهم نائوته ، فلا يستبعد تغيير العظام بالثابوت وبالعكس ، وقد عرف ارادة الجسم بالمعظام فى مثل هذه المواضع .

وقد ذكر القرآن الكريم عقيدة مكبرى البعث بهذه الالفاظ : (من يحيى المعظام وهى رميم) . ومن المعلوم أن الكفار كانوا ينكرون بعث الأجساد ، والعجب من احياء المعظام يعبر عن هذه الحقيقة ، فالمقصود : من يحيى الأجسام للبالية . وكذلك يراد بقوله فى الحديث « فاحتمل عظامه » احتمل جسمه ، وبهذا المعنى

يتفق المعارض بين الأحاديث . وكما أعلم أن الصحيح هو المذهب الذي اختاره أئمة السنة والحديث .

(٧) وكلام ابن خلدون أيضا محل للنظر ، فإن موسى عليه السلام جاء بنعش يوسف معه من مصر ، وأقامت بنو اسرائيل أربعين سنة في التيه ولم يستعدوا مع الجهد والتمنى للبحر على بلد مجاور ، ومات موسى وهارون في هذه الفترة ، فقاد يوشع بن اسرائيل ، وفتح مدينتي أريحا ونابلس ، فالظنون أن هذه الفترة طالت سنوات ، يقول ابن خلدون عند ذكر خروج بنو اسرائيل من مصر : وأخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام (١٢٣/١) وقد استعمل ابن خلدون كلفي تابوت وشلو كليهما ، وقد ذكر المسعودي في رواية صورة التابوت أيضا : قبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشرون سنة ، وجعل في تابوت الرخام وسد بالرخام وطل بالاطلية الدافعة للهواء والماء^(١)

ولا يعلم هل دفنت في هذه الفترة عظام يوسف أو تابوته في التيه ، ثم دفنت في نابلس بعد إخراجها ، ان التاريخ ساكت عن هذه التفاصيل ، والنصوص التي نهداها هي روايات اسرائيلية يصعب الترجيح على أساسها . فالرأى الذي قبله جمهور الأمة هو الذي يترجح مع وجود الضعف في الروايات وهذه الوقائع كلها بأسلوب اخباري ، وهذا الأسلوب لا يساوي أسلوب الحديث والمحدثين .

(٨) قد ذكر أبو القاسم السهلي أجسام بعض شهداء أحد والصالحاء فقال : انها خرجت من قبورها بعد عدة سنوات صحيحة سليمة ثم دفنت في موضع آخر ، ثم يقول : والاخبار بذلك صحيحة^(٢) .

(١) (٤٧/١)

(٢) روض الأنف ٣٢/١

ثم يقول : « قال عليه السلام : ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الأنبياء ، أخرجه سليمان بن أشعث ، و ذكر أبو جعفر الداودي في كتاب التأسى هذا الحديث بزيادة و ذكر الشهداء و العلماء و المؤذنين ، و هي زيادة غريبة لم تقع (١) في مسند غير أن الداودي من أهل الثقة و العلم . »

ومع أن السهيلي و الشوكاني ذكرا عن هذه الأحاديث الصحة و الوثوق ، ولكن مع ذلك أعترف بأن هذه الذخيرة لا تخلو من ضعف . وقد انتقدها البخاري و المنذرى و الذهبي و غيرهم من أئمة الفن ، و هؤلاء أوثق من السهيلي في هذا الفن . ولذا لو أصر المنشى على رأيه فله ذلك .

ومرة أخرى أبدى رجائي من أسماء ديونند أن يكتبوا في هذا الموضوع بالتحقيق ، و لا يكتفوا بتقايد الأساندة الأكابر ، وكذلك لا يحملوا ملاحظاتى على اساءة الأدب فيسخطوا ، فان العلم أمانة ، و الجهل عن الحقائق خيانة ، و التمسك بالنصوص ديانة ، و الإعراض عن التحريف و التأويل صيانة ، و من حرم عن ذلك فقد حرم بعض الخير ، و الله ولى التوفيق ، عليه توكلت و هو حسبي و نعم الوكيل ، و لا حول و لا قوة إلا بالله ، عليه أعتمد و إليه أنيب ☺

(جريدة الاعتصام بلاهور ج ١٠ ص ٢٧ عدد ١٩٥٩/١/٣٠) .



السيرة العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفيرواني

الجامعة السلفية - بنارس

+++++

(٥)

٤٩ - وابن علاب . الشيخ الإمام الصدر الرئيس القاضي الجليل شمس الدين أبو الغنائم المسلم بن محمد بن المسلم بن مكي بن خلف القيسي الدمشقي الكاتب ، مسند دمشق (٥٩٤ - ٦٨٠ هـ)^(١).

سمع منه شيخ الإسلام سنة (٦٧٦ هـ) وسنة (٦٨٠ هـ) ومن مسموعاته عدة أحاديث في الأربعين^(٢)، كما ذكره في الفتاوى في إسناده إلى مسند الإمام أحمد^(٣).

(١) انظر لترجمته : معجم شيوخ الذهبي (ق / ١٧٢) ، وتذكرة الحفاظ (١٤٦٦) ، وفيه تصحيف (شمس الدين) إلى (عوى الدين) ، والعبر (٣٣٢/٥) ، وطبعة البسيوني (٣/ ٣٤٦) ، والمعين في طبقات المحدثين (٢١٧) ، والبداية والنهاية (١٣ / ٢٩٩) ، والدرر الكامنة (١ / ١٤٤) ، والنجوم الزاهرة (٧ / ٣٥٣) ، وشذرات الذهب (٥ / ٣٦٩)

(٢) أرقام الأحاديث من الأربعين (١٦ - ١٩ - ٢٠ - ٣٠) ، الفتاوى (١٨ / ٩٤ ،

٩٧ - ٩٨ ، ١٠٩)

(٣) الفتاوى (٢٥ / ١٤٦)

٥٠- والشيخ الأمين الصدوق شمس الدين أبو غالب المظفر بن عبيد الصمد بن خليل الأنصارى، توفى في جمادى الأولى سنة (٦٨٨ هـ)، وعمره اثنتان وثمانون سنة.

وسمع منه شيخ الإسلام في جمادى الآخرة سنة (٦٨٤ هـ) ومن مسموعاته حديث في الأربعين^(١).

٥١- والشيخ الإمام مسند دمشق نجيب الدين أبو المرفف المقداد بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن المقداد القيسى الشافعى (٦٠٠-٦٨١ هـ) سمع ببغداد ومكة، وروى الكثير، وكان عدلاً خيراً تاجراً مات بدمشق عن إحدى وثمانين سنة^(٢).

وسمع منه شيخ الإسلام، ومن مسموعاته حديث في الأربعين^(٣).

٥٢- والشيخ المسند زين الدين أبو العباس وأبو المرجا المؤمل بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن منصور بن المؤمل البالى ثم الدمشقي (٦٠٢-٦٧٧ هـ)^(٤). وقال الذهبي: أجاز لي مروياته، ومن مسموعاته تأريخ ببغداد للخطيب سوى ترجمة الإمام النعمان، ثم ساق حديثاً من تأريخ ببغداد^(٥).

(١) الحديث الثالث والثلاثون من الأربعين - الفتاوى (١١٢/١٨)

(٢) أنظر لترجمته معجم الشيوخ للذهبي (ق ١٧٢ / ب)، والعبر (٥ / ٣٢٦)، وطبعة البسيوني (٣ / ٢٤٩)، ودول الإسلام (١٨٤/٢)، والمعين في طبقات المحدثين (٢١٧)، والنجوم الزاهرة (٣٥٦/٧)، والشذرات (٥/٣٧٤)

(٣) الحديث الثاني والعشرون من الأربعين (الفتاوى ١٠١/١٨)

(٤) معجم شيوخ الذهبي (ق ١٧٤)، والعبر (٥ / ٣١٧)، وطبعة البسيوني (٣ / ٣٢٧). والنجوم الزاهرة (٢٨٥/٧)، وشذرات الذهب (٥/٣٦٠)

(٥) معجم الشيوخ (ق ١٧٤)

سمع منه شيخ الإسلام سنة (٦٦٩ هـ) ، ومن مسموعاته عدة أحاديث في الأربعين^(١) .

٥٣ - وهبة الله الحارثي: أفضى القضاء نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن محمد ابن هبة الله بن علي بن جرير الحارثي الشافعي ، توفي في صفر سنة (٦٨٠ هـ) ، وله ثلاث وسبعون سنة ، كان فيه دين وخير^(٢) .

وسمع منه شيخ الإسلام سنة (٦٧٩ هـ) ، ومن مسموعاته حديثان في الأربعين^(٣) .

٥٤ - والشيخ الفقيه سيف الدين أبو زكريا بن الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الحنبلي الأنصاري (٥٩٢ - ٦٧٢ هـ) سمع حضوراً من الخشوعي ، وبه ختم حديثه ، وسمع من حنبل وجماعة^(٤) سمع منه شيخ الإسلام في شوال سنة (٦١٩ هـ) ، ومن مسموعاته حديث في الأربعين^(٥) .

٥٥ - وابن الصبري: شيخ الحنابلة الامام العالم المفتي المسد الزاهد المعمر جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع بن علي الحراني الحنبلي (٥٨٣ - ٦٧٨ هـ) وكان إماماً طاملاً متقناً صاحب عبادة

(١) أرقام الأحاديث في الأربعين (٤ - ٥ - ٦ - ٧)

(٢) معجم الشيوخ للذهبي (ق ١٧٦ ب و ١٧٧ أ) .

(٣) الحديث الثامن والعشرون ، والحديث الخامس والثلاثون (الفتاوى ١٨/١٠٨ و

١١٥) .

(٤) انظر ترجمته: تذكرة الحفاظ (١٤٩١) والعبير (٣٠٠/٥ - ٣٠١) وطبعة

البيروت (٣٢٦/٣) و المعين في طبقات المحدثين (٢١٤) وشذرات الذهب

(٣٤٠/٥) .

(٥) أرقام الأحاديث: ٤ - ٥ - ٦ - ٧ (الفتاوى ١٨/٨٠ - ٨٤)

وتتجد وصفات حميدة^(١).

وسمع منه شيخ الإسلام في شوال سنة (٦٦٨ هـ) ، وروى بسنده من كتاب صفة النفاق وذم المناهقين للفريابي حديثاً في أحاديث الأربعين^(٢).
وصرح ابن رجب بتلذه عليه في ذيل طبقات الحنابلة .

٥٦ - وابن المحاور : المعمر الرئيس نعم الدين أبو الفتح يوسف بن الصاحب
يمقوب بن محمد بن علي الشيباني الدمشقي الكاتب (٦٠١ هـ - ٦٩٠ هـ) تفرد
برواية تاريخ بغداد عن الكندي^(٣).

سمع منه شيخ الإسلام عام (٦٨٠ هـ) تاريخ بغداد ، ومن مسموعاته
حديثان في الأربعين^(٤).

٥٧ - وشمس الدين أبوبكر بن عمر بن يونس المزني الحنفي الفقيه (٥٩٣ -
٦٨٠ هـ) روى « البخاري » عن ابن مديويه ، والخطار ، و « مسلما » عن
ابن الحرستاني ، وعاش سبعا وثمانين سنة^(٥).

(١) انظر ترجمته : معجم الشيوخ للذهبي (ق ١/١٨١) والمبر (٣٢١/٥ - ٣٢٢)
وطبعة البسيوني (٣٣٩/٣) ودول الاسلام (١٨٠/٢) والمعجم المختص
(ق ٣٥/ب) والمعين (٢١٦) والتذكرة (١٤٩٦) وذيل طبقات الحنابلة
(٢٩٧/٢) وشذرات الذهب (٣٦٢/٥)

(٢) الحديث الثامن منه (العناوى ١٨/٨٥) .

(٣) انظر ترجمته : غاية الهاية (٤٠٥/٢) ومعجم الشيوخ للذهبي (ق ١/١٨٦) .

(٤) الأرقام : ٢٠ - ٣٠ وفي الموضوعين « أبو العز » بدل « أبي الفتح » ، الفتاوى
(١٨/٩٩ و ١٠٩) .

(٥) انظر ترجمته : المبر (٢٣٣/٥) وطبعة البسيوني (٣٤٦/٣) وشذرات الذهب
(٣٦٩/٥ - ٣٧٠) .

- سمع منه شيخ الإسلام ، ومن مسموعاته حديث في الأربعين^(١) .
- ٥٨ - والشيخ أبو بكر بن سالار^(٢) .
- ٥٩ - والعاج المسد أبو بكر وأبو محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الواسع الهروي (٥٩٤ - ٦٧٣ هـ) .
- سمع منه شيخ الإسلام عام (٦٦٨ هـ) ، ومن مسموعاته عدة أحاديث في الأربعين^(٣) .
- ٦٠ - والشيخ أبو زكريا ابن الصرى^(٤) .
- ٦١ - والشيخ ابن محير^(٥) .
- ٦٢ - والشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه . أخذ عنه عدة أقوال في ابن عربي وجماعته^(٦) .
- ٦٣ - والشيخ تاج الدين الأنباري الفقيه المصري الفاضل^(٧) .
- ٦٤ - والشيخ شهاب الدين المزي^(٨) .
- ٦٥ - والشيخة الصالحة أم محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن كامل المقدسية ،
-
- (١) الحديث الخامس عشر (الفتاوى ٩٢/١٨) .
- (٢) قال : حدثني صاحبنا الفاضل أبو بكر بن سالار عن ابن دقيق العيد ، وقال أيضا : وحدثني بذلك غير واحد من الفقهاء بمجموعة الرسائل والمسائل (٧٥/٤) .
- (٣) أرقام الحديث : ٤ - ٥ - ٦ - ٧ (الفتاوى ١٨/٨٠ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤) .
- (٤) الفتاوى (٣٨٢/٨) .
- (٥) مجموعة الرسائل والمسائل (٧٥/٤) قال : حدثني ابن محير عن رشيد الدين سعيد وغيره
- (٦) مجموعة الرسائل والمسائل (٧٥/٤ - ٧٦) .
- (٧) ذكره في مجموعة الرسائل والمسائل (٧٦/٤ - ٧٧) .
- (٨) ذكره في مجموعة الرسائل والمسائل (٧٧/٤) .

ولدت سنة (٦٠١ هـ) ، وتوفيت في شوال سنة (٦٨٧ هـ) سمع منها شيخ الإسلام في شعبان سنة (٦٧٥ هـ) بقاسيون ، وفي هام ٦٨٤ هـ ، ومن مسموعاته هنا حديثان في الأربعين^(١).

٦٦ - والشيخة الصالحة العابدة المتحدة المسدة المعمرة أم أحمد زينب بنت مكي ابن علي بن كامل الحرائية الصالحية ، توفيت في شوال سنة (٦٨٨ هـ) ، ازدحم عليها الطلبة ، وعاشت ستا وتسعين سنة^(٢). وسمع منها شيخ الإسلام في شعبان سنة (٦٦٧ هـ) ومن مسموعاته عنها عدة أحاديث في الأربعين^(٣).

٦٧ - والشيخة الصالحة أم يحيى ، وأم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عدا الله المحتاجة الكسدية ولدت سنة (٥٩٩ هـ) . وتوفيت سنة (٦٨٤ هـ) عن خمس وثمانين سنة ، سمعت الفيلانيات ، وجزمى المزكى ، وهر بن طبرزد ، ومبيخة يعقوب ، وجزء الأناصاري^(٤).

(١) رقم : ١١ و ٤٠ من الأربعين (الفتاوى ١٨/٨٨ ، ١٢٠)
(٢) المعبر (٣٥٨/٥) وطبعة البسيوني (٣٦٦/٣) والمعين في طبقات الحديثين (٢١٩) ، ورسالة الجنان (٢٠٧/٤) والنجوم الزاهرة (٣٨٢/٧) وشذرات الذهب (٤٠٤/٥).

(٣) أرقام الأحاديث : ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ١٢ - ١٨ - ٣٩ (الفتاوى ١٨ / ٨٠ ، ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١١٩)

(٤) معجم الشيوخ للذهبي (ق ٦١/أ) والمعبر (٣٤٧/٥) وطبعة البسيوني (٣٥٥/٣) ورسالة الجنان (٢٠١/٤) والنجوم الزاهرة (٣٩٨/٧) وشذرات الذهب (٣٨٥/٥)

سمع منها شيخ الإسلام في رمضان سنة (٦٨١ هـ) ، ومن مسموعاته
عدة أحاديث في الأربعين^(١).

٦٨ - والشيخة ست الدار بنت مجد الدين ابن تيمية : حمة شيخ الإسلام ، قرأ
عليها جزء البانياس في سنة (٦٨٣ هـ)^(٢).

٦ - والشيخة الجليلة الأصبهانية أم العرب فاطمة بنت أبي القاسم علي بن أبي محمد
القاسم بن أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين
ابن عساكر (٥٩٨ - ٦٨٣ هـ)^(٣).

وسمع منها شيخ الإسلام في رمضان سنة (٦٨١ هـ) ، ومن مسموعاته
عنها حديثان في الأربعين^(٤).

الفصل الخامس

في ذكر أصحابه وتلاميذه

بدأ شيخ الإسلام بالتدريس ، والإفادة ، والإفتاء ، وعمره دون العشرين
إلى أن توفي إلى رحمة الله ، واستمر في هذا الحال أكثر من نصف قرن فكثر
أصحابه وتلاميذه ، كثرة يصعب عدّها ، وإحصاؤها ، فله تلاميذ وأصحاب في

(١) أرقام الأحاديث : ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٣٧ - ٣٨

(٢) وسمعه محمد بن أحمد بن عبد المنعم بن حمد بن منيع بن أبي الفتح الحراني الناجر
المعروف بابن البيع (الدرر الكامنة ٤٣١/٣)

(٣) انظر لترجمته : معجم شيوخ الذهبي (ق ١١٨/١) و العبر (٣٤٤/٥) وطبعة
البسيوني (٣٥٣/٣) وشذرات الذهب (٣٨٣/٥)

(٤) الأرقام : ٣٨ - ٣٩ (الفتاوى ١١٨/١٨ - ١١٩)

أثناء إقامته بدمشق في دار الحديث السكرية، والمدرسة الحنبلية، والجامع
الإلاوى، ومجالسه في مصر، في مساحدها، وسمونها، فكان يحضر دروسه مئات
طلبة العلم من أفاضل عصره، فقد جاء في طبقة سماع حزه أبو مسعود أحمد بن
الثرات الرارى على أربعة وأربعين شيخاً ومنهم شيخ الإسلام بمشهد عثمان بحامع
دمشق سنة (٧١٠ هـ) في شهر رمضان المبارك أن عدة السامعين الذين كل لهم
سماع الحزه ثلاث مائة وخمسة عشر نقرا

وهكذا ما جاء في طبقة سماع مشيخة اس عبد الدائم، ذكر عدد كبير من
السامعين لهذا الحزه من شيخ الإسلام وغيره من المشايخ.

وهذا حال المجالس العلمية التي يحضرها خواص أهل العلم، أما مجالس
الوعظ والإرشاد التي كانت تعقد له بدمشق ومصر فلا يمكن معرفة عدد
الحاضرين بها.

وكانت صحة شيخ الإسلام بأقرانه ومعارضيه قد أحدثت انفلاذا عطيا
في حياتهم العلمية والعملية فتحرك أصحابه لخدمة العلم والعقيدة حسبا خطط لهم
شيخ الإسلام، ولا يخفى صحة ابن القيم، والبرزالي، والمزى، والذهبي،
وابن كثير، وابن عبد الهادى وأمثالهم وآثارها البعيدة في خدمة الإسلام
والعقيدة والعلم.

وكان كل هؤلاء أئمة عصرهم، وجذبهم شخصية شيخ الإسلام العبقريّة
فأعجبوا بها الإعجاب كله، وتراقبوا معه طيلة حياته، وقد أغاضت هذه
الصحة الماركة التاج السكى الذي كان يعتبر من أعداء الدعوة السلفية التي
جددتها شيخ الإسلام وأصحابه فقال: واعلم أن هذه الصلحة أعنى المزى،
والذهبي، والبرزالي، وكثيراً من أتباعهم أضربهم أبو العباس ابن تيمية لإضراراً

ينا، وحلهم من عطاءم الأمور أمرا ليس هينا، وجرحهم إلى ما كان التباعد عنه أولى بهم، وأوقعهم في دكادك من نار، المرجو من الله أن يتجاوزها لهم ولاصحابهم.

هذه هي نظرة السبكي الذي لم يكن يتوقع منه أفضل من تلك، أما الحقيقة الحقة، والاهمية الكبرى لأصحاب شيخ الإسلام تتجلى في كلام خبير من أصحابه الذي طاف البلاد، واطلع على أحوال الأمة الإسلامية التي وقعت فريسة للشرك والكفر، والبعد والضلال، بما لا تقره الشريعة الإسلامية السمحاء بحال من الأحوال.

وهو العلامة الإمام الشيخ عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن الواسطي، المعروف بابن شيخ الحزاميين (ت ٥٧١١ هـ)

فقد كتب رسالة وبحث بها إلى جماعة من أصحاب شيخ الإسلام، وأوصاهم فيها بلارمة الشيخ، وحثهم على اتباع طريقته، وأثنى فيها عليه ثناء عاليا فقال فيه مخاطبا لأصحاب شيخ الإسلام:

واعلموا - أيديكم الله - أنه يحب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى في هذا العصر حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء في الحيوان الأسود، لكن من لم يسافر إلى الأقطار، ولم يتعرف أحوال الناس، لا يدري قدر ما هو فيه من العافية، فأنتم إن شاء الله تعالى في حق هذه الأمة الأولى كما قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: ١١٠) وكما قال تعالى: ﴿الدين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر وفيه عافية الأمور﴾ (الحج ٤١).

أصبحتم إخواني تحت سنجق^(١) رسول الله ﷺ إن شاء الله تعالى ، مع شيخكم وإمامكم ، وشيخنا وإمامنا المدعو بذكره رضى الله عنه ، قد تميّزتم من جميع أهل الارض ، فقهاؤها وفقرائها ، وصوفيتها ، وعوامها : بالدين الصحيح ، وقد عرفتم ما أحدث الناس من الأحداث ، فى الفقهاء ، و الفقراء ، والصوفية ، والعوام . فأنتم اليوم فى مقابلة الجهمية من الفقهاء ، فصرتم الله ورسوله فى حفظ ما أصاعوه من دين الله ، تصالحون ما أفسدوه من تعطيل صفات الله

وأنتم أيضا فى مقابلة من لم يمتد فى علمه من الفقهاء إلى رسول الله ﷺ ووجد على مجرد تقليد الأئمة ، فأنكم قد نصرتم الله ورسوله فى تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة ، واتخاذ أقوال الأئمة ، تأسيساً بهم ، لا تقليدا لهم .

وأنتم أيضا فى مقابلة ما أحدثته أنواع الفقهاء من الأحدية^(٢) والحريرية^(٣) من إظهار شعار المكاء ، والتصدية ، ومؤاحاة النساء والصبيان ، والإعراض عن دين الله إلى خرافات مذبذوبة عن مشايخهم ، واستنادهم إلى شيوخهم ، وتقليدهم فى صائب حركاتهم وخطبها ، وإعراضهم عن دين الله الذى أنزله من السماء ، فأنتم بحمد الله تحاهدون هذا الصنف أيضا كما تحاهدون من سبق .

حفظتم من دين الله ما أصاعوه ، وعرفتم ما جهلوه ، تقومون من الدين ماعرحوه ، وتصلحون ما أفسدوه

وأنتم أيضا فى مقابلة رسمية الصوفية ، والفقهاء ، وما أحدثوه من الرسوم الوضعية ، والأصار الابتداعية ، من التصنع باللباس ، والاطراق ، والسجادة ،

(١) أى تحت لوائه ورايته .

(٢) أتباع أحمد الراعى الطائفى ، وسموا أيضا « البطائحية »

(٣) فرقة صوفية .

ليل الرزق من المعلوم ، ولبس البقيار^(١)، والاكام الواسعة في حضرة الدرس ، وتنميق الكلام ، والمعدور بين يدي المدرس راكعين حفظاً للناصب واستحلاباً للرزق والادرار .

لحفظ هؤلاء في عبادة الله غيره ، وتألهوا سواء ، ففسدت قلوبهم من حيث لا يشعرون ، يحتمعون لغير الله بل للمعلوم ، ويلبسون للمعلوم وكذلك في أغلب حركاتهم يراعون ولادة المعلوم ، فصنعوا كثيراً من دين الله ، وأماتوه ، وحفظتم أنتم ما ضيعوه ، وقومتم ما عوجوه .

وكذلك أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء ، والصوفية من قولهم بالحلول والاتحاد ، وتأله المخلوقات ، كاليونانية ، والعربية والصدرية ، والسبعينية ، والتلهسانيه ، فكل هؤلاء بدلوا دين الله تعالى وقلوبه ، وأعرضوا عن شريعة رسول الله ﷺ .

فاليونانية يتألهون شيخهم ، ويحملونه مطهراً للحق ، ويستهنون بالمعادات ، ويظهرون بالعرصة والصلوة ، والسماهة والمحالات ، لما قر في بواطنهم من الحيات الماسدة ، وقتلهم الشيخ يوس ، ورسول الله ﷺ والقرآن المجيد عنهم نمرل ، يؤمنون به بالاستتم ، ويكفرون به بأفعالهم .

وكذلك الاتحادية ، يحملون الوجود مطهراً للحق باعتبار أن لا متحرك في الكون سواء ، ولا ناطق في الأشخاص غيره وفيهم من لا يفرق بين الظاهر والمظهر ، فيجعل الأمر كروح البحر ، فلا يفرق بين عين الموجة ، وبين عين الحر ، حتى أن أحدهم يتوهم أنه الله فينطق على لسانه ، ثم يعمل ما أراد من المواش والمعاصى ، لأنه يعتقد ارتفاع الثنوية ، فمن العابد ؟ ومن المعبود ؟ صار الكل واحد

(١) البقيار ، والبقيرة : برد يشق فيلبس بلاكين ولا جيب (لسان العرب ٧٤/٤)

اجتمعنا بهذا الصنف فى الربط ، والزوايا .
 فأنتم بحمد الله قائمون فى وجه هؤلاء أيضا تنصرون الله ، ورسوله ،
 وتذبون عن دينه ، وتعلمون على إصلاح ما أفسدوا ، وعلى تقويم ما عوجوا ،
 فإن هؤلاء يحوا رسم الدين ، وقلعوا أثره ، فلا يقال : أفسدوا ، ولا عوجوا ،
 بل بالغوا فى هدم الدين ، وحو أثره ، ولا قرينة أفضل عند الله من القيام بحماد
 هؤلاء بمهما أمكن ، وتبيين مذاهبهم للنخاص والعام ، وكذلك جهاد كل من ألد
 فى دين الله ، وراغ عن حدوده ، وشريعته كأنما فى ذلك ما كان من فتنة وقول
 كما قيل :

إذا رضى الحبيب فلا أبالى أقام الحى أم جد الرحيل
 وبالله المستعان .

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون بجهاد الأمراء والأجناد ، تصلحون
 ما أفسدوا من المظالم ، والإجحافات ، وسوء السيرة الباشئة عن الجمل بدين الله ،
 بما أمكن ، وذلك لبعء العهد عن رسول الله ﷺ ، لأن اليوم له سبعمائة سنة ،
 فأنتم بحمد الله تحددون ما دثر من ذلك واندثر .

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون فى وجوه العامة ، بما أحدثوا من تعظيم
 الميلاد ، والقلندس ، وحميس البيض ، والشعائين ، وتقبيل القبور ، والأحجار ،
 والنوسل عدها ، ومعلوم أن ذلك كله من شعائر الصارى ، والجاهلية ، وإنما
 بعث رسول الله ﷺ ليوحيد الله ويعبد الله وحده ، ولا ياله معه شىء من
 مخلوقاته بعثه الله تعالى ماسخا لجميع الشرائع ، والأديان ، والأعياد .
 فأنتم بحمد الله قائمون بإصلاح ما أفسد الناس من ذلك .

وقائمون فى وجوه من ينصر هذه البدع من مارقى الفقهاء ، أهل الكيد
 والضرار لأولياء الله ، أهل المقاصد الفاسدة ، والقلوب التى هى عن نصر الحق حائدة .

ولإنما أعرض هذا الضعيف عن ذكر قيامكم في وجوه التبر، والنصارى، واليهود، والرافضة، والمعتزلة، والقدرية وأصناف أهل البدع، والضلالات لأن الناس متفقون على ذمهم، يزعمون أنهم قائمون ببرد بدعتهم، ولا يقومون بتوفية حق الرد عليهم، كما تقومون، بل يعلون، ويجبنون عن اللقاء، فلا يجاهدون، وتأخذهم في الله اللاتمة، لحفظ مناصبهم، وإبقاء على أعراسهم.

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين الله في وجوه مثل هؤلاء - حق القيام - سواكم، فأنتم القائمون في وجوه هؤلاء إن شاء الله، بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا - أيدى الله - حق القيام بخلاف من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك.

فصراً يا إخواني على ما أقامكم الله فيه، من نصرة دينه، وتقويم اعوجاجه، وخذلان أعدائه، واستعينوا بالله، ولا تأخذكم لومة لائم، وإنما هي أيام قلائل، والدين منصور، قد تولى الله إقامته ونصره، ونصرة من قام به من أوليائه، إن شاء الله، ظاهراً وباطناً^(١).

وهؤلاء هم أصحاب شيخ الإسلام الذين قاموا بخدمة كتاب الله وسنة رسوله بشرحهما وتفسيرهما تفسيراً يوافق منهج السلف، من الصحابة والتابعين، وكان على منهجهم كل من انحرف في سلك هذه المدرسة المباركة.

وأما ما يتعلق بخدمة الحديث وعلومه فهذا جانب مهم للغاية حيث كان للنشاط في بلاد الإسلام في أواخر القرن السابع، وفي القرن الثامن بوجود شيخ الإسلام، وأصحابه.

فهذا المزي أحد أئمة عصره، وأبرز أصحاب شيخ الإسلام الذي يعتبر

كتابه «تحفة الاشراف بمعرفة أطراف كتب السنة وذيولها» «وتهذيب الكمال في رجال الكتب الستة» أجس خدمة لدواوين الاسلام الستة، ورجالها، وطرقها، وأطرافها، وكل من جاء بعده كان عالة على الكتابين.

وهذا الذهبي الذي «للا» المكتبة الاسلامية بمؤلفاته في: التاريخ، والرجال، والسير، التي صارت عمدة لمن جاء بعده.

وهذا اس كثير الذي خدم كتاب الله تفسيره القيم الذي يعتبر من أحسن التفسير بالاثر، وكتابه «الداية والنهاية» أيضا يعتبر من أحسن الكتب المؤلفة في التاريخ الاسلامي، ومؤلفاته الأخرى في الحديث وعلومه أيضا له أهمية كبيرة كـ «جامع المسابيد» و «اختصار علوم الحديث»

وأما ابن القيم فعلاً الدنيا بالفكر السابق الذي عاش لأجله شيخ الاسلام، وذلك لأجله ما داق من الأعداء، وابتلى في سبيل ذلك فتعليقه على «مختصر سنن أبي داود للثوري» و «زاد المعاد في هدى حير العباد» وغيرها ملئته بشرح سنة الرسول حسب المنهج السابق العلمي الصحيح.

وهكذا تلاميذه الآخرون كاس عبد الهادي، وابن مفلح وغيرهم لهم خدمات جليلة في خدمة الحديث النبوي إلى جانب خدماتهم في أبواب أخرى من العلم - رحمة الله عليهم رحمة واسعة -.

ومع كثرة أصحابه، وتلاميذه، ومحبيه، وجيل خدماتهم لم أعلم أنه قد ألف فيهم أحد من المتقدمين والمتأخرين كتاباً إلا الامام الذهبي الذي ألف فيهم كتاباً، ذكره السخاوي في «الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» وأسماء: «القبان في أصحاب النبي ابن تيمية» (ص ٦٧٥)، وعنه ذكره الدكتور بشار عواد في كتابه: «الذهبي ومهجه في تاريخ الاسلام» (١٨١).

(يتبع)



١ - من آداب الحج



بقلم د / صالح بن غانم السدلان

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة ، الرياض

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا - أما بعد .

فإن للحج آدابا يتعين على المسلم الاهتمام بها وتعلمها وتطبيقها قولاً وعملاً وإليك بيان أهمها .

أولاً : الإخلاص : وهو شرط لصحة العمل قال الله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ .

فعليك أختي أن تهتم بهذا الأمر العظيم وتحذر مما يقع فيه بعض الناس من دعوة لغير الله أو قصد عرض من أعراض الدنيا أو قصد ثناء الناس ومدحهم وغير ذلك مما يبطل الحج أو ينقص ثوابه أو يقدح في كماله .

ثانياً : اختيار النفقة الطيبة الحلال قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾ وقال النبي ﷺ : (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً) .

ثالثاً : تعلم أهم أحكام الحج من واجبات ومسئوليات لتؤدي هذه العبادة على علم وبصيرة .

رابعاً : التوبة إلى الله جل وعلا والخروج من مظالم العباد قال الله تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَكْفِرَ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ .

خامساً : أداء حقوق العباد والتخلص منها من ودائع وأمانات وديون .

سادساً : تأمين نفقة حجبك ذهاباً وإياباً بحيث لا تحتاج إلى أحد فإنت من
حج و هو فقير يحتاج إلى ما في أيدي الناس فإنه غاطىء متأكل على ازواد
الناس وأمتعتهم .

سابعاً : اختيار الرفقة الصالحة الذين يمينونك على الحق و يهدونك بالخير
و يعلونك إن جهلت و يذكرونك إن نسيت .

ثامناً : تأمين نفقة عن تحت يدك من زوجة وأولاد ونحو ذلك تكفي لمدة غيابك
تاسعاً : لزوم الأدب المطلوب للحاج من خشوع وخضوع لله وإكثار لذكره
وحمده وتعظيمه سبحانه وتعالى .

عاشرًا : لزوم الأمور المشروعة بعد الإحرام كالتلبية عند بدايته وعند القيام
والقعود وعند النزول والصعود والاجتماع والتفرق وإقبال الليل والنهار
ونحو ذلك .

حادى عشر : اجتناب المنهيات صغيرها وكبيرها، قليلها وكثيرها قال الله تعالى :
﴿ الْحَجَّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَنَ فَرَضَ فِيهِنَ الْحَجَّ فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ
فِي الْحَجِّ ﴾ .

ثاني عشر : التعاون بين الرفقة بحيث يشترك الحاج مع رفقاته في أداء العمل
الذى يتعلق بالنزول والركوب وتهية المكان ونحو ذلك .

ثالث عشر: الحذر من أن يستخدم الإنسان رفقته في إصلاح أموره ، وشئونه وهو قادر على أن يقوم بنفسه بذلك .

رابع عشر: الحرص كل الحرص في اتباع النبي ﷺ في أداء المماسك من غير زيادة ولا نقصان قال عليه الصلاة والسلام: (خذوا عني ماسككم) وقال الله تعالى في حق نبينا محمد ﷺ. ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾
خامس عشر: التعاون مع المسئولين في مكة والمشاعر والمدينة المنورة وذلك بلزوم الآداب الشرعية واتباع الأنظمة المرعية كلزوم النظافة وآداب السير وآداب النزول واستخدام المياه ونحو ذلك .

هذه من أهم الأمور التي ينبغي للحاج أن يتحلى بها ويعنى بها، والله الموفق وحده والهادي إلى سواء السبيل .



أفضل الأعمال

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سئل النبي ﷺ أى العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور .

(متفق عليه)

٢ — سلامة الصدر من الأحقاد



الحمد لله الذى جعل المؤمنين إخوة يتعاونون بينهم على البر والتقوى ويحترم كل واحد منهم الآخر فى نفسه وماله وعرضه فكل المسلم على المسلم حرام . أحده سبحانه أحاط بكل شىء علما . وأشكره فهو على كل شىء شهيد أحاط علمه بالظاهر والخبى والقريب والبعيد . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد فهو الولى الحميد . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبى المجتبى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل البر والوفاء وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا أما بعد .

ويا جماعة المسلمين ! اتقوا الله تعالى واحترموا حقوق إخوانكم المسلمين وذبوا عن أعراضهم كما تدبون عن دماءهم وأموالهم .

عباد الله ! إن الاسلام يعتمد فى إصلاحه العام على تهذيب النفس الانسانية قبل كل شىء ، فهو يكرس جهودا ضخمة للتغافل فى أعماقها وغرس مبادئه فى جوهرها حتى تصبح جزءا منها .

عباد الله ! إن ما يتصف به الناس من الأخلاق على وجهين : أخلاق فاضلة شريفة حث الدين عليها وأمر بها . وأخلاق رذيلة سافلة حذر عنها ونهى عنها ، ألا ، وإن من الأخلاق الفاضلة « سلامة الصدر من الأحقاد » فليس أروح للروح ولا أطرد لعمومه ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب مبرا من وساوس الضغينة وثوران الأحقاد . إذا رأى نعمة تساق إلى أحد رضى بها وأحسن فضل الله فيها وذكر قول رسول الله ﷺ اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك

وحبك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر . من أبي داود .

وإذا رأى أذى يلحق أحدا من خلق الله رضى الله ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه وبذلك يحيا الفرد المسلم ناصع الصفحة راضيا عن الله ثم عن الحياة مستريح النفس من نزعات الحقد الاعمى ، لأن فساد القلب بالاضغاث داء عياء والقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة ويطمس بهجتها ويعكر صورها .

أما القلب المشرق فإن الله تعالى يباركه وهو إليه بكل خير أسرع . روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو قيل : يا رسول الله ! أى الناس أفصل ؟ قال : كل يخوم القلب صدوق اللسان : قيل : صدوق اللسان نعرفه فما يخوم القلب ؟ قال : هو التقي التقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ،

ومن ثم كانت الجماعة المسلمة حقا هي التي تقوم على عواطف الحب المشترك والود الشائع والتعاون المتبادل قال تعالى : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم ﴾ الآية .

وإذا كان البشر متفاوتون في أمزجتهم وأهمامهم فإن التفاهم في ميادين الحياة قد يتولد عنه صيق وانحراف ، لذلك شرع الاسلام ما يرد عن المسلمين عراذى الانقسام والفتنة وما يؤلف قلوبهم على مشاعر الولاء والمودة فنهى عن التقاطع والتدابير نعم ، قد يحدث أن نشعر باساءة موجهة إليك فتحزن لها ونضيق بها ونعزم على قطع صاحبها ولكن النبي ﷺ يحذرك أن تنتهى الصلة بينك وبين أخيك إلى هذا المصير . روى البخارى في صحيحه بسنده أن النبي ﷺ قال : لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباعدوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث .

إن الاسلام يحارب الأحقاد ويحذر من التباعد والتباغض ويرتقى بالجموع

المؤمن الى مستوى رفيع من الصداقات المتبادلة أو المعاملات العادلة ولزام على المسلم أن يواصل لإخوانه وأن يعود معهم سيرته الأولى ولا يكن من أولئك الذين يحتسب الغل في أفئدتهم ولا يستريحون إلا إذا آذوا وأفسدوا.

عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

« ألا أنبئكم بشراركم ، قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله قال إن شراركم الذى ينزل وحده ويحجب عبده ويمنع رفقده أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله قال : من يبغض الناس ويبغضونه قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله قال : الذين لا يقولون عثرة ولا يقولون معذرة ولا ينفرون ذنباً قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : من لا يرحى خيره ولا يؤمن شره » رواه الطبراني .

وهناك ردائل رهب الاسلام منها وهى على اختلاف مظاهرها تعود إلى علة واحدة هى الحقد فالافتراء على الأبرياء جريمة يدفع إليها الكره الشديد ولما كان أثرها شديداً في تشويه الحقائق عدها الاسلام من أقبح الزور روت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه :

أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قالوا . الله ورسوله أعلم ! قال : فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ والذين يؤدون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ .

إن سلامة الصدر تفرض على المؤمنين أن يتمنى الخير للناس إن عمر عمر لإيصاله إليهم يده . أما الذى لا يحمد بالناس سترًا فينتحلله لم احتحالا ويرور عليهم تزويراً فهو معرض نفسه للعذاب فى الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة وأ »

بعلم وأنتم لا تعلمون) ولا يليق بمسلم أن يتشفي بالتشنيع على أخيه المسلم والتشويش عليه . فصاحب الصدر السليم يأسى لآلام العباد ويتمنى لهم العافية أما التلهى بسرد الفضائح وكشف الستور وإبداء العورات فليس ذلك من خلق المسلم . ومن ثم حرم الاسلام الغيبة إذ هي متنفس حقد مكظوم وصدر فقير إلى الرحمة والصفاء .

روى مسلم عن أنى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : ذكرت أخاك بما بكره ، قيل : أرايت إن كان في أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبه وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته .

قال تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم قلت : من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم . فعلى المسلم أن يحفظ الحرمات ويستتر العورات ويفغر الزلات قال رسول الله ﷺ : « من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة .

ومن سلامة الصدر أيضا أن لا يكون المؤمن ثنائرا بفصم عرى المودة بين الناس ويقطع وشائج المحبة بينهم وقد كان النبي ﷺ ينهى أن يبلغ عن أصحابه ما يسؤوه قال : « لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فأنا أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر . وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة نمام » .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .



فتاوى دينية

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإفتاء بالرياض

❁ ترك الصلاة كفر ❁

❖ انا متزوج منذ حوالي عشر سنوات ولكن زوجتي لا تهتم بأداء الصلاة ، وأحيانا تضيعها وتتركها ، وأحيانا إذا سألتها : هل صليت فرض كذا؟ تجيب نعم وإذا تقصيت حقيقة الأمر أجد عكس ذلك . . وكثيرا ما يحصل بيني وبينها شجار و كلام بسبب الصلاة وخاصة صلاتي العشاء والعجر وكذلك الحال بالنسبة لصيام رمضان ، وإذا بقي عليها أيام من رمضان فإنها لا تفضيها وإن فعلت فبشق الأنف وأعاني معها كثيرا من الصعاب والمشاكل بسبب الأمور التي تتعلق بأمور الدين . . وإذا دعوتها لأعلمها شيئا من القرآن لا تستجيب لذلك علما أنها تعرف شيئا من القرآن ، والسؤال هو
ما حكم البقاء والعيش معها والحالة هذه . . علما أن لدى منها سنة (٦) أطفال أرجو إفاذتي عن ذلك سائلا الله لكم التوفيق ، والسلام .

(ع . د . ح جيزان — مزهرة)

الجواب :

● إذا كان حال زوجتك ما ذكرت من تهاونها بالصلاة وعدم محافظتها عليها رغم نصيحتك لها واجتهادك في توجيهها إلى الخير فالواجب عليك فراها لأن من ترك الصلاة من الرجال أو النساء كفر كفرا أكبر وإن لم يحدد وجوبها في أصح قول العلماء لقول النبي ﷺ « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » أخرجه الامام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح ولا حادوث أخرى وردت في ذلك .

ونسأل الله أن يهديها وأن يمن عليها بالتوبة أو يعطيك خيرا منها إنه

خير مسؤول .

الجهاد هو الحل الوحيد لقضية أفغانستان

الشيخ جميل الرحمن

أمير جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة في أفغانستان

(١)

إن سبب هجرة مسلمي أفغانستان ليس من خوف القتل والتشريد فحسب ، بل هناك سبب آخر هو اختلاف المعتقدات والعقائد ، عقيدة الإسلام ونظرية ماركس ، بل السبب الرئيسى لهجرتهم هو عدم التحكيم بقوانين الإسلام وإجبار الناس على قبول نظرية الشيوعية فكانت الشيوعية تطبق على المسلمين قوانين الماركسية فإذا كان هجرتنا لأجل العقيدة والإسلام ..

فالحل الوحيد لقضية أفغانستان نفاذ الإسلام وليس الحل هو السياسة كما تدعى كثير من الدول الكافرة (والكفر ملة واحدة) والدولة المشتركة للمجاهدين والشيوعية الفاشية .

لذلك نقول بقول فصل على أنه إذا أجمع جميع العالم على حل القضية من غير طريق الإسلام ، فهو حل سياسى مستهدف من أعداء الإسلام — وليس فى حق المجاهدين والإسلام الذى لأجله تركوا بلادهم ويضحون بأنفسهم .

إذا كان المسلمون فى أفغانستان لا يعيشون تحت ضغط ربيبة الروس فكيف تحت ربيبة العالم الكافر وهذا شيء لا يمكن أن يسلم المجاهدين . فقل هذا الحل

تريده دولة باكستان ولكن ليس له أى علاقة بالعوام الأفغان . نحن ضيوف باكستان وإذا أرادت تطردنا من بلادها فسوف نخرج بدون أى تدخل .

نحن نرفض الحل السياسى لهذه القضية ، لأن الجهاد فرض دينى .

نحن لا نضع أسلحتنا حتى يكون الدين كله لله ، لا يمكن نفاذ الإسلام فى أفغانستان ، الحل السياسى الذى تريده حكومة أفغانستان . بل بتنفيذ الأحكام الدينية فيها ، بالجهاد فان التاريخ الإسلامى وخاصة القرن الأول شاهد على أن الجهاد هو الحل الوحيد لماذ الإسلام وهو طريق نفاذ الدين إلى يوم القيامة . ونحن ما بدأنا الجهاد بإشارة باكستان أو دول أخرى ، فكذاك لا نضع أسلحتنا بإشارة هؤلاء . فاتنا توكنا على الله وحسبنا الله .

فالذى له أدنى إيمان فى قلبه لا يصع أسلحته عن الجهاد حتى تضع الحرب أوزارها ، فان الحلول السياسية يمكن أن تؤثر على هجرتنا ولكن لا تمنعنا عن الجهاد هذا لا يمكن أبدا .

والكلمة الأخيرة فى هذا الباب إما لانزال نجاهد حتى تحكم البلاد بالكتاب والسنة .

﴿ ٢ ﴾

ننذ ما أفاده الشيخ جميل الرحمن « أمير جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة أفغانستان »

مع مجلة (دعوت) الأردنية حول قضية الجهاد فى أفغانستان

أفاد الشيخ جميل الرحمن لإجابة عن سؤال يتعلق بأهداف الجماعة .

الهدف الوحيد وغرضها الأساسى هو الدعوة إلى الله فى ضوء الكتاب والسنة اسعادة البشرية فى الدارين ونجاتها من المشاكل والخسائر الحاصل من الجهل والبعد من دين الله .

وقال فضيلة الشيخ عن تأسيس هذه الجماعة : أنها أسست قبل خمسة

الجهاد هو الحل الوحيد

شرين سنة في عهد ملك طاهر شاه وأضاف قائلاً من عدد المشتركين في
المطمة على عددها يفوق نصف مليون، حيث بلغ عدد الطلاب في مدارس
القائمة على الكتاب والسنة أكثر من خمسة عشر ألف طالب، كما بلغ
المجاهدين في شتى الجبهات، الذين يواصلون الجهاد ليلاً ونهاراً بالتناوب
م، وعلى أهم مجاهدين في أغلب الولايات مع القلة الوسائل المادية: العدة والأسلحة.

وأضاف قائلاً عن السؤال: في الحقيقة أن الفوز والنصر الذي يحصل
تاهدين الأفغان هو النصر من الله سبحانه وتعالى، أما مساعي وجهود جميع الجماعات
شتركة في الجهاد، فلو ادعت أى جماعة على أنها حاصلة منها وحدها دون غيرها
ادعاء محض لا أصل له.

كما أشار إلى عقيدة هذه الجماعة وأضاف: إن الدين الصحيح هو ما
ت من الكتاب والسنة والإجماع، وكذلك يحب الرجوع في المسائل الخلافية
الكتاب والسنة لا إلى قول أحد، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في
فردوه إلى الله والرسول الآية﴾.

وعقيدة هذه الجماعة عقيدة السلف الصالح في الأسماء والصفات وتوحيد
الوهمية والعبادة، بعيدة عن عقيدة المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، كما لا بد من
كية النفس، وتطهير القلوب وذلك كله بالاذكار والأوراد المأثورة من النقل
صحيح، لا كما ابتدعت المتصوفة طرقاً واذكاراً لتزكية القلوب، فإن ذلك دجل
دس في الدين الإسلامى وإن كان صاحبه يدعى المشى على الماء والطيران في
لواء. هذه معتقداتنا وفهمنا للدين الصحيح في ضوء الكتاب والسنة وأفاد
لنسة الحكومة المرحومة عند الجماعة: تأبى الجماعة أن تقلل إلا الحكومة الإسلامية
الصلة التي تكون وسيلة لاستمرار الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
أن يكون الجهاد جارياً إلى يوم القيامة... ومن الله التوفيق.



الخمينيون ينفذون وصية يزددجرد ويحاولون اغتيال الإسلام في عقر داره

وزير الخارجية الإيراني وزعماء الانقلاب يهددون المسلمين والحجيج مرة ثانية
المسلمون يثقون بالسعودية وينددون أعمال زعماء إيران الغوغائية

اعداد : أبو القاسم عبد العظيم
أستاذ العلوم العربية والدراسات الإسلامية
بالجامعة العالية العربية ، الهند
+++++

الجرائم الوحشية التي مارسها الإيرانيون في مكة المكرمة في حج العام
المنصرم سنة ١٤٠٧ هـ ، وما أعلن به وزير الخارجية الإيراني « على محمد البشارقي » ،
وما يتفوه به زعماء انقلاب إيران من أن عدد الحججاج الإيرانيين سوف
يكون أضما ما مضاعفة بالنسبة لحج العام الماضي ، وأنه لا حاجة لهم إلى تأشيرة
وإذن دخول من المملكة العربية السعودية ، كلها تكشف لمن يدقق النظر في
نصرفاتهم عن نوايا وحقائق تخفى على كثير من الناس .

إن هذه الجرائم الوحشية تؤكد أن الوازع الديني لا وجود له لدى كل
من شاركوا في الجرائم ، وفي الاعتداء على ضيوف الرحمن الآمين المظلّمين ؛
وذلك عندما استحلوا الدم الحرام في البلد الحرام ، وفي شهر الحرام ، ومارسوا
الغدر من أجل العدد ، وارتكبوا جرائم القتل من أجل القتل ، وقاموا بالتخريب
من أجل التخريب ، وجاءوا بقلوب مليئة بالغل ، مشحونة بالحقْد والكراهية

والبغضاء كما جاءوا بأدمغة مليئة بالأفكار السوداء التي ورثوها من ابن السوداء وورثة تعاليمه من الآيات والحجج والملاي والدجاجلة والمشعوذين وأكلة السحت من حمس جدهم (كوهين) .

جريمة لا يستقر بها التاريخ في الحقيقة من أناس بنوا لإسلامهم على دعائين هما: (الحب) و (البغض) فـ (الحب) إلى حد العداة لأشخاص لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا صراً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا شورا ، ويسمون هؤلاء الأشخاص : (أهل البيت) مع ما بينهم من اختلاف شديد في تعريف هذا البيت ، ومن يشملهم عليه ، ومن ينتسبون إليه ، .

وأما (البغض) فهو ما يوصل إلى حد الكفر لأشخاص . رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وشرفهم بصحبة نبيه ﷺ ، فأثبتوا جدارتهم بهذه الصحبة ، وأظهروا أهليتهم بحمل رسالة الاسلام وحفظ ما أمهم عليه رسول الهدى من كتاب الله وسنة رسوله .

إن هؤلاء الادغاة وأذئاب القرامطة الذين حادوا متسترين بلباس الحج ، ملين دلبليك يا خني ، جاءوا ليمزقوا الاسلام من داخله ، ويقاقلوه في عقرداره ، جاءوا لينفذوا وصية جدهم الأكبر (يردجرد) اللعين ، وصية قال فيها عند ما عقد آخر مؤتمر في «هاوند» (أشغلوا عمر بن الخطاب في بلاده وفي عقرداره) حيث لا يزال الصراع دائرا على أشده بين عمر ويزدجرد ، وبين العرب والعجم ، وبين الاسلام والمجوسية منذ عصر الخلافة الراشدة وحتى الآن .

فهم نموذج حي لكل من ابتلى الاسلام باتسابهم إليه ، فكانوا وبالا عليه وعلى جميع المسلمين في جميع أدار التاريخ . يحملون أسماء إسلامية ، وتنطوي جوانحهم على قلوب يهودية ، وتخفي عمامهم رؤسا نخرة ، وعبآتهم نفوسا فذرة .

يهدمون الاسلام باسم الاسلام .
ويبتكون الحرمات باسم الاسلام .
ويمرقون المسلمين باسم الاسلام
ويمدون أيدي الصداقة إلى أعدائهم باسم الاسلام .
ويدمرون المقدسات باسم الاسلام .
ويحاربونها في السر والعانية باسم الاسلام .
ويستحلون دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم باسم الاسلام .
ويطعنون في القرآن باسم الاسلام .
ويلعنون أمهات المؤمنين بالاسلام .
ويكفرون الصحابة رضوان الله عليهم باسم الاسلام .
ويطلقون على أمة محمد - رسول الهدى - صلوات الله وسلامه عليه .
اسم الأمة الملعونة باسم الاسلام .
ويصفون رب العزة بما لا يليق بجلاله وعزته باسم الاسلام .
وينفذون تعاليم كهنتهم وبأبوانهم باسم الاسلام .
فلا أدري . والله أى شيء هو الكفر إذا كانوا ما يتلبسون به من جرائم
وعقائد وممارسات هو الاسلام ؟؟
إن هذه الجرائم الوحشية ليست إلا امتدادا لحركة القرامطة في القرون
الاولى ، وإن هذه الاعلانات والدعاوى ماهي إلا تهديدا للمسلمين وتحديا لهم
وتحويما للحجيج وإرهابا وترويعا لهم ، ومنعا عن حج بيت الله الحرام .
لذا ، فمن واجب الإخلاص لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم
والاسلام الذي ندين الله به يجب علينا أن نتخذ لإسلامنا المظلوم من إسلامهم

المرعوم ، وأن تسلمت الأضواء على الدورا المظلمة في عقائدهم المنطرفة على الإسلام .
وأنا إذ اكتب هذه السطور اجزم بأن ما فعلته المملكة العربية السعودية ردا
على ممارسات الحجاج الإيرانيين إنه لحق وصواب .

وأن المسلمين مطمئنون جد اطمئنان بهذا الرد .
وأنهم معتمدون واتقون بأن المملكة سوف تحمد . إن شاء الله ، وبإوفيق
من الله . كل نار تأججت . وكل فتنة ثارت على أرضها ، وخاصة على الأراضي
المقدسة .

كما أعتقد بأن الفتاوى التي صدرت في جميع البلاد الإسلامية من أقصاها
إلى أقصاها بمنع هؤلاء الأوباش من دخول الأماكن المقدسة .

وأن البرقيات والاستنكارات التي أرسلت وحملت إلى خادم الحرمين الشريفين
الملك (فهد بن عبد العزيز) . حفظه الله وإلى المسؤولين من العلماء والوزراء والحكام ،
وأن الندوات المؤتمرات التي انعقدت في سائر الأقطار الإسلامية .

وأن المحاصرات والخطب التي ألقيت في الجوامع والوادي والمحافل والمحاسن ،
وأن المقالات والموضوعات التي نشرت في المجلات والصحف والإذاعات ،
وأن الرسائل والكتب التي وزعت من قبل الأفراد والهيئات والمؤسسات
ومن قبل الجماعات والجمعيات والشركات .

وأن الألسنة التي تكلمت فيها . والعيون التي انصرفت عنها ، والقلوب التي
كرهتها ، ليست هذه كلها إلا مساندة وتأييدا للمملكة العربية السعودية ، ووقفا
بجانبيها ، وانطلاقا من ذلك الواجب الديني ، واستنادا إلى قول الله عز وجل :
(يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بهــد
عامهم هذا) ...

وهؤلاء والله مشركون ، لا شك في ذلك ولا ريب . انهم لا يعبدون الله وحده ، بل يشركون معه (على بن أبي طالب) رضى الله عنه . وذريته ، وما يسمونه بـ (العتبات المقدسة) في (النجف) (وكربلا) و (قم) أكبر شاهد على ذلك .

ولذا يجب علينا — نحن المسلمين — استئصال مذهبهم الهدام بمجاهدة من يتزعمونهم من العلماء السوء وعملاء الشيطان وأكلة السحت بكل طاقاتنا وقدراتنا من سلاح القلم واللسان وغيرهما . واضعين نصب أعيننا قوله تعالى : ﴿ اتخشونهم ؟ فاقه أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ وقوله : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه ، فلا تخافوهم ، وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقوله عليه السلام : ومن خاف أحدا غير الله سلطه الله عليه ، وصلى الله على نبيينا محمد وآله وصحبه وسلم .

(حرر في ١٣/٤/١٤٠٨ هـ)



صوت الأمة

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف والترجمة ، بنارس

ذو الحجة ، محرم ١٤٠٩ هـ

المجلد الأول

أغسطس ، سبتمبر ١٩٨٨ م

العدد السادس والسابع

★ عنوان المراسلة : رئيس تحرير صوت الأمة ، بي ١٨/١ جي ، ريوزى تالاب
بنارس ، الهند

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوزى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B 18/1 G 2, REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوي } في الهند ٤٢ روبية ، في الخارج ٣٠ دولارا (بالبريد الجوي)
١٠ دولارات (بالبريد العادي)
ثمن النسخة ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٦٣٥٧٧

© المنشور لا يسبر إلا من رأى كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

لجالة تسهيف

- ◆ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكري ، والتعصب المذهبي ، وتبلغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .
 - ◆ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادئ الهدامة ، وصلال الزينغ والاحاد ، وسائر المكرات ، بأسلوب على رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما في نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .
 - ◆ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الدود عن الاسلام وقيمه ، في تعمق ووعي وجراة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .
 - ◆ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعي الاسلامي في الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام في معركة اللسان والقلم ، وتصير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .
 - ◆ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين في الهدى ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطاة .
 - ◆ التوجيه الديني السليم للمسلمين في القضايا الراهة ، والمشاكل اللاحقة ، حتى يتمكنوا من المضى في طريقةهم على هدى وبصيرة .
- واقه هو المستول أن يهديا إلى سبيل الرشاد ؟

عن الحركة الوهابية

د . مقتدى حسن الأزهرى

دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى كثرت حولها الدراسات والمناقشات ، ولا تزال البحوث تطهر حيناً بعد آخر تتناول ناحية من نواحي الدعوة ، وتبين مذهبها وأصولها ، وتبرز الآثار التي ترتبت عليها . ومحانب هذه الدراسات الموضوعية والبحوث الهادفة هناك كتابات سلك أصحابها مسلك الافتراء والبهت ، فرموا الدعوة وأصحابها بأفبح الصفات وأشنع الأعمال ، حملهم على ذلك الحقد والعداء ، وزين لهم الشيطان التحريف والتليس ، وهذه المواقف المتعارضة ليست غريبة بالنسبة إلى الدعوات والحركات ، بل دائماً تختلف الآراء حولها ، وخاصة إذا كانت الدعوة حققة وأصحابها محمدين .

وبما أن النشاط الديني للدعوة قد تزامن نشاطها السياسي فإن المعارضين كثروا ، وعنادهم اشتد ، وجهودهم تنوعت ، ولكنها في النهاية فشلت .

ولأحدى صور هذا الفشل تعرضنا علينا رسالة (الوهابيون والحجاز) . من تأليف العلامة السيد محمد رشيد رضا منشورة بمجلة « المنار » وأحد أركان النهضة العلمية الحديثة التي مهدت للسلفية في البلاد العربية وعملت على نشرها . وهذه الرسالة عبارة عن مجموعة مقالات نشرت في مجلة « المنار » وجريدة « الأهرام » القاهريتين .

وموضوع الرسالة هو إلقاء ضوء على بعض مآثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله ، وتصوير ما وقع بين الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - الشريف حسين من الأحداث حول السيطرة على الحجاز ، وتصويب من كان منهما على الصواب .

يقول عن الإصلاح الذي تحقق بدعوة شيخ الإسلام في نجد :

« وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجدد الإسلام في بلاد نجد بإرجاع أهله عن الشرك والبسوع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية » .

ويصور المطاعن والنهم التي وجهت إلى الدعوة فيقول :

« ذلك بأن أمراء مكة الممسدين في الأرض ، الملمحين في الحرم ، قد تصدوا لمقاومة دعوة الإصلاح والتجديد الوهابية من بدء ظهورها ، فأذاعوا في العالم الإسلامي كله أنها دعوة كفر وابتداع وعداوة للمسلمين والإسلام » .

وأمرام مكة قاموا بتحريض الدولة العثمانية على قتال آل سعود ، فاستعانت على ذلك بالدولة المصرية العلوية الجديدة ، يقول العلامة رشيد رضا :

« أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل لاغتقادها أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل ما لهم من السلطان في جزيرة العرب ويتبع ذلك هدم الخلافة التركية » .

وكان أمير مكة حسين بن علي مسرفاً في الطعن على دين الوهابية وفي عداوة آل سعود ، وكان الانجليز يساعدونه في هذا الموقف ، ولذا زحف السلطان عبد العزيز آل سعود على الحجاز وانقذه من هذا الطاغوت الذي لقب نفسه بالمتقذ ومن أولاده الممسدين . وهذا الوضع كان أحد الأسباب التي حملت على تأليف رسالة (الوهابيون والحجاز) يقول السيد رشيد رضا :

« فرأينا أن من الواجب علينا أن نبين لهم (للاس) ما اعتدنا من العلم

بدلك فأنفسنا بضع مقالات كان لها من حسن الواقع والتأثير ووقوف الجماهير على أمر الوهابية فوق ما كان ينتظر ، فعلموا أن هؤلاء النجديين المبوذيين بلقب الوهابية- سنيون. متمسكون بمذهب السلف في العقائد وبمذهب الامام أحمد بن حنبل في الفروع ، وانهم أشد شعوب المسلمين في هذا العصر اتبعا ، وأبعدهم عن الابتداع وارتكاب المعاصي ، ولهذا كان نصر الله تعالى لسلطانهم على الشرفاء عطيا . ومع تحقق نصر الله تعالى للدعوة والقائمين بها استمرت العداوة ضدهم ، يشير إلى ذلك رشيد مينا سبيه فيقول :

« على أنه لا يزال للوهابية خصوم من أهل البدع والخرافات ، ومن المهمكين في المعاصي والشهوات في مدن الحجاز ، لأن حكومتهم منعت النوعين كليهما . ومهما أرجف المرجفون وطعن الطاعنون في الوهابيين وأعمالهم الإصلاحية ومواقفهم العادلة فان هناك نصروا في كتب التاريخ تشهد بأن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد أحدثت آثارا طيبة في المجتمع وأن السلطان عبد العزيز كان في زحفه على الحجاز منصورا مؤيدا من الله . أثبت السيد رشيد رضا بهذا الصدد شهادتين عادلتين ، أولاهما للتورخ الشيخ عبد الرحمن الحبرتي يقول في تاريخه نقلا عن بعض أكابر رجال جيش محمد علي باشا الذين قاتلوا الوهابية في الحجاز ، وهذا النص يبرز الفرق الذي كان بين القوة المصرية والقوة السجدية ، يقول :

« أين لنا بالنصر وأكثر عما كرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا يتحل مذهباً ، ومحبتنا صناديق المسكرات ، ولا يسمع في عرضنا أذان ، ولا تقام فيه فريضة ، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين . والقوم (يعني الوهابية) إذا دخل الوقت أذن المؤذنون ، ويتنظمون صفوفاً خلف إمام واحد بعشوع وخضوع ، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذنون وصلوا صلاة التهوف ، ويناديون في معسكرهم : هلوا إلى حرب المهركين المحلقين

الذقون ، والمستيحيين الزنا والواط ، الشاربين الخمر ، التاركين للصلاة
الآكلين الربا .

والشهادة الثانية من كتاب (الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى)
للعلامة الشيخ أحمد السامري السلاوي يحكى عن العاسيين الذين حجوا في ذلك
الوقت ، وذكروا انطباعهم من الحجاز :

«أنهم ما رأوا من ذلك السلطان (يعنى ابن سعود) ما يخالف ما عرفوه
من طاهر الشريعة ، وانما شاهدوا منه ومن أتباعه ما به الاستقامة والقيام
بشعائر الإسلام من صلاه وطهارة وصيام ، ونهى عن المنكرم الحرام وتقية
الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام ، التى كانت تفعل بهما جهادا من
غير تكبر . وذكروا أن حاله كحال آحاد الناس ، لا يتميز عن غيره بزي
ولامركوب ولا لباس ،

وتمهيد للمقالة الثانية ذكر السيد رشيد رضا طريقته في الكتابة ، وصرح بأنه لم يهدف
إلا إلى بيان الحق وأداء المصح الواجب للأمة الإسلامية وللشعب العربى ، ثم إنه
أبدى استعدادة للناقشة وللرحوع عن موقفه إذا ثبت أنه جانب الصواب ،
وهكذا شأن العلماء والباحثين المخلصين .

ثم إنه ذكر فى هذه المقالة الأسباب العامة التى دعت الى زحف الوهابيين
على الحجاز وأوصلها الى عشرة أسباب .

وفى السبب الأول بين موالاة شريف مكة حسين بن على وأولاده للدولة
البريطانية وحملاتها فى الحرب الأخيرة ونصرهم لإياها على الدولة العثمانية فى
فتح البلاد العربية ، وأنه كان يهىء الدولة البريطانية كلها فتمت مدينة من
أحصار الإسلام وعواصم الحضارة العربية كالقدس الشريف وبغداد ودمشق .

وأشار إلى عاقبة تولى المسلم لغير المسلمين في القتال وفتح بلاد المسلمين فقال .

« وأما عاقبته في الأمة العربية فهي استيلاء الأتراك على مهد حضارتها وعمرانها وأخصب أقطارها وأعظم موارد ثروتها ، وجعل ما بقي لها من جزيرتها المقدمة محاطا به من البر كالحجر ومهددا بعقد استقلاله في كل وقت ، والتهديد شامل للحرمين الشريفين بالتبع لثالثهما وهو المسجد الأقصى حتى لا يبقى لهما استقلال في دين ولا دولة .

وضمن السبب الثاني أورد قولاً للشريف حسين نشرته حريدة « القبلة » (عدد ١٠ / محرم عام ١٣٤٣هـ) وهو :

« وانا لا نزال ساعين لتأييد المودة و تأكيد الروابط بيننا وبين حلفائنا العظام » .

والسبب السابع مختص بذكر ظلم حسين لأهل الحجاز والحجاج وإرهابهم العسر من أمرهم بضرب المكوس الباهظة على كل ما يرد إلى البلاد من الاقوات وغيرها واحتكاره القوات الضرورية ، وهو الخبز بإبطاله جميع الأفران العامة والخاصة وإنشائه أفراناً يكره الناس على الشراء منها بالثمن الذي لا يمكن أن يراحمه فيه أحد مع عدم المبالاة بقول النبي ﷺ : احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه .

والمقالة الثالثة تتناول الأسباب الخاصة بنجد لزحف أهلها على الحجاز . وقد أورد السيد رشيد رضا تحت السبب الرابع أن حسيناً أراد أن يهيج على النجديين العالم الإسلامي كله والعالم الأوروبي أيضاً بما يرسله من البرقيات التي يلقها بأساءٍ مبهولة للحجاج رعايا الدول ، الأوروبية أو معروفة كجمعية مؤتمر الجزيرة التي ألقيت بمكة لافساد والإفساد في البلاد العربية ، فهو الذي كتب تلك البرقيات ،

وهو الذى أرسلها الى الجهات العديدة .

والمقالة الرابعة خصها بالوثائق الرسمية انجد على طاغوت الحجاز ، وفي الوثيقة الثالثة منها أورد خطابا للسلطان عبد العزيز جاء فيه ذكر الدسائس والمؤامرات التى دبرها حسين ضد الوهابيين وكيف أنه أضاء الى الحجاج وضيق عليهم وتلعب بهم .

والمقالة الخامسة ذكر فيها ما ينبغي للمسلمين عليه وعمله ، وقد أورد فيها الأحاديث التى تبين حكم جزيرة العرب وما يجب أن تكون عليه ، وكذا أشار الى وقائع التاريخ الاسلامى التى تحمل فى طياتها عبرا ومواعظ للأجيال القادمة وكشف عن سياسة الانجليز فى الشرق والاسلام ، يقول :

« ثم ان مراد كتاب الانكليز وصنائعهم بمصر من نشر هذه الأراجيف (الأراجيف ضد السلطان عبد العزيز وأهل نجد) والتضليلات تمهيد السبل لحل المسلمين فى مثل الهند ومصر وفلسطين وسورية على استقباح استيلاء الوهابيين على الحجاز . »

وفي المقالتين الأخيرتين فصل الكلام فى المعاهدة النجدية الانجليزية ، وفند مزاعم المعاندين وشبهاتهم حولها ، وردّ على التهم التى وجهوها الى السلطان عبد العزيز بسبب عقد هذه المعاهدة .

وفي الختام أورد موجزا عن سيرة كل من السلطان ابن سعود ومن الشريف حسين ، حتى يكون القارىء على بصيرة من أمرهما ويدرك سر الدفاع عن ابن سعود والثناء عليه ، ويطلع على المؤامرة الخبيثة التى دبرتها الدولة البريطانية بمساعدة الشريف حسين للتلعب بالحرمين الشريفين والمقدسات الاسلامية وتفتيت شمل المسلمين فى الحجاز وغارجها .

والمقالة السادسة تحمل عنوان (ماذا يفعل الوهابيون بالحجرة النبوية وقبة الحرم الشريف ؟) .

والسيد رشيد رضا أراد بهذا العنوان عرض سؤال وصل إليه بعد نشر مقالاته عن الوهابيين والحجاز ، ونص السؤال كما يلي :

« أرايتك يا أستاذ؟ لو تم للإخوان الوهابيين فتح مكة والمدينة أيهدمون قبر النبي ﷺ ، أعنى يحطمون ما حوله من بناء وما فوقه من قباب ، إذ أنهم يدينون بتحريم ذلك ، ويعتقدون أنها بدع يجب استئصالها » .

و السيد رشيد علق على هذا السؤال بأنه لا يستحق الإجابة لأنه يبحث في أمر المستقل وما إذا كان . وقف القوم من قبر النبي ﷺ والبنائات المجاورة ، والانسان لا يستطيع التنبؤ عن القوم وأفعالهم في المستقبل . ولكنه وجد باعنا دنيا دعاه الإجابة عن هذا السؤال ، وهو أن يبين للجاهل من الناس الذين لم يطلعوا على كتب السنة أصح ما ورد في هذا الباب مع فوائد أخرى .

ثم رد السيد رشيد على السؤال في عدة نقاط وذكر وجهة نظره في صورة هدم الحجرة وعدمه . وفي المقالة اللاحقة تكلم عن القبور ومساجدها وقبابها ، ونشو البدع وإصلاح الوهابيين ، وأحاديث في لمس متخذى القبور مساجد ، وهدم الأئمة للقبور في عهد الشافعي ، وعبادة القبور كعبادة للأصنام .

وفي ختام هذه المقالة أورد سؤالاً وجوابه ، وهو جدير بأن يندبره كل مسلم في هذا الوقت ، يقول :

« فان قلت : هذا قبر رسول الله ﷺ قد عمرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الأموال ؟

قلت : هذا جهل عظيم بحقيقة الحال ، فان هذه القبة ليس بناؤها منه ﷺ

ولا من أصحابه ولا من تابعيهم وتبع التابعين ولا من علماء أمته وأئمة ملته ، بل هذه القبة من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين ، وهو قلاوون الصالحى المعروف بالملك المنصور فى سنة (٦٧٨ هـ) وهذه أمور دولية لا دلييلة يتبع فيها الآخر الأول .

وهنا تذكرت الصفة التى أثارها المبندعون فى مدينة بومباى حينما تم إعلان مشروع خادى الحرمين الشريفين عن توسيع الحرم النبوى الشريف فانهم تخوفوا نفس التخوف الذى ورد فى السؤال أو أرادوا توجيه التهمة إلى الحكومة السعودية وإثارة مشاعر المسلمين ضدها ولكن الحمد لله على أن المسألة وصحت الآن لدى الناس وأنهم عرفوا صحة موقف الحكومة السعودية وحكم الأبنية والقباب على القبور .

والمبندعون فى الهند لا يزالون مستمرين فى توجيه الشتائم وانهم إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وإلى الحكومة السعودية التى تبذل جهودها لتطهير عقائد المسلمين والعودة بهم إلى الاسلام الصحيح ، ان نشاطهم المشبوه هذا يمكن أن نلسه فى كل ما يصدر من الجرائد والمجلات والرسائل والمؤلفات ومن الغرائب التى ظهرت منهم أنهم بعد تواطؤهم مع الراضة إثر حادث الحرم المكى الشريف بدأوا بظالمون - مع المطالب العديدة - باطلاق اسم «الجمهورية الاسلامية» على «المملكة العربية السعودية» ولعل السر فى مطالبة هذا التفسير أنهم يشمون فى هذا الاسم رائحة الهزائم المتلاحقة التى نزلت بهم وبالمبندعين فى كل مكان - ولا تزال تنزل - بتوفيق من الله تعالى ثم بسبب الجهود المحلصة التى بذلتها المملكة العربية السعودية فى سبيل نشر العقيدة الصحيحة ومقاومة الشرك والبدع والخرافات التى انتشرت فى المسلمين الجهال ، وصاروا

بها فريسة لعلماء السوء الذين يملأون بطونهم بالمتاجرة باسم الدين وبصرف الناس عن الاسلام وإشغالهم بالقبايح والمنكرات .

وحيث أن الله تعالى تولى نصر المؤمنين وتكفل حماية أهل الحق فان دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا تزال في توسع وامتداد ، وأصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة يقبلون عليها في قطر وصوب ، ويكشف عن سر ذلك العلامة الشيخ محمد حامد الفقيه رحمه الله تعالى في كتابه (أثر الدعوة الوهابية) فيقول :

« والسر في هذا الامتداد وهذه القوة (يعنى امتداد وقوة دعوة محمد بن عبد الوهاب) يرجع إلى جمال هذه الدعوة وبساطتها ، وأنها في غير حاجة إلى أدلة جديدة ولا براهين محترعة ، فانها إنما تعتمد على صريح القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الكريمة . والقرآن بين أظهر الناس — محموظا ومكتوبا — قائم بحمد الله لم يذهب ، ولكن العقول هي التي ذهبت عنه ، لحين وجهت إليه توجهت ، وحين كشف لها عن نوره أقبلت عليه تقتبس منه الهداية والرحمة .

وعلى هذا فليعلم من يناهض هذه الدعوة ويعاديها أنه يعادى الكتاب والسنة مهما زين له الشيطان عمله هذا ، وليعلم كذلك ان النجاح لى يكون حليفه أبدا في هذه الخطة الخبيثة والجمد البغيض . ان معادته هذه من عمل الشيطان وصد عن سبيل الله وكفر بنعمة الهداية ، وكل من هوى فيه لا ينجو إلا إذا تاب إلى الله تعالى وأتاب باخلاص النية وسلامة القصد .

وبصدد الكلام عن دعوة محمد بن عبد الوهاب وحمايتها وخصوصها أستحسن أن أثبت للدعوة شهادة من كاتب محايد كل الحياد في هذا الموضوع ، بل المظنون أنه من مناهضى هذه الدعوات ، هذا الكاتب ليس في حاجة إلى التعريف ،

بل سلم له الأدباء والكتاب والنقاد زمام الأدب والبيان واعترفوا له بكل فضل وكمال في هذا المضمار، حتى أنهم لقبوه بعميد الأدب العربي في العصر الحديث، أنه الدكتور طه حسين، الأديب المصري المعروف، أن اتجاهاته في موضوع الشعر الحاملي معروفة لدى الناس، وردود الناس عليه وعلى نظريته منتشرة، تتداولها أيدى العلماء والطلاب. هذا الأديب المنحدر يبدى رأيه في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيقول:

«ان الباحث عن الحياة العقلية والأدبية في جزيرة العرب لا يستطيع أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر، فلفتت إليها العالم الحديث في الشرق والغرب، واضطرته أن يهتم بأمورها، وأحدثت فيها آثارا خطيرة، هان شأنها بعض الشيء، ولكنها عادت فاشتدت، في هذه الأيام، وأخذت تؤثر لافي الجزيرة وحدها، بل في علاقاتها بالأمم الأوروبية.

هذه الحركة هي حركة الوهابيين، التي أحدثها محمد بن عبد الوهاب، شيخ من شيوخ نجد.

«ان هذا المذهب الجديد قديم معنى، والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين، ولكنه قديم في حقيقة الأمر، لأنه ليس إلا الدعوة القوية إلى الاسلام الخالص النقي المطهر من شوائب الشرك والوثنية».

«هو الدعوة إلى الاسلام كما جاء به النبي ﷺ خالصا، ملغيا كل واسطة بين الله وبين الناس».

«هو إحياء للاسلام العربي وتطهير له، مما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب (ولو عرف طه حسين أحوال مبتدعة الهند لقال «ومن نتائج الاختلاط بالبريلويين الذين يسمون أنفسهم «بأهل السنة والجماعة» (١١).

« ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب وحاربوه في داره بقوى وأسلحة لاعهد لأهل البادية بها ، لكان من المرجو جدا أن يوجد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري ، كما وجد ظهور الاسلام كلمتهم في القرن الأول » .

طالت هذه السطور ولا تزال كثير من النقاط في حاجة إلى العرض والتعليق لأن الموضوع قد كثر فيه الكلام وكذلك كثرة الظن والسخمين بل الافتراء والبهت . ولكني أمسك القلم الآن راجياً أن هذه الطبعة لرسالة (الوهابيون والحجاز) التي اعتنى بتصحيحها والتعليق عليها الدكتور عبد الرحمن المريواتي بالغ العناية وأصفي عليها مسحة من خبراته الواسعة في مجال التحقيق وحماسته البالغة في الحفاظ على عقيدة الاسلام والدفاع عن الحق وأهله . . . أرجو أن هذه الطبعة تحظى بالقبول والتقدير لدى العلماء والطلاب ، وبإفح الله تعالى بها أهل الاخلاص ، ويجزى المؤلف والمحقق والناشر أحسن الجراء لأنه

● ● ●

ولى التوفيق

الوهايون والحجاز



العلامة محمد رشيد رضا
+++++

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ،
والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، الذي أكل الله تعالى
ببعثته الدين ، وما أرسله إلا رحمة للعالمين ، لينذر من كان حيا ، ويحق القول على
الكافرين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الهداة المهديين ، ومن تبعهم
في هدى الله وهدى رسوله إلى يوم الدين .

أما بعد ، فقد علم من سنة الله تعالى في خلقه ، مصداقا لما بينه الله تعالى
في كتابه أن هداية الرسل للأمم تكون على أكملها فيمن اتبعهم في عصرهم
والآنصر التالية له ، وكلما تراخى الزمان ، ظهر الفسق والعصيان ، ونجست قرون
البدع وفشا التحريف والتأويل ، وكثر ما يكرهه الله سبحانه من القال والقبل .
وقد قص الله علينا في كتابه من أخبار الأمم مع رسلهم عامة ، وأخبار
أقربهم إلينا في الزمن وهم اليهود والنصارى خاصة ما فيه العبرة والذكرى لتتق
التهوك^(١) فيما تهوكوا فيه قبل أن يقع ، ولنكون على بصيرة من ديننا فيه إذا

(١) التحير والتهور والوقوع في الشيء بنير مبالاة . اه قاموس (المؤلف)

وقع ، وقد علم سبحانه وأعلم رسوله أنه واقع لا محالة لأن سنن الله تعالى مطردة لا تبدل لها ولا تحويل ، وهو صلوات الله وسلامه عليه قد أعلننا بذلك لنكون على بصيرة من أمرنا فيه ، ولا يلتبس علينا الحق بالباطل كما التبس عليهم ، فقال : « لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر شيب لدخلتموه » قالوا : يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : « فن ؟ » رواه الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة^(١).

وقع ذلك كله حتى عم الملاد الإسلامية ، والأكثرون من المسلمين يجهلون ذلك فهم لا يشعرون أنهم غيِّروا وبدَّلوا ، وحسَّروا وأولوا ، وأحدثوا وابتدعوا ، وفسقوا عن أمر ربهم ، وأن ما نزل بهم من الذل ، وضياح الملك واستيلاء الأجانب على أكثر بلادهم ، عقوبة من الله تعالى على ابتداعهم وفسقهم كسنته فيمن قبلهم ، قال الله تعالى في أوائل سورة الإسراء : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ، ولتعلمن علوا كبيرا . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتيهوا . عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا^(٢) . ﴾

وإن كثيرا منهم ليعلمون هذا بالإجمال حتى أن خطباء مساجدهم يقولون

(١) أخرجه البخاري في الآتياء (٤٩٥/٦) ، ومسلم في العلم (٢٠٥٤/٤) ، وأحمد (٨٤/٣ ، ٨٩) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) سورة الإسراء : ٨-٤

من أعلى منابرهم : لم يبق من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه . وأمثال هذا القول ، ثم لا يحمل هذا العلم ، ولا هذا التصريح به على عمل ، ولا على ترك زلل ، بل هم يعادون كل من دعا إلى السنة ، ويصرون على ما ألفوا من البدع الدينية ، لأنها دخلت عليهم من باب الدين ، وفتنوا بهن عمل بها من يلبسون لباس الصالحين ، حتى أنهم إذا اعترفوا بأنها بدع قالوا : إنها بدع حسنة ، خلافا لقول رسولهم ﷺ : « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »^(١) ، وخلافا لقول الله عز وجل : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾^(٢) ، وجهلا بكون البدعة التي تنقسم إلى حسنة وسيئة لا تكون في التشريع الديني^(٣) ، والزيادة في العبادات أو النصرف فيها يجعل ما ليس بشعار شعارا ، وإنما تكون فيما وراء ذلك من الأمور الموكولة إلى اجتهاد الناس من الأعمال ، والمصالح الدينية والدنيوية كابتداع آلات للقتال تزيد في قوة الأمة على حفظ دينها ودنياها الذي يدخل في عموم قوله تعالى . ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »^(٤) ، وكتعبيد الطرق ، وتسهيل سبل المواهبيلات للنافع الدينية والدنيوية المشروعة ولا سيما طريق الحج ، وإنشاء السكك الحديدية وأمثالها ، وكتأليف الكتب المفيدة في ضبط لغة الدين

(١) أخرجه أحمد (٣٧١/٣) ، ومسلم (٥٩٢/٢-٥٩٣) ، والبيهقي (٢١٤/٣) من حديث حابر رضى الله عنه ، وقد وردت زيادة « وكل ضلالة في النار » في سنن النسائي (٢١٤/١) ، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتعه الألباني انظر خطبة الحاجة ، وشيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه (رقم الحديث ١٥٦ و١٥٧)

(٢) سورة المائدة : ٣

(٣) انظر لهذا المبحث : الاعتصام للشاطبي

(٤) سورة الأنفال : ٦٠

(العربية) وغيرها من العلوم الشرعية ، أو الفنون العلمية النافعة .

وبما خص الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أن الكتاب المنزل لهدايتهم من عند الله تعالى قد نقل بالتواتر القطعي حفظا في الصدور ، وكتابة في المصاحف ، فلم يضع وإن يضيع منه كلمة ولا حرف واحد ، ولم يتغير وإن يتغير منه لفظ واحد ، وأن السنة المحمدية وسيرة سلف الأمة الصالح قد رُوِّيتا بالأسانيد ، ودُوتتا في الكتب بعناية يسئل معها التمييز بين الصحيح وغيره متنا وسندا ، ولولا هذا وذاك لاضاع ديننا كما ضاعت أديان من قبلنا حتى أقرب الناس منا تاريخا ، فقد طرأ على كتبهم التحريف بالريادة والنقصان والتغيير ، وفقدت أصولها التي كتبت في عهد من أوحيت إليهم وليس شيء منها أسانيد متصلة بهم .

وبما خص الله به هذه الأمة أيضا أنها لا تجتمع على ضلالة^(١) ، وأنه

(١) صحيح ، أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رضى الله عنهما : إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة ويد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ في النار ، وصححه الألباني بدون قوله : ومن شذ شذ في النار . راجع : صحيح الجامع (رقم ١٨٤٤) ، والمشكاة (١٧٣) ، وتخریج السنة لابن أبي عاصم (٨٠) ، وله شاهد أخرجه ابن ماجه في الفتن (١٣٠٣/٢) من حديث أس مرفوعا . إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا ، فعليكم بالسواد الأعظم ، وفي سنده أبو خلف الأعشى واسمه حازم بن عطاء ، وهو ضعيف ، وقد جاء الحديث بطرق في كلها نظر ، قاله العراقي في تخريج أحاديث البيضاوى كما في مصباح الزجاجة للبوصيرى (١٦٩/٤) قلت : وأبو خلف كذبه يحيى بن معين ، وقال أبو حاتم : منكر الحديث . راجع : الميزان (٥٢١/٤) ، والتنذيب (٨٧/١٢)

لا يزال طائفة منها ظاهرين على الحق^(١)، وإن الله تعالى يبعث منها مجددين لأمر الدين^(٢)، كما ورد في الأخبار المرفوعة من صحيحة وحسنة ، ثبتت صحة معانيها بالفعل .

وقد كان انتفاع جماهير المسلمين بهؤلاء المحددين المصلحين يختلف باختلاف أحوالهم ، وأحوال أهل عصورهم في العلم والعمل ، والقوة والضعف في رسوخ التقاليد والبدع .

وكان من أجملهم في القرون الوسطى قدرا ، وأنبيهم ذكرا ، شيخ الإسلام أحمد تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى ، فقد آتاه الله من المواهب ما يندر أن يجتمع لاحد من البشر : سرعة الحفظ ، وعدم النسيان ، وقوة الاستحضار ، وقوة الاستنباط ، وقوة الاستدلال .

حفظ القرآن وما روى من تفسيره من الأحاديث المرفوعة وأقوال الصحابة والتابعين .

(١) ورد الحديث عن طائفة من الصحابة وهم المغيرة بن شعبة في الصحيحين ، وعمر بن الخطاب ، وثوبان وأبو أمامة ، ومعاوية ، وعمران بن حصين ، وجابر بن عبد الله ، وسلة بن نفيل وأبو هريرة ، خرج الألباني أحاديثهم في الصحيحة (برقم ٢٧٠ و ١٩٥٥-١٩٦٢) ، وراجع : الأباطيل والمناسك ، والصحاح والمشاهير للجورقاني (٢٤٠/١-٢٤٢)

(٢) حديث صحيح أخرجه أبو داود في الملاحم (٨٤٠/٤) ، والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها .

وراجع . الصحيحة للألباني (رقم ٦٠١) وصحيح الجامع الصغير (١٨٧٠)

حفظ كتب السنة ، وأقوال رجال الجرح والتعديل في أسانيدھا .
حفظ ما يروى عن الصحابة ، والتابعين ، وعلماء الأمصار من الآثار في
العقائد ، والآداب الدينية ، والأحكام الشرعية .
نظر في كتب المذاهب المدونة وأدلتها ، فكان يستحضر ذلك كله عند
التأليف أو الإفتاء .

قرأ كتب الملل والحل ، ومقالات فرق الإسلام ، وكتب المنطق ، والفلسفة
والكلام ، والتصوف .

ثم تصدى بذلك كله للرد على النصارى وأهل البدع ، وألف في ذلك المصنفات
الدالة على سعة اطلاعه ، وقوة حجته ، ووجه جل عنايته لنصر السنة وترجيح
مذهب السلف على كل ما حالفه من أقوال المتكلمين ، والمتصوفة حتى المنسويين
إلى السنة منهم فلم يدع بدعة ولا قوله تحالف الكتاب والسنة ، ولا سيرة السلف
الصالح إلا وبين بطلانها ، وضلال أهلها ، يميزا بين الحق والباطل ، والإيمان
والكفر ، والهداية والضلالة ، والطاعة والمعصية ، ولم يقتصر في ذلك على تصنيف
الرسائل والكتب الممتعة ، والفتاوى المفصلة ، بل كان يأمر بالمعروف وينهى عن
المنكر ، وينظر المخالفين ، ويستتيب المبتدعة والفاسقين ، لا يجابى حيا ولا ميتا
لكبر شهرته ، ولا لكثرة أتباعه ، ولا لضخامة ألقابه ، وكان مع هذا كله من
أعبد العباد ، وأفراد الزهاد ، وقد حل من المشكلات ، وكشف من الشبهات
وقد من التأويلات ما عجز عن مثله لخول العلماء ، وضل به كثير من المتكلمين
والصوفية ، والفقهاء .

وقد تلقى عنه وتخرج به كثير من العلماء المحققين في علوم الشرع كلها ،
أشهرهم وأقربهم منه العلامة ابن القيم صاحب التصانيف التي نالت من القبول

فوق ما ناله كتاب عند الجمهور لأسباب أهمها لين عبارته ، وخفة وطأته على المخالفين ، ولا سيما بعض أكابر المتكلمين والصوفية .

هذا ، وقد شهد لشيخ الإسلام أكابر العلماء المنصفين ولا سيما حماط الحديث بما لم يشهدوا به لغيره من أهل عصره حتى اعترفوا له بالاجتهاد المطلق ، وتصدى لعداوته وإيدائه وصده عن نصر السنة ، وإحياء مذهب السلف الصالح بعض كبار العلماء الرسميين ، المقربين من الملوك والسلاطين ، المفتونين بتأويلات المتكلمين والجامدين على أقوال أمثالهم من معققة المقلدين ، حتى كان أقوى ما أخذوه تفسير الآيات والأحاديث الصحيحة الواردة في صفات الله تعالى وعلمه على خلقه بما فرما به علماء السلف حتى أئمة المذاهب المتبعة ، وطلبوا من السلاطين استنابته من قراءة هذه الآيات والأحاديث على الناس !! فأوذى وحبس في هذه السبيل بما هو معروف في كتب التاريخ^(١).

وطل أحلاف أولئك المقلدين الجامدين يصدون الناس عن كتبه إلى أن

(١) ألفت كتب كثيرة عن حياة شيخ الإسلام وعلومه وإفادته قديماً وحديثاً كما تسأل أهل السير والتاريخ سيرته في مؤلفاتهم ومن أحسن الكتب المؤلفة في سيرته كتاب العقود الدرية في مناقب ابن تيمية ، لتلميذه ابن عبد الهادي ، والتذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار لابن شيخ العزيمين أحد أصحاب شيخ الإسلام المعروفين ، ولدهبي وابن القيم وابن كثير ثناء عظيم على شيخ الإسلام وقد قامت الجامعة السلفية في شهر ربيع الأول والآخر من هذا العام ١٤٠٧ هـ بعقد ندوة عالمية عن حياة شيخ الإسلام وعلومه وآثاره وخدماته ، قدمت فيها أربعون بحثاً في لغات مختلفة من العلماء والمفكرين من الهند وغارجها ، وكان لها أثر طيب في تعريف شيخ الإسلام وعلومه في شبه القارة الهندية ، والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات

أحياء الله تعالى في بلاد نجد بظهور المجدد الداعي إلى الله تعالى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأولاده وأحفاده، وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد في أواخر القرن الثاني عشر، وأوائل القرن الثالث عشر، ثم في نهضة الإصلاح الجديدة بمصر، والهند وغيرهما من البلاد الإسلامية في عهدنا هذا من القرن الرابع عشر، فإن كتيبه صارت تطبع وتلاقى من الرواج والانتشار عند أولى الاستقلال في العلم، والامتداد بالعالم ما لا يلاقى غيرها في موضوعها إلا كتب تلميذه، ووارث هديه ابن القيم رحمهما الله تعالى.

وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجددًا للإسلام في بلاد نجد بإرجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنة على طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية، وإنما كان نجاحه سريعًا بتأييد آل سعود له، وصيغهم إياه ممن يريده بسوء، وما كان آل سعود أقوى شيوع عشائر نجد وأمرائها، ولكن الله نصرهم بنصر دينه، فكان من أمرهم ما كان من فور وفلاح، ثم من بلاء وامتحان، ثم ما كان من رد الله الكرة لهم في هذه الأيام، ذلك بأن أمراء مكة المفسدين في الأرض، الملحدين في الحرم، قد تصدوا لمقارعة دعوة الإصلاح والتجديد «الوهابية» من بدء ظهورها، فأذاعوا في العالم الإسلامي كله أنها دعوة كفر وابتداع وعداوة للسلمين والإسلام، وكان مقامهم بمكة المكرمة سهلاً لهم ذلك، وصدقهم أكثر الناس الذين هم أتباع كل ناعق، وسعوا لجل الدولة العثمانية على قتال آل السعود، وهي استعانت على ذلك بالدولة المصرية العلوية الجديدة، ولسنا بصدد بيان الماضي هنا، وإنما نحن بصدد بيان طائفة أمرهم، وأمر أمراء مكة المعروفين بالشرفاء.

أما الدولة العثمانية فقد استمرت على معاداة آل سعود زهاء قرن كامل

لاعتقادها أنهم يريدون تأسيس دولة عربية قوية تزيل ما لهم من السلطان في جزيرة العرب ، ويتبع ذلك هدم الخلافة التركية ، ثم ظهر لها أن مصلحتها تقضى بالاتفاق مع آل السعود ، والاعتراف لهم بسيادتهم على نجد وملحقاتها حتى ما كان بيد الدولة منها ففعلت ذلك ، وعلم بذلك أنها لم تكن تعاديتهم لسبب ديني كما كان يظن الجاهلون .

وأما أمراء مكة المعروفون بالشرفاء فظلوا على ضلالهم في العطن على دين الوهابية ، واقترءوا الأكاذيب عليهم ، وكان أشدهم إسرافا في العطن ، وفي عداوة آل سعود الأمير حسين بن علي^(١) ، ولما خلع أمر الحكم في الحجاز له وحده بتقلص ظل الدولة العثمانية عنه ، واعتراف الانكليز وأحلافهم بالملك له عليه ظل أن الفرصة قد سمحت له ، ومكنته من الاستيلاء على نجد ، وجعلها تابعة لملكه الوهمي ، فما زال يكيد ، ويدس الدسائس لآل سعود حتى آل تحرشه بهم ، وإلحاده في الحرم إلى زحف السلطان عبد العزيز آل سعود على الحجاز ، وإنقاذه من هذا الطاغوت - الذي لقب نفسه بالمنقذ - ومن أولاده المفسدين .

كان هذا الزحف مغريا لدعاة الملك حسين في مصر بتجديد العطن في الوهابية ، ومنبها لأذهان الناس ، ومرغبا لها في البحث عنهم ، ومعرفة كنه حالهم وحال حسين معهم ، فرأينا أن من الواجب علينا أن نبين لهم ما عندنا من العلم بذلك في جريدة يومية واسعة الانتشار ، فأشأنا بضع مقالات نشرناها في جريدة «الاهرام» اليومية ، وفي مجلة «المنار» كان لها من حسن الواقع والتأثير ،

(١) هو حسين بن علي الحسني الهاشمي ، وهو أول من قام الحجاز باستقلال العرب عن الترك ، وآخر من حكم مكة من الأشراف الهاشيين (ت ١٩٣١م) (الأعلام للزركلي ٢/٢٤٩)

وروقوف الجماهير على حقيقة أمر الوهابية فوق ما كان ينتظر، فعلوا أن هؤلاء النجديين المنبوذين بلقب «الوهابية» سنيون، مستمسكون بمذهب السلف في العقائد، وبمذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفروع، وأنهم أشد شعوب المسلمين في هذا العصر اتباعا، وأبعدهم عن الانتداع، وارثكاب المعاصي، ولهذا كان نصر الله تعالى لسلطانهم على الشرفاء عظيمًا، ولولا معرفة حالهم لكان استيلاؤهم على الحرمين الشريفين خطبا أليما.

ولقد كان هذا النصر المبين مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيَّةِ﴾^(١) ولقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، كما كان سرور المسلمين المستنيرين به دليلا على أن الاستعداد للإصلاح الإسلامي الحق بالتوحيد الخالص، وترك البدع، والخرافات، والتقاليد الوراثية الباطلة قد صار الآن أقوى مما كان في عهد النهضة الأولى للوهابية.

على أنه لا يزال للوهابية خصوم من أهل البدع والخرافات، ومن المنهكين في المعاصي والشهوات في مدن الحجاز، لأن حكومتهم منعت النوعين كليهما، ولم يكن لهؤلاء حرج فيما مضى إلا الاقتراء عليهم، وكان كثير من الناس يصدقونهم فيهم لأنهم لم يعرفوا حقيقة حالهم، لأنهم يعيشون بمعزل، وقيل أن يسافر أحد إلى بلادهم، أما وقد أصبحوا في الحجاز فسيراهم الألوف من جميع الشعوب الإسلامية في كل عام، ويستغنون عن التعريف بهم، وعن الشهادة لهم.

وقد رأيت أن أطبع طائفة من مقالات (الوهابيون والحجاز) في رسالة

(١) سورة الأعراف: ١٢٨

(٢) سورة الروم: ٤٨

مستقلة لأنها تعد فصلا من فصول هذا الانقلاب التاريخي في الحجلز، بل في الإسلام ليطالع عليها بعض من لم يقرأها في «الاهرام»، ولا في «المثارة» ففعلت، وعلى الله توكلت: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدرا^(١)﴾.

محمد رشيد رضا

مفتي المنار



الوهابيون والحجاز

(١)

لو حدثت إغارة الوهابيين على الحجاز في عهد الدولة العثمانية لقامت قيامة العالم الإسلامي ، ولرايت الجرائد العربية في الشرق والغرب ، والجرائد التركية ، والهندية ، والفارسية ، والتتارية ، والملاوية تثنى عليهم غارة التضليل والتكفير ، وتجمع الإعانات المالية لقتالهم بالقناطير ، ذلك لما كان لجمهير الشعوب الإسلامية من حسن الظن ، وقوة الرجاء بالدولة ، ومن سوء الظن بالوهابيين ، أما وقد حدثت في هذا العهد ، فإننا نرى ضلع الرأي الإسلامي العام مع الوهابيين ، لأن ما كان خفيا من قوة دينهم ، واعتصامهم بالسنة ، ورفضهم البدع ، وكرهاتهم للسلطة والتنفوذ الأجنبي قد ظهر لحواص المسلمين ، وبدأ يظهر لعوامهم ، ولأن جميع الشعوب الإسلامية تمقت هذا الرجل الذي تولى أعداء الإسلام في الحرب والسلام ، ونصرهم على المسلمين واعتمد عليهم في طمعه في خلافة الإسلام ، وملك العرب تحت ظلم وحمايتهم ، فبمساعده ، ومساعدة أولاده استولوا على البلاد العريضة التي هي مهد حضارة الإسلام من حدود مصر إلى خليج فارس ، ويحاولون جعل ما بقي للعرب من عقر دارهم في جويرتهم المقدسة تحت ظل تلك للدولة التي جعلته ملكا مستبدا في الحجاز ، ليهون على أهله وضعه تحت سيادتهم

مباشرة في يوم من الأيام ، سميت أحد أولاده ملك للعراق^(١) ، وآخر مهم أمير الشرق العربي ، أو أمير شرق الأردن^(٢) ، ويطمع أن تسميه ملك فلسطين ، ليخضع لها مسلميها ، كما آمنها من تعدى الأعراب المحاورين لها .

فقد طهر لجميع شعوب العالم الإسلامي أن هذا الرجل وأولاده هم شر نكبة تكب بها الإسلام في هذا العصر ، فصارت تتمنى زوال سلطته عن مهد الإسلام . ويرى أنه لا يرجى لذلك غير هؤلاء التجديدين البواسل الذين صارهم هو بالعداوة والأذى بما حدد من دعاية سلفه الطالح من الطعن في دينهم ورميهم بالكفر ، وادعائه أن الإسلام يوجب عليه قتالهم ، والمصلحة العربية توجب عليه إخضاعهم لسلطانه ، وجعلهم تابعين لملكه ، ومنعهم من أداء فريضة الحج - على ما عرف عنهم من إباء الصيم ، وعدم الصبر على انتهاك حرمت الله - إلى تحكيمه ما شاء في إقامة ركن الدين الاجتماعي العام في بيت الله ، وطلم من شاء فيه بالضرائب المختلفة ، وطلم أهله في كل شيء - فهذه أسباب الرجاء في التجديدين بالأجمال^(٣) . لاح التوسع في السلطان ، والتبسط في الملك الذي يرميهم به الشريف حسين هو . ودعائمه ، وجرائده من باب « رميتي بدائها وانسلت » ونحمد الله تعالى أن هؤلاء الدعاة قلوا ، وقلت الجرائد التي تنشر لهم لإفكهم وبهتانهم .

ولكن بقي من الناس من يسيئون الظن والوهابية ، ويظنون أنهم أصحاب مذهب متدع في الإسلام . وذلك بتأثير الدعاية المنتشرة منذ قرن وربع قرن في الطعن فيهم ، وتأثير انتشار الدع واشتمارها ، حتى صار بها المعروف منكراً ، والمنكر

(١) وهو فيصل بن الحسين بن علي الحسني (ت ١٩٣٣ م) (الاعلام ١٦٥/٥)

(٢) وهو عبد الله بن الحسين بن علي الحسني (ت ١٩٥١ م) (الاعلام ٨٢/٤)

(٣) وسبقني بيانها بالمفصل في المقالتين الثانية والثالثة (المواقف)

معروفاً ، فالأخذون بهذه البدع يعدون كل مكر لها وهايياً ، ويضيفون إلى ذلك ما حفظوه من البهتان الذى جدده الملك حسين فى جريدته « القبلة » من رميهم بتكفير من عداهم من المسلمين ، وإنكار شفاعة النبي ﷺ ، وتحريم الصلاة عليه ، وزيارة قبره كسائر القمور ، بل تحراً حسين المكي وأمثاله على رميهم بالطعن فى شخصه الأكل ، وتفضيل العصا عليه . برأه الله تعالى ، ولعن كل مجترى على مقامه الشريف .

هذه البهائم كان يبهتهم بها أمير مكة وأعوانه فى أوائل القرن الثالث عشر للهجرة عند ظهور أمرهم لتنفيذ المسلمين منهم ، ولما استولوا على مكة المكرمة سنة ١٢١٨ هـ بقيادة الأمير سعود جمعوا علماءها ، وفى مقدمتهم مفتى الحنفية^(١) ، ومفتى المالكية^(٢) . وبينوا لهم مذهبهم وحطتهم فى تجديد دعوة الإسلام فوافقهم عليها ، وذكروا لهم ما كان أذيع من الطعن الذى أشرنا إليه آنفاً ، فتمجبوا ، وتبرؤا منه .

إننا لم نر أحداً من البهائين الذين يطعنون فيهم ينقل شيئاً من كتبهم ، ونحن فى بياننا للحقيقة نقل من كتبهم ، ومن كتب غيرهم ، ولا نقول شيئاً من عندنا بغير دليل .

بيان الوهابية لمذهبهم

جاء فى رسالة لاشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد صاحب الدعوة ، وصف فيها دخول جماعتهم مكة مع الأمير سعود سنة ١٢١٨ هـ ، ومناظرتهم للعلماء فيها ، وإعطاءهم رسائل والده الشيخ محمد بن عبد الوهاب : أنه كان

(١) وذلك فى يوم السبت ثامن شهر المحرم الحرام

(٢) وهو الشيخ عبد الملك القليعى (راجع : التحفة السنية ص ٥٣) .

(٣) وهو الشيخ حسين المغربى (التحفة السنية ص ٤٣)

مع علماء مكة الذين حضروا مجالسه حسين الابرقي الحضرمي ثم الحياتي ، وكان يسأل عن أصل هذه الدعوة ، ويحييونه ، فذكر أهم ما قاله الشيخ عبد الله وهو ما نصه :

« فاجنبنا بآن مذهبنا في الأصول مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقنا طريقة السلف التي هي الطريق الاسلام ، والأعلم ، والأحكم ، خلافاً لما قال : طريقة الخلف أعلم ، وهو أننا نقرأ آيات الصفات ، وأحاديثها على ظاهرها ، ونكل عليها إلى الله مع اعتقاد حقائقها ، فإن مالكا وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾^(١) قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة^(٢) ، ثم قال : « ونحن أيضاً في المروء على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم » إلخ (ص ٤٤) من كتاب الهدية السنية والتحفة النجدية .

ثم قال : « وأما ما يكذب علينا سترأ للحق ، وتليسا على الخلق ، بأنا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق أفهامنا ، من دون مراجعة شرح ، ولا تعويل على شيخ ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا : البي رمة في قبره ، وعصا أحدنا أنفع لنا منه ، وليس له شفاعة ، وإن زيارته غير مندوبة . وإياه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله حتى نزل عليه : ﴿ فاعلم أنه لا إله

(١) سورة طه . ٥

(٢) انظر لقوله : الأسماء والصفات للبيهقي (٥١٥) وشرح السنة للالكاني

(٣٩٨/٣) والتمهيد لابن عبد البر (١٥١/٧) وسير أعلام النبلاء (١٠٠/٨) -

(١٠١) ، ومجموع الفتاوى (٤٠/٥) والسنة والشيعة لمحمد رشيد رضا (٥٩ - ٦٠)

إلا الله^(١) مع كون الآية مدنية وإنا لا نعتمد على أقوال العلماء، فتنلف مؤلفات أهل المذاهب، لتكون فيها الحق والباطل، وإنا نكفر الناس على الإطلاق، أهل زماننا ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه، ومن فروع ذلك أنا لا نقبل بيعة أحد إلا بعد التقرير عليه بأنه كان مشركا، وإن أبويه مانا على الشرك بالله، وانا ننهى عن الصلاة على النبي ﷺ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا، وإن من دان بما يحس عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون، وانا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم، إلخ

ثم قال: «لجميع هذه الحرافات [أى التقولات] وأشباهاها لما استفهمنا عنها من ذكر أولا، كان جوابا في كل مسألة من ذلك ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ من روى عنا شيئا من ذلك، أو نسب إلينا فقد كذب علينا وافتري، ومن شاهد حالنا، وحضر مجالسنا، وتحقق ما عندنا، علم قطعيا أن جميع ذلك وضعه علينا، وافتراه أعداء الدين، وإخوان الشياطين، نعيمراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة، وترك أنواع الشرك الذى نص الله عليه بأن الله لا يغفره، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، إلخ (ص ٤٦ من الهدية).

ثم قال: «والذى نعتقد أن رتبة نبينا محمد ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حى في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء للنصوص عليها فى التنزيل، إله هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه، وتسبىح زيارته إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد، والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس. ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه - عليه الصلاة والسلام - الواردة عنه، فقد فاز بسعادة الدارين وكفى همه وغمه

كما جاء في الحديث عنه^(١)، ولا ننكر كرامات الأولياء، ونعترف لهم بالحق، وأنهم على هدى من ربهم متى ساروا على الطريقة الشرعية، والقوانين المرعية، إلا أنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادات، لا حال الحياة، ولا بعد الممات، الخ، ما فصل به ذلك الإجمال من إنكار ما بهتوا به. فمن شاء التفصيل فليطالع (المدية السنية والتحفة الوهاية النجدية) وهي توزع في مكتبة «المنار»، بغير ثمن.

وقد كنت لدى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر في أوائل الشهر الماضي، فذكرت «الوهابية» وسبب الطعن فيهم، وكان من حاضري المجلس الأستاذ الشيخ عبد المحيد اللبان، والأستاذ الشيخ محمد شاكر، والأستاذ الشيخ أحمد هارون، والأستاذ الشيخ الطواهي وغيرهم من كبار العلماء، فبينت لهم تاريخ المسألة، ومن كتب فيها على بينة من المؤرخين عند استيلاء الأمير سعود على الحجاز، ثم ذهب أحد سعاة سكرتارية الأزهر إلى مكتبة «المنار»، فجاء بعشرات النسخ من «المدية السنية»، ووزعت عليهم، وقرأ الأستاذ الأكبر ما نقلناه هنا. وما فصل فيها عما لم نقله واعترف بأنه مذهب أهل السنة والجماعة إلا أنه قال: إن حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»^(٢)، قد أوله العلماء. قلت: وهم قد أخذوا

(١) أخرج الترمذى في الرهد (٦٣٧/٤) عن أبي بن كعب في حديث طويل أنه قال: أجعل لك صلاتي كلها، فقال النبي ﷺ: إذ تكني همك ويفقر لك دينك. وقال الترمذى: حسن صحيح وأورده ابن القيم في جلاء الأفهام (٤٢ - ٤٣ ط هندية)

(٢) حديث متواتر، وقد توسعت في تخريجها في كتاب «تحفة الراكع والمساجد» شرح حديث: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

بظواهره تبعا لبعض المحققين من علمائهم - أعنى الحنابلة - وأزيد أن بعض الشافعية ، والمالكية حرم شد الرجال لزيارة قبور الصالحين كالإمام الجويني والد إمام الحرمين ، واختاره القاضي عياض في شرحه الصحيح مسلم كما نقله عنه النووي ، فأخذ الوهابية بذلك لهم سلف فيه ، وابتسوا أول من قال به .

شهادة التاريخ للوهابية

نكتفي هنا بشهادتين عادلتين لمؤرخين كبيرين نقلتا عن العدول المعاصرين لظهور الوهابية واستيلاء أمير نجد بقوتهم على الحجاز .

(الشهادة الأولى) قال المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرني الأزهري في أول حوادث سنة (١٢٢٧) من تاريخه نقلًا عن بعض أكابر رجال جيش محمد علي باشا الذين قاتلوا الوهابية في الحجاز ما نصه

« ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الإصلاح والتورع : أين لنا بالنصر، وأكثر عساكرنا على غير الملة ، وفيهم من لا يتدين بدين ، ولا يتحل مذهبا ، وصحبنا صناديق المسكرات ، ولا يسمع في عرضنا أذان ، ولا تقام فيه فريضة ولا يحظر وبالهم ولا خاطرم شعائر الدين . والقوم (يعنى الوهابية) إذا دخل الوقت أذن المؤذنون ، وينتظمون صفوفًا خلف إمام واحد يخشع وخضوع ، وإذا حان وقت الصلاة ، والحرب قائم (؟) أذن المؤذنون ، وصلوا صلاة الخوف ، فتقدم طائفة الحرب ، وتأخر الأخرى للصلاة ، وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به ، فصلا عن رؤيته ، وينادون في معسكرهم : هلوا إلى حرب المشركين المحلقين الذقون ، والمستبشرين الرنا واللواط ، الشارين الخور ، التاركين للصلاة ، الآكلين الرنا ، القائلين الأنفس ، المستحلين المحرمات . وكشفوا عن كثير من قتلى العسكر فوجدوم غير محتونين ، اهـ (ص ١٤٠ ج ٤ من

الطبعة الاميرية) وفيه من فظائع العسكر وفواحشه ما لا حاجة إلى ذكره .
ومن المعلوم أن جيش محمد على كان أخلاطا من شعوب وملل شتى ، ولم يكن مؤلفا باعتبار أنه جيش إسلامي يقيم شعائر الإسلام ، ويحافظ على فرائضه ويراعى أحكامه في القتال وغيره ، بل لم يكن جيش الدولة العثمانية المنظم كذلك ، وهي التي كانت توصف بأنها دولة الخلافة . وأما ظن ناقل الخبر للجبرتي أنهم لا ينصرون وحالتهم ما ذكر ، فسببه أنه يعتقد أن الفسق يمنع النصر ، وليس كذلك ، فإن من استوفى أسباب النصر من كثرة العسكر ، ونظامه ، وعدته ينتصر على من ليس كذلك .

(الشهادة الثانية) — ما جاء في كتاب (الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى) للعلامة الشيخ أحمد الناصري السلاوي فإنه ذكر في الجزء الرابع منه خبر وصول كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابي الى فاس ، وخلاصة وجيزة عن أصل الوهابية لا تخلو من غلط ، ثم ذكر أن سلطان فاس أرسل جواب ذلك الكتاب مع ولده الذي سافر مع بعض العلماء إلى الحجاز ، وهذا نص خبره (ص ١٤٥ من الجزء الرابع المطبوع بمصر) قال :

رحم المولى أبي إسحاق إبراهيم بن السلطان المولى سليمان رحمه الله .

وفي هذه السنة أعني سنة ست وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان المولى سليمان رحمه الله ولده الأستاذ الأفضل المولى أبا إسحاق إبراهيم بن سليمان إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من فاس على هيئة بديمة من الاحتفال ، وإبراز الأخيصة لظاهر البلد ، وقرع الطبول ، وإظهار الزينة ، وكانت الملوك تعتنى بذلك ، وتختار له أصناف الناس من العلماء ، والاعيان ، والتجار ، والقاضي ، وشيخ الركب وغير ذلك مما يضاف

ركب مصر والشام وغيرهما ، فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء المغرب وأعيانه مثل الفقيه العلامة القاضي أبي الفضل العباس بن كيران ، والفقيه الشريف البركة المولى الآمين ابن جعفر الحسنى الرتبى ، والفقيه العلامة الشريف أنى عبد الله محمد العربى الساحلى وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه فوصلوا إلى الحجاز ، وقضوا المناسك ، وزاروا الروضة المشرفة على حين تذر ذلك ، وعدم استيعانه على ما ينبغى لاشتداد شوك الوهايين يومئذ ، ومضايقتهم لحجاج الآفاق في أمور حجهم وزيارتهم إلا على مقتضى مذهبهم .

حكى صاحب الجيش أن المولى إبراهيم ذهب إلى الحج استصحبه معه حوالب السلطان ، فكان سببا لتسهيل الأمر عليهم ، وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغربا حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الأمن والأمان والبر والإحسان قال : حدثنا جماعة وافرة من حج مع المولى إبراهيم في تلك السنة أنهم ما رأوا من ذلك السلطان (يعنى ابن سعود) ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة ، وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه ما به الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام من صلاة ، وطهارة ، وصيام ، ونهى عن المنكر الحرام ، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام ، التى كانت تفعل بهما جهارا من غير تكبر .

وذكروا أن حاله كحال آحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ، ولا مركوب ، ولا لباس ، وأنه لما اجتمع بالشريف المولى إبراهيم أظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الكريم . وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته .

وكان الذى تولى الكلام معه هو الفقيه القاضى أبراهيم الرضاغى . فكان من جملة ما قاله ابن سعود لهم : إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية ، فأى شئ رأيتونا خالفنا من السنة ؟ وأى شئ سمعناه عنا قبل اجتماعكم بنا ؟

فقال له القاضى : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذائق المستلزم لجمعية المستوى . فقال لهم : معاذ الله ، إنما نقول كما قال مالك : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » . فهل فى هذا من مخالفة ؟ قالوا : لا ، وبمثل هذا نقول نحن أيضا .

ثم قال له القاضى : وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النى ﷺ ، وحياة إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى قورهم .

فلما سمع ذكر النى ﷺ ارتعد ، ورفع صوته بالصلاة عليه ، وقال : معاذ الله ، إنما نقول : إنه ﷺ حى فى قبره ، وكذا غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء .

ثم قال له القاضى : وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته ﷺ ، وزيارة سائر الأموات مع ثبوتها فى الصحاح التى لا يمكن إنكارها ؟

فقال : معاذ الله أن نسكر ما أثبت فى شرعا ، وهل منعناكم أنتم لما عرفنا أنكم تعرفون كيفيةها وآدابها ؟ وإنما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية ، ويطلبون من الأموات أن تقضى لهم أغراضهم التى لا تقضى إلا الربوبية . وإنما سبل الزيارة الاعتبار بحال الموتى ، وتذكر مصير الرائر إلى ما صار اليه المزور ، ثم يدعو له بالمغفرة ، ويستشفع به إلى الله تعالى ، يسأل الله المنفرد بالإعطاء والمنع بجاه ذلك الميت إن كان من يليق أن يستشفع به ، هذا قول إمامنا أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، ولما كان العوام فى غاية البعد عن إدراك هذا المعنى متعامدا للذريعة ، فأى مخالفة فى هذا القدر . ا هـ

ثم قال صاحب الجيش : هذا ما حدث به أولئك المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ، ثم سأنا الباقى أفرادا فاتفق خبرهم على ذلك ا هـ

وذكر المؤلف (صاحب الاستقصاء) بعد هذا الخبر بحثاً في زيارة القبور ، رجع فيه القول بمنع زيارة الأولياء سدا للذريعة مع بيان العلة ، وإشهارها بين الناس ، وذكر أن سلطان المغرب المولى سليمان رحمه الله كان يرى هذا ، وألف فيه رسالته المشهورة ، وأن الشيخ الفقيه الصوفي أبا العباس التيجاني كان يرى هذا ، ونهى أصحابه عن زيارة الأولياء . اهـ ملخصاً

والشيخ أحمد التيجاني المذكور قد انتشرت طريقته^(١) في جميع بلاد المغرب الأقصى والأدنى وما بينهما حتى ان أنواعه يعدون بالملايين إلى هذا العهد^(٢) .

وما نقله من كلام الأمير الوهابي في مسألة الاستشفاع معزواً إلى الإمام أحمد يظهر أنه لم ينقل بحروفه ، فإن الإمام أحمد رضى الله عنه لا يعرف عنه ولا عن علماء الوهابية مثل هذا القول فيما نعلم ، والله أعلم .

وسنبين في مقال آخر أن المتغلب على الحجاز اليوم هو الذى يكفر المسلمين الذين يعاديهم ويعادونه ، فقد كفر الترك والمصريين كما كفر الوهابية ، ونبين أن ما فعله النجديون من الزحف لإفقاد الحجاز من بغية هو من فروض الكفاية

-
- (١) من أراد التوسع في التيجانية فليطالع كتاب الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية للعلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي المراكشى رحمه الله ، والتيجانية للدكتور على دخيل الله الأستاذ المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض
- (٢) ولكن الناس لم ينكروا على هؤلاء كالوهابية لسببين : أحدهما أنه ليس له خصوم سياسيون يفرون الناس بهم كما يفعل أمراء مكة بالوهابية . والثاني أن الوهابية منعوا المنكرات بالفعل لا بمجرد القول ، وهذا ما لا يطبق احتمالاً أهل البدع لأنه يفضحهم (المؤلف) .

على الأمة الإسلامية ، قد قاموا به ، فإذا ظفروا ارتفع الائم عن جميع المسلمين ،
وإلا وجب ذلك على غيرهم .

المقالة الثانية^(١)

في بيان الأسباب العامة لزحف الوهابيين على الحجاز

تمهيد: طريقتنا في الكتابة

إننا نكتب ما نكتب في هذا الموضوع لبيان الحق ، وأداء النصح الواحد
للأمة الإسلامية ، وللشعب العربي ، وقد عاهدنا الله تعالى على أن لا نؤثر على
الحق والنصح شيئاً ، وأنه إذا ظهر لنا أننا أخطأنا في شيء فإننا نرجع عنه ،
ونعلن ذلك إعلاناً .

فما كان في كلامنا من خبر فإننا مستعدون لإثباته بالقل من المصادر التي
لا نزاع فيها ، وأكثرها رسمية حقيقة أو حكماً (وهذا ما يسميه كتاب هذا العصر
شبيهاً بالرسمي) كأقوال جريدة « القبلة » التي لا تعزوها إلى الملك حسين ،
ولا إلى حكومته (التي هي هو) .

وما كان من حكم شرعي فإننا نذكره بالدليل ، ونعرضه على علماء الإسلام
في العالم كله فإن كتب إلينا ، أو كتبنا أحد منهم بما يقعون بأننا أخطأنا في شيء
منه فإننا نرجع إلى الحق ، ونعلن ذلك لمن اطلع على كلامنا حيث اطلع عليه ،
وإلا بينا له خطأه بالدليل مع التزام الأدب الذي نطالبه به ، ونعرض كلامنا
وكلامه على الجمهور .

(١) نشرت في عدد الاهرام الذي صدر في ٥ ربيع الاول ١٤٠٩ أكتوبر (ت ١)
(المؤلف)

وما كان من رأى فإنتا لا تأبى مناقشة أهل الرأى فيه على شرطنا فيما قبله، ومنها أن يرسل الرد إلينا، أو إلى الصحيفة التى ننشر فيها كلامنا، ولنا نكلف أن نطلع على جميع الجرائد، وما عساه يوجد فى بعضها من نقد أو طعن فنرد عليه. ولا أن نرد على من يخرج عن شروط المناظرة وآدابها، وإنما نرد على من ينكر بالدليل صدق خبر من أخبارنا، أو صحة دليل من أدلتنا، أو بطلان رأى من آرائنا، لأننا نتحرى الحق والصواب فى هذه الثلاثة، وتدور معه إن شاء الله تعالى حيث دار.

إنما أفتينا ببطلان بيعة حسين بر على بالخلافة، وسردنا الدلائل الشرعية على ذلك، ونشرت الفتوى فى مجلتي «المنار» وفى جريدتى «الاهرام» و«المحرسة» وبيننا فى هذه الفتوى، ومقالات أخرى فى «المنار» أن هذه البيعة على بطلانها نصر الامة العربية، وتزيد الشقاق بين شعوبها وحكوماتها، فصدقت الحوادث رأينا، ولم يرد عليه أحد فيما علم. ولنا بينا حقيقة حال خصومه النجديين فى مذهبهم بالنفل من كتبهم، ومن كتب التاريخ المشهورة، ولم نذكر من عندنا كلمة واحدة، وإن يستطيع أحد أن يكرر كلمة من نقلنا وقد بينا مواضعه حتى ذكرنا أعداد الصفحات والاجزاء التى نقلنا عنها، لذلك وقع أحسن موقع من أنفس الناس الذين قرأوا مقالنا الأخير الذى نشرناه فى جريدة «الاهرام» واستزادونا من الكتابة فى هذا الموضوع، وكثر طلاب «التحفة السنية والهدية الوهاية» من القاهرة، ومن جميع أرجاء القطر المصرى، وما جاوره حتى صار جل عمل مكتبة «المنار» منذ نشرت المقالة توزيع هذه الرسالة، فكان هذا سببا لمعرفة الآلاف الكثيرة من الناس ما كانوا يجهلون من حقيقة أهل هذا القطر الإسلامى الذين هم أشد مسلمى هذا العصر حرصا على السنة السنية، وعناية بالاعتصام

بعرونها الوثقى ، وكان أمرهم مجهولا عند الأكثرين ، بل كانوا يوصفون بضد ما هم عليه بما يذمه حسين بن علي وأعرافه من الطعن في دينهم تبعا لما أذاعه سلفه في إمارة الحجاز ، ومقلدوهم من مدة قرن وربع قرن حين فتحوا الحجاز للمرة الأولى ، حتى كتب أخيرا بعض من لا قيمة للحق والصدق عندهم مقالات في بعض الجرائد ، كلها زور وبهتان ، هبط الاقتراء ببعضهم فيها إلى رميهم بأنهم يسعون لإبطال دين الإسلام تمهيدا لنشر دعوة المبشرين (دعاة النصرانية) فكانت هذه فرية عجز عن مثلها .

ولنا في هذا المقال وما بعده نين للناس كافة ، ولأهل الغيرة الإسلامية ، والجامعة العربية خاصة ، أسباب زحف النجدين لإفقاد الحجاز من هذا المتغلب عليه ، المستبد فيه ، الطام لآلهه ، ولما يحجونه من سائر المسلمين ، وسيعلمون بما نورده من الحقائق الجلية ، والشواهد الرسمية ، وشبه الرسمية ، أن سلطان نجد لم يفعل هذا طعما في توسيع ملكه ، ولا مجرد المحافظة على حقه ، بل خدمة للأمة الإسلامية والأمة العربية ، وإن كان الأمر الثاني وحده يوجب عليه ذلك شرعا وعرفا ، ونبدأ بذكر الأسباب العامة ، فنذكرها بالإيجاز لأنها صارت مشهورة إلا أنه يقل من يحفظها كلها ويستحضر ذكرها ، ثم من يخلص في بيان ذلك للناس ، ولهذا نرى ما يتعجب منه من الخبط ، والخلط ، والباطل في مقالات بعض الكتاب حتى من تصدى لتحريض أمثال هذه المسائل خاصة .

الأسباب العامة لزحف النجدين على الحجاز

(السبب الأول) ما هو معلوم بالتواتر القطعي ، وبالوثائق الرسمية من مرالاة شريف مكة حسين بن علي وأولاده للدولة البريطانية وحلفائها في الحرب الأخيرة ، ونصرهم إياهم على الدولة العثمانية في فتح البلاد العربية ، وأنه

كان يهوى الدولة البريطانية كلها فتحت مدينة من أمصار الإسلام وعواصم الحضارة العربية كالقدس الشريف، وبغداد، ودمشق، ثم اقتسموا هذه البلاد فأعطوه ولاية الحجاز، وأخذوا هم ولايات العراق، وسورية، والقدس الشريف حتى إنهم اقتسموا سكة الحديد الحجازية أيضا التي هي وقف إسلامي أنشئ لتسهيل إقامة ركن إسلامي.

فأما تولى المسلم لغير المسلمين في القتال، وفتح بلاد المسلمين لحكمه الديني معلوم بنص القرآن المجيد، وكتب الشريعة، وحسبنا منه قوله تعالى: ﴿ومن يتولهم منهم فإنه منكم﴾ إن الله لا يهدي القوم الظالمين^(١) وأما عاقبته في الأمة العربية فهي استيلاء الأجانب على مهد حضارتها، وعمرانها، وأخصب أقطارها، وأعظم موارد ثروتها، وحمل ما بقي لها من جزيرتها المقدسة محاطا به من البر كالبحر، ومهددا بفقدان استقلاله في كل وقت، والتهديد شامل للحرمين الشريفين بالتبع لثالثتهما وهو المسجد الأقصى حتى لا يبقى لهما استقلال في دين ولا دولة.

فإن قيل: إن هذا الرجل وأولاده يدعون أنهم ما فعلوا هذا إلا لإنقاذ البلاد العربية، واستقلال العرب.

قلنا: إننا نحن نبين الحق الواقع، لا إفك السياسة، ومغالطاتها، وكذبها، ومكابرتها، وإلا فإن الإنكليز قالوا ولا يزالون يقولون مثل هذا القول في احتلالهم لمصر، وفي إكراه وزير من وزرائها على تسميته إياهم شركاء لمصر في بلاد السودان، وفي زعمهم الآن أن السودان يجب أن يكون في أيديهم وحدهم لأن لهم مصالح فيه ولا تمام سعادة السودانيين^{١١}.

فإن قيل: إن ثورة الشريف التي يسميها النهضة إنما بنيت على القصد الصحيح المذكور، ثم طهر له أن حلفاءه خدعوه، وأخلفوا وعده، ونكثوا عهده، ولا عجب فقد خدعوا رئيس أعظم دولة في العالم كما خدعوه وهو رئيس دولة الولايات المتحدة في أميركا

قلنا: إن هذا باطل كالذي قلناه كما يعلم من الأسباب الآتية، وربما كان من أسباب إرجاء ابن سعود الزحف على الحجار إلى الآن، لأجل استعراش نتيجة هذه الأقوال.

(السبب الثاني) أن الشريف حسين وأولاده لا يزالون مصريين على موالاته حلفائهم الأجانب، ومودتهم، ومساعدتهم على تثبيت أقدامهم في البلاد العربية مع ادعائه هودون أولاده بأنهم خدعوه، وغشوه - لأنه أشدهم ريا، وخداعا، وإفكا، ولذلك يناقض نفسه، وبطل بعض كلامه بعضا، وها نحن أولاء قد قرأنا في عدد جريدة (القبلة) ٨١٠ الذي صدر في ١٠ المحرم فاتحة هذا العام (١٣٤٣هـ) تصريحاً رسمياً له بالثبات على مودتهم في منشور باسمه سماه (منشور عيد البيعة الأولى) وما أكثر أعباده بمصائب العرب والإسلام!! فقد قال فيه ما نصه: «ولنا لا يزال ساعين لتأييد المودة وتأكيد الروابط بيننا وبين حلفائنا العظام، فإذا هذا التأييد والتأكيد إن كان صادقا في قوله إنه مخدوع منكوث العهد مكذوب الوعد، ولماذا يصر على السعي لعقد المعاهدات معهم، والنبى الذى يدعى هو وحكومته اتاعه له دون المسلمين كافة، والوهابيين خاصة يقول: لا يبلغ المؤمن من جحر مرتين، رواه البخارى ومسلم وغيرهما^(١)» - دع

(١) البخارى: الأدب (١٠ / ٥٢٩)، ومسلم الزهد (٤ / ٢٢٩٥) من حديث أبي هريرة.

ما ورد في أمثال هذه الموائد والمعاهدات في سورق الممتحنة ، والتوبة ، ما يناق
الإسلام نفسه .

(السبب الثالث) ان ما يسميه النهضة قد بنى على أساس الحماية البريطانية
للمملكة العربية التي طلب من الانكليز أن يؤسسوها له كما فضحها ولده الشريف
فيصل في دمشق الشام بنشره نص مقرراتها الرسمى في جريدة « المفيد » ، ثم نقلتها
الصحف الكثيرة في الشرق والغرب ، وهذا نص المادة الثانية منها بحروفه كما كتبها
حسين بن علي بيده الأثيمة الخاطئة .

(٢) تتعهد بريطانية العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة ، وصياستها من أى
مداخلة كانت بأى صورة كانت في داخلتها ، وسلامة حدودها البرية والبحرية من
أى تعد بأى شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلى من دسائس الأعداء ، أو من
حسد بعض الأمراء الخ .

ولكن الانكليز لما لم يسمعوا له بغير الحجار من البلاد العربية التي طلب
أن يكون ملكها تحت حمايتهم لم يكن من مصلحتهم أن يقبلوا رسمياً جعل الحجاز
تحت حمايتهم . وهو لا يزال مصراً على هذه المقررات ، ويعد من أعظم النعم
عليه أن يكون موطفاً بريطانيا في الحجار كبعض النواب ، والرجوات في بعض
الولايات الهندية التي تسمى مستقلة في بطن الحضجر الواسع^(١) .

ومن الأدلة على ذلك أنه طلب مراراً من الدولة البريطانية إقالاته من ملك
الحجاز تنصيب غيره بدلاً منه . وأرسل مرة إلى مدير جريدة « التيمس » برقية
إليه رغب إليه فيها أن يتوسل لدى حكومته لقبول استقالته . وهذا نص البرقية

(١) الحضجر — بكسر فسكون ففتح — العظيم البعان الواسعة ، وسميت به الصنع
(المؤلف) .

— مقولا عن العدد ٥٥٣ من (جريدة القبلة)

« المدير العمومي لصحيفة التيمس » .

« اطالمت على عددكم المشتمل الرد والقبح باتحاد العرب ، والتزامكم أحد أرائهم ولزيادة إقناع حكومة جلالة الملك ، وإيضاح الحقيقة لعموم الشعب النجيب البريطاني أكرر بهذا طلي واسطكم من حكومة جلالاته تأكيد تعيين الأمير المذكور أو من تراه ليستلم البلاد ، إلخ . والمراد بالأمير المشار إليه سلطان نجد إذ كانت جريدة « التيمس » مدحته بمقال لها .

وكان قد أرسل إلى نائب ملك الإنجليز بمصر كتابا في ٢٠ دى القعدة سنة ١٣٣٦ نشره في جريدته (القبلة) مراراً لاعتقاده أنه من معجزات السياسة أو الكياسة والملاعة استغاث فيه الدولة البريطانية أن لا تعدل مقررات نهضتها المبينة على الحماية ولا تعرض الاتفاق معه على مؤتمر الصلح قال فيه ما نصه السقيم :

« فإن كان ولا بد من التعديل فلا إلى سوى الاعتزال والانسحاب ولا اشتبه في عهد بريطانيا أن يتلقى هذا منا إلا أنه أمر يتعلق بالحياة لا لقصد عرضي ولا لفكر غرضي ، وأنها لا ترتاب في أنى وأولادى أصداؤهما الذين لا تغيرهم الطوارئ والأيام ، ثم نعينوا البلاد التي تستحسن إقامتنا فيها بالسفر إليها في أول فرصة .

ثم أجاب عن تعليق أمر مطالبه بالمؤتمر ، وختم كلامه بقوله :

« ولو قرر المؤتمر المذكور أضعاف مقرراتنا ، وكان ذلك من غير وساطتكم وقبلناها فمكن (٤) مطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولى هذا ،
١٠ هـ بحروفه من العدد ٢٩١ من جريدته (القبلة) الذي صدر في ٢٣ رمضان

سنة ١٣٣٨ ، ومنه يعلم أن الدولة البريطانية عنده كالمعروف فلا يعاملها معاملة مبنية على المصلحة فقط .

(السبب الرابع) رضاه باستخدام الدولة البريطانية لأولاده في العراق ، وشرق الأردن لتخدير أعصاب بدو البلاد وحصرها وحملهم على الرضا بما يؤسس فيها من حظائر الطائرات الحربية ، وتعميد الطرق في قلب الجزيرة للسيارات والدبابات ، ومد سكك الحديد العسكرية والتجارية لتمكين سلطانها فيها ، فإن العرب إذ قاوموها قبل ذلك فالراجح أنها تصطر إلى ترك بلادهم لهم لئلا تضطرها لمقاومة العملية إلى بدل ألوف الملايين من المال ومئات الألوف من الرجال ، وذلك ما لا يأذن لها به برلمانها ، ولا تسكت عليه أمته في هذا الوقت التي أهرقتها فيه الضرائب . وإذا هي تم لها بنفود هؤلاء الحجّازين ما شرعت فيه من ذلك ، فرسخت أقدامها ، واستقرت قوتها فلن تخرج من البلاد ولن ترضى إلا الاستيلاء على سائر جزيرة العرب للحفاظ على ما تسميه مصالحها وطرق تجارتها ، وعلى ما تدعيه من إسعاد البلاد وأهلها كما تقول في مسألة السودان ، وهي عبرة للخدوعين بهؤلاء الحجّاريين إن كانوا غير حائذين لأمتهم وبلادهم ، أو جاهلين لمصالحهم الكثير من الدو .

(السبب الخامس) جعل حرم الله تعالى الأمين مركز ملك حربي يحالف ملكه بعض الملوك الأجانب غير المسلمين ، ويحمل لهم حقوقاً في الحرمين الشريفين غير مسألة الحماية التي تقدم ذكرها ، ويمادى آخرين ، ولا يجوز أن يحمل الحجّاز مركزاً حرياً أي عرضة للحرب لأن ذلك قد يؤدي إلى منع الحج الذي هو ركن الإسلام الاجتماعي العام الجامع للشعوب الإسلامية كلها . وإنما مصلحة المسلمين عامة ، وأهل الحجاز وجيرانهم خاصة جعل الحجّاز قطر حياد و سلام

والسعى لاعتراف جميع الدول بذلك . ولو فعل السيد حسين المكي ذلك لاستغنى به عن معاداة حيرانه من العرب والاستعداد لقتالهم ، ولاستغنى عما هو شر من ذلك وهو إهانة نفسه وبيته وأمه وملته وحرمة الله وحرمة رسوله بالالتجاء إلى حماية دولة غير مسلمة له ولهما .

(السبب السادس) أنه سعى بنفسه ملك العرب وملك البلاد العربية ، وحمله غروره بنفسه على السعى لإقناء أمراء جزيرة العرب المستقلين بالاعتراف له بذلك فسخرُوا من سعيه لسوء سياسته ، وساء ملكه على الحماية الأجنبية ، وضعفه وفساد إدارته ، واعتقاد كل منهم ، واعتقاد رعيته ، وسائر العارفين بحالهم أنهم أحق بالملك منه . ولكنه لم يرجع عن دعواه بل أصر على ذلك وحاول التوصل إليه بقوة الأجانب الذين جعلوا أحد أولاده ملكاً والآخر أميراً مرشحاً للملك في دائرة إمبراطوريتهم المرنسة ، فهو قد اتخذ جميع أمراء الجزيرة المحيطين بالحجاز أعداء له . وحسبنا شاهدين على هذا : ما صرح به لرئيس مؤتمر الجزيرة الذي أسسه لبث دعايته وتمهيد السيل له - وما جرى في مؤتمرات الكويت من الامتناع من الاتفاق الودي مع حكومة نجد ، وأنا نقل بعض كلامه في الشاهد الأول ونرجى الثاني إلى بيان الأسباب الخاصة لزعف النجديين على الحجاز .

نشرت جريدة القبلة في عدد ٧٢٧ الذي صدر بمكة في ٦ ربيع الآخر سنة ١٣٤٢ هـ بياناً عاماً من (اللجنة التنفيذية لمؤتمر الجزيرة) بإمضاء رئيسها (محمد ابن علوى) ذكر فيه ما صرح له به الملك حسين من تفسير الوحدة العربية الى يطلبها ، وهو أنه رسمها على الأساس الآتى :

« وهو وحدة البلاد العربية واستقلالها بحيث تكون خارجيتها ، وعسكريتها وسياستها العامة واحدة . أما داخليتها فالإمارات العربية المعروفة بجزيرة العرب

تكون على ما كانت عليه قبل الحرب ، وأن كل أمير في أى إمارة من هذه الإمارات الموروثة لهم من آبائهم ، وأجدادهم يستقل بداخليته ضمن الحدود التى كانت عليها إمارته قبل الحرب بشرط أن يرتبط مع المجموع الذى كل من خرج عنه منهم ، أو شد بالخروج عن الجامعة العربية يحكم عليه المجموع بمقتضى قوله تعالى : ﴿ فقاتلوا التى تبغى حتى تنفى إلى أمر الله ﴾ (١).

« وأما ما كان خارجا عن حدود تلك الإمارات سواء كانت تلك الإمارات قائمة بذاتها ضمن حدودها ، أو طرأ عليها الاغتصاب كـمسير قبل الحرب ، وابن رشيد بعد الهدنة فلا بد من عودتهم إلى ما كانوا عليه كعودة الإمام يحيى إلى صنعاء » .

ثم قال « ولذلك فهذه هى الخطة التى عليها نحيا ، وعليها نموت ، وعليها نبعث إن شاء الله من الآمين — لذا فلا بد من إعادة آل رشيد ، وآل عايض إلى إماراتهم وحدودهم وقبائلهم التى كانوا عليها ، وإعادة كل أمير من أمراء الجزيرة إلى ما كان عليه قبل الحرب » — إلى أن قال — « هذا الذى أدين الله عليه ولو لم تبق إلا ذاتى وحياتى لأنفقتها فى هذا السبيل » .

فهذا نص صريح من الملك حسين الذى سمي نفسه (ملك العرب وجميع البلاد العربية) بمعاودة جميع أمراء جزيرة العرب ، وجعلهم معه فى حالة حرب لأنه يدين الله تعالى بسلب كل واحد منهم بعض البلاد التى فى يده ، وجعلهم تابعين فى السياسة الخارجية والحربية والإدارة العامة لملك العرب أى له .

أذاع عنه هذا فى جريدة (القبلة) رئيس مؤتمر الجزيرة المستخدم عنده لهذا وهو الذى يرسل البرقيات إلى العالم الآن فى الأقراء على التجديدين لينفر العالم منهم .

(السبب السابع) إلحاده بظلم أهل الحرم . وإرهاقهم العسر من أمرهم بضرب المكوس الباطلة على كل ما يرد إلى البلاد من الأوقات وغيرها ، وباحتكاره القوت الضروري ، وهو الحبز بإبطاله جميع الأفران العامة والخاصة ، وإشائه أوراناً يكره الناس على الشراء منها بالنس الذي لا يمكن أن يزاحمه فيه أحد ، مع عدم المبالاة بقول النبي ﷺ : « احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه » رواه البخاري في تاريخه ، وأبو داود في سننه وأكثر رواة التفسير المأثور من حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه في معناه روايات أخرى عن عمر ، وابن عمر رضي الله عنهما مرفوعة^(١) . وموقوفة بغير ذلك من اغتصاب أوقاف الأشراف ، والأوقاف الأهلية في المدينة المنورة ، وبالحبس والتنكيل والتعذيب وقطع الأطراف والقتل بغير حق يحبزه الشرع ، ولا تطيل هنا في هذا ، وقد يباه بالتفصيل في مجلة « المنار » ، ولدينا مزيد وهو معروف عند أهل نجد .

(السبب الثامن) تحكمه بهواه في أمر فريضة الحج ، فهو يمنع منها من اتخذه أعداء له كأهل نجد ، ويضرب على سائر الحجاج المكوس غير المشروعة باسم جوارات السم ، ورسوم الصحة وغير ذلك مما أذاعه حجاج الآفاق في جميع الأقطار ، وشرحناه بالتفصيل في مجلة « المنار » .

(السبب التاسع) نشره في جريدة القلة أنه لا يوجد في العالم حكومة إسلامية

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢٥٥/٧) وعبد بن حميد ، وأبو داود وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن يعلى بن أمية مرفوعاً (أنظر : الدرر المنثور ٢٧/٦)

وأخرجه سعيد بن منصور ، والبخاري في تاريخه (٢٥٥/٧) وابن المنذر عن عمر مرفوعاً .

نقيم الحدود ، وتلتزم أحكام الشرع غير حكومته ، وتكفيره للترك ، والمصريين والتجديين ، وسنذكر بعض الشواهد على هذا في المقال التالي .

(العاشر) ادعائه مع كل ذلك الخلافة الإسلامية الذي يقتضى أن كل من يخالفه ، ولا يخضع حكومته من الشعوب ، والحكومات الإسلامية من الخوارج البغاة الذين يجب عليه ، وعلى سائر المسلمين قتالهم ، وقد ذكرنا آنفا رأيه في إمارات جزيرة العرب المجاورة للحجاز ، وتصريحه قبل إظهار دعوى الخلافة ، والدعوة العامة إلى مبايعته بها بأنه يدين الله تعالى بحملها تابعة الملك واحد ، وبعمومه الثابت على تنفيذ ذلك بالقوة . فكيف يكون شأنه بعد هذه الدعوى ، ومقتضاها عنده أنه يجب على أهل هذه البلاد كسائر المسلمين أن يكونوا تابعين ، له خاضعين لحكمه .

فمذه الأسباب العامة توجب على من قدر من أمراء المسلمين أن ينفذوا الحجاز من ساطة هذا المدعى المغرور كما فصلناه من قبل في « المنار » ، وسنجهل القول فيه في المقال التالي الذى نين فيه الأسباب الخاصة التى حملت أهل نجد على القيام بهذا العرض الكفائى ، وسبب تأنيهم فى ذلك وهو الاحترام للحرم الشريف .

المقالة الثالثة

الأسباب الخاصة بجند لزحف أهلها الحجاز

بيننا فى المقالة الثانية جل الأسباب العامة لانتفاذ الحجاز من السيد حسين المكي المستبد فيه التى يعدها السلطان عبد العزيز بن سعود موجبة شرعا للقيام بهذا العمل لمن قدر عليه مثله ، وإذا كنا نكتب أمثال هذه المقالات فى فترات قصيرة فختلسنا من شواغلنا الكثيرة اختلاسا نسبينا أن نذكر فى تلك الأسباب عجز المتغلب على الحجاز عن حفظ الأمن بين الحرمين الشريفين ، ونكته للعمود

التي عاهد أعرابها عليها حين دعاهم إلى الثورة والخروج على الدولة العثمانية وهو أن يعطيهم في كل سنة صمغى ما كان مرتباً لهم من الأموال التي كانت ترسلها الدولة إلى الحجاز لإعانة أهله ، فكان يعطيهم في سنة الثورة ، ثم منعهم بعدها كما منع أكثر المستحقين للإعانات التي ترسل من مصر ، فاضطروا إلى مع الناس من زيارة حرم الرسول ﷺ إلا من يؤدي لهم ما فرضوه بدلاً عما كانوا يأخذونه كما فصلناه في « المنار » .

ونبين الآن ما نتذكره من الأسباب الخاصة بالسجدين ، وهي ترجع إلى غرض واحد ، هو إزالة استقلال سلطنة نجد . وجعلها تابعة لما يسميه الممالك العربية الهاشمية ، وأسباب التي تذكرها حجج ناهضة تدل على ذلك وهي :

سرد هذه الأسباب الخاصة

١ - لما عقب انكسار الدولة العثمانية في الحرب البلقانية وضعنا مع بعض أهل الغيرة العربية والإسلامية خطة أوقاية بلاد العرب من استيلاء الأتراك عليها ، ومنها جمع كلمة أمراء العرب ، ووضع اتحاد حلقي بينهم لإزالة العدوان ، والتعاون على حفظ البلاد العربية ، وصيانتها من تعدى الأجانب ، والفصل في المنازعات الداخلية بين أولئك الأمراء ومن دونهم من القبائل بالتحكيم . .

وقد تولى كاتب هذه المقالات تبليغ أمراء اليمن ، ونجد ، وعسير ذلك ، لحاء منهم مکتوبات الاستحسان ، وطالب التفصيل ، وطرق التنفيذ ، وعهد إلى الشريف عبد الله أن يطلع ذلك والده حسينا إذا كان يرجح قبوله له . ولما وقعت الحرب الكبرى ، ودخلت الدولة العثمانية في حلقي دول أوروبا الكبرى ، وشرعت الدولة البريطانية تحادع جميع أمراء العرب وزعمائهم لاستخدامهم ، وتستمين بهم على الدولة ، ثم على أنفسهم لتكاثرهم على ذلك بسلب استقلالهم .

اشندت الحاجة إلى تحالفهم ، واتفاقهم على صيانة البلاد العربية ، والاحتياط لحفظ استقلالها إذا قهرت الدولة العثمانية ، وانكسرت مع أحلافها . ولما اتخذ أمير مكة هذا للرقية البريطانية بسوء سريره ، وجهه بشئون السياسة صارت الحاجة إلى ذلك أشد ، وقد أخبرني ولده السيد عبد الله أنه ذكر له اقتراحى ، ولكن وقعت الحرب عقب ذلك فشغلته الثورة عن إعادة القول فيه ، أخبرني بهذا فى مكة المكرمة بعد إتمامنا مناسك الحج ، ورغب إلى أن أكلّم والده فيه ، فكلمته ، وذكرت له شيئا من خداع السياسة ، وكون الاستفادة منها منوطه بالقوة . . ولما صرحت له بالمسألة اعتذر عنها بأنه إذا خاطب جيرانه بذلك يظنون أنه عاجز عن مقاومة الترك ، ويريد مساعدتهم وأن الرأى أن يرجى ذلك إلى أن يستولى على المدينة ، ويخرج الترك من الحجاز كله .

فقلت له : لا تكلفكم مخاطبة أحد منهم ، بل نحن نتولى ذلك ، ونرجو النجاح فيه ، وإنما نرجو أن نكون على بينة من رأيه فيه وثقة ، من رضاه ، وقبوله للاشتراك فيه إذا أقمنا سائر الآراء . . فلم يقبل حتى أنى قلت له :
لأنى أضمن لكم قبول صاحب نجد ، وإذا احتيج إلى ذهابى إليه بنفسى فإننى أفعل ، فلم يقبل ،

ثم قال أمام بعض بطائنه أو حاشيته . من هؤلاء الكلاب حتى اتفق معهم اليوم يوجد فى الدنيا رجل يقال له ابن سعود ، وغداً لا يوجد فى الدنيا ابن سعود . . .

٢ - إن أول عمل عمله بعد الاستيلاء على المدينة المنورة عقب خروج الترك منها بعد هدنة الحرب - وقد عجز عن أخذها منهم بالقوة - أنه جمع كل ما كان يقاتل به الترك هنالك من الجند النظامى ، والبدوى مجهزا بأحدث الأسلحة ، ولا سيما المدافع ، والرشاشات ، وقنايل اليد ، ووجههم بقيادة ولده

السيد عبد الله إلى الشرق لاسترداد الخزعة ، وتربة ، فالزحف على نجد ، وكانت تلك أعظم قوة حربية اجتمعت لهم في الحجاز يدير حركتها زهاء مائة ضابط عري ، نجلهم من ضباط العراق البارعين ، ولما وصلوا إلى الخزعة باغثوا أهلها ، وهم في صلاة الفجر ، ففتكوا بهم ، وهم يصلون شرفكة . فاستجد الشريف خالد عامل الخزعة الإخوان (الوهابيين) فزحفوا على ذلك الجيش المنظم ، فكانوا قضاء الله المبرم اصطاموا الجيش ، وغنموا سلاحه ، وكراعاه ، وذخيرته وقتلوا أكثر من ثمانين ضابطاً هم خيار ضباطه ، وفر الشريف عبد الله منهزماً يرى الإخوان مقلداً لهم في كلامه .

٣ - إن السيد حسيناً لم يقترح على الانكليز في « مقررات النهضة » أن يؤسسوا المملكة العربية ، ويقولوا حمايتها وحماياتها « من الداخل والخارج » إلا لما في قلبه من العداوة لابن سعود والخوف منه ، وهو هو الذي يعنيه بقوله في مادة الحماية الذي ذكرناه في المقالة الثانية « أو حسد بعض الأمراء » فابن سعود أولى الناس بثل هذا العرش المبني على جعل الحرمين تحت حماية غير المسلمين خوفاً منه ، وهاتئذ أولاء نقرأ في جميع الصحف ما جاء في البرقيات من (لندن) من استغاثة الشيخ حسين هذا بالدولة البريطانية ، ومطالبتها بإفقاد الحجاز من الوهابية ، فالانكليز يتصلون من الاعتراف أمام العالم الإسلامي بحمايتهم للحجاز لما يعلون من كراهة المسلمين لذلك ، وعده اعتداء عليهم في دينهم ، وهو لا يستحي من الحر بمطالبتهم بذلك ، ومكافأتهم عليه بتوقيع « المعاهدة البريطانية العربية » على علاقتها ، وإن كره أصدقاؤه من أهل فلسطين تضمناها لاعترافه بالانتداب البريطاني ، ووطن اليهود القوي في بلادهم ، وكره جميع المسلمين ما جعل للانكليز فيها من الحقوق في الحجاز ، وفي معاملة الحجاج ومتى كان يبالى بالمسلمين ، أو غير المسلمين إذا رضى عنه الانكليز ؟ ولكن من مصلحتهم الآن

أن لا يرضوا عنه ، ولا ينصروه وهم أعرق الناس في بناء سياستهم على المصلح لا كما يصنعهم بأنهم يعملون بمقتضى « الحسيات » بالمعنى الذى يفهمه هو .

٤ — إن هذا الرجل قد شرع منذ سعى (نفسه) ملك العرب ، وصاحب الممالك العربية ، وبإيعه مستضعفهم مكة وحدة في الحهر بالملك ، وفي السر بالخلافة الإسلامية (كما قالوا أخيراً عند تحديد الديعة) — شرع يطعن في دين الوهابية ، وعقائدهم ، ويرميهم بالكفر ، وتكفير المسلمين تمهيداً لقتالهم وأخذ بلادهم ، ولم يكتف في ذلك بما نشره في جريدته (القبلة) بلسانها ، بل صرح بذلك مراراً في مقالاته ومشوراته الرسمية كالمشور الرسمى الذى نشره في العدد ٢٠٢ المؤرخ في ٢٤ شوال سنة (١٣٣٦) ، والمشور الرسمى الذى أصدره في غرة ربيع الأول سنة (١٣٣٧) ، والمشور الرسمى الذى نشره في عدد ٨ جمادى الأولى سنة (١٣٣٧)

وقد صرح في المشور الثانى بعزمه على محو بدعة الوهابية «خدمة للدين وتنزيها له بما في هذا الريع ، والضلال ، وسلامة البلاد من سيئاته » وذكر في الثالث أنه معهم في موقف دفاع ثم قال « فحين محرر مشوراً هذا علاوة على ما سبق ليعلم القاصى والدانى أنه متى تحقق لدينا عدم نجاح خطة الدفاع أمام مبادئهم فلا بد للسلطان من قتالهم بكل موجوديته »

وهذان النصان الرسميان إنذار بأنه يرى وجوب قتالهم لأجل دينهم وإكراههم على ترك عقائدهم ، وما يدينون الله به ، وأنه هو سلطان المسلمين ، ويفعل هذا أصالة وبانية عنهم ، فإذا كان صرح بهذا ، والدولة العربية التى اقترح على العظمة البريطانية تأسيسها له رسم من الأوامر ، والحلافة التى رضىها له ملك الانكليز حلم من الأحلام ، فإذا عسى أن يعمل هؤلاء النجدين إذا استقر

ملك أولاده في العراق والشام، ورضى الانكليز بأن يؤلف بهم الوحدة العربية وقد سبق فادعى لنفسه الخلافة الإسلامية؟ اللهم الطف بعبادك، وارحمهم برحمتك، وأنقذ من هذا الطاغوت أهل حرمك، ولا تسلطه على أحد من خلقك « كتبت هذه المقالة قبل وصول خبر خلعهم ولكن تأخر نشرها^(١) ».

قلنا في مقال سابق: إن رميه الوهابيين بالمروق من الدين، واستحلال دماء المسلمين، قد اتبع فيه سلفه الطالح عند ظهور أمرهم في فجر القرن الثالث عشر للهجرة، ونذكر هنا ما فانا هالك من شهادة التاريخ على ذلك، لاتحاد العلم والمعلوم في فساد الأول والآخر، ولأنها من الشواهد على ما قبل من « أن التاريخ يعيد نفسه »:

قال المرحوم محمود فهمي باشا الممدس المصري في الجزء الأول من تاريخه (البحر الزاخر) في سياق الكلام على الوهابية:

« ومن بعد مدة استمرت في محاربات شديدة، ووقائع عديدة، دخل جميع بلاد العرب في العقائد الوهابية، أي العقائد الإصلاحية للديانة الإسلامية، وصارت نجد أيضا في حالة سياسية مدنية جديدة، وبدل أن كانت جهاتها منقسمة إلى عدة عشائر، وشعوب صغيرة مفصلة عن بعضها^(٢)، ومستمرة في حروب وكروب بين بعضها^(٣) صارت مقر دولة قوية، وسلطة سياسية، مثال سلطنة

(١) المنار. نشرت هذه المقالة في الأهرام في ٨ ربيع الأول وكانت أخبار الحجار قد حادتنا بأنه استقال، أو خلع حزب تألف من كبراء أهل جدة ومن هاجر إليها من مكة ونصب ولي عهده عليا ملكا دستوريا للعجاز وحده، ثم تبين أن ذلك كان خداعا كما سنبينه بعد (المؤلف).

(٢) الصواب: منفصل بعضها عن بعض.

(٣) الصواب فيما بينها.

العلماء القدماء ولرئيس هذه الدولة السلطة في الأعمال الدينية والدينية .
 ومع ما كان عليه الوهايون من الحروب والمبارزات في بلاد العرب
 لم يعتدوا على حقوق الحكومتين المجاورتين لهم ، ومما حكومة بغداد والحجاز ،
 وكانت قوافل الحجاج تمر من وسط أراضيهم من غير أن يحصل لآي قاطنة
 ضرر أو انزعاج ، وكانوا في أحوال أخوية ودية مع الشريف سرور^(١) شريف
 مكة . وفي سنة (١٧٨١) بعد الميلاد استحصلوا على رخصة منه في أداء حجهم
 وطوافهم بالكعبة ، فتولد من زيادة قوتهم ، ونفوذ شوكتهم اشتعال نار الحسد
 في قلب الشريف غالب^(٢) ، وفي ظرف بضع سنين من تقلده الحكومة وتوظفه
 شريف مكة^(٣) بعد الشريف سرور أعلن حربا على الوهاية وكانت طرائق هذا
 الحرب مثل طرائق حرب البدو متقطعا بهدات صغيرة قصيرة المدة ، ولما انتطمت
 محاربات الشريف غالب مع الدولة التركية العثمانية لم يهمل أدنى طريقة يمكنه
 لإجراؤها في تمكين الدولة العثمانية من دخول عساكرها في بلاد العرب لأجل
 الوقوع بالوهايين^(٤) ، إلا وأجراها ، وأثبت^(٥) أنهم من الملاحدين الكافرين ،
 وأن ماملتهم مع قوافل الحجاج التركية من أقبح الأعمال الفاسدة المضرة

(١) هو الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد الحسنى من أمراء مكة
 ت ١٢٠٢/١٧٨٨م (الأعلام ٨١/٣)

(٢) هو الشريف غالب بن مساعد بن سعيد الحسنى من أمراء مكة وليها بعد وفاة أخيه
 سرور، ت ١٢٣١/١٨١٦م (الأعلام ١١٥/٥)

(٣) أى توليته إمارة الحجاز (المؤلف) .

(٤) يقال وقع بالعدو وأوقع به أى قتل به في القتال وواقعه قاتله .

(٥) أى أكد وجزم كاذبا .

بالدين ا هـ . المراد منه هنا بحروفه على ما فيه من غلط لغوى (راجع ص ١٧٣ و ١٧٤ منه) .

ثم قد أعقب هذا الافتراء والافساد أن أمرت الدولة العثمانية بحكومة بغداد قتال الوهابيين فعملت فلما اشتغل الوهابيون بقتال الدولة ، ودخلوا العراق زحف الشريف غالب على نجد ، واستولى على قرية فيها فكان هذا هو السبب لزحف الوهابيين على الحجاز وفتحها .

والآن يريد خلفه حسين أن يبيع عليهم العالم الاسلامي كله ، والعالم الاوربي أيضا بما يرسله من البرقيات التي يلقفها بأسماء مجهولة لحجاج رعايا الدول الاوربية ، أو معروفة ككلجنة مؤتمر الجزيرة التي ألهمها بمكة للفساد والافساد في البلاد العربية ، فهو الذي كتب تلك البرقيات وهو الذي أرسلها إلى البلاد ، والافطار ، والصحف ، وكلاء الدول ، وجمعية الامم ^(١) من غير أن يكلف أحد منها قرشا من أجورها ، ومن غرائب غفلات الشر أن وجد منهم من يصدق ما قيل فيها من اتهام الوهابيين بارتكاب الفضائع التي لا يستيحيون شيئا منها ، وحسبهم أنها شهادة من عرف بالكذب على عدوه ، وأقرب ما اشتمر من كذبه في جريدته (القلمة) ، ومن كذبه في منشوراته الرسمية ادعاؤه مبايعة العالم

(١) لما فتح الوهابيون الطائف أرسل الملك حسين برقية طويلة من مكة باسم بعض أهلها وألوف الحجاج من رعايا الأجانب فيها إلى قتله الدول بمجدة وإلى جمعية الامم بسويسرة ، وعواصم أوربة ، وحرانها وأشهر مدن الشرق والغرب وجرائدها يزعم فيها أن الوهابيين اقترفوا أعظم الفضائع والمنكرات . . ثم ظهر كذب البرقية من وجوه متعددة وأن الذين سبقوا إلى احتلال الطائف كانوا من عرب الحجاز التابعين لجد لامن النجديين ، وإن النجديين لما وصلوا إلى الطائف انتظمت الأمور فيها كأنها لم تصل بار حرب (المواف) .

الإسلامي له بالخلافة حتى ملئ من مصر المشهورة .

هـ - شن الغارات عليهم، وبدؤوه بقتلهم عند كل فرصة سنحت له ، وأكبر هذه الغارات زحف ولده عبد الله بأكبر قوة اجتمعت له بعد إخلاء الترك للمدينة المنورة عقب هدنة الحرب العامة وهي التي ذكرناها في السبب الرابع آنفا وأوسطها زحفه على منطقة عسير في إثر وفاة السيد محمد علي الإدريس الذي كان قد تخلى عنها لسلطان نجد ، وفي إثر تكيل الوهاية بحملته هناك وقعت حادثة حجاج الين الذين اعتقد الوهايون أنهم نعمة منه فأطلقوا عليهم الرصاص وبعد أن عرف الأمر اضطر السلطان عبد العزيز للإمام يحيى عن هذا الخطأ ، واتفقا على حفظ المودة بينهما بتعويض مقبول معقول ، ولكن حسينا كان قد أمطر العالم كله برقيات في التشجيع على الوهايين .

وآخر هذه الغارات حملة ولي عهد حسين الأمير علي على الوهايين بالقرب

من خير ، وقد مهد لذلك بخدعة هو بارع بأمثالها

ذلك بأن أعلن عقب زيارته لشرق الأردن في أواخر العام الماضي بأنه قد عفا عن المسجونين والمعتدين ، وأباح المرور والدخول في المدينة المنورة وسائر الممالك الهاشمية ١١ وأنه لا حرج على الجديين في التجارة في بلاد الحجاز ولما تبعه نجده وولى عهده السيد علي أمير المدينة المنورة (١) وإلى شرق الأردن أمره بتأليف حملة لغزو عرب ابن سعود الخيميين بالقرب من خير اذ يكونون وادعين هنالك ، مغترين بذلك التأمين العام والعفو الشامل فألقها من ستمائه هجان وأربع مائة فارس بقيادة الشريف جعفر بن سلطان ففتكت بالاخوان المنفرقين في الأطراف وسلبت أموالهم ومراشيمهم وهمت بالرجوع ، ولكن نبأها كان وصل

(١) وهو الذي وردت البرقيات قبل نشر هذه المقالة بنصبه ملكا على الحجاز وهو اصغر من والده عن ارادته وحفظ الأمن فيه (المؤلف) .

إلى الاخوان الذين في جهة خير فأتبعوها وفككوا بها فتكة لم يسلم منها إلا أفراد من مارة الهزيمة واسترجعوا جميع ما أخذت، ووصل قائد الحملة الشريف جعفر إلى المدينة المنورة مضرجا بدمه فكان من سوء تأثير هذه الحملة أن زالت بقية الثقة بأقوال «ملك جميع البلاد العربية» على ما أضيف إليه من لقب «الخلافة الإسلامية» وانقطعت سبل التجارة بين نجد والمدينة المنورة كما انقطعت مع مكة قبلها، وكان ذلك سببا لشدة غلاء اللحم والسمن في الحجاز كله . -

على ان الأمير عليا اذاع في جرائد سورية وفلسطين وغيرهما وجريدتهم «قبلة» الكذب ان بعض الوهابيين حاولوا الاعتداء على سكة الحديد الحجازية فأدبتهم الجنود الهاشمية، او ما هذا معناه . هذا ملخص ما كتبه الينا بعض رجالهم بل صراطهم

٦ - بث حسين الدسائس وإغراؤه للعداوة والفتن بين نجد والبلاد المجاورة لها منذ اعتقد أن الحجاز صار ملكا له، وأنه سيكون في خاتمة الحرب ملكا على جميع البلاد العربية بما كان يكتبه إلى ابن الرشيد وآل عايش وغيرهم وهذا أمر قد أذاعته حكومته نجد في البلاغ الذي نشره الأمير فيصل نحل سلطان نجد في جرائد مصر وغيرها المؤرخ في ٢٠ رجب سنة (١٣٤٢) وقد جاء فيه ما نصه :

«إن تحت يدينا من الكتب والرسائل التي وجدت في ثروة، والخرمة، وعسير، ما يفيد أن ملك الحجاز وولده عبد الله لا يسعون إلا لشهواتهم ومصالحهم، ولو أدى ذلك إلى هدم بناء العرب ولكنتنا نتمسك عن نشرها الآن . فإن سمح لنا ملك الحجاز بنشرها نشرناها، وهناك يعلم العالم الإسلامي

والعربي تلك الجنائيات والفسائس، الخ

٧- ما ذكر في هذا البلاغ النجدي الرسمي من بث حسين الدسائس في بريدة من بلاد نجد، وإغرائها بالخروج على حكومتها.

٨- إنه كان سبباً في فشل مؤتمر الكويت إذ اشترط في الاتفاق مع ابن سعود تركه لبعض بلاده كما هو مشهور^(١).

فعلم من هذه الأسباب أنها تفصيل لخطه حسين فيما ساء الوحدة العربية التي ذكرنا نص عبارته الرسمية فيها في المقالة السابقة، وهي واضحة في أنه لا يقر له قرار حتى يزيل سلطة نجد من الوجود ويحمل بلادها تابعة له. وهذا كاف في عرف كل دولة وكل حكومة في العالم لمقابلته المثل، ولكن السلطان ابن سعود لم يحفل يوماً ما بعداوة شريف مكة لعله بضعفه وعجزه، أن ينال منه مالا وقد صرح نصريحاً رسمياً بأنه إنما يقصد الحجاز من ظله وبغيه لأجل المصلحتين الإسلامية والعربية اللتين فصلنا أسبابهما في المقالة السابقة و سنبين في المقال التالي وجه الوجوب الشرعي لهذا الإيقاد بمن سمي نفسه (المنقذ) ونبين أن هذا خدمة جليلة للمصلحتين بالدليل والبرهان.

المقالة الرابعة

الوثائق الرسمية لنجد على طاعوت الحجاز

(١) توأماً ملك الحجاز حسين هو واباء فيصل ملك العراق، وعبد الله أمير شرق الأردن على أن يشترطاً في اتفاقهما مع سلطان نجد على الحدود وغيرها الاتفاق على حدود الحجاز ومطالبه، وصرحوا بأن منها ترك سلطان نجد لبلاد حائل، والجبوف وسكاكه من بلاده المتصلة بسورية والخرمة وتربسه من جهة الحجاز ولعسير - ولذلك فشل مؤتمر الصلح. (المؤلف)

بيما في المقالة الثمانية الأسباب العامة التي توجب إنفاذ الحجاز من طاغوت مكة . حسين بن علي من قدر عليه من المسلمين كأهل نجد ، وفي المقالة الثالثة الأسباب الخاصة بأهل نجد أنفسهم ، وبسبب أن نعد منها معهم من التجارة في الحجاز بل جاء بالعرض وهو الذي كان من أسباب شدة غلاء السمن والاحم في مكة كما يبياه في « المنار » من قبل وقبلنا : إن هذه الأسباب الخاصة كافية في البعث على القتال ضد كل أمة ودولة وليكن سلطان نجد لا يزال بعداوة حسين له بلاده ولا بمظاهرة أصحاب الألقاب الفخمة له من أولاده الذين لم يستح كل واحد منهم بإظهار الاحتقار له بمثل قولهم : ليس ابن سعود إلا شيخ عشيرة أو قبيلة — ولما هو رجع الواجب الشرعي والمصلحة العامة الإسلامية والعربية على المصلحة النجدية الخاصة ونحن نؤيد قولنا بالوثائق الرسمية حقيقة أو حكما كما أيدنا كل موضوع كما يبياه في المقالات الثلاث

نشرنا في « المنار » ثلاث وثائق صدرت من الرياض عاصمة آل سعود فيما بين الحجاز ونجد من الخلاف سمعنا إلى نشرها كثير من جرائد مصر وغيرها من البلاد الشرقية ولا سيما العربية .

(الاولى) . بلاع بإمضاء الأمير فيصل نجل السلطان عبد العزيز آل سعود عنوانه « للحقيقة والتاريخ » وجهه إلى أشهر الصحف في العالم الإسلامي في ٢٠ رجب سنة (١٣٤٢) يتضمن معنى سلطان نجد في أثناء الحرب وبعدها لبناء الوحدة العربية ومقابلة الملك حسين له بالاستهزاء وسعيه لقمص بنيانها عما كان يسره من نار الفتن والدسائس ، الخ وقد حدثنا من سمع من لسان السلطان عبد العزيز آل سعود أن فيما كتبه إلى ملك الحجاز أن يكون هو (أى الملك حسين) رئيس الوحدة العربية المقترحة . . فهزى به ولم يرد عليه ، وفي هذا البلاغ إنذار

للك حسين بنشر المکتوبات التي وجدت بامضائه في تربيته، وعسير، والقصيم في الحث على الافساد والفتن إذا هو ماري فيه .

(الوثيقة الثانية) : بلاغ آخر منه « للعالم الاسلامي والشعب العربي » صدر من الرياض في ٢٨ شوال سنة (١٣٤٢) افتتحه بأنه مد بضع سنين قام افر من العرب بطلون باستقلال شعبهم واتحاد أمرائه خدمت حكومة نجد سعيهم .

قال : « وعرضنا عليهم مساعدتنا على أن نصنع حدا لمطامع الأجانب ، ومقدار مداخلتهم في بلاد العرب فأبوا إلا أن يفردوا بهذا العمل الخطير ، ويأخذوا على عاتقهم مسؤوليته ، ويحوزوا وحدهم تحرير بلاد العرب فقلنا : أبح الله استقلال العرب أيا كان المحرر والمقذ . ولكن ما كاد السيف يوضع في غمده حتى رأينا الاستقلال والتحرير وصاية وانتدابا ، وحتى رأينا شباب العرب وأحرارهم يقادون إلى السجون ويحلون عن بلادهم ، ويمنعون من الإقامة في ديارهم ، فهل الاستقلال أن يصبح العرب غرباء في بلادهم ، ومرافق الحياة في يد غيرهم ؟ ولو لا أن الحصار يمس شعور المسلمين احلاله لرأينا الانتداب قد ضرب عليه » .

ثم ذكر مناوأة هؤلاء الجناة على البلاد العربية لنجد جارتهم لأنها « قوية مستقلة لم تنفذ إليها مطامع المستعمرين » ثم قال :

« ان نجدا تمتد يدها لكل من يريد خير العرب ويسعى لاستقلال العرب ، وتساعد كل من ينهض لتحرير العرب واتحاد العرب .

« ان نجدا ترحب بكل عربي أبي ، وتعد أرضها وطنا لكل عربي سوري أو عراقي أو حجازي أو مصري ، إن نجدا لا تطمع في امتلاك أرض خاطئة

عن حدردها الطبيعية . ولكنها لا تقبل إلا أن تستقل بلاد العرب كلها استقلالاً صحيحاً لا يكون لغير أبنائها سلطان عليها .

ثم ذكر مسألة الخلافة فبنى أن تكون وظيفته روحية للتبرك، وأثبت أنها حق لجميع المسلمين ليس لجماعة، أو شعب حق البت فيها، وأنهم لذلك أنكروا على حسين بن علي «عجلته والخط من شأنها تقبوله هذا المصب الذي لا يليق له . وقال : إن أهل نجد يوافقون إخوانهم أهل مصر والهد في وجوب عرض هذه المسألة على مؤتمر يمثل الشعوب الإسلامية تمثيلاً صحيحاً .

فهذه تصريحات قطعية في رأى حكومة نجد في استقلال البلاد العربية استقلالاً صحيحاً مطلقاً من قيود الوصاية والانتداب التي جناها عليها بيت حسين الحجازي، ولا يزالون يخدمون حلفاءهم في تمكينها جهاراً، ونصوص لا تحتمل التأويل بأن أئمة نجد وحكامها يعدون جميع الشعوب الإسلامية لإخوانا لهم خلافاً لما يفتر به عليهم حسين بن علي وأجراؤه من عدم اعتراف النجديين لأحد بالإسلام غير الوهابيين

(الوثيقة الثالثة) ما صرح به السلطان عبد العزيز آل سعود نفسه في مؤتمر الشورى الذي عقد في الرياض عاصمة نجد في أول شهر ذي القعدة الماضي سنة (١٣٤٢) فقد اجتمع هنالك كبار علماء البلاد وزعمائها ورؤساء الأجناد وقوادها في قصر الإمام عبد الرحمن الفيصل والد السلطان الذي حصر مجلسهم وكانوا قد كتبوا إلى والده الحليل برغبتهم في أداء ركن الإسلام : الحج ، والاستعداد لغزو ملك الحجاز وصد عدوانه، فأخبرهم أنه أرسل مكاتباتهم إلى ولده (السلطان) في أوقاتها وقال لهم : أسألوه عنها .

فتكلم عنهم سلطان بن محمّد بن حميد زعيم برقاً من عتية وأمير هجرة ضلّفت قال :

«أيها الإمام ! إننا نريد الحجّ لأحالة ، ولا نستطيع أن نصبر على ترك ركن من أركان الإسلام مع قدرتنا عليه ، إن مكة ليست ملكاً لأحد ، ولا يحق لأحد أن يمنع مسلماً ، أو يصد مؤمناً عن أداء فريضة الحج . إننا نريد أن نحج ماإن منعنا شريف مكة ، دخلنا مكة بالقوة ، وإن لم يصدنا عن سبيل الله ، أو يلحق بنا أذى فنحن نحج ولا شأن لنا به . وإذا كنتم ترون من المصلحة تأخير فريضة الحج فلا بد من غزو الحجّار ، وتخليص البيت من سيطرة طاغية مكة الذي أرقق العباد ، وضرب من المكوس والرسوم على قاصدي بيت الله الحرام ما تبرأ منه الشريعة الطاهرة»

فأجاب السلطان بإحالة الحكم في مسألة الحج على العلماء فقرروا وجوب أدائه بالرضا ، أو القوة إلا أن يكون في ذلك مفسدة راجحة ، وسألوه عن ذلك ، فشرح لهم ما كان من سعيه للسلام والأمان في الجزيرة ، والعيش مع شرفاء مكة بالمحبة والمودة ، وما كان من سعي الشريف حسين لإلهاء الفتن بين النجديين إلى أن قال ما نصه :

«السلطان عبد العزيز : أيها العلماء والاخوان لقد سعت من مدة طويلة في سبط السلام والأمان داخل الجزيرة فحن لا بد أن نحارب من يسلطنا ، ولا نمتنع عن مصافاة من يضافينا . لقد أحببت أن نعيش مع أشراف الحجاز كما يعيش الجيران على المودة والمحبة ، ولكن شريف مكة كما تعلبون يسمى دائماً بـ«البدائس» وإلقاء بذور الخلاف بين عشائرتنا ، ولكنه كان دائماً يوه بالخسران ، والله لا يترك الحق يصرعه الباطل . إن شريف مكة قد ورث من أسلافه بفضكم فهو لا يفتأ يطمئن في طريقكم سوى وسيرتكم المحمدية ، ولا يألو جهداً في الإقتراف علينا والطمع على علمائنا ، ولكن أهل الحق لا يضرهم من ناوهم ، ولينصرهم الله ما نصرنا دينه ، وظاهروا شريعتهم .

« إن شريف مكة لم يكفه ادعاؤه الزعامة على العرب مع أنه أضعفهم، بل قام بلقب نفسه بإمارة المؤمنين مع أنه يعلم أن الاقطار الإسلامية كلها تبغضه، وأن علماءكم قد أرسلوا التفريقات إلى مصر، والهند ينكرون عليه هذه الدعوى التي لا نراه كفوا لها، ولا بد لنا من وضع حد لأكاذيبه وإفساداته.

« وأما الحج هذه السنة فلا أراه من مصلحتكم. أنا لا أقبل أن تهجروا وبكم شيء من الصعف، أو يلحق بكم نوع من الأذى والضرر، وإنى على يقين أن أخذ مكة والمدينة لا يحتاج إلى أكبر مجهود، ولكن مكة ليست لنا وحدها، بل هي للمسلمين كافة، ومادمننا لم نضع خطة بالاشتراك مع المسلمين فأنا لا أجزئ لكم الاستيلاء على إحدى المدن المقدسة.

« إن شريف مكة قد لا يمنعكم من الدخول إلى مكة ولكن الرجل لا يعدم وسائل الشر، فقد يدس من يتحرش بكم لتحدث فتنة في مكة في موسم الحج، وفيه المسلمون من كل جنس، وإنى أكاد أجزم أن هذه خير فرصة له ليهيج عليها العالم الإسلامي الذي أخذ يفهمنا ويقترب منا وتقترب منه، واعلموا أن الأمر لا يطول، فاصبروا إن الله مع الصابرين»

عندئذ قال العلماء بصوت واحد: إنه لا حرج عليكم من تأخير الفريضة هذا العام. مادام أن أدامها قد يؤدي إلى فتنة في بلد الله الحرام. ا. هـ.

فهذا نص قطعي رسمي من سلطان نجد في مجلس الشورى العام لبلاده في الحامل له على إنقاذ الحجاز من هذه الحكومة الطاغوتية القيصرية، المسماة بالعربية الهاشمية، لا تحتمل التأويل، ولا الدعاية السياسية التي لا تعرف في تلك البلاد ولو في غير ذلك المجلس الرسمي، ولقد صبر سلطان نجد صبرا لم يعد له نظير من قوى يعتدى عليه جميع أنواع الاضطهاد الدينية والدينية من ضعف عاجز.

بوصول ويغنى سرا وجهرا حتى يتجراً على مطالبة هذا القوى في مؤتمر الكويت بأن يترك لأمره جل مملكته - أعنى إقليم الاحساء الذى استرده سلطان نجد من الدولة العثمانية - وإمارة آل الرشيد الذين ناصبوا بلاده العداء حتى انتزعوها من والده بمساعدة الدولة، ثم أдал اقله له منه - وإمارة عسير التى استولى عليها بالاتفاق الذى عقد بينه وبين المرحوم السيد الإدريسي - وتربة والخرمة المختلف عليهما بين حدود الحجاز ونجد، ورضى ابن سعود باستفتاء أهلها.

ملخص ما تقدم: أن سلطان نجد قد علم هو وأتمته بعد التروى واستفتاء العلماء أن إنقاذ الحرمين الشريفين من حسين بن على واجب شرعا، ولو لم يكن لذلك من موجب إلا مع أهل نجد من الحج لكفى فكيف إذا أضيف إلى ذلك سائر ما أشرنا إليه فيما أجملناه في «الاهرام»، وفصلناه في «المنار»، من إلحاده بالظلم لأهل الحرمين، والحجاج، وإدخاله للنفوذ الاجبي في البلاد، وخطاره على الامة العربية وما بقى لها من البقعة الصغيرة المستقلة في جزيرتها، وتكفيره للترك وللصيرين كالجديدين ثم تنحله منصب الخلافة.

وفى تصريح السلطان عبد العزيز نص قطعى باعترافه هو وعلباء بلاده بإسلام جميع الشعوب الإسلامية، والرغبة في التعارف، والتواد معها، وبأن هؤلاء الأمراء الحجازيين ورثوا عن سلفهم تكفير الجسديين، والطمع فيهم، والتنفير منهم.

وقد استفتينا، واستغنى غيرنا في شأن هذا الباغي (الملك حسين) في سنة (١٣٤١هـ) فأفتى بعض علماء الأزهر بأنه من البهانة المتخليين الذين يجب قتالهم على إمام المسلمين، وكتبنا نحن فتوى معاولة نشرناها في «المنار»، الذى صدر في ذي الحجة من تلك السنة (ج ٨ م ٢٤ ص ٥٩٣-٦١٦) ونشرناها في جريدة

«الاهرام» أيضا أجملا فيها صفاته وجنباياته التي يقتضى بعضها الردة إلا أن يوجد ما يدفعها من شبهة ، وأقلام البغى والالحاد بالظلم في الحرم — إلى آخر ما لخصناه في هذه المقالات ، ولكننا استدركننا على من جعل حكمه حكم البغاة متسائلين : أين إمام المسلمين الأعظم الذي يجب عليه قتاله ؟؟

ثم بينا أن إنقاذ الحرمين من بغيه وظلمه يجب على كل من يقدر عليه من جماعات المسلمين وأمرائهم وأن أقدرهم على ذلك سلطان نجد ، وإمام اليمن وذكرنا ما يقال في المانع المشترك لهما من ذلك وهو الخوف أن يفضى إلى تدخل الانكليز في الحجاز لأنه جعله تحت حمايتهم — وقد ثبت هذا بدعوته هو وخلفه الخذول لهم ، واستنجاههما لإياهم لإرسال طياراتهم وغيرها لقتال سلطان نجد ، وإرجاعه عن الحجاز — وذكرنا أنه لا يرجى من إمام اليمن أن يقعد الحجاز — وما كان يقول أكثر الناس في مثل مصر وسورية من سب امتاع ابن سعود عن الاستيلاء على الحجاز وهو اصطاع الانكليز له بالمال ، وتخويلهم إياه من تأليب الحجاز ، والعراق ، وعرب فلسطين عليه إذا هو خالف رأيهم في ذلك ، وقولهم أنهم هم الذين صرفوه عن أخذ مكة بعد سحقه لأعظم قوة ساقها عليه الحجاز بقيادة الأمير عبد الله في تربة — ومن المعلوم أن سب هذه الآراء دعاية الحجازيين وأقوال جرائدهم المأجورة .

ثم ذكرنا أقوال الجديدين في سب ذلك وهي ترجع إلى سبين : (أحدهما) كراهة السلطان عبد العزيز آل سعود لسفك الدماء ، وحبه للسلم ، وأنه لذلك أخضع آل الرشيد بالحصار الطويل في أشد أيام العسرة والغلاء ، (وثانيهما) : تخرجه وتأنسه من دخول مكة فاتحاً ، وقد صح في الحديث أن القتال فيها لا يحل لأحد^(١) حتى قال بعض

(١) كما في حديث أبي شريح العدوي ، وابن عباس (أنظر صحيح البخارى ٤/٤٠ د

العلماء: إن أفراد الجناة الذين يثبت شرعاً وجوب قصاصهم يجب أن يقتلوا خارج الحرم^(١).

ثم ذكرنا أقوال الأئمة ، وكبار العلماء في مسألة القتل والقتال في الحرم ، وأن الشريف حسين لم يبال بجرمة الحرم فقاتل الترك فيه ، ولا يزال يقتل كل من يزين له هواء قتله ، ويسمى فعله حداً شرعياً ، وأن المخرج من ذلك سهل وهو كما قال بعض العلماء أن تحصر شقة الحرم وهي محدودة حتى يضطر المعتصم فيه إلى التسليم - وقد فعل ذلك الوهابية عند الاستيلاء على الحجاز في فجر القرن الثالث عشر للهجرة خصبوا الشريف غالباً وأعوانه وقطعوا عنهم ماء عين زبيدة حتى اضطروا إلى التسليم ، ودخل الوهابيون مكة محرمين .

وبذلك عللنا تأخرهم عن فتح مكة في هذه المرة على اختلاف أهواء الكتاب وآرائهم في تعليله ، وإرحاف أجراء الوكالة العربية الهاشمية الملكية الإمامية الخلفية^(٢) بمصر في هذه الفرصة تارة بأنهم عادوا أدراجهم مخذولين ، وتارة بانتظارهم للإشارات المطاعة أن ترد عليهم من لندن كانتظار الملك لخليفة

حسين أولاً ، وانتظار الملك على البياي الدستوري المبدئي ثانياً ١١١

وإننا لمعجب أن صدق هذه الفرية لبعض المصريين العارفين بالشئون العامة ، وسيمعلمون أن الانكليز يعدون نجاح الوهابية أكبر الأخطار على مطامعهم في العرب والإسلام .

كذلك سوغت لهم هذه الفرصة تكبير أمر هذا القتال بإيهام الناس أنه من أعظم الحروب تسيل فيه الدماء أنهاراً في المعارك التي تشيب لهواها الولدان ،

(١) انظر فتح الباري (٤/٤٧)

(٢) الخلفية بالتحريك نسبة إلى كلمة خليفة (المؤلف) .

وتمثيل الوهاية للناس في صور السباع الضاربة، والوحوش المفترسة : تبقر البطون ،
وتدق الصدور ، وتمزق الأشلاء ، وتلغ في الدماء ، وما حجتهم على ذلك إلا البرقية
التي طيرها مسيلمة الزمان حسين إلى جميع بقاع الأرض بإمضاء بل أسماء مجهولة
مر، سكان مكة وحجاجها ، وأنفق الآلاف عليها ، والحق الواقع أنه لم يكن ثم
إلا مناوشات ضئيلة مرتين أو ثلاثاً ، ولولا بعض اليمانيين وغيرهم في جيش الحجاز
لما وقع شيء من ذلك يذكر لأن أهل الحجاز يحمون على مقت الطاغوت المرق ،
الذي سمي نفسه الممقذ ، وما زالوا يدعون الله بإيقادهم منه حتى استحباب لهم .

وقد بنى على هذه الأراجيف الخاطئة الكاذبة الدعوة إلى استصراخ أم
الشرق والغرب من جميع الملل والنحل إلى التعاون ، والسعى لإيقاد البشر من هذه
الكارثة التي تصغر دون وقائعها معركة (فردون) وغيرها من معارك حرب
المدينة العظمى ، وإنما الغرض من ذلك إلقاء حكم الطاغوت الأكبر في حرم
الله تعالى يرمق أهله ، ومن يرد إليه من الحجاج ظلياً ، ويميت الآلاف منهم طمأ الخ
وقد اندفع بهذه الأراجيف مجلس الأمور الشرعية المحلية بفلسطين المسمى
بالمجلس الإسلامي الأعلى ، فطير البرقيات إلى ملوك المسلمين وجمعياتهم الدينية
وغيرها يستعصرخهم للتعاون على إيقاف هذه الحرب حقناً للدماء . . . وكذلك جمعية
الرابطة الشرقية التي رددت صدى هذا المجلس في جلسة لم تبلغني دعوتها إلا
بعد اجتماعها . ولا شك في حسن نية المجلس والجمعية ، ولو صدقت أراجيف
الحجاز لكنت على رأي إخواني فيهما ، فأنا وكيل هذه الجمعية ، وأعضاء المجلس
كلهم محترمون عندي ، ورئيسهم من خواص أصدقائي ومن أقرب الناس إلى رأيي .
قد طالت هذه المقالة وكنا نريد ختم هذه المقالات بها ، ولكن علينا بعد
كتابتها وقبل نشرها أن الله تعالى قد قضى على الطاغوت الأكبر مثار الشقاق والنفاق

حسين بن علي ، وأنفذ الحجاز منه ، فخرج من جدة مذؤما مدحورا ، و لوبقى فيه ولو بعد عزله لما أمنت شره ، وسينقذه قريبا من ولده ، وولى عهده وخليفته الملك على المهزوم المدحور ، الذى لم يكذب يسمى ملكا للحجاز بعد انهزامه من الطائف أولا ، ومن الهدى ثانيا ، ومن كرى ثالثا ، حتى أبرق إلى وكيل والده ناجى الأصيل بأن يعضى المعاهدة البريطانية الحجازية المتضمنة لإقرار الانكباب على السيادة على البلاد المقدسة وتمليك رقبته لليهود الصهيونيين وإعطاء البريطانيين من الحقوق فى الحجاز ما قامت قيامة العالم الإسلامى على والده من أجله .

وإن لنا كلمة ختامية فيما يجب على المسلمين للحجاز وأخرى فى السياسة البريطانية مع العرب فى هذا الطور الجديد

المقالة الخامسة^(١)

(ما ينبغي للمسلمين عليه وعمله)

أيها المسلمون !

إن الحجاز مهبط دينكم ، وفيه بيت ربكم ، وهو قبلة صلاتكم ، ومشاعر فسكم ، وشعائر الله لكم ، فيه يقام الحج الأكبر ، الذى هو ركن الإسلام الاجتماعى الأواحد ، وفيه مقام إبراهيم ، وقبر نبيكم الكريم ، عليهما من الله أفضل الصلاة والتسليم . وقد جاء الإسلام بحجة الأديان إلا فى حرم الله وحرم رسوله وسياجهما من جزيرة العرب ، فهما خاصان بدين الإسلام ، وقد امتدت إليهما أيدي غير المسلمين فى هذه الأيام .

روى الإمام أحمد فى مستنده من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : آخر

(١) نشرت فى الاهرام بتاريخ ١٩ ربيع الاول ١٨ أكتوبر (المؤلف) .

ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: «لا يترك بجزيرة العرب دينان»^(١).
وروى أحمد، ومسدد، والحميدى فى مسانيدهم، والبيهقى فى سننه من حديث
أبى عبيدة رضى الله عنه قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ: «أخرجوا
يهود أهل الحجر وأهل جحزان من جزيرة العرب»، وفى رواية: «نصارى
جحزان»^(٢).

وروى أحمد، والبخارى، ومسلم من حديث ابن عباس قال: اشتد برسول
الله ﷺ وجعه يوم الخميس، وأوصى عند موته بثلاث: «أخرجوا المشركين من
جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم».
قال سليمان الأحمول راوى الحديث عن سعيد بن جبيرة الذى سمعه من
ابن عباس: ونسبت الثالثة^(٣).

وحملها العلماء بالاحتمال على ما صح من وصاياہ الأخرى فى مرض موته ﷺ
كقوله: «لا تتخذوا قبرى وثناً». وفى موطأ الإمام مالك ما يشير إلى ذلك
— أو وفد أسامة — أو الوصية بالنساء والرقيق.

وقد أجلى النبى ﷺ بنى قينقاع، وقريظة، والضير المحاربين له من يهود
المدينة، وأندرس من بقى من اليهود الحلاء بعد عجزهم عن قتاله ليخرجوا بسلام،

(١) أخرجه ابن اسحاق فى سيرته كما فى نصب الراية (٤٥٤/٣) ومن طريقه أحمد
(٢٧٥/٦) وقال الدارقطنى هذا حديث صحيح (وراجع: شيخ الإسلام ابن
تيمية وحموده فى الحديث وعلومه رقم ٨١٧)

(٢) صحيح أخرجه الطيالسى (رقم ٢٢٩) والحميدى (٤٦/١) وأحمد (١٩٥/١) - ١٩٦
و (٢٢٢) والدارمى (٢٥٠١) والبيهقى (٢٠٧/٩ - ٢٠٨) من حديث أبى عبيدة
الجراح (وراجع: الصحيحة رقم ١١٣٢ وصحيح الجامع الصغير رقم ٢٣١).

(٣) أحمد (٢٧١/٤) والبخارى فى الجهاد (١٧٠/٦) ومسلم فى الوصية (١٢٥٧/٣)

ويحفظوا أموالهم ، فقد روى البخارى فى مواضع من صحيحه ، وأبو داود ، والنسائى عن أبى هريرة قال : بينما نحن فى المسجد خرج النبى ﷺ فقال : « انطلقوا إلى يهود » فانطلقنا حتى جئنا بيت المدراس (هو بؤرن المفتاح العالم الذى يدرس كتابهم) فقال : « أسلبوا تسلبوا ، واعلموا أن الأرض لله ورسوله ، وإننى أريد أن أجلبكم من هذه الأرض ، فمن يجد منكم بماله (أى بدل ماله) شيئاً فليبعه — فاعلموا أن الأرض لله ورسوله » والمراد أرض المدينة وسائر الحجاز^(١).

وروى أحمد ، ومسلم ، والترمذى من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا خرص اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً^(٢) » .

ولما كان أبو بكر رضى الله عنه لم يتسع له الوقت لتنفيذ هذه الوصية نفذها عمر رضى الله عنه فقد روى البخارى عن عبد الله أن عمر والده رضى الله عنهما أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وذكر يهود خيبر إلى أن قال . أجلاهم عمر إلى نيباء وأريحاء^(٣) .

سبب هذه الوصية النبوية معروف ، دلت الأحاديث الصحيحة وهو أن الله تعالى اطلع رسوله ﷺ على ما سيكون من مطاردة الأمم لأمته ، وسلبهم إياها

(١) البخارى فى الجزية (٢٧ / ١) والاعتصام (٣١٤ / ١٣) والاكراه (٣١٧ / ١٢) ومسلم فى الجهاد (١٣٨٧ / ٣) وأبو داود فى الخراج والامارة (٤٠٣ / ٣) والنسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف (٣٠٤ / ١٠)

(٢) أحمد (٢٩ / ١) ومسلم (١٣٨٨ / ٣) وأبو داود (٤٢٤ / ٣) والترمذى فى السير (رقم ١٦٠٦) والنسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف (١٦ / ٨) .

(٣) البخارى فى فرض الخنس (٢٥٢ / ٦)

ما يخولها الله تعالى من الملك ، ومحاربتهم القضاء على دينها بعد القضاء على ملكها فأراد أن يكون مهد الإسلام معقلا لها تعنص فيه ، ولا تجعل للامم التي ينبغي عليها سبيلا للتدخل في شؤونها ، كما تفعل الآن دول الاستعمار الكبرى ، وفي مقدمتها حليمة البيت الحسيني في الحجاز بريطانية العظمى : هذه الدولة التي أرادت أن تحمل طائفة القبط وسيلة لحرمان مصر من الاستقلال فلما خيروا أهلها خلقت مسألة الأقليات بدون قيد ، وكلفت نفسها بدون إذنهم ، أن تبقى محنة لمصر لأجل حمايتهم - هذه الدولة التي خلقت للعراق العربي شعبا آشوريا قضى عليه التاريخ منذ ألوف السنين ، ففقدته السلاح ، وحملته على مطالبة جمعية الأمم بتأسيس دولة جديدة له في العراق ، لأجل العداء والشقاق ، والتذرع به لإبقاء العراق تحت سلطانها إلى يوم التلاق - هذه الدولة التي ما زالت تؤكد للدولة العثمانية ، وتتوسل إلى إسقاطها بالأرمن والروم وغيرهم إلى أن سقطت ، وزالت من الأرض ، حاولت القضاء على شعبيها الإسلاميين الكبارين - العرب والترك - خلقت أحداث الزمان دون الإجهاز على الشعب التركي ، ووجدت من حسين المكي وأولاده أقوى نصير للقضاء على الشعب العربي ، فلما سلط الله تعالى عليه شعبا شديد الاعتصام بالإسلام ، طرده من الحجاز في هذه الأيام ، قامت جرائمهم تدعو بالويل والثبور ، وتندد قومه بالخطة الاسلحة العربي على ما سلوا من بلاد العرب أن ينعلت من أيديهم .

أيها المسلمون ! تأملوا الشواهد على صحة قولي هذا لعلمكم تنفكرون .
 روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا إلى النبي ﷺ قال : « إن الإسلام بدأ غريبا ، وسيعود كما بدأ ، ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها ^(١) » .

وروى الترمذى من حديث عمرو بن عوف [عن أبيه عن جده] مرفوعاً إليه ﷺ قال : إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروبة من رأس الجبل^(١) إن الدين بدأ غريباً ، ويرجع غريباً ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدى من سنتي^(٢) .

وملخص معنى هذه الأحاديث أن المسلمين سيطراً عليهم الفساد بالبدع حتى يكون الإسلام نفسه غريباً فيهم ، ومحتاجاً إلى الإصلاح ، وأنهم سيضطهدون بدينهم ولأجل دينهم ، حتى لا يجدون ملجأ يعتصمون فيه لإقامته إلا معقله الذى ظهر فيه غريباً وهو الحجاز ، فيكون فيه عزيزاً قوياً كعصم الوعول في شناخيب الجبال . ومن تمام التشبيه أن يستتبع ذلك ما استتبعه أولاً من الملك والعمران (إن شاء الله) .

أيها المسلمون ! إلى متى أنتم غافلون ، إن الدولة البريطانية ولاية حسين ابن على المكي وأولاده من دون الله والمسلمين هى التى أخذت على نفسها القضاء على دين الإسلام فى الشرق بعد القضاء على حكمه . وقد سلكت أقرب الطرق إلى ذلك وأقلها خسارة ونفقة ، وهو جعل الشعوب الإسلامية أسلحة لها تضرب بعضهم ببعض ، إلى أن يهلك الجميع ، وتكون السيادة لها وحدها على بلادهم .

وهى هى التى قاتلت المصريين باذن ولاية الأمر من السلطان والخديو .

وهى هى التى قاتلت السودانيين بالمصريين .

(١) أرز : كعلم وضرب ونصر : تجمع وانكش وعاد وثبت . والأروبة بضم الهمزة وكسر الواو وتشديد الياء أنثى الوعول وهى تعتصم فى أعلى الجبال .

(٢) الترمذى فى الإيمان وقال : حسن صحيح (١٨/٥)

وهي هي التي قاتلت قبل ذلك بعض ملوك الشرق وأمراءه بعض ،
 . ولا سيما في الهند ، كما سترون في «المبار» من مقال للسيد جمال الدين الأفغاني^(١) الذي
 كان أول من نبه الشرق عامة والمسلمين خاصة لعداوتها .

وهي هي التي قاتلت الترك بالعرب الذين خدعهم ملك الحجاز وأولاده
 حتى سلبت منهم أخصب بلادهم ، وقررت إعطاء البلاد المقدسة منها لليهود ،
 وجعلهم شعباً جديداً قويا بين مصر وسورية والحجاز ، يستعينون به على أهلها
 من العرب في حرمااتهم من رقعة بلادهم وخيراتنا .

وهي هي التي ألقت العداوة والبغضاء بين إمام اليمن والسيد الإدريسي .
 وهي هي التي أغرقت العداوة والبغضاء المورثتين بين النجديين وأمراء
 الحجاز .

وهي هي التي أطمعت الطاغوت حسين بن علي بالخلافة الإسلامية ، وملك
 العرب كلهم تحت حمايتها ، وقد بنا بعض الوثائق الرسمية في ذلك كله .
 أيها المسلمون ! إن العقل ، وحالة الاجتماع العامة ، وتقاليد السياسة الانكليزية
 الخارقة كلمها تؤيد معنى ما ورد في الحديث الذي صدقته وقائع التاريخ التي
 أشرنا إليها آنفاً من أن الله لا يهلك المسلمين إلا بقتال بعضهم لبعض .

روى مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ
 « إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها^(٢) وإن أمتي سيبلغ ملكها
 ما زوى لي منها ، وأعطيت الكثرين الأحمر والأبيض . وإنني سألت ربي لأمتي
 أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يساط عليها عدواً من سوى أنفسهم ، يستبيح

(١) نشر هذا المقال في ج ٧ و ٨ وكان الوعد في الأهرام قبل صدورهما (المؤلف) .

(٢) زوى الشيء - بزويه جمعه وقبضه والمراد أنه تعالى أطلعه عليها (المؤلف) .

بيضتهم^(١) وإن ربي قال لي : يا محمد ؟ إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد . وإنى أعطيتك لأنك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها — أو قال : من بين أقطارها — حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبى بعضهم بعضا^(٢) ،

وقد ظهر صدق هذا الحديث في الفتح الإسلامى للشرق والغرب ، ثم في ذهاب ملك المسلمين كما أشرنا إليه آنفا في شأن بعض دول الشرق الإسلامى ، ومثله دول الغرب القديمة والحديثة فلولا تفرق أهل الأندلس وتعاديهم وتقائلهم لما زالت دولتهم ، وورثها الأسبانيون ، ولو لا مسلمو مراكش لما فتحت فرنسا الجزائر ، ثم لو لا مسلمو الجزائر لما استولت فرنسا على مملكة مراكش .

أيها المسلمون ! لا يكن أمركم عليكم غمة في مسألة زحف النجديين لإيقاد الحجاز من صنعة الأجانب حسين المكي وأولاده . قد أيننا لكم بالوثائق الرسمية حقيقة السبب الحامل للسلطان ابن سعود على ذلك ، وأنه إسلامى محض لتأمين فريضة الحج ، ومنع الإلحاد والظلم في الحرم ، وقطع عروق العوذ الأجنبى في مهد الإسلام ، المانع من تنفيذ وصية المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وكذا منع حسين وأولاده مما صرح به رسميا من عرويه على إخضاع جميع حكومات جزيرة العرب لحكمه قبل ادعائه الخلافة فكيف يكون خطره بعد ادعائه حق الولاية العامة عليهم شرعا ؟

أرجف بعض الكتاب الذين يحددون السياسة الانكليزية من طريق الحجاز بأن سلطان نجد يريد إكراه حسين بضغطه على توقيع المعاهدة العربية البريطانية ،

(١) يكنى بالبيضة عن موضع سلطة القوم وملكهم ومستقر قوتهم وما يحمون من حقيقةتهم . (المؤلف)

(٢) مسلم في الفتن (٤/ ٢٢١٥) وراجع الصحيحة للأنبأني (رقم ٢)

فقد خضع عاد جيش نجد أدراجيه، ورددت جرائد أخرى هذا الإرحاف فظهر كذبهم.

وأرجفوا بأن ابن سعود ينفذ للانكليز في الحجاز ما لم ينفذه حسين، وأنهم هم الذين أغروه بالاستيلاء على الحجاز، فظهر كذبهم أتم الظهور بما نشرته صحيفة إرجافهم بمصر من رقيات لندن - أولا - من خبر الاتفاق بين ابن سعود ونورى باشا الشعلان رئيس قبائل الرولة على سماح الأول للثاني ببقعة الجوف بشرط منع الانكليز من مد سكة حديدية بين فلسطين والعراق - وثانيا - ببرقية التيمس التي أرسلها اليها مراسلها من الاسكندرية الناطقة بأن احتلال ابن السعود للحجاز ومواته الواقعة على البحر الأحمر مفعم بأخطار شديدة ١١ وأنه يحمل معظم القبائل على الانضواء إلى كنفه والسير تحت لوائه - وأنه يرجح أن ينتقل من إنقاذ الحجاز إلى إنقاذ شرق الأردن وفلسطين وكذا اليمن على احتمال.

ثم إن هذا الانكليزي الغيور على الإسلام والعرب طعن في دين الوهابيين ومذهبهم، ووصفهم بالوئحش وكراهة المدنية، وأظهر خوفه وحذره من إكراههم لغيرهم على اتباع مذهبهم وغيرته على المعاهد المقدسة ١١ واستدل بهذا كله على أنه يجب على الدولة البريطانية وهي أكبر دولة إسلامية (١١١) أن تبادر إلى رد الوهابيين عن الحجاز قال: «فتنقذ بذلك المعاهد المقدسة في الحجاز من أن تمسها يد الوهابيين بالتدمير والتخريب - وليس ذلك فقط - بل تزيل أيضا خطرا شديدا يهدد البلاد العربية، وتقضى على عامل يقلق السلم في جزيرة العرب، فإذا لم تزله زوالا تاما فإنها تخفف من حدته كثيرا»

المعنى الصريح المراد من هذا الكلام أن انكلترة ترى من أعظم الخطر على سياستها في البلاد العربية أو الإسلامية أن يوجد في المسلمين أمير مسلم قوى

ولا سيما إذا كان مسلما مؤمنا معتصما بدينه ، مؤيدا بشعب صادق الإيمان كابن سعود وقومه ، لا يباع ولا يشتري بالذهب الانكليزي ولا بالالغاب الهخمة الضخمة كحسين وأولاده ، لأن قوة مثل هذه تحول دون نجاح السياسة البريطانية في إزالة الإسلام من الأرض من حيث هو دين سيادة وسلطان ، ثم في إزالته من الأرض من حيث هو دين عقيدة وإيمان ، ويستتبع ذلك احتمال إنقاذ ما استعبدته من الشعوب الاسلامية والعربية .

ثم إن مراد كتاب الانكليز وصنائعهم بمصر من نشر هذه الأراجيف والتفصيلات تمهيد السبيل لحمل المسلمين في مثل الهند ، ومصر ، فلسطين ، وسورية على استتباع استيلاء الوهابيين على الحجاز ، وتمنى إخراجهم منه لتتوسل الدولة البريطانية بذلك إلى بذل قوتها لإجلائهم عنه خدمة للإسلام والمسلمين (١١) لأنها شديدة الحب لهذا الدين والإيمان به ، ومغرمة القلب بحب المسلمين كافة ، كما فعلت من قبل في احتلال أوطانهم حما فيهم ، وتكريما لدينهم (١١) وهل كان فتحها الصليبي للقدس الشريف ، واحتمالهم بذلك في جميع كنائسهم إلا من آثار هذا العشق والغرام ؟ وهل تملكها رقة فلسطين لليهود الصهيونيين ، وتجمديد ملك لهم في قلب بلاد العرب إلا من عشق الإسلام والمسلمين كافة ، والعرب منهم خاصة (١١)

يظهر أن مدير التيمس ومراسل التيمس بمصر وأمثالها لا يزالون يظنون كما يظن رجال الوزارة الخارجية البريطانية أن المسلمين لا يزالون كالبله يصدقون كل ما يقول الانكليز بدليل أن بعض أهل فلسطين ، وسورية ، والعراق لا يزالون يعظمون حسينا ، وفيصلا ، وعبد الله مع ظهور خيانتهم للأمة العربية ، وجنابتهم على الدين الاسلامي .

والصواب الذي يجب أن يعرفه الانكليز هو أن السواد الأعظم من المسلمين

صاروا على الرأى الذى سمعته من حسنى آفندى أحد مشايخ الإسلام المتأخرين فى الامتانة وهو: أن كل ما تقول دول أوربة لنا: إنه مفيد لكم فهو ضار بنا، وكل ما تقول لنا: إنه ضار بكم فهو نافع لنا، فليرجع الساسة الانكليز عن هذه الوسائل السخيفة، للتسكيل بالأمم الضعيفة، مع ادعاء المقاصد الشريفة، وليرجعوا عن مطامعهم التى لاحد لها، فإن ذلك خير لهم.

أيها المسلمون! حسبكم ما بينا لكم من الدلائل فى هذه المقالات وغيرها على مصاب الإسلام والعرب بهذا البيت الحجازى ووجوب تطهير الحجاز من جباياته على العرب والإسلام، وقد سحر الله لحرمة من أنقذه بأهون الوسائل فماذا يحب عليكم الآن؟ حذوا رأى أحيكم كاتب هذه المقالات الذى درس مسألة جزيرة العرب وأمراتها وسياسة الأحناب فيها بالعلم والعمل درسا طويلا عربيا عميقا فى أكثر من ربع قرن، وألخص ما يتعلق منه بموضوعنا فى القضايا الآتية:

١ - إن أعظم جناية يحنىها مسلم على الإسلام والمسلمين والعرب السعى لإقرار سلطة على بن حسين وإبقائه ملكا على الحجاز، فقد سنحت الآن الفرصة لأعظم إصلاح يمكن أن يقوم به المسلمون فى مهد دينهم، فإذا أضاعوها يخشى أن لا تعود.

قد تولى إمارة الحجاز كثيرون من هؤلاء الناس الذين يسمون شرفاء مكة فى بضعة قرون، فلم يخرج منهم مصلح فى علم، ولا عمل، ولا ديانة، ولا سياسة، ولا إدارة، بل كان أكثرهم مفسدب ظالمين، وأقلهم غير نافعين ولا صابرين، والدليل على ذلك سوء حالة الحجاز فى جميع هذه القرون، ورجوع بدوه إلى شر بما كانوا عليه فى الجاهلية، وكون حضره أسوأ حالا من جميع سكان المدن فى البلاد الشرقية.

وقد كان شرهم وأطمعهم وأشدّهم إلحاداً وإفساداً للدين والدنيا حسين بن علي الذي لم يبلغنا أن أحداً من الأمراء أبغضه أهل ملته وذموه مثله ، وهذا ولده قد سمى ملكاً في أسوأ حال نصب فيها حاكم في أمة ، أو بلد ينهزم أمام الفاتحين من مكان إلى مكان ، ويستغيث بجميع أهل الملل والنحل من جميع الأمم لينقذوه من هؤلاء الفاتحين ، ثم هو يقر حكومة والده الممقوتة رحالها كلهم ، ويبدأ أعماله السياسية بأمر وكيل والده في لندن بعقد تلك المعاهدة التي بين مسادها كتاب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

٢ - إنه لم يكن يوجد في الدنيا شعب إسلامي غير النحديين يمكنه إنقاذ الحجاز من الخطر الذي كان يحيط به بعد احتلال الأحانب لعلسطين ، وسورية ، والعراق ، واستيلائهم على سكة الحديد الحجازية من جانب العمران ، وقد كان هذا البلاء المبين بمساعدة هذا البيت الحجازي ، وها نحن أولاء نسمع ونقرأ ما يهدد الانكياز به الحجاز من عدم السماح لقوة إسلامية تؤسس فيه ثلثا تكون خطراً على ما صاروا يعدونه ملكاً لهم من بلاد العرب التي يزعم حسين وأولاده أنهم أنقذوها (فلسطين ، وشرق الأردن ، والعراق) .

ولا يخفى عليكم أن مقتضى القواعد السياسية الانكليزية وجوب الاستيلاء التام على الحجاز واحتلاله بالقوة العسكرية إن لم تكن تحت الإشراف البريطاني لأجل الأمن على المواصلات البريطانية بين فلسطين والعراق .

٣ - اعلبوا أنه لا توجد حكومة إسلامية غير حكومة نجد تقدر الآن على حفظ الأمن في الحجاز ، ومع التعدي على الحجاز ، ثم على إصلاح حال قبائل الأعراب فيه ، ومنعهم من الغزو لمجرد التعدي ، أو الكسب والنهب ، فيجب أن يعصدها جميع العالم الإسلامي ، وسيرون صحة قولي في هذا كما رأوه في غيره ،

ولاسيما الارحاف الأخير بالخوف على الكعبة المشرفة أن يهدمها الوهابيون ، أر
يمرقوا أستارها ، وأمثال هذه الأكاذيب التي كان يذيعها الإنكليز ، ومروجو
سياستهم الحجازية في مصر ، وسورية ، فقد دخلوا مكة كما دخلها أجدادهم في آخر
القرن العشرين معتمرين ، فطافوا بالكعبة المعظمة ، وقبلوا الحجر ، وصلوا سنة
الطواف ، ثم المريضة ، وآمنوا جميع الأهالي من كل اعتداء ، فلم يعتدوا على أحد ،
وصيلفون جميع الضرائب ، والمغارم التي أرهق حسين بها الناس ولما علم ذلك
عاد الذين كانوا فارين من مكة إلى جدة من الطريق ، ولابد أن يكون جميع الذين
فروا إلى جدة قبل ذلك قد ندموا لتصديقهم الملك السابق والملك اللاحق بأن
الوهابية سيمزقون أشلامهم ، ويقتلون بطون نسايتهم ، ويقطعون أعضاء أطفالهم
على مرأى منهم ، ثم ينهبون جميع ما يملكون ...

٤ - لأنه لا يلقى بالإسلام ، ولا يبيت الله الحرام ، أن يكون في مكة وهي
البلد الأمين ، والمعبد الأعظم للمسلمين ، ملك قاهر مستعل على الناس يقتل ويسجن
ويعذب ويمرض الغرامات ويعادي جيرانه ويقال لهم ، بل يجب أن يكون فيها
حكومة يديرها مجلس شرعي منتخب من خيار علمائها ، وعلماء الشعوب الإسلامية
الأخرى ، ويكون لهم رئيس يختارونه من أنفسهم في كل سنة ، ولا يكون لأى فرد
من الأفراد أن يستند بأى أمر في حرم الله برأيه .

٥ - يجب أن يكون الحجاز قطرا على الحياد لا يقاتل ولا يقايل ،
ولا يكون لأحد من الأجانب غير المسلمين نفوذ فيه ، ولا حق سكنى ، ولا ملك
ولا حماية أحد من الحجاج ولا من غيرهم . ولا يوجد مسلم يعرف دينه يرضى أن
يكون بلد الله الأمين تحت حماية حاكم غير مسلم ، أو يجعل نفسه ذريعة لتدخل
في شئون ، وإهانة لحكومته الإسلامية . وإذا كان قد عهد من أجل المسلمين

التابعين لدول غير إسلامية الصبر الجميل على ظلم أمراء مكة القبيح ، ولم يستحلوا أن يشكوا ذلك لحكوماتهم ، فكيف يكون شأنهم إذا صارت حكومة الحجاز شرعية شورية لا استبداد فيها ولا مجال للاستبداد .

٦ - يجب أن يكون الحجاز مهد العلم والصلاح والإصلاح . وقد ألفت في القاهرة جمعية إسلامية عامة للسعى لما يجب من تأميسه وحياده السلى بإعتراف جميع الدول ، ومن الإصلاح فيه اسمها (جمعية السلم العام في بلد الله الحرام) ، وستعلن الدعوة إليها .

٧ - إن ما أشرنا إليه ، ونقلنا بعضه في المقالة الرابعة من أقوال سلطان نجد بإبلاغى نجله وما لدينا من الاطلاع الخاص يعطينا اعتقادا جازما بأن السلطان عبد العزيز بن سعود يقبل بكل ارتياح ، أو يدعو إلى عقد مؤتمر إسلامى فى مكة المكرمة يؤاف من خواص مسلمى الشعوب الإسلامية المبحث وتقرير النظام الذى أشرنا إليه . كما أنه سيرسل وفدا من علماء نجد لحضور مؤتمر الخلافة الذى سيعقد فى مصر ، فهل كان أحد من المسلمين يطمع فى شيء من هذا قبل إنقاذ هذا الرجل العظيم للحجاز من قبضة الطاغوت ؟

المقالة السادسة^(١)

ماذا يفعل الوهايون بالحجرة النبوية ، وقبة الحرم الشريف ؟

كثير المشئون علينا من قراء هذه المقالات من العلماء والفضلاء قولاً وكتابة على ما بينا لهم من الحقائق ، مؤيدة بالدلائل والوثائق ، كما كثر طلاب (الهدية السنية ، والتحفة الوهاية التجديدية) حتى صارت تطلب من الأقطار البعيدة ،

(١) نشرت فى الاهرام بتاريخ ٢٦ ربيع الاول ٢٥ أكتوبر (المؤاف)

ووزعت منها ألوف عديدة ، وكثير السائلون لنا عما يشتهه عليهم من هذه الرسالة من أقوال الحرائد ، فأما من يلقوننا منهم فأننا نجيب كل سائل بقدر ما يتسع الوقت ، وأما الذين يكتبون إلينا منهم فنعتذر لهم ، بأننا لا نجد وقت فراغ من أعمالنا الضرورية فنصرفه في الكتابة لهم ، وإن كنا نعتقد أن الكتابة مفيدة لمن أراد أن يستفيد .

ومن الأسئلة الكتابية سؤال أرسل إلينا من طريق جريدة «الاهرام» هو أجدرها بأن لا يحاب عنه وإن كان مرسله مستعجلاً لا صبر له ، إذ هو يسأل عما يفعل الوهايون بالحجرة النبوية إذا هم فتحوا مكة والمدينة ، ويقيم عليهم الحجة إذا هم فعلوا ما زعم أنهم يدينون الله تعالى به ، وإذا هم لم يفعلوا على سواء . فأنا لا يعني أن أبحث في أمر المستقل ، وما عسى أن يفعل الوهاية فيه ، ولا يعني أن يحطى القوم في أمر ، فنقوم به عليهم الحجة ! ومتى فعلوا شيئاً يعلم السائل وغيره ذلك ، وهم على تشددهم في الدين غير معصومين ، فإن وقع منهم خطأ فقد وقع بمن هم خير منهم كالصحابة الذين قتلوا جماعة أسلموا بأمر خالد بن الوليد رضى الله عنه لأنه لم يثق بإسلامهم ، فلما أخبر النبي ﷺ بأمرهم قال : « اللهم أبرأ إليك مما فعل خالد ، اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد » رواه البخاري وغيره^(١).

ولكنني وجدت باعثاً دينياً دعائى للإجابة عن هذا السؤال الذى هو غير جدير بالإجابة عنه لداته ، وهو أن أبين للجاهل من الناس الذين لم يطلعوا على كتب السنة أصح ما ورد في هذا الباب ، مع فوائد أخرى تتعلق بما في السؤال

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٠ - ١٥١) والبخاري في المغازي (٨/ ٥٦ - ٥٧) والنسائي (٢/ ٢٠٥) من حديث ابن عمر .

من الاحتجاج ، افتداء بما ورد في آخر كتاب العلم من صحيح البخارى في باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله^(١) .

وهذا نص السؤال :

السلام عليكم ، وبعد : أرايتك يا أستاذ ، لو تم للإخوان الوهابيين فتح مكة والمدينة ، أيهدمون قبر النبي ﷺ . أعى يطمعون ما حوله من بناء وما فوقه من قباب ، إذ أنهم يدينون بتحريم ذلك ، ويعتقدون أنها بدع يجب استئصالها ؟ ؟

وهل لا يغضب العالم الاسلامى لمثل ما يأتون إذا حصل . . . ؟ وإذا راعى الإخوان في ذلك شعور العالم الاسلامى ، وتحاشوا تلك الاعمال عند هذا المقام ، فما معنى تلك الاسطر الكثيرة التى خطوها في هذا الباب ؟ أو هل كان النص نقطع سلسلة أتباعه هنا ، فهو مقصور على قبر غير النبي ﷺ . . . ؟ عجل يا سيدى بإجابتى ، وتقبل جميل احتراماتى

المخلص

محمد ابراهيم خليل ببولاق

جواب السؤال :

١ - الذى نظه أن الوهابيين لا يهدمون الحجرة التى فيها القبر الشريف ، ما قاله السائل من أنهم يدينون الله تعالى بتحريم ذلك البناء ، ويعتقدون أنها بدع يجب استئصالها - فيه نظر ، فان الدع المخالفة لصريح السنة هى اتخاذ القبور مساجد بأن يدفن الميت في المسجد ، أو يبنى المسجد على القبر . . كما يعلم بما يأتى . وقبر النبي ﷺ منفصل من المسجد في بناء وحده كان بيت زوجة عائشة رضى الله عنها وعن أبيها ، فالذى يصلى في المسجد لا يعد مصابيا إلى القبر ، وإذا

كان بعض الناس يدخل الحجرة الشريفة فيصلى إلى القبر يسئل منه .
وقد استولى القوم على الحرمين الشريفين في آخر القرن الثالث عشر الهجرى
(الموافق لأول القرن التاسع عشر الميلادى) ، ولم يهدموا الحجرة الشريفة ،
ولكن روى بعض المؤرخين أنهم أزالوا من فوق قبة الحرم النبوى الشريف
ما كان من شكل الهلال والكرة المذهيين ، وأنه كان من مرادهم هدم القبة ،
ولكن سقط ثلث من القبة الدين صعدوها لإزالة الكرة والهلال الذهبيين ،
فماتوا ، فاستدعوا من هدم القبة لذلك ، والمعلوم قطعاً أنهم لم يهدموا قبة الحرم ،
ولم يحدثوا اعتداء ، ولا تغييراً فى القبر الشريف ، وربما كان نزع الكرة
والهلال لاعتقادهم أنهما من الذهب فرأوا أن الارتفاع بهما فى خدمة الدين التى
يعتقدون القيام بها أولى من وضعها فوق القبة . على أن هذا الزخرف فى بناء
المساجد ليس من الدين فى شئ ، بل هو من البدع التى تعارض بها الملوك ،
وأسكرها عليهم بعض العلماء ، وسكت عنها بعضهم خوفاً منهم ، أو لأنهم عدوا
الكثير منها من البدع الديوية التى لا تمس العقائد ، ولا العبادات .

ثم انتدع هؤلاء الملوك بناء المساجد على قبورهم فكانوا يوصون بذلك
فينفذه أخصائهم ، وهو محرم بالنصوص الصحيحة الصريحة فأنكره قليل من العلماء
الربانيين ، وسكت عنه الآخرون خوفاً من شرهم ، أو طمعاً فى برهم ، كما يعلم
من الشواهد التى نزيدها على جواب السائل الفاضل .

٢ - إن العالم الإسلامى يغضب أشد الغضب أن هدموا القبة الخضراء ،
أو شيئاً من جدران الحجرة الشريفة لأن هذه المطاهر الفخمة ، والزخارف
الجميلة تد فى عرف جميع الدوام وكثير من يسمون الخواص من قبيل
شعائر الإسلام ، والمشعر الحرام ، بل هى عندهم أفضل من الركن والمقام ،

وأهم من الصلاة والصيام، ومنهم من يذهب إلى الحمام لأجل الزيارة، ولا يحشم لا لرؤية هذه المباني الفخمة، فإذا كان في إزالة شيء منها مصلحة من بعض الوجوه كالرجوع في الآوار الدينية وما يتعلق بها إلى مثل ما كانت عليه في عصر السلف، والتمييز بين ما هو مطلوب شرعاً، وما هو محذور أو غير مطلوب، فإن فيه مفسدة أكبر، والحال في أكثر البلاد الإسلامية على ما ذكرنا حتى صح فيها ما تنوء به خطاه المناير من تحول المعروف منكراً. والمنكر معروفاً. ودره المقاصد مقدم على جلب المصالح بشرطه المعروف عند العلماء.

٣ - إذا راعى الإخوان شعور العالم الإسلامي في ترك بعض المنكرات المتفق على حظرها على حالها درأً للمفسدة، وانقضاء لتغيير الكثيرين عن الإصلاح المقصود من إلقاء البلاد المقدسة، يكون عملهم هذا موافقاً للشرع، وقد علمنا بما دار في مؤتمر الشورى في عاصمة نجد أن العلماء أفتوا السلطان بجواز تأخير أداء فريضة الحج في الموسم الأخير إذا كان يترتب على أدائه مفسدة راجحة ووجود الحجرة البوذية نفسها ليس من المنكرات، بل من المعروف المتواتر خبره في كتب السنة كالمسجد النبوي، وإنما تغير شكل البناء، وأمره حين لا يذكر مع تركهم للحج خوفاً من المفسدة

ومن دلائل السنة على هذه المراعاة بهذا القصد ما ثبت في الصحيحين^(١) وغيرهما من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ كان كارها لما عليه بناء

(١) أخرجه أحمد (١١٣/٦ و ١٧٧ و ٢٤٧)، والبخارى في الحج (٣/٤٢٩)،
والإنيشا (٦/٤٠٧)، والتفسير سورة البقرة (٨/١٧٠)، ومسلم في الحج

قريش للكعبة مقتصرة من جهة الشمال عن قواعد جده ابراهيم (عليها وآلها الصلاة والسلام) من جعل بابها مرتفعاً ليدخلوا من شاؤا، ويمنعوا من شاؤا، وأنه كان ﷺ يود لو نقضها فأعاد بناءها على أساس ابراهيم ، وجعل لها بابين لاصقين بالأرض ليدخل كل من أراد من باب ، ويخرج من الآخر ، وما منه من ذلك إلا حدائنة عهدهم بالكفر والجاهلية كما صرح به لعائشة ، والحديث في ذلك مكرر في الصحيحين وغيرهما ، فإذا كان المعصوم ﷺ خاف أن تسكر قلوب حديثي العهد بالشرك من المؤمنين هدمه للكعبة ، وبنائها على أتم وأفضل مما بناها عليه المشركون ، فراعاة الإخوان مثل ذلك يعد عملاً شرعياً .

الزيادة على الجواب

إذا أراد السائل وأمثاله نصاً عن الأئمة المجتهدين في هذه المباني الفخمة ، والزينة في الحرم السوى الشريف ، فليراجع ما قاله العلامة الشاطبي في كتابه الاعتصام في بحث الشروط التي تشترط لعد البدع من المعاصي الصغار كبار ، حتى إذا ما بلغ الشرط الثالث وهو « أن لا تفعل البدعة في المواضع التي هي مجتمعات الناس ، والمواضع التي تقام فيها السنن ، وتظهر فيها أعلام الشريعة ، يحد من الدلائل على هذا الشرط ما نصه :

« قال أبو مصعب : قدم علينا ابن مهدي ، فضلى ، ووضع رداءه بين يدي الصف ، فلما سلم الإمام رمقه الناس بأبصارهم ، ورمقوا مالكاً (هو الإمام مالك ابن أنس) وكان قد صلى خلف الإمام ، فلما سلم . قال : من هاهنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان ، فقال : خذا صاحب هذا الثوب ، فاحبساه ، فحبس ، فقبل له : إنه ابن مهدي (أى قيل للمالك : إن هذا الذى حبس هو عبد الرحمن بن مهدي الإمام المشهور ، وهو من أقران مالك في الحديث) فوجه إليه ، وقال له : أما

خفت الله ، واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف ، وشغلت المصلين بالنظر إليه ، وأحدثت في مسجدنا شيئا ما كما نعرفه ؟ وقد قال النبي ﷺ .
 « من أحدث في مسجدنا حدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين »^(١) ،
 فكى ابن مهدي ، وآلى على نفسه أن لا يفعل ذلك في مسجد النبي ﷺ ولا في غيره

وفي رواية. أن عبد الرحمن بن مهدي اعتذر بأنه ثقل عليه رداؤه من شدة الحر ، فوضعه ، ولم يقصد مخالفة من مضى^(٢). أى في عدم إحداث شيء جديد في مسجده ﷺ .

فاذا كان إمام دار الهجرة يرى أن من مخالفة الحديث الشريف الذي رواه هو ، ومن بعده من أصحاب الصحاح والسنن أن يضع المصل رداؤه أمامه لأن

(١) أخرجه أحمد (١/٨١ و ١٠٨ و ١١٨ و ١٢٢ و ١٢٦ و ١٥١ و ١٥٢) ،
 والبخارى في الاعتصام (٢٨١/١٣) ، والحزبة (٢٧٣/٦) ، والفرائص (١٢/٤٢) ،
 ومسلم في الحج (٢/٩٩٤-٩٩٥) ، والتمتق (٢/١١٤٧) من حديث علي وأخرجه أحمد (٣/٢٣٨ و ٢٤٢) ، ومسلم من حديث أنس .
 وأخرجه أحمد (٢/٣٩٨ و ٤٥٠ و ٥٢٢) ، ومسلم (٢/٩٩٥) من حديث أبي هريرة .

(٢) أورده القاضى عياض في ترتيب المدارك (١/١٧١) ولفظ الرواية الأخرى عنده : وفي رواية عن ابن مهدي ، قال : فقلت للحرسين : تذهباني إلى أبي عبد الله قالوا : إن شئت ، فذهباني إليه ، فقال : يا عبد الرحمن ! تصلي متسليا ؟ فقلت : يا أبا عبد الله ! إنه كان يوما حارا كما رأيت ، فنقل رداؤى على ، فقال : الله ما أردت بذلك الطعن على من مضى ، والخلاف عليهم ، قلت : الله . فقال : خياه .

هذا لم يكن في عهده عليه السلام، وكل ما لم يكن في عهده يصدق عليه أنه إحداث،
وابتداع فيه، يستحق صاحبه تلك اللعنة الشاملة المحيطة، فوالقول عنده في سائر
الأحداث؟

والإمام مالك متفق على جلالته واجتهاده، ويلقبه بعض المحدثين حتى من
غير المالكية بالإمام الأعظم، ولكنه لو خرج اليوم من قبره، وأراد أن يعمل
المسجد النبوي كما كان في عصره، لرجحه جماهير المسلمين بالحجارة، وفي مقدمتهم
أتباع مذهب من المعاربة، والسودانيين، والمصريين!!

نكتفي بهذا القدر من الريادة الآن، وسذكر في المقال المتتم لهذه الفتوى
بعض الأحاديث المحتج بها في أحكام القبور والمساجد، وأقوال بعض كبار الفقهاء
من غير الحنابلة لأن هذه فرصة تنبئت فيها الأذهان للتمييز بين السنن والبدع.

المقالة السابعة^(١)

القبور ومساجدها وقبابها

قد عم الجهل بالإسلام حتى صار ألوف الألوف من المسلمين - جنسية
لاهداية - يعدون بعض الحق من عقائده، وآدابه، وأحكامه باطلاً، والباطل
من البدع المحدثنة فيه حقاً وسبب هذا إهمال التعليم الديني، والإرشاد الإسلامي
وترك مريضة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فانقلب الأمر، وانعكس
الوضع، وصار الكثيرون يعدون كثيراً من المعروف منكراً، ومن المنكر معروفاً
حتى في الأمور المتعلقة بصحة الإيمان.

(١) نشرت جريدة «الاهرام» بتاريخ ٢٩ في ربيع الأول و ٢٨ أكتوبر (المؤلف).

ولما فشت البدع ، ورسخت ، صارت مألوفة ، وعز على المشتغلين بالعلم أن يطبقوا على أصحابها أحكام الشرع في أحكام الردة ، والخروج من الإسلام ، وأحكام رد الشهادة ، ثم صار بعضهم يتأول لهم ، ولو التمثل البعيد عن النقل والعقل .

لهذا اضطرب الناس في الإصلاح والتحديد للدين الذي قام به الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الحنبلي السلفي في نجد وأولاده ، وأحفاده ، وتلاميذهم بتأييد أمراء نجد ابن سعود وآل سعود لأنهم أقاموا أحكام الإسلام ، بالعلم ، والعمل ، والتأييد بالحكم النافذ — فرأى أمراء الحجاز المفسدون مجالا واسعا لاتهمهم بتكفير المسلمين ، واستباحة دماهم — ووافقهم الدولة العثمانية يومئذ على ذلك لإماتة ذلك الإصلاح لئلا يفصى إلى تأسيس دولة عربية قوية في بلاد العرب ، مع أن الدولة كانت تعد فرق الباطنية كالصيرية ، والاسماعيلية ، والدروز مسلمين إذ كانت أبعد الحكومات الإسلامية عن التكفير ، وعن مقاومة البدع ، إلا أن يكون لأجل السياسة كفتالها للاميرانيين ، وكل من هذا ، وذلك دوران مع السياسة يدل عليه أن الشعب التركي يثنى على الوهابيين اليوم ، وتنمى جرائده لهم الفوز بالاستيلاء على الحجاز لأن الحجاز قد خرج من دائرة دولتهم ، وكان المتغلب عليه عدوا لهم .

أشهر ما اشتهر من إصلاح الوهابيين الذي سماه الجاهلون بدعة ، أو مذهبا جديدا ، أو دينا محدثا منع البدع ، والمعاصي المتعلقة بقصور الأنبياء ، والأولياء ، وأهل البيت ، وإننا ننشر للجمهور الآن بعض ما ورد في ذلك من الأحاديث النبوية ، وأقوال بعض الفقهاء المشهورين من المجتهدين ، والمتمسكين إلى المذاهب

المشهورة ليميزوا به الحق من الباطل والهدى من الضلال .
 جاء في «كتاب الزواجر» للفقهاء المشهور أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي
 المولود بمصر سنة ٩٠٩هـ والمتوفى بمكة سنة ٩٧٣هـ - ما نصه :

الكبيرة ٩٣-٩٨

اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانا،
 والطواف بها واستسلامها، والصلاة إليها

أحرج الطبراني بسند لا بأس به عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال :
 عهدى نبيكم قبل وفاته بخمس ليال فسمعتة يقول : «لأنه لم يكن نبي إلا وله خليل
 من أمته ، وإن خليلي أبو بكر بن أبي قحافة ، وإن الله اتخذ صاحبكم خليلا ،
 ألا وإن الأمم قسكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، وإنى أنهاكم عن
 ذلك ، اللهم إني بلغت ، ثلاث مرات ، ثم قال : « اللهم أشهد ، ثلاث مرات -
 الحديث (١) .

والطبراني : « لا تصلوا إلى قبر ، ولا تصلوا على قبر (٢) » .

(١) أخرجه الطبراني في المجمع الكبير (٤١/١٩) بسنده عن عبيد الله بن زحر عن
 علي بن يزيد الأنصاري - وهما ضعيفان - عن القاسم عن أبي أمامة عن كعب بن
 مالك الأنصاري . وقال الهيتمي : فيه عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد وهما ضعيفان
 وقد وثقا (٢٣٧/٤)

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٥١ ١٢ و ١٢١٦٨) ، وصححه الألباني للطريق آخر
 عن ابن عباس (انظر: صحيح الجامع الصغير ١٥٩/٦ والصحيحة ١٠١٦ ، وتحذير
 الساجد ص ٣١)

وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن ابن عباس
رضي الله عنهما «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد
والسرح»^(١).

ومسلم «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد فإني
أنهاكم عن ذلك»^(٢).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٤/٣)، وأحمد (٢٢٩/١) و ٢٨٧ و ٣٢٤ و ٣٣٧)،
والطحاوي (منحة المعبود ١٧١/١)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (١٣٦/٢)
رقم ٣٢٠)، والنسائي (٢٨٧/١)، والطبراني (١٤٨/١٢)، وابن حبان
(٧٨٨)، والحاكم (٣٧٤/١)، والبيهقي (٧٨/٤)، وهو حديث حسن لشواهد
غير (لعن المتخذين عليها السرح)، كما فصلته في كتابي «شيخ الإسلام ابن تيمية
وجهوده في الحديث وعلومه» (رقم ٧٠٥)، وقوله: «لعن المتخذين عليها السرح»،
ضعيف لعدم وجود شاهده كما ذكره شيخنا الألباني حفظه الله في الضعيفة (٢٢٥)
والإرواء (٧٦١)، وأحكام الجنائز (١٨٥)

(٢) أخرجه ابن سعد (٢٤١/٢)، وابن أبي شيبة (٣٧٦/٢)، ومسلم في المساجد
(٣٧٧/٢ - ٣٧٨)، وأبو عوانة (٤٠١/١)، والطبراني في الكبير (١٦٨/٢)
رقم ١٦٨٦) من حديث عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن
مرة عن عبد الله بن الحارث النجرائي قال حدثني: جندب قال: سمعت النبي ﷺ
قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله
قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخداً من أمي خليلاً
لا اتخذت أباً بكر خليلاً، ألا، وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم
وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك.
هذا لفظ مسلم ونحوه في مسند أبي عوانة والطبراني واكتفى ابن سعد وابن =

وأحد : إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون قبور مساجد^(١) .

وأحمد ، وأبوداود ، والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم ، والأرض كلها مسجد لا المقبرة والحمام^(٢) .

= أبى شيبة بذكر ما يتعلق باتخاذ القبور مساجد من قوله . ألا وإن من كان قبلكم . هذا ، وقد ورد في طبعة ابن أبى شيبة : (حدثنى جدى) بدل (حدثنى جندب) وهذا الذى حل شيخنا الألبانى على إيراد هذا الحديث في تحذير الساجد (عن) الحارث النحرافى بعد ذكر حديث جندب ، فاقضى التمسيم .

(١) أخرجه أحمد (٤٠٥/١ و ٤٣٥) وابن أبى شيبة (١٤٠/٤) وابن خزيمة في صحيحه (٧ / ٢ رقم ٧٨٩) ، وابن حبان (الموارد ٣٤٠ - ٣٤١) ، والطبرانى (٢٣٢/١٠) ، وأبو يعلى في مسنده (١/٢٥٧) ، وأبو يعلى في أخبار أصفهان (١٤٢/١) من حديث ابن مسعود .

وحسن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم إسناده ، وصححه الألبانى بمجموع طرقه .

راجع : تحذير الساجد (٢٧) وشيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه (رقم ٥٥٩)

(٢) أخرجه أحمد (٨٣/٣) ، وأبوداود في الصلاة (٤٩٢) ، والترمذى (٣١٧) وابن ماجه (٧٤٥) ، والبيهقى (٢ / ٤٣٤ - ٤٣٥) ، وابن خزيمة (٧٩١) ، وابن حبان (الموارد ٢٣٨ - ٢٣٩) ، والحاكم (٢٥١/١)

وصححه ابن حزم ، وابن حبان ، وابن خزيمة والحاكم والدارقطنى وابن تيمية وأحمد شاكر ، والألبانى ، وهو مخرج عندى في كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه (رقم ٥٥٤)

والشيخان وأبو داود: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(١).
 وأحمد عن أسامة^(٢). وأحمد والشيخان والنسائي عن عائشة وابن عباس^(٣)
 ومسلم عن أبي هريرة^(٤) بمعناه^(٥).
 وأحمد والشيخان، والنسائي: «أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات،
 بوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله
 يوم القيامة»^(٦).

وابن حبان عن أنس. «نهى ﷺ عن الصلاة إلى القبور»^(٧).
 وأحمد والطبراني: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء»

-
- (١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٤ و ٣٦٦ و ٣٩٦ و ٤٥٢ و ٥١٨)، والبخاري في الصلاة (٥٣٢/١)، ومسلم في المساجد (٣٧٧/١)
 (٢) أخرجه الطيالسي (منحة المعبود ٢/ ١١٣)، وأحمد (٥/ ٢٠٤) من حديث
 أسامة، وقال الهيثمي: رجاله موثقون (مجمع الزوائد ٢/ ٢٧)
 وأورده الألباني في تحذير الساجد وقال: وسنده حسن في الشواهد (٢١)
 (٣) أحمد (١/ ٢١٨ و ٣٤/ ٦ و ٢٢٩ و ٢٧٥)، والدارمي (١/ ٣٢٦)، والبخاري
 في الصلاة (٥٣٢/١)، ومسلم (٣٧٧/١) من حديث عائشة وابن عباس.
 (٤) مسلم في المساجد (٣٧٦/١ - ٣٧٧)
 (٥) وفيه زيادة «والنصارى» وما في الحديث بعده وكان ذكره ﷺ كنيسة في
 الحشنة فيها صور الخ (المؤلف).
 (٦) أخرجه أحمد (٦/ ٥١) والبخاري في الصلاة (١/ ٥٢٣ - ٥٢٤)، ومسلم في
 المساجد (٣٧٥/١ - ٣٧٦)، والنسائي في الصلاة (١/ ٨٢ رقم ٧٠٥)
 (٧) صحيح ابن حبان (٣/ ٣٢)

ومن يتخذ القبور مساجد^(١) .

وابن سعد: «ألا. إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك^(٢)» .

وعبد الرزاق: «إن من شرار الناس من يتخذ القبور مساجد^(٣)» .

وأيضاً: «كانت بنو إسرائيل اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، فلعنهم الله تعالى^(٤)» .

ثم قال المصنف بعد سرد هذه الأحاديث :

(نفسه) عد هذه الستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية ، وكأناه أخذ ذلك بما ذكرته من هذه الأحاديث ، ووجه أخذ اتخاذ القبر مسجداً منها واضح ، لأنه لمن فعل ذلك بقبور أنبيائه ، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ، ففيه تحذير لنا كما في رواية : «يحذر ما صنعوا^(٥)» أى يحذر أمته لقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك فيلعبوا كما لعبوا .

(١) تقدم قريباً .

(٢) وهو حديث جندب الذى تقدم تحريجه .

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١ / ٤٠٥ رقم ١٥٨٦) عن معمر والثورى عن أبي إسحاق والعارث عن علي - وأحسب أن معمر أرفعه - قال فذكره .

(٤) أخرجه عبد الرزاق (١ / ٤٠٦ رقم ١٥٩١) عن ابن جريج عن عمرو بن دينار - وسئل عن الصلاة وسط القبور - . قال : ذكر لى أن النبي ﷺ قال فذكره .

(٥) هذه الجملة من كلام عائشة قالتها بعد رواية لعنه ﷺ لمن اتخذوا القبور مساجد . تعليلاً للعن (المؤلف)

«اتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو إليه ، وحينئذ فقوله «والصلاة إليها» مكرر ، إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط»^(١)

«نعم إنما يتجه هذا الأخذ إن كان القبر قبر معظم من نبي ، أو ولي كما أشارت إليه الرواية : «إذا كان فيهم الرجل الصالح» ومن ثم قال أصحابنا : تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء ، والأولياء تبركا ، وإعظاما ، فاشترطوا شيئين . أن يكون قبر معظم ، وأن يقصد الصلاة إليه ، ومثلها الصلاة عليه التبرك والإعظام .

وكون هذا الفعل كبيرة طاهر من الأحاديث المذكورة لما علمت ، وكأه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كإيقاد السرج عليه تعظيما له ، وتبركا به — والطواف به كذلك — وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح في الحديث المذكور آنفا بأنه من اتخذ على القبر سرجا ، فيحمل قول أصحابنا بكراهة ذلك على ما إذا لم يقصد به تعظيما وتبركا بذى القبر

«وأما اتخاذها أوثانا ، فجاء الهى عنه بقوله ﷺ : «لا تتخذوا قبورى وثنا بعدد بعدى»^(٢) ، أى لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له أو نحوه»^(٣)

(١) المتبادر بقريظة ما فعل أهل الكتاب أن منه بساء المساجد عليها وجعلها منسوبة إليها كما وصحه ﷺ بقوله . «أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح ، الخ (المؤلف)

(٢) أخرجه أحمد (٧٣٥٢) ، وابن سعد (٢ / ٢٤١ - ٢٤٢) والجندي في فضائل المدينة (١/٦٦) ، وأبو يعلى في مسنده ، والحيدي (١٠٢٥) ، وأبو نعيم في الحلية (٢٨٣/٦ و ٣١٧/٧) من حديث أبي هريرة مرفوعا وتمامه : لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد

صحح الألباني إسناده وذكر له شواهد (انظر : تحذير الساحد ٢٤ - ٢٦)

(٣) أى كالطواف به كما صرح به المؤلف آنفا ومثله التمسح به أو بقفصه للتبرك أو الاستشفاء (المؤلف) .

فإن أراد ذلك الإمام بقوله . واتخاذها أوثانا - هذا المعنى اتحه ما قاله من أن ذلك كبيرة ، بل كفر بشرطه . وإن أراد أن مطلق التعظيم الذي لم يؤذن فيه كبيرة ، ففيه بعد ، نعم ، قال بعض الحنابلة .

قصد الصلاة عند القبر متبركا به عين المحادة لله ورسوله ، وإبداع دين لم يأذن به الله للنهي عنها ثم إجماعا ، فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها ، واتخاذها مساجد أو بياؤها عليها . والقول بالكراهة محمول على غير ذلك إذ لا يظن بالعلماء تجوز فعل تواتر عن النبي ^(١) ﷺ لعن فاعله

• وتجب المبادرة لهدمها ، وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضرم مسجد الضرار ، لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ ، لأنه نهى عن ذلك ، وأمر ﷺ بهدم القبور المشرفة ، وتجب إزالة كل قنديل ، أو سراج على قبر ، ولا يصح وقفه ونذره انتهى (راجع صفحة ١٦١-١٦٣ من الزواجر المطبوع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٣هـ) ^(٢).

وقد أشار بقوله : إن النبي ﷺ أمر بهدم القبور المشرفة إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه وغيره عن أبي الهيثاج الأسدي قال : قال لي علي ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ،

(١) نص على تواتره أئمة الحديث منهم ابن حزم وابن تيمية ، وابن عبد الهادي ، والسخاوي ، والكتاني في نظم المتناثر (راجع : شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه رقم ٥٥٨)

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/١٢٠) المطبعة الأزهرية ١٢٣٥ هـ

ولا قبرا مشرفا إلا سويته^(١).

قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث : قال الشافعي في الام :
ورأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما بنى ، ويؤيد الهدم قوله : « ولا قبرا مشرفا
إلا سويته ، ا. هـ ^(٢).

فهل كان ابن حجر ، والنورى قبله ، والإمام الشافعي قلوما من الوهابية ؟
وهل كان أئمة المسلمين بمكة في عصر الشافعي أعلم وأهدى ، أم حسين طاعوث
الحجاز في عصرنا الذى أمطر الخافقين بوقيات في الظن على الوهابية بهدم قبر
ابن عباس رضى الله عنهما ؟ ؟

إن أمر النبي ﷺ لعلى كرم الله وجهه حين أرسله إلى اليمن بطمس
التمثيل ، وهدم القبور المشرفة ، وتسويتها بالأرض ، ثم أمر على عامه
أبا الهياج الأسدى بذلك وعمل أئمة المسلمين بذلك في خير القرون كان لسد ذريعة
تعظيم القبور تعظيما دينيا ، إذ هو من أعمال الشرك ، فهل نكر هدمها ، وهدم
القباب ، والمساجد التي عليها بعد ما وقع المحذور ، وارتكب المحظور ؟

حدثني الشريف محمد شرف عدنان باشا حفيد الشريف عبد المطلب الذى
كان أعقل رجل في شرفاء مكة أنه رأى رجلا في مسجد ابن عباس بالظائف
يصلى مستقبلا القبر ، مستدبرا القبلة فظن أنه أعمى قد أخطأ القبلة فأخبره بذلك ،
وجاء ليحوله إلى القبلة ، فرآه بصير العينين ، وأبى أن يتحول معه فعلم أنه
متعمد ، فقال لبعض الخدم : أخرجوا هذا المشرك من المسجد .

(١) صحيح مسلم : الجنائز (٦٦٦/٢) ، وأخرجه أحمد (٩٦/١ و ١٢٩ و ١٤٥)
وأبوداود (٥٤٨/٣) والترمذى (١٠٤٩) ، والفساوى (٢٠٣٣) كلهم في الجنائز

(٢) شرح صحيح مسلم (٣٧/٧ - ٣٨)

فالأمر المشاهد الذي لا شك فيه أن هذه القبور المظلمة تعظيماً دينياً لم يأذن به الله قد كانت سبباً لمنكرات كثيرة أخرى ، منها ما هو شرك صريح لا يحتمل التأويل ، ومنها ما يحتمله احتمالاً قريباً أو بعيداً ، ولكن لا يجوز أن يجعل الاحتمال مسوغاً للسكوت عنه ، وإقرار أهله عليه ، وإنما قد يجوز ذلك في درء الكفر عن شخص معين ، ومنها ما هو معصية كبيرة ، ومنها ما هو صغيرة ، وكلاهما كثير جداً لا خلاف بين المسلمين فيه ولا في أن استئصال المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كفر وخروج من الملة . وقد فصل العلماء الماصحون ذلك في كتب كثيرة أشهر المطبوع منها كتاب المدخل للعلامة ابن الحاج المالكي القاسم المتوفى في مصر سنة (٧٢٧هـ) وما ذكره أن العلماء اتفوا بهدم بنيان البيوت التي على القبور (الأحواش) كما في الصفحة ٢٧٤ من الجزء الأول ، وفصل المفاسد الموجبة لذلك .

وقال الامام الشوكاني المجتهد في شرح حديث أن الهياج الأسدي من كتابه (نيل الأوطار) ما نصه : « من رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا القبر والمشاهد المعمورة على القبور ، وأيضا هو من اتخاذ القبور مساحداً ، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك كما سيأتي . وكما قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاصد يبكى لها الاسلام (منها) اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام ، وعظم ذلك ، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ورفع الضرر ، فعملوا مقصدا لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لجح المطالب وسألوا منها ما يسألونه العباد من ربه ، وشهدوا إليها الرحال ، وتمسحوا بها واستغاثوا . وبالجملة فانهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

« ومع هذا المنكر الشنيع والكفر القطيع لا نجد من يفض الله ،
ويغار حمية للدين الحنيف ، لا عالما ، ولا متعلما ، ولا أميرا ، ولا وزيرا ، ولا
ملكاً . وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء
القوميين أو أكثرهم إذا توجهت عليه عين من قل خصمه حلف بالله فاجراً ،
فاذا قيل له بعد ذلك : احلف بيمينك ومعتقدك الولي الفلاني تلعم ، وتلكا ،
وأبي ، واعترف بالحق ، وهذا من أيبن الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ
هوق شرك من قال أنه تعالى ثانی اثنين وثالث ثلاثة .

« فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أى رزء للإسلام أشد من الكفر؟
وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله تعالى ؟ وأى مصيبة يصاب
بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأى منكر يحب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا
الشرك البين واجبا ؟ ١ هـ . المراد منه (ص ٢٣٤ ج ٣ من نيل الاوطار المطبوع
المطبعة الأميرية بمصر) .

وللإمام الشوكاني هذا رسالة خاصة في هذا الموضوع نشرت في المجلد الثاني
والعشرين من « المنار » ، وللعلامة المحدث محمد بن اسماعيل الوزير رسالة في معناها اسمها
« تطهير الاعتقاد عن أدراج الخاد » ، نشرت في المجلد الثاني والعشرين منه —
وقد طبعنا على حدة — وقد ذكر الأخير شبهة بعض الناس في قبة المسجد
النوى الشريف بعد أن بين أن مبتدعى بناء القباب والمساجد على القبور هم
ملوك الأعاجم الجاهلون فقال :

« فان قلت : هذا قبر رسول الله عليه قد صرت عليه السلام قبة عظيمة
أنفقت فيها الأموال ، قلت : هذا جهل عظيم بحقيقة الحال ، فان هذه القبة
لبس بناؤها منه عليه السلام ، ولا من أصحابه ، ولا من تابعيهم وتبع التابعين ، ولا

من علماء أمته وأئمة ماته، بل هذه القمة من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قلاوون الصالحى المعروف بالملك المصور فى سنة (٦٧٨هـ) ذكره فى (تحقيق النصرة، بتأخير معالـم دار الحجر) فهذه أمور دولية لا دليـلة يتنع فيها الآخر الأول) ١٥.

فقد علم القراء بهذه القول أن الوهاية لم يتدعوا فى هذا الأمر، بل اتبعوا الأدلة، وأتوا الأئمة من المحدثين، والفقهاء المنتمين إلى المذاهب المشهورة، الحنبلى فقط بعد ترك الجاهل لها، لا مذهبهم ﴿ والله يقول الحق وهو يهـدى السبيل ﴾.

وإننا ندعو بالخير لمن سأل فكان سبب هذا البيان وقد بلغنا ما علمنا به أننا أخطأنا فى فهمنا أنه أراد به الاحتجاج والنية حسنة، والله الجرد فى كل حال.

الوهايون والحجاز

عود على بدء

المقالة الأولى^(١)

مقدمة:

كنا كتبنا بضع مقالات فى هذه المسألة فى أول العهد يزحف الإخوان لإفقاد الحجاز من إرهاب الطاغوت حسين بن على، وما يرجى أن يتبع ذلك من إفقاد جزيرة العرب كلها من الاستعباد الأجنبى — فكان لها من التأثير فوق ما قدرناه لها حتى إن حقها دحض أباطيل الدعاية الحجازية القديمة فى الطعن

(١) نشرت فى عدد الاهرام الذى صدر فى ١٩ رجب، ١٣ فبراير.

بدين أهل نجد منذ قرن وثلث قرن باختلاق الشريف غالب أمير مكة في عهد ظهور الإصلاح الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأخرس السنة الدعاية الجديدة التي اختلقها الشريف حسين الذي ادعى أنه ملك العرب وخليفة المسلمين .

ثم عرضت لنا شواغل كثيرة عاقتنا عن مواصلة الكتابة فيما فتح أمامنا من أبواب المسائل الكثيرة في هذا الموضوع، فنشطت في هذه الفترة الدعاية، وبذل في سبيلها المال سخاء فوق المعتاد، وتحركات حكومة الشريف علي بن حسين المحصورة في مياء جدة، ودعاتها على ضروب من الكذب والبهتان لم يتجرأ على مثلها حسين بن علي ودعاته، حتى أنهم افتروا على كاتب هذا المقال، وهو أول من هتك أستارهم، وتذبح عوارهم، وقلم أظفارهم، فزعموا أن حكومة جدة عثرت على كتاب مما أرسلناه إلى السلطان عبد العزيز بن السعود آذناه فيه بانصراف القلوب عنه، وتصويب سهام الإنكار إليه، وقد طال العهد على هذه الفرية ولم نجد فرصة، نكذبها فيها، ولمنعهم بمطالبتهم بنشر صورة هذا الكتاب مأخوذة عن خطنا، وكثير إلحاح المطالبين لنا بالعودة إلى الكتابة لرد أمثال هذه المقتريات، وكشف ما يحوم حولها من الشبهات، لأن بعض المخاضين اغتروا بها، وصدقوا أب علي بن حسين ألف ملكا جديدا في الحجاز، مخالفا لوالده في سياسته، وأن في جدة حزبا وطنيا مؤلعا من زعماء الحجاز، وأهل الرأي فيه، وأنه هو الذي خلع حسيما، ونصب عليا، وأنه يتكلم باسم بدو الحجاز وحضره، وأن سلطان نجد ضعيف لا جند عده ولا سلاح، وأن ما أعدده ملك جدة من آلات القتال والجنمية العصرية كاف لتدوينه، وبحق جيشه الضعيف، وطرده من الحجّار، والاستيلاء على نجد كلها، وأن إنقاذ الحجاز من

هذه الأسرة الطاغية الباغية صار متعذرا ، فأهون الشرين إذا لإصلاح ذات البين يبقه على بن حسين ملكا للحجاز بشروط ، منها أن لا يعود والده حسين بن على إلى الحجاز . إلى هذا الحد وصل تأثير أمثال هذه الدعاوى الكاذبة التي سنبين الحق فيها .

كنّا نقرأ تلك المقتريات في جريدة « المقطم » ، وبعض جرائد سورية ، فضحك منها صحك السخرية ، متربصين بها تكذيب السيف لها ، وهو أصدق من اللسان والقلم ، ولا يتأري في قوله ، ولا في حكمه أحد ، على أننا جمعنا بعض الدلائل للرد عليها ، ولكن قضى الله تعالى أن نضطر إلى استئصال الكتابة في وقت لا نملك فيه مراحة شيء مما جمعنا ، وهو وقت نقل كتبنا ، وأوراقنا ، ومطبعتنا ، ومطبوعاتها الكثيرة ، وأثاثنا من دار إلى دار . وقد بدأنا في الاستعداد لهذا في الشهر الماضي ، وسيشغلا شهرا ، أو شهرين آخرين ، لأننا لا نجد من يقوم مقامنا في الإشراف على ذلك ، ولكننا مسجدا ما نحتاج إليه من الأوراق المحفوظة في أقرب وقت .

بعد هذا التمهيد أقول : إن حسين بن على وأولاده كانوا قد خدعوا السواد الأعظم من عرب سورية ، والعراق ، وكثيرا من غيرهم بما بشوه من دعاية المملكة العربية ، والوحدة العربية ، والخلافة العربية حتى خيلوا إليهم أنهم سيعيدون إلى هذه الأمة عصر هارون الرشيد ، ثم ظهر أن غاية سعيهم تحقيق أمنية الانكياز القديمة ، وهي إدخال جزيرة العرب ، وما اتصل بها من بلادهم في دائرة الإمبراطورية البريطانية المرنّة على أن تسودهم فيها على قومهم ، وتسميهم ملوكا ، وخلفاء ، ومع هذا الخزي يرون كثيرا من وجهاء البلاد العربية يعظمهم ويقول بوعامتهم ، إما لغباوتهم وجهلهم ، وإما لأنهم يرضون مثلهم : « أن تكون الأمة

العربية كالقاصر في حجر الدولة البريطانية، كما صرح به حسين بن علي رسمياً في (مقررات نهضته) التي هي أصول سياسته، وسياسة أولاده، دع الذين يوالونهم للانتفاع منهم.

لهذا أصبح أهل هذا البيت الحجازي يعتقدون أن الدعاية تؤسس الممالك، وتوطد دعائم الملك، وتهزم الجيوش، وتعمل كل شيء، فكان اعتمادهم عليها، وعلى الدولة البريطانية في حماية الحجاز، وعرش ملك العرب، وخلافة الإسلام، فعادوا جميع أمراء جزيرة العرب المستقلين المسلحين، ولا سيما جارهم بالجانب سلطان نجد، وهو أقوامهم، وأشدهم بأساً، ولم يستعدوا لحماية عرشهم منه، ولا من غيره بالسلاح، فأهملوا ما تركه الترك، أو العثمانيون من الأسلحة الكثيرة الجيدة من كل نوع، واكتفى حسين بتأليف جنود صغير يقصد به إطهار عظمة الملك في الاحتفالات، والمواسم، واتكل على الدولة البريطانية، والدعاية السياسية فلما ضاق العالم الإسلامي عامة، وعرب نجد خاصة بفساده في الحجاز، وزحف جند الإخوان الوهابيين لطرده، وطرد أولاده منه، استغاثت الدولة البريطانية فلم تر من مصلحتها لإغضاب العالم الإسلامي الساخط عليه، والاصطلاء بنار حرب جديدة في جزيرة العرب لأجله فأعلنت الحياد، فلم يبق له إلا قوة الدعاية الحاطة بالكاذبة، فشرع فيها فلم تغن عنه شيئاً، واصطار إلى الخروج من الحجاز مذموماً مدحوراً، وخاف فيها ولي عهد الذي يفخر به، ويقول: «لا فتي إلا على»^(١)، فكان أبرع منه في هذه الدعاية، على أن والده هو الذي ربي له رجالها، واصطنع صحفها، وهو الذي يفيض عليه المال للإيفاق في سبيلها، وسنذكر

(١) أصله حديث موضوع من مقتريات الروافض: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتي إلا علي»

أنواع هذه الدعاية الجديدة مع بيان طلائها في مقال آخر ، ونعجل بالنوع الوحيد الذى فيه بقية من الحق ، وشبهة من الصدق ، ولكنه حق أريد به باطل ، وصدق اتخذ ذريعة إلى الكذب والتضليل ، وهو .

الاتفاق الجدى البريطانى

سمعت خبر هذا الاتفاق ، أو المعاهدة من الملك فيصل فى الشام أول مرة ، وهو الذى نشرها فى بغداد فى هذه المرة ، وأرسلت إلينا ، وإلى الجرائد الشهيرة ، وقد صدقها الناس لأن سلطان نجد لم يكذبها ، والعرض من نشرها لإيهام العالم الإسلامى - الذى يؤيد ابن سعود فى طرد حسين وأهل بيته من الحجاز - أن مملكة نجد نفسها غير مستقلة استقلالاً مطلقاً ، بل قيدت الحكومة البريطانية سلطانها بما هو حماية ، وأن الحجاز هو المستقل ، وأنه إذا استولى عليه سلطان نجد يدخل تحت حماية الانجليز كمنجد ، وقد أطالت الدعاية الحجازية فى المسألة ، وأكثر من الإيهام ، وتناقلت سائر الجرائد نص الاتفاق ، كما أرسل من العراق ، وتآلم منه المسلمون ، فوجب أن نبين ما عندنا من رأى ورواية فيه على تقدير صحة نصه :

كان همّ عبد العزيز ابن السعود بعد استرداد ما كان قد سلب من بلاد آبائه وأجداده محصوراً فى حفظ استقلالها بقوتها ، وبث دعوة الدين فيما جاورها من قبائل العرب ، والقناعة بعيشه العزلة ، والتجافى عن السياسة الدولية وأهلها ، ولم يكن له خصم فى تلك البلاد إلا آل الرشيد فى شمر ، فهم الذين ألجأوا على آل السعود الدولة العثمانية ، حتى استولوا بمساعدتها على عاصمتهم (الرياض) ، وقضوا على إمارتهم ، فلما انتزعها منهم السلطان عبد العزيز هذا بحزمه وعزمه رأى أنه يكون معه فى نزاع دائم ، وقتال مستمر ، وأن قطراً صغيراً كمنجد لا يصح

أن يكون فيه إمارتان تتوارثان الأحقاد والأضغان ، وتنتهز كل منهما الفرصة للقضاء على الأخرى ، فدعا ابن الرشيد للاتفاق ، وتوحيد العلم (الرأية) ، والحكم والتعاون على حكم البلاد بصفة معقولة - كما نقل إلينا - فامتنع ، فلم ير بداً من إزالة إمارته ، ففعل ، وقد اختار حصر منطقته على اقتحامها بالمناجزة ، وكان ذلك في أيام عسر ، وغلاء فاحش ، وكانت مؤنة الجيش كلها ، بل مؤنة عامة بلاد نجد تأتيا من الهند ، فكان هذا سببا ملجئا لابن السعود إلى الاتفاق مع الحكومة الانكليزية كما قال بعض أهل العلم ، والخبرة بالبلاد العربية .

وهناك سبب آخر لا يقل عنه إلحاح إلى ما دعى إليه من الاتفاق بما رآه أهون الشرين ، وهو أن الدولة العثمانية رأت بعد عقد الصلح مع الإمام يحيى^(١) أنها كانت مخطئة في معاداة حكومة نجد ، كما كانت مخطئة في معاداة أئمة الين ، وأن الاتفاق ممكن ، وهو خير للدولة ، ف عقدت مع إمام نجد وهو عبد العزيز ابن السعود اتفاقا آخر اعترفت له فيه بالاستقلال الوراثي في بلاد نجد كلها ، حتى ما كان بيد الدولة منها كالحسا ، وثغور البلاد بشروط ليس هذا محل بيانها . فلما وقعت الحرب العامة ، واصطلت الدولة العثمانية سعيها ، خاف ابن السعود أن تحتل الدولة البريطانية ثغور بلاد نجد وإقليم الاحساء ، إذ كانت تعدها من أملاك الدولة العثمانية ، فرضى بأن يعقد معها اتفاقا تعترف له فيه أن هذه البلاد بلاده ، وأنه مستقل فيها ، وأن يرضى منه في مقابلة ذلك بأمور سلبية كان يرى أنه لا يعقد بها شيئا .

وجملة القول أن هذا الاتفاق قد عقد عقب إيدان دول الحلفاء الدولة العثمانية

(١) هو يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين الحنفى العلوى الطالبي ملك الين ، (١٢٨٦هـ

بالحرب، وكانت الدولة البريطانية قد دعت ابن السعود أمير نجد إلى قتال الدولة كما دعت أمير مكة حسين بن علي، وإمام الين، والسيد الإدريسي أمير تهامة وعسير، وقد قلنا في «المنار» مراراً: إنه لم يوالها أحد منهم موالاة فعلية حربية إلا أمير مكة، وأن إمام الين والى الدولة عليها، وأعانها على قتالها، وأما الإدريسي، وابن السعود فقد اتفقا معها اتفاقاً سلبياً، ولم تكن قد اطلعا على هذا الاتفاق، ولكن أخبرني طالب بك النقيب أنه كان رسول الدولة البريطانية إلى أمير نجد، وأن هذا الأمير أبي أن يحارب دولة إسلامية انتصاراً لدولة غير مسلمة، وأنه لم يكن يمكنه أن يحارب الانكليز انتصاراً للدولة العثمانية لأنهم يمكنهم أن يقضوا على بلاده بالحصار البحري، فإن عامة أقوات أهل نجد من الهند، فكانت المصلحة التي لا بد منها أن يكون على الحياد.

نعم، إننا نحن نظر الآن أنه كان في الإمكان أن ينال صاحب نجد ما لا غنى له عنه من تموين بلاده، والاعتراف باستقلاله فيها بدون أن يقبض نفسه بما ذكر في هذه المعاهدة من القيود المنافية للاستقلال التام المطلق، وإن كانت قيوداً سلبية، وأنه لا سبب لقوله هذه القيود إلا عدم تمرسه بالسياسة الدولية، وعدم وقوفه على ما كان لدى أعداء الانكليز من القوات الحربية التي ترتعد منها فرائص دول أوربة كلها، ولكننا لا نجزم بأننا لو كنا في مكانه في ذلك الوقت لكننا لنعتقد هذا الاعتقاد نفسه، وتتجراً على رفض تلك المواد التي تسكرها بعد ما علنا من قوات الألمان وأحلافهم ما لم يكن فعله في أول الحرب، ولابأن الانكليز كانوا يرضون منه دون هذه الشروط، ليكتفوا شر مساعدته للدولة العثمانية.

هذا ما عندنا من أسباب هذه المعاهدة، وإننا نتكلم في المقالة الآتية عل

كل مادة من موادها التي نشرها الحجازيون ، تتكلم عليها من الجهة العامة ، ثم نبين أن سلطان نجد قد نقضها مذهباً على الخروج من عزلته السياسية ، والاجتماعية ، وتصدى لزعامة النهضة العربية ، وثبت عنده ما يجب عليه شرعاً من إنقاذ الحرمين الشريفين من الظلم والإلحاد ، ومع النفوذ الأجنبي أن يتغلغل فيها ويؤسّسها من جزيرة العرب ، فعاهدة سنة ١٩١٥ أمست قصاصة ورق لا قيمة لها كما نبين ذلك فيما يأتي .

المقالة الثانية^(١)

تفصيل القول في المعاهدة

بيننا حقيقة الحال التي كان عليها صاحب نجد عند عقد المعاهدة التي نشرها هذه الأيام الملك فيصل ليثبت بها أنه قد سبقه ، وسبق أباه وأخاه عبد الله في جعل بلاده تحت حماية الإنكليز ، وقام أنصارهم يقولون في دعايتهم لهم : إنهم إذا لم يكونوا خيراً منه في هذا ، فهم مثله ، فواجه تفضيله عليهم ؟ وماذا ينتصر له العالم الإسلامي ، ويود جعل الحجاز تمسكاً له من دونهم ؟ فلم بذلك بعض الفرق الجلى بين عملهم في إضاعة أكثر البلاد العربية ، وعمله في وقاية ملكه من السقوط بغزو الإنكليز له من الخارج ، وغزو ابن الرشيد له من الداخل في مقابلة الاعتراف لهم بأمور سلبية يذهب بأثرها الزمان ، وسنين هذا الفرق من سائر وجوهه بعد إنجازه ما وعدنا به من بيان مضمون مواد هذه المعاهدة ومن الكلام عليها من الجهة العامة ، فيعلم من لم يدرس هذه المسائل أن هذا البيت الحجازي لم يعتبر بشيء من التجارب ، والروايات التي نزلت بالأمة التي تصدى

(١) نشرت في عدد الأهرام الذي صدر في ٢٤ رجب ، ١٨ فبراير (المؤلف) .

رعاتها ، والتي نزلت بجميع زعمائه هو أيضا ، وأنه لا يزال بطمع في إضلال
لأمة العربية ، وجميع الشعوب الإسلامية ، وإيهامها بالدعاية الكاذبة أن الذين
سلوا سيوفهم مع الأجانب ، وقاتلوا تحت لوائهم حتى ملكوهم بلاد العرب من
حدود مصر إلى خليج فارس خير للإسلام ، وللعرب عن أسس لهما ملكا جديداً ،
ليس لأجنبي ما أدنى نفوذ فيه ، ثم أنفذ الحجاز من السيطرة الأجنبية والمظالم
الطاغوتية ليحمل الأمر فيه لأمله ، وللسلبيين دون غيرهم ، وهاك مضمون مواد المعاهدة
كما نشرتها جميع الجرائد المشهورة :

١ - « مضمون المادة الأولى اعتراف الحكومة البريطانية بأن نجد ،
والحسا ، والقطيف ، والجيل ، وملحقاتها وثغورها (موانئها ومراقبتها) على سواحل
خليج العجم كلها تابعة للأمير عبد العزيز بن السعود ، كما كانت لأبائه من قبل ،
وأنه هو حاكمها المستقل ، والرئيس المطلق على جميع قبائلها ، واعترافها أيضا
بأنها ستكون مورثة لأولاده ، وأتقابه من بعده ، ولكمها قيدت هذا
الاعتراف بأن يكون الأمير اللاحق مختارا من الأمير السابق (فيخرج من كان
متغلبا عليه) ، وأن لا يكون خصما معاديا للحكومة البريطانية بمخالفته لشروط
هذه المعاهدة فقط . »

أقول : إن هذه المادة نص في مصلحة ابن السعود فإن الدولة البريطانية
اعترفت له فيها بالاستقلال المطلق في هذه البلاد كلها ، وكان قريب العهد
باستيلائه عليها ، وأوقالت : إن ثغور نجد ، وبلاد الحسا كانت للدولة العثمانية
وإلى الحق باحتلالها . إذا كان يفعل ؟ وأما تقييد اعترافها باستقلال من بعده
من أولاده ، وأتقابه بقولهم هذه المعاهدة فلا يضره . فإن معاهدته لما كانت
لا تلزم من يخلفه اشترط الإنكليز فيه هذا الشرط ، ولا يجب على خلفه قبوله

بنص هذه المعاهدة كما يعلم من أصول القوانين الدولية ، فإذا كان الخلاف في غنى عن الاعتراف بهذه المعاهدة لم يعترف بها ، لا كما يزعم لإجراء الدعاية الحجازية من أن هذا تقييد لمن أعدده بالإخلاص للإنكليز كما عبر بعضهم (١١)

٢ — « مضمون المادة الثانية أن الدولة البريطانية ملتزم أن تساعد ابن السعود وذريته على أى دولة أجنبية تعتدى على بلادهم ، إذا كان هذا الاعتداء بدون علمها ولا إعطائها الوقت الكافى لمراجعة سلطان البلاد ، ومذاكرته فى إزالة الخلاف المسبب للاعتداء ، وقيدت هذه المساعدة برأى ابن السعود .
وهذه المادة فى مصلحته ، ولا تخل باستقلاله أيضا .

٣ — « مضمون المادة الثالثة أن ابن السعود يلتزم أن لا يعقد اتفاقا ، ولا معاهدة مع أى حكومة ، أو دولة أجنبية ، ويعد عدم معوضة أحد فى ذلك ويلتزم لإعلام الحكومة البريطانية بكل تجاوز ، أو تعد على شئ من بلاده التى ذكرت فى هذه المعاهدة .

هذه المادة منافية لمصلحة ابن السعود لأنها قيد للاستقلال ، وإنما سهل قبولها عليه — إن صح نصها — ما كان عليه من حياة العزلة ، وعدم بية الارتباط ، والاتفاق مع أحد من الحكومات والدول . ولما شعر بالحاجة إلى الاتفاق مع السيد محمد على الإدريسي نفض هذه المادة ، واتفق معه اتفاقا كتابيا ، ثم فاض الإمام يحيى ، واتفق معه على أمور لم تشر بعد ، فثبت بهذا أنه غير مقيد بما يراه مخالفا لمصلحته منها .

٤ — « مضمون المادة الرابعة أن ابن السعود يلتزم أن لا يبيع ، ولا يرهن ولا يؤجر ، ولا يتخلى عن شئ من أراضي بلاده التى ذكرت فى هذه المعاهدة ، ولا يمنح امتيازاً لدولة أجنبية ، أو لأحد من رعايا دولة أجنبية بدون رضى

الحكومة البريطانية، وبأن يتبع في ذلك فوائدها التي لا تضر بمصالحه ،
 هذه المادة منافية لمصلحة ابن السعود من حيث هي مقيدة لاستقلاله فقط
 وإنما سهل عليه قبولها اعتقاده أنها من تحصيل الحاصل ، لأنه لا ينوي أن يجعل
 لاية دولة أجنبية حقاً من حقوق الملك ، ولا الامتياز ، ولا غيره في بلاده ،
 وهذا عين المصلحة له ، ولبلاده بشرط أن يشمل الدولة البريطانية ، ورعاياها
 كسائر دول الأفرنج ، لأنهم إذا دخلوا بلاداً ، وصار لهم حقوق فيها أذلوا
 أهلها ، وافتاتوا عليهم ، وسلبوا استقلالهم ، وقد نصح شيخ حكماء العصر
 الفيلسوف الإنكليزي هربرت سبنسر لليابانيين بأن لا يدخلوا الإنكليز في
 بلادهم لمساعدتهم على تنظيمها ، وعمرانها ، وعمل لهم ذلك بأنهم إذا دخلوا ،
 لا يخرجون ، وأرشدوا إلى الطريقة المثلى ، وهي أن يرسلوا من أبنائهم من
 يتعلمون ما يحتاجون إليه حيث يجدونه من أوردة ليعودوا ويتولوا الإصلاح
 بأنفسهم ، وقد قبلوا نصيحته ، فأرسلوا إلى الغرب من تعلموا ما يحتاجون إليه
 من فنون الحرب ، والعمارة ، والثروة ، والصناعات التي تتوقف عليها القوة ،
 والسيادة ، خلافاً لما فعل من عنوا من الشرقيين باقتباس عادات الأفرنج ، وأزيائهم
 وقوانينهم ، فكان ذلك سبباً لإضاعة استقلالهم

إياك أعى واسمعى يا حارة

وقد كان فيما وضعناه مع أصدقائنا مؤسسى قواعد (الجامعة العربية) قل
 الحرب العامة أنه لا يجوز لأحد من أمراء جزيرة العرب أن يمنح دولة أجنبية
 شيئاً من ربة البلاد ، ولا منافعها ، ولا لأحد من رعاياها ، ولكن الدولة
 البريطانية أرادت حصر هذه المنافع في رعاياها ، أو حكومتها لأنه توطنه لاستعمار
 البلاد ، والسيادة فيها بل هو الطريق المعبد له دون الحرب ، فلا يجوز لحكومة

شرقية أن تبيحه في بلادها طمعا في الربح منه إلا بعد أن تصبح ذات قوة حربية تخولها أن تشتط على الأجانب الذين يدخلون بلادها أن يكونوا فيها خاضعين لشرعها ونظمها ، نافذة فيهم أحكامها ، وأن تشتط عليهم في عقد الامتياز ، أو الامتلاك من الشروط الواقية للبلاد من تعدى دولهم ما هي قادرة على تنفيذه .

٥ - هذا ما يتعلق بالاستقلال إطلاقا وتقييدا من مواد هذه المعاهدة ، « والمادة الخامسة منها خاصة بإبقاء الطرق الموصلة إلى البلاد المقدسة من حد وملحقاتها مفتوحة ، والمحافظة على الحجاج الذين يسلكونها ، وذكرها في هذه المعاهدة من الرياء والفضول البريطانيين » .

٦ - « والمادة السادسة في التزام ابن سعود عدم الاعتداء على حكومات جيرانه من عرب الحريز ، والكويت ، وقطر ، وعمان ، والمشايخ الذين تحت الحماية البريطانية » .

و خلاصة القول في هذه المعاهدة أنها كانت على علاقتها في مصلحة ابن السعود ، وأنه لا يوجد عاقل منصف يعرف ما كانت عليه حاله ، وحال بلاده عند عقدهما يقول : إن عدمها كان خيرا منها ، وكل ما أمكننا انتقاده منها هو أن الإنكليز ربما كانوا يرضون من ابن السعود بما دون هذه القيود كلها مع إقناعهم بحسن نيته لو كان أشد في مسارمته ، والحن بمحنته ﴿ إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ﴾ .

وأما الحال التي أشرنا إليها هنا فهي ما ذكرناه بالإيجاز من قبل ، وهي أنه كان لآل سعود إمارة في نجد ، عظم شأنها الديني والدنيوي بالإصلاح الذي قام ، ودعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فنهضوا به نهضة أشبهت نهضة العرب في صدر الإسلام ، حتى توقع المؤرخون ، وأهل الرأي في الشرق والغرب

بأن يعود بها عهد العلماء الأولين قوة، ومجداً، وإصلاحاً، وحضارة، فكان أول من ناصبها العداء أمير مكة الشريف غالب، وهو الذى أغرى بها الدولة العثمانية، وافترى عليها المطاعن الدينية، فما زالت تماوتها، وتقاتلها وتساعد ابن الرشيد عليها، حتى استولى على عاصمتها، ولحق أميرها الإمام عبد الرحمن الفيصل بأولاده إلى الكويت، فأقاموا ضيوفاً على شيخها ابن الصباح إلى أن نهض نجله عبد العزيز هذا نهضته التى تعد من نوادر تاريخ الرجال، فاستعاد الإمارات التى كانت لوالده، ثم استرد ما كان بيد الدولة العثمانية منها، وكان من أمر دخول الدولة فى الحرب الكبرى ما ذكرنا فى المقام الأول، فلو لم يعقد مع الإنكليز هذه المساعدة، لزموا أن هذه البلاد للدولة العثمانية، واحتلوا سواحلها، وأعانوا ابن الرشيد وغيره على مآجزتها من الداخل، بل كان من يغريه باب السعود مع اتفاقه معهم كما ثبت هذا عنده ١١

على أن هذه القيود المتقدمة من المعاهدة لا تجعل للإنكليز أدنى حق، التدخل العلى فى شؤون البلاد — ولا نعرف لهم بسيادة ولا حماية عليها — كما اعترف لهم الشريف حسين بحق الحماية، والتدخل العلى — ومثل هذه المعاهدات تكون مؤقتة بطبيعتها، وقبلنا تتجاوز العاشرة من عمرها. والعبرة — يحصل بالفعل من ثمرة عقدها، فى زمن اقتناع المتعاقدين بالحاجة إليها، ثم يتبدل كل منهما بعد ذلك الزمن مصلحته، والمدار فى جميع الأمور السياسية على القوم وما يسمونه «الامر الواقع»

فالذى استفاده الإنكليز من هذه المعاهدة بالفعل هو أن ابن السعود لم يقا تلهم مع الدولة العثمانية، والذى استفاده هو منهم :

١ — اعترافهم له، ولذريته بأنهم أصحاب هذه البلاد. وحكامها.

٢ - عدم الاستيلاء على شيء منها ، كما استولوا على فلسطين ، وسورية ، والعراق ، ولو لا اتفاقهم هياج العالم الاسلامى لاستولوا على الحجاز .

٣ - تأمين معيشة بلاده فى عسرة سنى الحرب .

٤ - تمكنه من القضاء المبرم على إمارة ابن الرشيد التى كانت تهدده فى كل حين .

٥ - قبض مئات الألوف من الجنهات ، نظم بها قوة بلاده حتى صارت أعظم قوة فى بلاد العرب ، وقد نقض بعد ذلك ما رأى من مصلحته نقضه .
ولو أنه جعل الانكليز أدنى تدخل فعلى فى بلاده باتفاق كتابى أو شفوى لكان أشد خطراً عليها من ألف معاهدة تكتب ، ولا يعمل بها كما يعلم هذا باليقين من تاريخهم ، ومسألة مصر والسودان أظهر الآيات على ذلك وأشهرها .
ماين قيل : إن هذه المعاهدة قد تمسكهم من العبث باستقلاله ، والتدخل العملى فى شؤونه بحجة نقضه لبعض شروطها .

قلنا : إن هذه أمور تتبع المصلحة ، وتراعى فيها القوة ، ومتى عزم القوى على شيء لا تعوزه الوسيلة ، وليس فى هذه المعاهدة نص على جواز العبث باحتلال البلاد النجدية ، أو التدخل فى شؤونها الداخلية إذا ترك سلطانها الوفاء شيء مما التزمه فيها ، وإنما يمكن للانكليز أن يحاولوا دون تنفيذ أى نقض لمادة الرابعة لا يمنع ابن السعود وحده من إعطاء امتياز لدولة أجنبية ، أو لبعض رعاياها فى تلك البلاد ، بل يمنع أى دولة من الدول نفسها ، أو رعاياها من الإقدام على التعاقد معه على ذلك ، وقد بينا أنه ليس من مصلحة ابن السعود

نقض هذه المادة .

ومن المعلوم من سياسة الانكليز أنهم لا يقدمون على حرب شعب حرب مسلح لأجل فتح بلاده ، أو التمتع بالنفوذ فيها ، ولا سيما مثل بلاد نجد في فقرها ، وعدم وجود مرافق الحياة ، وأسباب النقل فيها ، فهي بلاد لا يعتدى عليها بالقوة العسكرية ، لأن الخسارة في ذلك أعظم من الربح قطعاً ، وإنما يحشى عليها من تمكن قوة الأجانب ونفوذهم فيها جاورها ، وهو ما يخدمهم البيت الحسيني فيه .

هذا ، وإن جميع مواد هذه المعاهدة خاصة بالبلاد التي ذكرت فيها بالصراحة فلا يدخل فيها ما استولى عليه ابن السعود بعدما كبلاد عسير باتفاقه مع الإدريسى ، فصلاً عن بلاد الحجاز ، كما أرجف أهل بيت حسين الحجازي ، وأجراء دعايته الكاذبة المغادعة . على أن ابن السعود قد قيد نفسه في مسألة الحجاز بمؤتمر إسلامي يقرر شكل حكومة الحجاز ، فلم يدع ما يدعيه حسين وأولاده من أن الحجاز ملك لهم يجب أن يكون رهن تصرفهم فيه مطلقاً ، لا رأى فيه لأحد من مسلمي العرب ، ولا العجم^(١) وسنبين في المقالة الثالثة وجوهاً أخرى من الفرق بين أهل هذا البيت ، وبين ابن السعود دحضاً لدعاويهم ، وإبطالاً لدعايتهم .

(١) قال ولده الأمير عبد الله ان لم حقاً أن يتعرفوا شؤون الحاج ، ويمسوا من شاعوا منهم دخول الحجاز أي لأجل الحج ونشر هذا بعض الجرائد عنه (المؤلف) .

الوهايون والحجاز

عود على بدء

(٣)

ذكرنا في المقالة الأولى من هذه المقالات أسما استأمنها الكتابة في هذا الموضوع في وقت لا نملك فيه مراجعة شيء مما عندنا من المحفوظات المتعلقة به ، وهو وقت نقل مكتسبنا ، وما فيه إلى دار أخرى ، فكان اعتمادنا على ما نتذكر بما سمعنا وقرأنا ، ومنه الكثير مما كتبه أجراء الدعاية الحجازية الحسينية العلوية في المعاهدة البريطانية الجديدة وغيرهم ، وأما على اعتقادنا أن أكثر ما يكتبونه مهتریات وأباطيل ، وخداع وتصليل ، قد علق في ذهننا بعضه ، فتوهمنا أن في هذه المعاهدة نصوصا في تقييد استقلال سلطان نجد فوق ما يبناه في المقالة الثانية التي كتبناها بعد أن أتيح لنا الاطلاع على نصها الذي نشر في العراق ، ثم في سائر الاقطار العربية إذ كان قد طال عهدنا بالاطلاع على ذلك الأصل ، وكان من هذا الومم أن من القيود السليسة التي قيد بها سلطان نجد أنه لا يستطيع أن يحارب بلاداً موالية للدولة البريطانية بدون إذنها إذا أكثر أنصار حسين ، وعلى من اللعط بأنه تحت الحماية البريطانية ، وأنه لم يهاجم الحجاز إلا باتفاق مع الدولة الحامية له ، ولكسا رأيا رجاله يهاجمون العراق ، وشرق الاردن أيضا ، وتتصدى الطيارات البريطانية للهاجرين عليهما من الوهايين ، فتدفعهم عنهما — فلهذا ولما ذكرناه من اتفاق سلطان نجد مع السيد محمد علي الإدريسي من قبل ، ومع الإمام يحيى من بعد ، ولما عرفه

القاصى والدانى من اتفاقه مع نورى باشا الشعلان أمير قبائل الرولة على أن يشغل هذا بقبائله (الخوف) بشرط أن يمنع الانكليز من مد سكة حديدية بين فلسطين ، والعراق تمر منه - لهذا كله قلنا : إن تلك المعاهدة أمست قصاصة ورق لا قيمة لها .

وقد اتفق لنا عند الشروع فى كتابة المقالة الثانية أن رأينا نص المعاهدة فى بعض الحرائد قبل أن يتيسر لنا مراجعة الأوراق ، فلم يرفيها شيئاً يمنع سلطان محد أن يكون عازياً ، ولا فاتحاً ، ولا أن يتصرف فى بلاده بما يشاء كما يشاء إذا لم يدخل فيها نفوذ دولة أجنبية - وهذا قيد يمنعها مما يضره ولا ينفعه - وأما منعه إياه من عقد الاتفاقات مع الحكومات والدول ، فإذا كان يشمل الحكومات العربية المحاورة له ، فقد نقض المعاهدة بمخالفته - وإن كان لا يشملها ، فلا يضره هذا الشرط الآن إذ ليس من مصلحة نحد أن تكون ذات علاقة بالدول الأجنبية ، ولا هى مستعدة لذلك ، ولاستقل حكمه واستعداده .

ولما قبل أن نسين ما وعدنا به من المقابلة بين سلطان نحد ، وبين الشريف حسين وأولاده نقول : إننا كما ذكرنا فى المقالة الأولى أننا سمعنا خبر المعاهدة البريطانية النجدية أول مرة من الملك فيصل فى الشام (وكان اجتماعنا به هناك سنة ١٩٢٠ م) كما ذكرنا أننا سمعنا خبر اختيار ابن السعود عدم الدخول فى الحرب العامة فى جانب الدولة العثمانية . ولا فى جانب الدولة البريطانية ، وذكرنا تعليقه نقلاً عن صديقنا السيد طالب بك النقيب ، وتذكر أننا سمعنا منه أنه كان قد كلف مخاطبته فى هذه المسألة ، وأنه نصح له بما يليق به ، وهو ما فيه مصلحته من حيث هو أمير مسلم ، وقد فهم المشار إليه أننا نعتى بما قلناه أنه كان هو

الذى توسط بين الانكليز والامير ابن السعود فى عقد هذه المعاهدة ، فكتب فى الجرائد تصحيحا للخبر هو أنه كان أخبرنا بأنه هو الذى توسط بين الامير ابن السعود ، وبين الدولة العثمانية فى عقد الاتفاق الذى أشرنا إليه فى المقالة الأولى ، وكان ذلك قبل الحرب ، وأما المعاهدة المذكورة فقد عقدت بعد نفيه من العراق فى أوائل الحرب ، وحدد لنا الزمان والمكان اللذين أخبرنا فيهما بما ذكر ، وهو أنه كان على مائدة الإفطار بدارنا فى شهر رمضان سنة (١٩١٦م) ، وذكر بعض الذين كانوا معا يلتذ وقد تذكرنا ولكن هذا غير ذاك ، فنحن لم نقل ، ولم نقصد بعمارتنا الوجيزة المبهمة أن صديقنا توسط فى معاهدة سنة (١٩١٥م) إذ صرحنا بأننا لم نسمع خبرها إلا من الملك فيصل سنة (١٩٢٠م) وإنما العائق بدهشنا أن الانكليز لما أعلنوا الحرب مع حلفائهم على الدولة العثمانية ، وشرعوا بغزى أمراء جزيرة العرب بأن يكونوا معهم عليها كان نصيبهم من ابن السعود ما ذكرنا من الاتفاق السلبى ، ولم تكن تعلم أنه كان عمقضى معاهدة مكتوبة ، وقد ذكرنا هذا مرارا فى «المنار» ، وغيره أى الاتفاق السلبى فإن كنا واهمين فى سماع هذا الخبر من صديقنا (طالب بك) ، وأنه كان كلف مخاطبة ابن سعود ، فنصح له - فإننا نستعفر الله تعالى ، ولا نرى عليه غصاصة فيه ، فنستغفره هو وإنما نعد ذلك من حساته .

أما بعد ، فهذا أوحى ما يقال فى مسألة المعاهدة البريطانية الجديدة على فرض صحتها ، وكوّن هذا الذى نشره الحجازيون هو نصها ليس فيه تحريف ، ولا تزوير مما اعتادوه حتى فى الرسميات ، كما حرفوا نص ما كتبه جمعية الخلافة فى الهدى لملك جدة الشريف على تحريما بنير المعنى ، وإن زعم نصيرهم «المقطم» أنه لا فرق بين الأصل الذى كتبه إليه رئيس وفد الخلافة ، وبين

تحريف الكتاب الأحمر الحجارى فى المعنى ، كأن المقطم يرى أن «إدا» الشرطية بمعنى «ما» المصدرية ، وسيأتى بيان هذا فى مقال آخر .

والأمر الواقع الذى لا يحتمل التحريف ، ولا التأويل أن السلطان ابن السعود سلطان مستقل فى بلاد نجد وملحقاتها ، ليس فى بلاده أجنبي مسيطر ، ولا غير مسيطر عليه ، أو له نفوذ ما فى بلاده ، وأنه يغزو ، ويضم بلاداً إلى بلاده ، ويعقد المعاهدات فيه ، وبين من ينق معه من الحكومات المحاورة له ، بدون أدنى تدخل من الإنكليز وغيرهم ، وأن رجاله قد غزوا بعض قبائل العراق ، وشرق الأردن التى هى بمنزلة سياسة أمراء ، أو ملوك البيت الحسى تحت سلطان الإنكليز بالفعل ، وقاومهم هؤلاء بطيارياتهم ، وأخيراً هاجم الحجار وطرد منه رئيس هذا البيت الذى سعى ملك العرب ، وخليفة المسلمين ، واحتل عاصمته ، وحصر ولى عهده الذى ادعى الملك فى أحد ثوره ، وقد طهر للقاصى والدانى كراهة الإنكليز لهذا الأمر ، وما قبله ، وعلموا أنهم أرسلوا إليه من يفارضه فيه بصمة غير رسمية ، فأبى أن يقبله ، وأن يكلمه فى ذلك ، فعاد خائفاً .

هذا هو الحق الواقع الذى لا تستطيع حكومات البيت الحسى البريطانىة ، ولا دعائها ، ومقطمها أن يحرفوه . ولا أن يقضوا منه شيئاً ، ولا أن يتكروا أب نحدأ كانت إمارة صغيرة ، قد قفص طل أمرائها آل سعود عنها ، فأعاده السلطان عبيد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل هذا ، ووسع الإمارة ، فصارت سلطنة شهد أهل المعرفة من الشرقيين والأوربيين أنها أعظم قوة فى بلاد العرب فإذا فعل البيت الحسى الحجارى ؟

سمحت للشريف حسين فرصة لتأليف قوة عربية بوحدة حلمية تحت رياسته .

كانت تكون في الوسيلة الوحيدة لتأليف مملكة قوية مستقلة فلم يعقل ذلك ، ولا رضى به - ووفاهه الانكليز في موالاته لهم ، وإثارة العرب على الدولة العثمانية ، فلو اشترط في القبول اعترافهم . واعتراف أحلامهم باستقلال البلاد العربية بص رسمي لأمكن قبولهم - ولكنه استبد بالامر ، وعرض عليهم من تلقاء نفسه تلك المواد التي سماها « مقررات النهضة » التي صرح فيها ، بأن « الأمة العربية بمنزلة العاصر في حمر الدولة البريطانية » - وأن هذه الدولة هي التي تؤسس له مملكة عربية وصمها بكلمة مستقلة ، وبأن على الدولة البريطانية أن تكون حامية لها من الداخل والخارج ، حتى من العن الداخلية ، والثورات المحلية - وأن تختار لها العمال والموظفين (١) وأن الدولة البريطانية تحتل البصرة من ولايات العراق ، لأجل تأمين حماية البلاد العربية إلى أن يصير للدولة العربية في ظلها من القوة ما يكفي لحماية نفسها بقوتها (١) ثم اعترف لها بحقوق خاصة في جميع العراق . وبتأجيل البت في مسألة سورية الشمالية لما تدعيه فرنسا من الحقوق فيها إلخ .

كانت هذه المقررات سرّاً مكتوماً ، فأفشاء الأمير فيصل ، ونشره في جريدة « المفيد » بدمشق الشام . ثم قرأنا في حريدة الملك حسين التي سماها « القلمة » أنه قد كتب إلى الدولة الانكليزية مراراً بالاستفالة من ملك الحجار ، وأن يعينوا فيه ملكاً غيره !!

هذا شأن الحجار فتحرر الدعاية الحجازية بأن حسيباً جعله مستقلاً بالفعل ، وما جعله مستقلاً إلا مكاتته الدبية التي منعت الانكليز من تنفيذ ما اقترحه حسين في مقررات نهضته من حمايتهم من له الداخل والخارج .

وأما فيصل فخدع أهل سورية خداعاً فوق خداع والده الذي فوهم تنويماً ،

كانوا يحملون فيه بالمملكة العربية المستقلة - خدعهم تلك الخطاب التي كانت تصدر بها شقافته بكمالة الاستقلال التام الناجز لسورية، وبأنه اس محمد ^{صلى الله عليه وسلم} ويتبرأ منه إن كان يرضى لسورية بماعدا الاستقلال المطلق من قيود الوصاية والحماية وغيرها - وقد رضى فبرى - فلما حامت لجنة الاستفتاء الاميركانية إلى الوصاية البريطانية، سورية للوقوف على رأى أهلها أمره سادته الانكليز بأن يحمل الأهالى على طلب الوصاية البريطانية، ففعل، ولكنه لم يطع، وصرح بأنه غير سياسته فآه لانه علم علماً قطعياً بأن الوصاية لا بد منها، وأن طلب الاستقلال التام المطلق يعصى إلى جعل الوصاية لعنسة، فهو إذا خيانة للوطن أو هو الحياة العظمى (١)

ثم ذهب إلى انكلترا فأمرته حكومتها بأب يتفق مع مسيو كالمنظر الرئيس الفرنسي على قبول انتداب فرنسا لسورية، ولإقناع السوريين بذلك، فأطاع، وعاد إلى سورية لإقناع زعمائها بذلك، فأعجزه الإقناع، وأعلنت البلاد استقلالها، وجعلته ملكاً عليها ليرجع عن هذا الرأى، ويكون لها على الأجنبي دون العكس، فرجع في الظاهر دون الباطن، ولما أرسل إليه الجنرال غورو إنذاره المعروف في يونيو سنة ١٩٢٠ م حاول أن يمدح المؤتمر السوري ليفوض الأمر إليه فمحر، فخل عقد المؤتمر، وقبل الإبدار العاضح، وحل الجيش المدافع، وخرج من دمشق، وأقام في ضواحيها إلى أن احتلها الجيش الفرنسي، فلما تم الاحتلال عاد إليها ليكون في ظل الانتداب الفرنسي ملكاً عليها^(١)

(١) بلعنا بعد نشر هذه المعالة في الاهرام صحة ما كان أشيع من أن الشريف حسين وولديه عبد الله وعلياً أمصوا للانكليز ضم معان والعقبة إلى شرق الأردن، وهم من أرض الحجاز لئلا يأحداً سلطان نجد، فهل يوجد مسلم صحيح الإسلام أو عرب غير خائن لآلته يشك بعد علمه بهذا في حياتهم لدينهم وأمتهم ؟؟ (المؤلف).

وبعد طرده منها عاد إلى أولياء أمره الإنكليز الذين سل سيفه تحت قيادتهم وساعدهم على فتح القدس الشريف ، والشام ، وأخذ ثأر القرون الطويلة من العرب ، والإسلام ، شاكيا لهم ما أصابه ، معلنا لهم ثباته على إخلاصه لهم ، فأرسلوه إلى العراق ، وجعلوه ملكا عليه ، لجاهد ولا يزال يجاهد في سبيل توطيد نفوذهم فيه بالاسم الذي يريدونه .

وأما عبد الله فقد جاء شرق الأردن بعد فرار أخيه من سورية في إثر مكاتبات بين بعض أحرار السوريين الذين أحأوا إليها ، وبين والده ، وكانت هي المنطقة الحرة التي لم تدخل في الانتداب ، لاللسطين ، ولا لسورية ، وكان لأوائك الوطنيين الأحرار من الآمال فيها ، وفي الملك حسين ، وفي الأمير عبد الله ما كنت في حيرة منه ، ولم أجد له تأويلا — بعد أن علموا من كذب هذه الأسيرة وخداعها ما لا يمكن تأويله — إلا تعلق الفريق بحبال الهواء (كما يقال في تلك البلاد) ، فإزال الأمير عبد الله يجاهد في هؤلاء الأحرار ، ويسرف في أموال المنطقة ، ويحكم فيها عبيده ، ويتزلف إلى الإنكليز ، والصهيونيين ، حتى وضع المنطقة في دائرة الانتداب الفلسطيني ، وأوصل نفوذ الإنكليز ، واليهود إلى حدود الحجاز بإذن والده (المنفذ الأعظم) ورضاه وهو أحب أولاده إليه

وأما على ولي عهد والده وهو الذي كان يظن أنه خيرهم إن كان فيهم خير — فهو يمثل الآن شر دور من أدوار القضية العربية ، كما يقال في التعبير المصري — فإن الداء الذي جعل أباه ، وأخويه نكبة على العرب والإسلام متمكن منه كتمكنه منهم أو أشد ، وفيه جميع مساوئهم إلا خنزوانة الجبروت ،

فلم يحك لنا عنه منها شئ - لأنه ضعيف الإرادة

أما الداء الذى نعيه فهو الافتتار بلقب الملك . ومظاهر عطفته ولو فى ظل دولة أجنبية ، بل هو متواطىء معهم على أن يكونوا كلهم ملوكا فى حماية الدولة البريطانية ، وقد أحبرنى رئيس الوفد الهندى أنه ثبت عندهم فى جدة أنه عرض على المتمد البريطانى فيها أن يكون الحجاز تحت الحماية البريطانية رسميا ليصدوا سلطان نجد عنه ، وكأه أن يكتب إلى دوله بذلك ، فأجابه بأن دولته قررت الحجاب رسميا فلا تعدل عنه ، فكان هذا مصداقا للروايات الكثيرة المختلفة المصادر فى ذلك ، وإن كذبها دعاة سياستهم فى مقطوعهم وغيره ، ونين هذا فى مقال آخر

وأما المساوىء المرادة هنا فهى الجهل ، والاستداد ، والحداع ، والكذب والافتراء والغرور بالنسب باعتقاد أنهم أولى الناس بالسيادة على العرب وأحقهم بالملك والحلافة بنسبهم الذى يشاركون فيه ألوف لا تحصى ، وكثير منهم يفضلونهم فى كل ما يتوقف عليه الملك من علم ، وخلق ، وعمل .

فعلى هذا متواطىء مع أبيه على ادعاء خلعه ، وإخراجه من الحجاز ، وكون أهل الحجاز تابعوه على أن يكون ملكا دستوريا على الحجاز وحده — وكونه يعترف لكل إمارة فى جزيرة العرب باستقلالها إذا اعترفوا باستقلاله فى الحجاز — ومذا كله كذب ، وخداع ، وكذا وجود حزب وطنى حجازى ينطق بلسان أهل الحجاز ، ويعبر عن رغباتهم — وقد كسا نرتاب فى كل خبر من هذه الأحبار عند نشرهم إياه ثم تأتينا الاناء الصادقة باليقين الموافق لرأينا ، ومن المؤسسات أننا كما فى شواغل حالت دون بيان رأينا فى الجرائد ، على أننا كما نذكره لكل

من تتكلم معهم في هذه الشؤون ، وذكرنا بعصه في الخطابات العام الذى نشره
في هذه الأيام ، وفي « المنار »

وقد كانت أخبار الوفد الهندي الصادقة آخر ما حائنا من الحقائق الموافقة
لرأيها ، ومسا أن عليا لا يزال يحاطب والده بألقاب الملك ، والخلافة ، وإمارة
المؤمنين وأن الحزب الوطنى مؤلف هنالك من محمد الطويل ، وطاهر الدباع من
أركان حكومة على ، ولم يبق ممن كانوا حددوا به ، ودخلوا فيه من الحججـازيين
أحد ، والذى فعله نحن أن الأول تركى الأصل ، والثانى معربى — ولهما مندوبان
بمصر ، هما حسين الصمان الذى كان مدير حريدة « القملة » وعبد الرؤف الصبان ،
وهما اللذان ينشران بالدعاية باسمه — ومما قاله رئيس الوفد ، وأعضاؤه وهو
معروف عندنا ، وعند المختبرين أنه ليس في حكومة على في جدة نفوذ لأحد
من أهل الحجاز ، فإن الحد وضباطه سوريون ، وكذا جل رجال الحكومة
على قلتهم .

ومن غريب أحداث الزمان أن أهل هذا البيت الحسينى ينفذون السوريين
أشد البغض ، وأن السوريين كانوا أشد أنصارهم في الحجاز ، وسورية ، وشرق
الأردن ، وهم الذين سموا كبيرهم خليفة المسلمين . وأمير المؤمنين المرة بعد المرة ،
ولكن لما كان كل ذلك في كل وقت مبنيا على أساس مناف للحق والمصلحة العرب
ولشريعة الإسلام ، لم تكن عاقبته إلا الحية والخدلا .

وجملة القول أن على بن حسين قد حص ثغر جدة بمال أبيه ، ومساعدة
أخيه ، وبما استأجر له من الحد من شرق الأردن ، وسائر فلسطين . وسورية
وبما ابتاع به من السلاح ، والدخائر ، وعدد القتال من أوربة ، وسمى نفسه

ملك الحجاز، وقد عرض بلاد الحجاز بهذا للعرب والجوع، وهو مستعد لمع الحج إذا غز الوهايون عن الاستيلاء على جدة قبل الموسم، بل هو يستحل إهلاك الحجاز وأهله، والعرب والعجم لاستعادة ملك الحجاز له، والخلافة لوأندة، فالخلاف بين علي بن حسين، وحسين بن علي من جهة، والسلطان ابن السعود من جهة أخرى قائم على هذه المسألة، وهي أنه هو يريد إزاحة الحجاز من أهل هذا البيت الظالم، وأهله، وجعل أمره لأهل العقل والبصيرة من أهله، ومن سائر العالم الإسلامي، وهما يريدان أن يكون ملكا لهما يتصرفان فيه، وفيمن يرد إليه من مسلمي العالم كله كما يشاء كثيرهم الذي ثبت بالتواتر العام طلبه وإلحاده في الحرم، وسوء إدارته ثم من يرثه منهم.

الحجاز والعرب

بين السلطان العامل الصامت - وملوك الدعاية القوالين

حاتمة هذه المقالات:

﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين﴾^(١)

انتلى العرب بالترك المتعصبين لجنسهم يحاولون هدم لقيمهم فدينهم، أو يكونوا تركا فكان من أمرهم ما كان . . . ثم ابتلوا بالشریف حسين بن علي أمير مكة فظنوا أنهم يتألون بالنهوض معه استقلالهم فنهضوا، فإذا به وبأولاده يتخذون العرب سلعا تجارية يبيعونها للأفرنج، ليكونوا ملوكا في ظل دولتي

(١) سورة الأعراف: ١٢٨

الاستعمار الكبيرين ، فقدوا بسوء سياستهم مهد الحضارتين الأموية ، والعباسية وقد ظل بعضهم يمدحوا باستقلال حسين ، فولده علي في الحجاز ، من حيث كان يسمى آخرون من أعقابهم وأعلمهم بالحقائق إلى القضاء عليهما قبل أن يفعلا فيه ما فعل عبد الله في شرق الأردن ، ويصل في العراق ، وقد قضى الله على الأولين قبل أن يقصيا على خير تراث للعرب والإسلام ، ونسأله تعالى أن يكفيناها الآخرين .

ثم ابتلى العرب الآن في مهد أمتهم ، والمسلمون في مأرز دينهم برعيم هو في نفسه خير مما كان يعرف عنه ، ويقال فيه ، كما كان أولئك شرا من كل ما كان يعرف عنهم ، ويقال فيهم ، وهو عبد العزيز ابن السعود سلطان نجد ، فالمرجو أن يكون هذا من الابتلاء بالحسنات والسيئات ، وبالخير بعد الشر ، كما قال تعالى : ﴿ وبلوأنهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾^(٢) وقال : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإليها ترجعون ﴾^(٣) وعسى أن تكون عاقبة ما ذكر من الابتلاء الرجوع إليه تعالى بإقامة سنته في السياسة ، والاجتماع ، وشرعه في الحق ، والعدل ، والفصل ولما كان بعض السوريين وغيرهم مرتابا في أمر ابن السعود ، إما للجهل بتاريخه وسيرته ، وإما لقياسه على حميين وأولاده ، وإما لتأثير دعايتهم الطاعنة فيه ، وتأثير دعاية أجدادهم مع الترك في الطعن بسلفه ، وقومه المنبوزين بلقب الوهاية . رأيت أن أختم مقالتي الكثيرة في هذا الموضوع بمحلاصة من سيرة العريقين .

(١) سورة الأعراف ١٦٨٠

(٢) سورة الأنبياء : ٣٥

السلطان ابن السعود

لما بلغ أمير نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أشده ، رأى نفسه مع والده ، وأهل بيته صبيوا عند ابن الصباح صاحب الكويت ، إذ كان ابن الرشيد أمير شمر قد غلبهم بمساعدة الدولة العثمانية على أمرهم ، وأخرجهم من الرياض عاصمة إمارتهم ، فإذا فعل هذا الشاب الناشئ ؟ عزم على استعادة ملكهم فاستنصر زهاء ثلاثين رجلا من قومه ، فركب كل منهم ذلولا ، وحرخوا من الكويت إلى نجد ، يستمرون من مروا به من عشائرها ، وفي طريقهم ، وهو كما قال الشاعر :

إذا هم ألقى بين عيبيه عزمه ونقّب عن ذكر الحوادث جانباً

لحارب ابن رشيد المحرّم مدافع البرك ورشاشاتها ، وقهره ، واستعاد إمارة آبائه ، وأجداده منه ، ثم إنه غزاه بعد ذلك ، وكان قد نزل له والده عن إمارة نجد ، فأحسن الإدارة ، وطم القوة ، وهم على عشائر شمر في جبلهم المنيع ، فحصرهم فيه في أيام الحرب الكرى ، وشدة الغلاء ، وكان قادراً على أحدهم عنوة بالمحاربة ، ولكنّه على شجاعته بكره سفك الدماء ، فقف فيه عند حد الضرورة ، وما زال يصيق عليهم الحناق ، حتى نزلوا على حكمه ، وحصروا لأمره ، فأرسل إمارتهم لضمها إلى إمارته ، وحبته أن قطرا واحداً ينمق أهلها في اللغة ، والدين ، والعادات لا يجوز شرعا ، ولا مصلحة أن يكون فيه حكومتان تتقاتلان ، وعلما يتنافسان ، وقد وصع من بقي من أسرة آل الرشيد عنده في الرياض ، يعاملهم فيها معاملة أولاده ، وأهل بيته سواء .

وكان قبل ذلك قد وجه عزمه إلى أخذ سواحل نجد التي على خليج فارس

المعروفة بالحسا من الترك (ويسميا الترك متصرفية نجد) ، ففاز بذلك ، ولكن

الترك رأوا أن يصلحوه كما صالحوا إمام الين ، ويجعلوه صديقا لهم بدلا من الاستمرار على سفك دماء جيوشهم في بلاد العرب هدرًا ، من غير فائدة سياسية ، ولا اقتصادية كما جربوا في القرون الماضية ، فعقدوا معه اتفاقا رسميا اعترفوا له فيه بأن بلاد نجد إمارة مستقلة ، وأن الحكم فيها له ولذريته من بعده بالامراث ، واشترطوا فيه شروطاً هي نافعة له غير صارة ، ككونه إذا احتاج إلى ضابط ينظمون جيشه ، أو سلاح ونحوه يطلبه من الدولة دون الأجانب الخ .

صارت نجد في أيامه إمارة كبيرة أحسن إدارتها ، وحفظ الأمن فيها ، ونظم الدعوة لنشر الدين ، والحضارة في قبائلها ، والقمان المجاورة لها ، كما نظم فيها القوة المقاتلة تنظيمًا كاميا لحفظها ، والأمن من اعتداء أحد من المجاورين لها عليها ، ولكنه ليس تنظيمًا فنياً كجيوش دول الحضارة المعروفة ، على أن كبرى الدول صارت تحسب لقوته في البلاد المحاورة له ألف حساب وخطبت مودته الدولة البريطانية وحاولت أن تستعين به على قتال الترك في العراق فأبى ، وعقدت معه اتفاقا اعترفت له فيه بسيادته على نجد وملحقاتها ، ومنها ما كان بيد الدولة العثمانية .

وفي ذلك الاتفاق تقييد لاستقلال نجد الخارجي لا تشمر به حكومتها إلا إذا أرادت الخروج من عزلتها ومعاملة العالم ، فان لم يكن أئني ، فقد صار لإنفاذه اليوم أسهل مما كان بالأمس ، لأن الدولة البريطانية أحوج إلى مواد ملك الحجاز وسultan نجد اليوم منها إلى سلطان نجد وحدها بالأمس ، ولانزال حريصة عليها في الظاهر ، وإن كانت تكيد له في الباطن ، على أنه هو قد صرح في مكة بأن استقلاله مطلق لا نفوذ عليه ، ولا في بلاده لأجنبي قط .

فعل كل هذا عبد العزيز آل سعود ، وما هذا بقليل على مثله في هذا

الزمن القصير ، وهو مع هذا في منتهى التواضع في معيشته ، وحكمه ، ومعاشرته للباس من أهل بلاده وغيرهم ، لم تجنح نفسه للترف والنعيم ، ولا للزينة ، والزخرف غير المعتاد ، أو المحطور شرعا ، ولا للعظمة ، والكبرياء ، ولا للتمتع بالالقباب الضخمة ، ولا لتسمية أعوانه بالوزراء والحجاب ، ولا للانعام عليهم بالرتب ، وشارات الشرف ، كما فعل الملك حسين ، وكذا ولده عبد الله في إمارته الصغيرة الحفيرة التي هو فيها تحت سيطرة الأجانب وخدمتهم ، ولا بث دعاية لنفسه ، ولا لقومه في البلاد العربية ، ولا غيرها من البلاد الإسلامية ، لا باسم الوحدة العربية ، ولا بعنوان « الجامعة الإسلامية » ، ولا اصطنع جريدة ولا بذل لادحين ، ولا للنافدين درهما ، ولا ديناراً ، وهو لا يبالى بالأقوال (وإن كان يبالى بها ، ويهتم بأمرها ساسة الدول الكبرى ، ويبدلون في سبيلها الملايين) ، ومن المعلوم أن حاله غير حالهم ، وماله غير مالهم ويدينته غير دينتهم وقد سخر الله له كثيرين يعملون للمصلحة التي يبغيها ، لا له ، فأغماه عن استئجار الأقلام المناققة .

وقد ناصه الشريف حسين وأولاده العداء منذ صار أمر الحجاز بأيديهم وكادوا له ، وتحرشوا به مراراً ، كان أقواها زحف الشريف عبد الله على الخرما ، وطربة بأعظم قوة منظمة وجدت في الحجاز عقب استيلاء حسين على المدينة المنورة ، وخروج الجيش التركي منها بانكسار دولته ودول أحلافه ، فكسره الإخوان شر كسرة ، ومزقوا شمل جيشه المنظم ، وفر هو منهزماً يحاكي الإخوان من الوهاية في زيهم وكلامهم ، حتى صرح له والده بأنه كان يفضل قتله على نجاته بهذه الصورة المزرية . ولم يكتفوا بخزي هذه الكسرة الشائنة ، فتحرشوا بالنجدين بمد ذلك مراراً ، ومعهم الملك حسين من أداء فريضة الحج ، وضيق

على تجارتهم حتى منعها من الحجاز وأسرف في الكيد، والدمائس لسلطانهم، والسعى لإعادة إمارة ابن الرشيد في نجد، وإمارة آل عايض في عسير، وضمهما إلى الحجاز، بل وضع بناء سياسته في جزيرة العرب على أساس تقسيم السلطة النجدية والبلاد اليمنية إلى عدة إمارات، تابعة لملك واحد (أى له) في السياسة، والعسكرية، والشؤون العامة، وبالع هو وأولاده في احتقار السلطان عبد العزيز بن السعود، حتى ان أضغفهم أجير الانكليز في مديرية شرق الأردن لا يعبر عنه إلا بشيخ عشائر نجد، دع طعمهم في دبتة، ودين قومه على حد تعبير مادر لحاتم الطائي بالبخل، . . .

وقد عاملهم هو بالحلم الواسع، فلم يردهم حله إلا بغيا وغرورا، حتى إذا قامت عليه الحجة بوجوب إنفاذ الحجاز من طلم حسين وإلحاده في الحرم على ما أقتينا به بناء على الأخبار التي تواترت برواية الكثير من الحجازيين والافاقين من الحجاج وغيرهم، وقرر ذلك مؤتمر الشورى الذي عقد في الرياض عاصمة نجد، أمر بالزحف على الطائف التي هي أمنع معاقل الحجاز، ومركز أكبر قوته العسكرية، فزحف الإخوان من متدية الحجاز ونجد، فأخذوا الطائف عنوة، ثم ما وراه من المعاقل الحصينة، وأعظمها الهدى، وكري، وهر الشريف على القائد العام وولى عهد الحسين، كما فر أخوه قبله من بأس الإخوان، واستأذن قائد الجيش — وهو الشريف خالد بن لوى أحد شرفاء مكة — من السلطان بالزحف من معه على مكة المكرمة وغيرها، ولو أذن لهم لاستولوا على كنوز الملك حسين وذخائره كلها، وانتهى أمر الحجاز كله في شهر أو شهرين .

ولكن هذا السلطان العاقل الحليم الصبور أمر بوقف الزحف حتى يحضر

بنفسه إذ بلغه أنه قد وقع من الاحوان في الطائف شذوذ محالف للشرع بقتل بعض الاهالى غير المقاتلين، وسلب بعض الاموال، لخاف أن يقع مثل ذلك في أرض الحرم، ولأنه لا يستحل القتال في الحرم على ما فيه الخلاف كما بيناه في الفتوى المشار إليها آنفاً، فأمر بانتطاره حتى يحضر هو بنفسه، وكان يمكن الزحف على حدة، أو قطع الطريق على الملك حسين بينهما وبين مكة المكرمة، ولكنه لم يأذن بذلك أيضاً، وقد شرحنا ذلك من قبل.

ثم إنه - أى السلطان - جاء بنفسه، وأمهل الملك حسيناً حتى فر بأمواله ودخائره إلى حدة فاستولى على مكة سلباً، ودخلها هو ومن معه محرمين بالعمرة، ثم أفرط في التأنى والتريث حتى كان ما كان من تحصين الشريف على الحدة ووضع حامية في حصون المدينة المنورة. وكان قد تألف فيها حزب وطني نصه ملكاً دستورياً على الجدار باذن والده، وقد اختار السلطان عمده العزيز حصار جدة على ماجزتها خلافاً لأكثر أنصاره، وأوليائه من النجديين وغيرهم، وصارها أكثر من ستة حتى سقطت من تلقاء نفسها، وكان قد حاصر حامية المدينة المنورة أيضاً، فامتسكت قل استسلام جدة بأيام كما عليه الخاص والعام، فكانت العاقبة حسنة على ما كان في الوسائل من الاغلاط، وتم دأشيج عشائر نجد، الاستيلاء على جميع الحجاز مع عسير، وصار ملكه متدا من البحر الاحمر إلى خليج فارس، ولم يزد هذا كله إلا خشية لله تعالى، وتواضعاً للناس، وتنزهاً عن الدعوى والتنفخ والتعجب الذي عهدناه من غيره.

الشريف حسين وأولاده

وأما حسين بن علي شريف مكة، وأميرها، فملكها، فدعى ملك العرب فتتعل الخلافة الاسلاميه فقد قن هو وأولاده بحب المجد الكاذب، والملك

الصورى فى ظل الأجانب ، فأجمعوا أمرهم على جعل البلاد العربية تابعة للدولة البريطانية ليكونوا خلفاء ، وملوكا فى ظلها ، لعلهم بأنهم من حيث هم هم . كاهلباء أو كالأعداء لا ظل لهم ، وأنه ليس لهم عصية قومية يتملكون فى ظلها ، وأنه لم يكن لهم ، ولا لسلطانهم من أمراء مكة حسنة فى الحرمين الشريفين فى علم ولا عمل ، يستميلون بها أهل الحجاز ، ولا غيرهم من العرب ، أو المسلمين بتنميتهم العود إلى مثله ، بل لا يحفظ التاريخ عنهم منذ بضعة قرون إلا الظلم ، والالحاد فى الحرم . وإنما كان أمراء يصوبون من قبل الدولة المصرية ، ثم الدولة العثمانية ، ويطلبون الناس حجاج وحرمين فى ظلهم .

وقد انتفخوا فى هذا الزمن كبرا ، وعتوا ، وغرورا بما كان من ميل الانكليز الخادع لهم ، حتى لم يبق فى أدمقتهم ، ولا قلوبهم أدنى ولا أصغر موضع لنصح ناصح ولا تذكير مذكر ، فقد نصحا ، ونصح غيرنا لكبيرهم ، ولصغيرهم بأنه لا رجاء فى حفظ سلطانهم فى الحجارة إلا بقوة أمتهم ، واتحادها وتضامنها ، وأن هذا الأمر لا يمكن حصوله فى جزيرة العرب إلا على قاعدة الحلف بين حكوماتها المسلحة ، وأعظمها وأقواها حكومتا نجد واليمن ، وضمنا لهم لإقناعهما بذلك إذا رضى به حسين ، ولكن حسينا لم يرض أن ينزل درجة من عرش سباء عظموته وجبروته ، ولم يتحول خطوة عن جعل جميع البلاد العربية ، وفى مقدمتها اليمن ونجد خاضعة لامبراطوريته وخلافته ، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً ، وإنما كان قصارى تواضعه أن يعد بالسماح له من إمامى اليمن ونجد باستقلال إدارى فى بعض البلاد الخاضعة لها الآن وهو كان خاضعا لها قبل الحرب الكبرى . وهو على هذه الكبرياء والغرور والدعاء لم يتخذ لملكه قوة عسكرية تكفى لحفظ الحجاز من التعدى عليه . ولم يقدر أن يذهن قبائله لطاعته ، بل

اكتفى من عظمة الملك بالانقلاب ، والرئب الدولية ، وأسماها الوزارة السورية ،
والموسيقى الملكية ، فكان كما قال الشاعر :
كألمر يحكى انتفاخاً صورة الأسد

غر حسينا وعود الانكليز الخادعة لانه يحول تاريخ الهند ، وما هو أقرب
إليه وهو تاريخ مصر الحديث .

ثم غر حسينا مبايعة حمور من الفلسطينيين ، والسوريين بالخلافة العظمى ،
أنه صار إمام المسلمين الأعظم ، وكان قبلها يحتقر لإمام اليمن ، وسلاطان نجد ،
وبعدها يحتقر مصر ، والهند ، ويقول فيهما ما قال مالك في الخمر ، بل صرح به
للصريين وشبههم بالانعام ، وصدد حكومتهم عن إرسال ركب الحج وما يتبعه من
الأموال والأرزاق إلى أهل الحجاز ، وألف لجنة لتضع له المطاعن في بعض
الكشف الإصلاحية ، ومؤلفيها من المتقدمين والمتأخرين ليبلغ العالم الاسلامى
الامتناع من قراءتها بما له من السيطرة الدينية بزعمه لانتحاله لمنصب الخلافة ؟
وللدعوى العريضة التي كان يتمتع بها نفسه بما ينشره في جريدته « القبلة » .

وبما زاد حسينا غروراً بنفسه تلك الكنوز التي كنزها من مال الرشى
الذى فرضها عليه الانكليز ، وعلى أولاده في عهد الحرب ، فقد بلغ كما روى
عن (مسترلورانس) المستشرق الذى كان يدير دفة سفينة الشرفاء في لجج الصحراء
ثمانية وأربعين مليوناً من الحياهات الذهبية ، وبما كان يترزه من مال السحت
في كل عام من الحجاج وأهل الحجاز جميعاً ، وقد يما أنواعه في الخطاب العام الذى
نشرناه في « المنار » ،

وبما راده وزاد أولاده غروراً ترلف كثير من المايقين لهم ، واصطناعهم بعض
الجرائد العربية التي تطريهم ، وتدافع عنهم ونعش الناس بهم ، وتجعل سيئاتهم حسنات ،

وتهون أمر خصمهم ، وتفر العرب والمسلمين منه ، ولا سيما سلطان نجد وقومه ، وفي مقدمة هذه الجرائد « المقطم » الذى ثبت على إمداد حسين بن على فى الغى والفرور ، ونصره دعايتهما بالافك وقول الزور ، فصبرا وصابرا إلى أن قضى الله عليهما ، وأدال لخصمهما منهما ، ولم يستفيدا من هذه المصاهرة إلا خسارة القناطير المقنطرة من الذهب التى جمعاها من السحت والظلم . وفضيختها التى اختلفا واختلقا لهما أنصارهما من الطمن فى ابن السعود وقومه .

دعاية المقطم لحسين وأولاده :

أسرفت جريدة المقطم فى الدعاية الحجازية ، وسمحت لأحد محرريها بلفه المنوط به التوسع فى المسائل الشرقية أن يرخى لنفسه العنان فى هذا الميدان ، فيقول من أنباء معزوة وغير معزوة ، وآراء معقولة وغير معقولة ، ولم تعد تحسب لما يكشفه المستقبل حسابا . فكانت فى الدعاية لهؤلاء الجاهلين مثلهم ما أوتى أصحابها من علم وخبرة وتحارب ، ولا نبحث هنا عن علة ذلك وسببه من سياستهم ، ولا فيما هنالك من معاملة مالية بينها وبينهم .

دع ما أذاعوه عن موت ابن السعود بالسّل ، ودع تأويل أكذوبتهم بعد ظهوره بأنه مسلول فى الدرجة الأخيرة التى لا تطول معها الحياة ، فإن هذا وذاك الذى عددناه نحن محتملا للصدق ، حتى كذبه لما أباء البرق ، وتذكر أن كنت ناسيا ما كانت تنشره من أخبار قوة الملك على العربية ، من جيوش نظامية وبدوية ، وأسلحة لا تقل عن أسلحة الجيوش الألمانية ، من سيارات مدرعة ودبابات مروعة ، وطائرات مسلحة تحلق فى الهواء ، وأساطيل مواخر فى الدأماء وجحافل ترى حتى يكاد يضيق بها رحب الفضاء ، ومن سعى الملك على الدستورى (؟) تارة للصلح على ما أوتى من قوة وبأس شديد ، كراهة لسفك

الدماء وإيثاراً للوادة على البغضاء، واحتراماً لأرض الحرم المقدسة، وعزمه مرة أخرى على مطاردة الوهابيين وانتزاع الحرم منهم بالقوة، ثم الزحف على بلادهم أو بدخول بلدة الرياض عاصمة سلطتهم.

« هذا من جهة أو من الجهة الواحدة ومن جهة أخرى » - كما تعبر المقطم أن ما عليه الإخوان الوهابيون من الفقر والعوز وقلة السلاح والذخيرة، والحرمان من النظام والدربة، ومن وقوع الشقاق بينهم، وخروج بعض القواد على سلطانهم واشتعال نيران الفتى في عمر دارم، والأخطار التي تساورهم من القبائل التي في جوارهم كل ذلك من آيات خذلانهم وسوء عاقبة مهيمهم.

ومن جهة ثالثة - وإن لم تكن من هيمى الكاتب - أن ولي عهد اليمن قد خطب قومه بفريهم بالوهابيين المخالعين في الدين، والمنابذين للزيدية وأن هبوات الزحف النيامية، وقسطل سنايك الحيل الزيدية، ستغشى الحجاز من الجنوب فتتلاق مع حوافل الحجارة الشمال وتلتف حول هؤلاء مخاذم من الإخوان ذات اليمن وذات اليسار، فتحيط بهم من كل مكان، لا يتعلت منها لإنسان. ومن مزاعم المقطم، في هذه الجهة أن سلطان نجد لم يدع الإمام يحجى إلى مؤتمر الحجاز، والحق أنه دعاه، وأنه أول من أجاب الدعوة. ومن جهة رابعة أن العالم الإسلامى سيكون إلماً واحداً على هؤلاء الوهابية تأييداً للأسرة الهاشمية، كما تقتضيه معارف محررى المقطم الإسلامية، ولا سيما أن انهمم الصادق المصدوق الصديق الملك على الهاشمى الدستورى وكتاب نهضته بهدم القبة الخضراء، المظلة لقبر سيد أفضل من أطلت السماء، وأقلت الغبراء، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله الأصفياء، وأصحابه الأولياء وبهدم قبر سيد الشهداء حمزة رضى الله عنه) الخ.

ومن جهة خامسة أن «المقطم» ، دون إجراء دعاة البيت الهاشمي من الاختلاق تلك المواد التي صورها للمؤتمر الذي عقد بين السلطان والجزال كلاتين ومن معه من مندوبي العراق لتسوية الحدود بين نجد وبين العراق، وشرق الأردن فقد ادعى «المقطم» ، أنه وقف على ما تقرر فيها ونشر مواد تنفر العالم الاسلامي من سلطان نجد كذبتها الحكومتان الانكليزية ثم النجدية، ولكن حصل أن صدقها الكثيرون في الشرق والغرب وفلقنا عنه صحف كثيرة لا يحظر على بال أصحابها أن «المقطم» ، تكذب كذبا صريحا في أمثال هذه المسائل التاريخية الرسمية، ويشبه هذه المواد في ظهور كذبتها بعد نشرها تلك المواد التي لفقتها، والشروط التي زورتها، في شأن تسليم الملك على للسلطان ابن السعود في جدة، وكانت الجرائد ظنت أن «المقطم» تلقاها من الوكالة العربية فنقلتها وعزتها إلى الوكالة فنفاها الشيخ عبيد الملك الخطيب وتبرأ منها. ثم جاءت جريدة «أم القرى» الملكية ناشرة للشروط الرسمية فلم كذب شروط «المقطم» الفاضح، وأنا لا أعتقد أنها لفقت في إدارة «المقطم» وإنما الراجح أن رجال الملك على الذين فروا من جدة اختلقوا لهم هذه كما ان مندوب الملك فيصل في مؤتمر بحره هو الذي اخنلق لهم شروط مؤتمر بحرة. وذنب «المقطم» أنه أباح لهم صفحاته على ما يعلم من كذبهم وحمل تبعته بنشره باسمه وجعله من معلوماته الثابتة عنده.

ومن جهة سادسة — والجهات الحسية ست — أنه كان مثلهم يجمع بين النقائص والأضداد فينشر لهم ما يغشون به أمتهم العربية وملتهم الاسلامية من إيهام استقلالهم وعملهم لاستقلال الأمة، وذم الوهابية وسلطانهم، ثم ينشر بعض الأخبار، ولا سيما الرسمية المكذبة لهم، ويكتم ما يمكن كتمانهم من

المصالحهم بالدولة البريطانية وجعل الحجاز تحت حمايتها حتى أن حسيناً لم يترتب
 يخرجوه من الحجاز مذموماً مدحوراً، ثم من العقبة ملوماً محسوراً، وانتبأه في
 قبرص مغموماً مشهوراً، وخذلان «العظمة البريطانية» له كأن لم يكن شيئاً
 مذكوراً، لم يترتب بهذه العاقبة السوءى فطل يأوى إلى طل ما سباه «مقررات
 النخبة» من حماية الانكليز لمملكته الوهمية من الداخل والخارج، ولا سيما
 بعض «الأمراء الحاسدين» فكتب إلى رئيس الوزارة البريطانية يعاتبه ويطالبه
 بإخراج ابن السعود من الحجاز، وقد رد عليه الوزير رداً شديداً، ونشر
 «المقطع» كتاب الملك المخدوع، ورد الوزير عليه. فأبى هذا مما كان قد
 نشره من تصريحه بأن استيلاء ابن السعود على الحجاز أثر عنده من تدخل
 الانكليز في شؤونه؟

وكذلك كان فعل ولده على صرح يمثل هذا التصريح ونشر له «المقطع»
 وغيره أقوالاً توهم حرصه على الاستقلال المطلق دون الأجانب، ونقصيل
 ابن السعود عليهم، كما أنه قد ثبت أنه كان يسعى لجعل الحجاز تحت حماية
 الانكليز رسمياً بشرط أن يخرجوا ابن السعود منه، سمعنا هذا أولاً من
 الورد الهندى الذى كان فى جدة، وقد عرفوه من قسطل الانكليز فيها. ثم
 سمعناه من قدم بعد ذلك من جدة كالدكتور خالد الخطيب السدى كان رئيس
 مصلحة الصحة عند على. وثبت أيضاً أنه كان يسعى لرهى جمره جدة لدولة
 أجنبية تفرسه مليون جنيه لمتابعة قتال ابن السعود. وثبت أيضاً أن أخاه الملك
 فيصل سعى له هذا السعى لدى الدولة البريطانية، ثم الدولة الفرنسية عند زيارته
 لها فى الصيف الماضى. وقد خاب السعى لديهما ولدى الدولة الإيطالية أيضاً،

ولو تم لكأن سبياً لمبت الدولة المستولية على الجمر بك باستقلال الحجاز، واحتلالها لشغره الأعظم الذى هو مدخل أكثر الحجاج .

وقد كان كل انتصار لها خذلانا ووبالا عليهما ، ونكالا ونضيجة لهما ، وسببا لحسارتها أكثر مما جمعنا من مال السحت والخيانة .

ونذكر ههنا على سبيل الاستطراد زيارة الملك فيصل عاصمة فرنسة التى طرده من سورية أقبح الطرد فى الوقت الذى كانت مدافعها تدمر مدينة دمشق وغيرها لأجل إقناع حكومتها بنصب أخيه ريد ملكا عليها ، وإقناعها بأن هذه هى الوسيلة الوحيدة لتوطيد سلطانها الاستعمارى فيها ؟

هذه جملة موحزة من سيرة الملك العربى العمال ، وسيرة ملوك الدعاية القوالين ، وسامسة الاستعمار الأوربى فى البلاد العربية ، ولما نشره « المقطم » من الدعاية الباطلة لهم ، لحصتها ، وأوردت بعضها بعبارة شعرية ، أو كالشعرية لتلائم الأسماع قراءتها ، إذا هى ذكرت بعسارتها . بعد أن اطلعوا عليها فى أوقاتها ونحن نخطط قصاصات « المقطم » الحاوية لها . وإنما كتبناها للعبرة بها ، والتحذير من مثلها ، فإننا نرى أن دعاية الإفساد الهاشمية لم تنته بانتهاء أمر الحجاز ، وبلغنا أن رئيس حكومتى حسين وعلى الساطنين نقل ذلك عن دار المندوب السامى بمصر ، وأن الملك علياً أعطى بعد وصوله إلى العراق مائة وخمسين ألف جنيه لتنظيم دعاية جديدة فنصح لمن يعينهم أمر الحجاز من العرب وسائر المسلمين أن يكونوا على حذر ، ويتكاتفوا ويتعاونوا على وقاية مهد أمتهم ودينهم من الخطر ، وأن يقارنوا بين تينك السيرتين بالأعمال . فإنها لا تقبل التفضيل كالأقوال ، ويفكروا فيما يجب فى الحال لحسن العاقبة والمآل .

(خاتمة كتاب ملوك العرب لأمين الريحاني الكاتب الشهير)

وهي خلاصة اختياره الشخصى سنة ١٣٤٣ ١٩٢٤ م

رعية الملك حسين تطيعه وتخافه

رعية الملك ابن سعود تطيعه وتحبه

رعية الامام يحيى تطيعه دون حب ودون خوف

رعية الملك فيصل لا تخاف ولا تحب ولا تطيع إلا مكرمة

فن من الملوك المذكورين فى شبه الجزيرة يستحق أن يسود العرب ؟





صَوْتُ الْإِمَّةِ

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف والترجمة ، بنارس

صفر ١٤٠٩ هـ

المجلد الأول

أكتوبر ١٩٨٨ م

العدد الثامن

★ عنوان المراسلة . رئيس تحرير صوت الإمّة ، بي ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب
بنارس ، الهند

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B.18/1 G 2, REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى } فى الهدء ٤٢ روبية ، فى الخارج ٢٠ دولار (بالبريد الجوى)
١٠ دولارات (بالبريد العادى)
ثم السحء ٤/٥٠ روبيات

★ تليفون : ٦٣٥٧٧

© المنشور لا يعبر إلا عن رأى كاتبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِجَلَّةٍ تَسْهِفُ

- ◇ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكري ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتوفير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .
- ◇ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادئ الهدامة ، وصلال الزيف والاحاد ، وسائر المكرات ، بأسلوب على رصين ملائم لروح العصر مع تجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما في نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .
- ◇ موازنة الكتاب والآداب الاسلاميين ، واستنهاص مهمم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، لينتفخوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، في تعمق ووعي وجراءة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .
- ◇ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعي الاسلامي في الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام في معركة اللسان والقلم ، وتصوير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .
- ◇ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين في الهدى ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطاة .
- ◇ التوجيه الديني السليم للمسلمين في القضايا الراهة ، والمشاكل اللاحقة ، حتى يتمكنوا من المضى في طريقهم على هدى وبصيرة .
- واقه هو المستول أن يهديا إلى سبيل الرشاد ؟

مقياس جائر للبوالاة والمعاداة

د . مقتدى ياسين الأرهري

من المشكلات التي عرقلت كثيرا تقدم الهند ، وأدت الشعب إلى الشعور بالشقاوة والحرمان ، وقصت على معاني الحرية والاحياء التي تتوفر في الدول المستقلة . مشكلة الأحقاد الطائفية والرعاع المنطرفة التي تأصلت جدورها في نفوس الشعب منذ استقلال البلاد . ان قسما كبيرا من جهود السلطات وأموال الدولة يبدل لتطبيع العلاقات بين الطوائف المختلفة التي تتماحر فيما بينها حينما بعد آخر ، وكثير من الادعاءات والاعلامات تعكس مدى عناية الحكومة بالموضوع ، ولكن النتائج لا تزال غير مشجعة ، والجهود غير ناجحة . وهذا الوضع يدفع للايمان بأن هناك تقصيرا في الأمر وفسادا في النية ونفاقا في القلب ، وإلا كيف تعشل كل هذه الجهود وتعجز حكومة عظيمة مثل حكومة الهند في تحقيق مطلب صغير مثل ذلك ؟

ان العداوات بين العرق والطوائف العديدة بالهند لها أسباب وجذور مختلفة قد لا تندرج تحت كلية واحدة ، والظروف التي تحيط بالمسلمين قد تكون خاصة بهم فان وضعهم في البلاد يختلف عن الوحدات والطوائف الأخرى ، وترصهم للحس والارمات يبدو أكثر من غيرهم ، وخاصة منذ استقلال الهند وانقسامها إلى دولتين . وفيما يلي تشير إلى بعض التهم التي توجه إلى المسلمين الذين آثروا البقاء في البلاد على الهجرة إلى باكستان ، فلمعها تعكس التفكير الذي

يحميه عامة الشعب نحو المسلمين وتوضح العقليّة التي تجر الناس إلى الصدام والاشتباك ، وتكشف عن الأسباب التي تؤدي إلى الممارك الدموية بين الطائفتين اللتين عاشتا قروبا طويلة تجاور بعضها البعض في أمن وسلام .

ان المسلمين حكموا في الهند نحو ثمانية قرون ، وفي هذه المدة الطويلة عمروا البلاد ، وخدموا الشعب . وأرسوا معاني الحرية والسعادة والتسامح والعدالة ولين الجانب وسمو المعاملة ، وقصروا على كثير من العادات والتقاليد القبيحة التي كانت تعتك بالمجتمع وتذيق الشعب أنواعا من البؤس والحرمان . ان تاريخ المسلمين في البلاد تاريخ طويل ، ومآثرهم العظيمة وأنجازاتهم الكبيرة لا يمكن تعدادها إلا في مجلدات ضخمة . ولكن طهر الآن — بعد استقلال البلاد — انجاء غريب لدى ورقة متعسمة من السكان يحاول حمل الناس على الاعتقاد بأن أرض الهند لم تستعد شيئا من الحكم الإسلامي والمسلمون لعبوا دور الدحلا والمستعمرين في البلاد ولم يحسنوا المعاملة مع السكان

وكذلك يقول المتطرفون للمسلمين : ما دامت البلاد انقسمت وأنشئت دولة باكستان فالأحرى بالمسلمين أن يهاجروا إلى باكستان ويحلوا أرض الهند للهنادك . ويصعب البعض فيقول ان المسلمين لو أرادوا البقاء في الهند لوجب عليهم التخلي عن الإسلام والانصهار في بوتقة الهدوكية واذابة الشخصية المسلمة في التيار العلماني العام الذي يمثل في الحقيقة تيارا هيدوكيا جديدا .

والتهمة المعروفة التي توجه من المتطرفين إلى المسلمين حيننا بعد آخر هي أن المسلمين الذين يعيشون في الهند ليسوا مواليين ومحاصرين للبلاد ، بل ولا هم مع باكستان ومع الدول العربية والإسلامية .

وان المسلمين يريدون انشاء دولة اسلامية أخرى داخل الاراضى الهندية ،

وأنهم يعارضون جميع الاعمال التي تدعم الوطنية الهندية .

مضت أربعون سنة على استقلال الهند وتردد الالسنه المعادية هذه التهمة في مناسبة وأخرى ، ولكن لم يتمكن أحد إلى الآن من إثبات هذه التهمة ضد المسلمين وإيراد مثال واحد لعدم إخلاصهم لأرض الهند ومواليتهم لدولة أجنبية ، بل الوقائع والاحداث تدل على أن العناصر المعادية للمسلمين هم الذين يقصرون في أداء واجب الوطنية ، وهم الذين يصحون بمصالح الحكومة و البلاد والشعب في سبيل الحصول على آتفه المطالب . ان مثل هذه الوقائع كثيرة ، وهي معلومة لدى الجميع ، ولكن المؤسف أن السلطات لا تنكم الأفواه التي تردد التهمة المذكورة ضد المسلمين ، ولا تتخذ موقفا صارما يبرهن على ثقة الحكومة بالمسلمين واعتمادها عليهم في شئون الحكم وأسرار الدولة وموقف الحكومة هذا هو الذي يحرث الغوعاتيين ضد المسلمين ، و يتيح لهم فرصة التدر بأ كبر أقلية في البلاد والتشكيك في ولايتهم لأرض الوطن ولأهل الحل والعقد فيها .

ولكون هذه التهمة في غاية السفاهة والحق ليس المسلمون في حاجة إلى نعيمها عن أنفسهم ، ولكن هناك أقلام تولت الدفاع عن المسلمين حبا للعدالة وأداء للأمانة ، فهم الذين يكتبون أحيانا في مثل هذه الموضوعات ، ويردون على المنحرفين الذين يشكون في إخلاص المسلمين وولائهم ، فقرىبا نشرت الجرائد الهنديه مقالا لكاتب غير مسلم يصرح بأن اتهام المسلمين بعدم الولاء والوفاء لم يقم عليه دليل إلى الآن ، بل الواقع يشير إلى أن الذين يتهمون المسلمين هم أنفسهم يأتون بما يعارض مصالح البلاد والشعب . وفيما يلي مقتطفات من المقال المذكور تبرز على نزاهة المسلمين من التهمة المذكورة وغيرها .

يقول (أرونذكالا) وهو كاتب عمود في صحيفة Statesman الانجليزية :
« حينما قرأت في الجرائد أن ضابطا متقاعدا في بحرية الهند يسمى (الكاتب بي .
نكي . ستاروا) قد ألقي عليه القبض في بومباي بتهمة التجسس ، تذكرت حادثا
كان قد وقع قبل عشرين سنة . وهو أن فرقة من طلاب الكلية ، وأنا بينهم ،
كانت في زيارة لمنطقة لداخ ، وكلنا شغلنا الراديو وجاءتنا برامج الاذاعة
الباكستانية ، هتف بنا طالب منا : أوقفوا الراديو ، لا تسمعوا لاذاعة العدو .

إن هذا الطالب المسلم كان ابنا لضابط في الجيش ، ومع ذلك كان يشعر بحاجة
إلى إثبات موالاته وإخلاصه للوطن وكان شعوره هذا ناشئا بسبب أن كثيرا
من الناس في شمال الهند كلما كانوا يشكون في موالاته المسلمين للوطن .

وإنى أتساءل : اذا كان المسلمون غير محاصرين في موالاتهم للهند ، فلماذا
لا يحد أحدا من المسلمين بين من يلقي عليهم القبض من سكان الهند بتهمة التجسس
ضد البلاد ؟ ان عمل التجسس انتشر الآن في جميع البلدان المتقدمة والنامية ،
والانسان يعمل كل ذلك للحصول على المادة ، فلماذا يتهم المسلمون وحدهم
بعدم الاخلاص للوطن حينما تشير الشواهد إلى أمر آخر ؟ سبب ذلك أسا
نود نبش المدفون واثارة الحزازات واحياء العصبية

إن عددا كبيرا من المسلمين هاجر من الهند إلى باكستان من دهلي وبون
وبهار عام ١٩٤٧م وبعدها أثر الاشتباكات الدموية التي انفجرت بين المسلمين
وغيرهم . والمسلمون الذين بقوا في الولايات المذكورة ولم يهاجروا إلى باكستان
ظن فيهم الهناك أنهم موالون لباكستان . ولكن الحروب الثلاث التي قامت
بين الهند وباكستان في فترات عديدة قد برهنت على فساد الظن المذكور .

إنى أتذكر أن هندوكيا لو أثار مصباح بيته بالليل أثناء حرب عام ١٩٦٥م

أو عام ١٩٧١م لم يكن أحد يشك في حبه للوطن ، ولكن لو فعل ذلك مسلم لصاح به الجميع بأنه يدعو الطائرات الباكستانية للهجوم . ان مثل هذه التفرقة • قبيحة جدا . يبلغ عدد المسلمين في الهند نحو ثمانين مليوناً ، ونصف هذا العدد قد نشأ بعد تقسيم البلاد ، ولم يذهب منهم إلى باكستان إلا عديد ، ومع ذلك تهتمهم بعدم الوفاء للهند ،

« إن الهنالك والمسلمين يتعايشون في الأرياف بسلام وتآلف ، فلماذا يتحاربون في المدن مثل ميرت ومراد آباد وبهوندى ؟ ولماذا تنشب الاشتباكات في مناطق البلاد الشمالية والعربية فقط ، ولا تنشب في المنطقة الجنوبية ؟ إنى أرى أن أسباب الاشتباك ترجع في الأغلب إلى الحالة الاقتصادية ، والأرياف لا يوجد فيها شيء للنهب والاتلاف ، فينجو سكانها من المعارك الدموية لهذا السبب ، انتهى ملخصاً .

وهناك سؤال وحده إلى شخصية مسلمة كبيرة في حديث قدمه تلفزيون الهند في البرامج الانجليزية ، وقدمت ترجمته بالهدية أيضا .

الشخصية هي (بدرالدين طيب جى) من كبار الشخصيات الهندية التي عرفت بعلو الكعب في الثقافة وطول الخدمة في الحكومة . انه شغل مناصب كبيرة في خارجة الهند ، ومثل الهند في بلاد عديدة كمسفير وبجانب ذلك يمتاز بالتزامه بالمبادئ السليمة والصراحة في القول والسمو في السلوك ، ان أحدا قد لا يوافقه على بعض آرائه وأفكاره ، ولكن لا يمكن أن يشك أحد في أماته وإخلاصه للوطن . انه ينحدر من أسرة عرفت بمساهمتها الفعالة في تحرير الهند . وكان جده هو نالك رؤساء حزب المؤتمر .

مثل هذه الشخصية الكبيرة التي نحتت بكفاءتها واجتهادها في الوصول إلى أعلى مكانة في خدمة البلاد والشعب وضربت مثالا رائعا للسمو في الاخلاقي

والنوازة في الاعمال والاخلاص للوطن . . . وجه إليها السؤال التالى الغرب
المبكي المضحك :

« لماذا لم تهجر إلى باكستان عام ١٩٤٧م ؟ »

ولم يوجه هذا السؤال في مجلس خاص أو لقاء شخصى في زاوية مستورة
مهملة ، بل في لقاء تلفزيونى تقرر نشره كي يشاهده ويستمتع له ذلك العدد
الكبير من سكان الهند الذين يتابعون البرامج التلفزيونية بالهند

ان السيد بدر الدين ارتدك كثيرا بعد السؤال المذكور ، وكان ارتبائه
باديا على وجهه ، ولكنه ضبط نفسه وأجاب على السؤال فقال « إني بقيت في
الهند كما بقيت أنت ، ولماذا توجه مثل هذا السؤال إلى مواطن هندي ؟ »

وطبيعة السؤال المذكور تبرر لنا الاستغراب الذى تكنه الطائفة المنحرفة
نحو المسلمين ، فهم يتعجبون من بقاء المسلمين في الهند بعد إنشاء دولة باكستان ،
فكأنه أمر غير طبعى يحملهم على التساؤل . ان المصايين بضيق النظر وصيق
الصدر يفترضون من الأول أن المسلمين الذين لم يهاجروا إلى باكستان إما
مضطرون لذلك أو يهدفون إلى تحقيق مصلحة لهم ، ولكن ليست لهم رغبة في
البلاد وعلاقة بها وحب لها .

ومثل هذا التفكير يجعل المسلمين في طرهم موضع شك وريبة ، وتترتب
عليه أمور لا تحمد عقباها في حال من الأحوال والمؤسف أن هذا التفكير
لا يحمل المتطرفون من غير المسلمين فقط ، بل انه قد أصاب الذين يدعون
العلمانية ، ويزعمون أن معاني الحرية والديمقراطية قائمة بهم وحدهم . ان هذا
التفكير الجائر يسيطر عليهم في جميع تصرفاتهم ، وينفذ الانجاسات الطائفة ،
مهمير الاحقاد والعداوات بين صفوف الشعب حتى ينادى البعض باخراج المسلمين

من البلاد . ولو كانت السلطات منخلصة في الحفاظ على حقوق الأقليات في البلاد لما تركت مثل هذا التفكير بشيع بين الناس ، ولما سككت عن الدين يقضون على روح الديمقراطية والعدالة .

ان السؤال المذكور إن دل على شيء فإنه يدل على انحراف في التفكير وضيق في القلب وتكرار موقف المشرف الذي وقفه المسلمون في البلاد . والذي وجه هذا السؤال إلى رجل مثل بدر الدين هل يوجهه إلى شخص غير مسلم ؟ كلا ، ان مثل هذه التساؤلات تدور كلها حول المسلمين فقط ، أما غيرهم فالمفروض أنهم هم اللاحق في سكنى هذه الأرض ،

ما أغرب أمر المتطرفين ! أنهم يتعجبون من لقاء المسلمين في الهند ، ويرون أن هناك منافاة بين كون المرء مسلماً وبين كونه مواطناً هندياً ، ولكن لا يتعجبون من المحرمين الانتهازين الذين يمسون سمعة البلاد بقسائح الأعمال ويشوهون صورتها في أنظار الناس للحصول على المادة والوصول إلى بعض المناصب ! ان موضوع التعصب والتسامح والإخلاص والتفاهق موضوع حساس ذو جوانب كثيرة وحسباً يثار الكلام حوله ينجر الحديث إلى مواقف مكروهة ، ولذا ينبغي أن يقدر المسئولون هذه الطروف ويتجسوا الوقوع في التساؤلات حول مثل هذه الموضوعات .

ومع أن السلطة لا تترك لأصحابها آداباً يسمعون بها للناس ، ولا أبصاراً يصلون بها إلى أعماق الأمور ، ولا قلوباً ترقق للآلام والهموم ، ولكن مع ذلك نوجه إليهم كلمة قصيرة لعلها تفهمهم أو تنفع غيرهم .

ان وحود المسلمين في الهند من قضاء الله تعالى وحكمه ، وانهم سكنوا في هذه الأرض بكفاءة وجدارة ، وأحسنوا المعاملة مع الناس ، وأعطوهم أكثر

عما أخذوا منهم ، وتضحياتهم في سبيل نهضة البلاد وازدهار الشعب ورخائه ليست أقل من غيرهم . ومن هنا يستمر بقاءهم في أرض الهند إلى أن يشاء الله تعالى . هذه حقيقة فرضت نفسها على الناس شاموا أم أبوا . ولذا يجب أن يتغلب المتعارفون عن تفكيرهم المنحرف ، ويقدرُوا مواقف الناس وخدماتهم ، وينتفحوا بالموهبات في سبيل النروض بالمجتمع الذي صار مضرب الأمثال بين الناس في الرؤس والفقر والعداوة والحقْد . ان تاريخ المسلمين في البلاد لا يمكن أن يكون موضع تساؤل ، وإنما موضع التساؤل هو موقف الشذاذ الذين يتاجرون باسم الوطن ، وينهبون ثروات البلاد ، وجرمون الناس حياة الأمن والسلام ، وكذا موقف الذين يتحملون المسئوليات الجسيمة ثم يقصرون في أداء واجهم نحو الشعب ، ويفشلون في اقرار الأمن والوثام بين الطوائف والأحزاب ، أما المسلمون الذين لم يذهبوا إلى باكستان فهم قد أثبتوا بحراة أن أرض الهند موطنهم ، وأن الله تعالى قدر لهم اللقاء فيها ، وهو الذي ساطع العلمانيين على أصحاب الديانات ، وهو الذي يكتب النهاية لهم ولأمثالهم : (ولكل أجل كتاب) .



زيارة القبور



للعلامة محمد اسماعيل السلفي
تعريب الدكتور مقتدى حسن الازهرى

الرؤية الجاهلية والإسلامية عن القبر

يطلق « القبر » على الأرض العميقة ، ولذلك يطلق على الحفرة التي تحفر لدفن الميت . وقد ذكر القرآن الكريم القبر لعدة مقاصد ، يقول تعالى : ﴿ ثم أماته فأقبره ﴾ عس : ٢١
فالقصد هنا هو التحدث بالنعمة ، أى صيت جثة الانسان من المهانة والدل بالدفن .

وقد ذكر ضمنا في واقعة أخرى : ﴿ ولا تقم على قبره ﴾ التوبة : ٨٤
و ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ التكاثر : ٢
و ﴿ ييمت من في القبور ﴾ الحاح : ٧
و ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ الانفطار : ٤
وذكر القبر في هذه المواضع للدلالة على ما يحدث وللتذكرة ، ولم يرد به نوع من التكريم أو التحقير .

وفي بداية التاريخ كان هايل أول قتيل ظلما ، وكان القاتل متحيرا كيف وأين يذهب بالجثة ؟ ثم أنه عرف بدلالة غراب أن الجثث تدفن في الأرض . وهذا الحادث يدل على مجلة الانسان وجهله ، ثم ان هايل كان رجلا صالحا . ولكن الانسان لم يؤمر بأن يجعل له قبة أو يكرمه تكريما مع انه قتل مظلوما .

أصحاب الكهف

ويشبه ذلك حادث أصحاب الكهف ، فهؤلاء الشباب خرجوا مهاجرين في سبيل الله ولجأوا إلى غار خوفاً من الحكومة الظالمة فأخذتهم السنة ، يقول تعالى : ﴿تَحْسِبُهُمْ أَيْقَازًا وَمِنْ رُفُودٍ﴾ [الكهف] ١٨ . وبأموأ ، وعما أن الغار كان فيه خطر على الناس هناك . مسجداً ، واتخذ أهل الانتداع هذا الحادث دليلاً على حوار بناء المساجد على القبور ، ولكن هذا الاستدلال ليس في محله قطعاً ، فإن الموت لم يطرأ على أصحاب الكهف كما نص عليه القرآن ، بل كانوا أحياء نائمين ، وليس قبر أو موت ، والتعبير عن مشواهم بالقبر العنقري خطأ فاحش ولغو .

الأنبياء السابقون

قد ذكر القرآن الكريم قصص الأنبياء بالتفصيل اللارم ، وأكثرهم توفوا على الأرض ودفنوا فيها ، يقول تعالى ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ [الأنبياء ٨٠] فاهم كانوا يأكلون الطعام ، ولم يكتب لهم الخلود ، وهذه هي سنة الله تعالى : ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ طه : ٥٥

فالأنبياء عليهم السلام لم يستشوا من هذه الكيفية ، ولكن مع ذلك لم يعلم موضع قبر أحد منهم بالوجه الصحيح ، ولا أقيم عليه عيد ، ولا حكي عن نبي أنه ذهب لزيارة قبر نبي آخر ، أو أمر أمته أن يعاملوا هذه المعاملة مع قبره ، أو تقدم الندور لقبر نبي من الأنبياء . وتعليم الأنبياء في هذا الباب واضح جداً ، أى أنهم لم يولوا أى أهمية لأى قبر من القبور ، وهذا يدل على أن الشرائع السابقة أيضاً لم تذهب هذا المذهب في القبور .

تقاليد ما قبل الإسلام

والدين الصحيح لم يعط القبور أهمية ما ، ولكن الاخطاء التي ارتكبتها العامة

وأعداء للأنبياء في هذا الأمر قد ذكرت تفاصيلها في الأحاديث ، وبها نعلم
الابواب الخفية التي أوجدها الشيطان وأتباعه ، ومن عادة المشركين أنهم كانوا
يحاولون الأنبياء عليهم السلام وأهل الحق في حياتهم ، ولما ارتحلوا بدأوا يصنعون
لهم تماثيل وصوراً ، واتخذوا قبورهم وسيلة للحصول على أقواتهم .
والأحاديث الشريفة تدلنا على المعاسد التالية من القبور ، ويمكن أن نعبّر
عنها بالزيارة الجاهلية .

- ١ - تخصيص القبور والافتاق عليها درس حاحه .
 - ٢ - السجود عليها والاستعانة بها .
 - ٣ - بناء المساجد والمعابد عند القبور ، وكسب الدنيا بمجاورتها والمرابطة عندها .
 - ٤ - الاحتفال عند القبور مثل الأعياد والاجتماع عندها وإطهار الفرح لديها .
- وكما أن الأحاديث تدل على هذه الأمراض ، فكذلك تدل على الكراهية
والتنفر ، وأقوال النبي ﷺ تسي أنهُ كان خبيراً بالأمراض القديمة ، وكان يود
أن ينفذ أمته من الآثار السيئة التي طمرت في الأمم السابقة بهذه العادات
والنفاليد ، ويبدو أن التعلق بالقبور على هذه الطريقة يؤدي إلى العقائد الشركية .
وأسلوب أقوال النبي ﷺ بين مدى تأسفه وتألمه على أهل الكتاب ،
والأسباب التي لعنهم بها كان منها الطريقة السائدة لزيارة القبور .

أحاديث النبي ﷺ

- ١ - عن جابر قال نهى رسول الله ﷺ أن يحمص القبر وأن يبنى عليه وأن
يقعد عليه ، وروى أن يكتب عليها ، مسلم وأحمد
- ٢ - وعن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة وأنها بأرض
الحبشة ، وذكرت له ما رأت فيها من الصور ، فقال رسول الله ﷺ : أولئك

قوم اذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ،
وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله . متفق عليه .

ويعلم من بعض الأحاديث أن ذلك وقع للنبي ﷺ في مرضه الأخير .
وهذه الأحاديث تبين عدم جواز تخصيص القبور ، وأن لا يبنى قربها معبد ،
وأن لا يبنى بناء على القبور لاحترامها ، فإن هذا العمل شر عند النبي ﷺ ،
ومن يقوم به هو شر خلق الله .

٣ - وعن عطاء بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ : اللهم لا تجعل قبري
وثناً يعبد ، اشد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . رواه مالك
مرسلاً ، ورواه البزار عن زيد عن عطاء عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً .

التواتر

وقد رويت عن النبي ﷺ أحاديث هذا المعنى بتواتر ، وقد لسن النبي ﷺ
في بعضها على من يفعل ذلك : فقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك
والتشديد فيه . (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٧٦٢ ، ٧٦٥ ، مطبوعة الميكان)

وقد روى هذا الحديث في صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود وأبي
حاتم والترمذي والنسائي والمنتقى ، عن أبي هريرة وعبد الله بن مسعود وعائشة
وعبد الله بن عباس وجندب بن عبد الله البجلي وغيرهم من الصحابة .

معنى الحديث واضح ، أي يحرم السجود نحو القبر والتوجه إليه مثل
القبلة ، وقد ورد في رواية جندب بن عبد الله : ألا وإن من كان قبلكم كانوا
يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني
أنهاكم عن ذلك . (صحيح مسلم)

وفي هذا الحديث ورد ذكر الصلحاء أيضا مع الأنبياء، ثم شدد في النهي عن جعل القبور مساجد. والقبور التي تعبد هكذا فهي في حكم الوثن عند النبي ﷺ.

عن أبي مرثد الغنوي قال قال رسول الله ﷺ: لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها. (رواه مسلم)

وان ذهب أثر القبر واستوت الأرض صحت الصلاة، فقد روى عن مسجد الخيف والحرم المكي والمسجد النبوي أن كان في بعض منها قور بعض المشركين وبعض الأنبياء عليهم السلام، ولكنها انعدمت الآن جميعا، ولذا لم يبق خوف الشرك وجازت الصلاة في مساجدها.

وكان الشرع يقصد أن تكون المعابد بعيدة عن القور تماما، أي لا يكون قبر في مسجد، ولا مسجد على قبر، فإن حرمة القبر تختلف عن حرمة المسجد، ولا ينبغي أن نجتمع بينهما.

المسجد عند القبور

ربما يبنى الناس عند المزارات والمقامات المساجد، ويوم ذلك أن الصلاة في هذا المسجد أفضل، كأن الفضيلة حصلت للمسجد بسبب القبر، ان بيت الله يفضل بشئ آخر، ومعنى ذلك أن النسبة إلى الخالق لم تمنح الفضل الذي منحه النسبة إلى الخلق ولكن الحق أن المسجد غني بمكاته كما أن الله تعالى غني عن الخلق، ولذا كره النبي ﷺ بناء المسجد عند القبور.

وقد صرح بذلك في رواية عائشة وجابر: اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا.

وفي رواية جابر: نهى أن يخصص القبر وأن يبنى عليه.

وهذا نهى عن بناء المسجد على القبر وعن البناء على القبر وتكره الصلاة في مثل هذه المساجد ، بل لا تصح فيه الصلاة إذا رأى أحد أن هذا المسجد أولى بالقول أو الصلاة فيه أفضل من غيره

حفلات وأعياد على القمور

ويبدو أن الشارع يهدف بالقبر إلى أن يذكر بالخراب ، وتعيد رؤيته مشهد الموت ، ويبرز زوال الدنيا وفناؤها ، ويذهب عن رولق الدنيا ويهتجها ويتحقق هذا الهدف إذا لم توجد في المقابر المائى الرائعة مثل المدن ، ولم يظهر الجمال والشوكة ، والرخام والمرمر . وبناء مثل « تاج محل » ، لا يحقق مثل هذا الهدف ، بل أنه يذكر الدنيا وثروتها وإسراف أهلها وإقلاهم على متعها . وكذلك ينافى هذا الهدف الصخب والضجة والحفلات والأعياد التي تقام على القمور ، ولذلك نرى أن النبي ﷺ وحده أمته بما يأتي : عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تعملوا بيوتكم قبورا ، ولا تعملوا قرى عبدا ، وصلوا على ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم (النسائي وأبوداود) .

زيارة الوثنيين

كان أهل الكتاب مكلفين بالاحكام الساوية ، ولذا يستغرب فشو عادة القمور فيهم ، ثم ان أمر التوحيد مشترك بين الشرائع ، وعبادة القبور وزيارتها الشركية تنافى تعاليم السماء وتوحيد الانبياء ، ولكن الاحاديث السابقة تدل على أن أهل الكتاب كانوا قد انحرفوا عن توجيهات السماء ، وكانت عادة القمور والمشاهد والحفلات والاجتماعات انتشرت فيهم بسبب اتباع الاوهام والظنون . واتجاه عبادة القبور في الوثنيين لا يبدو قويا ، ولعل سبه اقتناعهم بالاصنام وانشغالهم بها عن القبور ، فالذين تعودوا على عبادة الصلحاء القائمين كعب

يعبدون الصلحاء الراقيين ؟ ولا أمكن عبادة الأشخاص البارزين فلماذا يرتبط المرء بالمستورين في القبور ؟

❦ أصل الداء ❦

و الداء الاصيل في عبادة الاصنام والقبور أب المشرک لا يؤمن بالاله الغائب ، وأنه لا يستطيع أن يتيقن بأن الاله العائب والمعبود الخنفي يستطيع الاسعاف بحاجته ، وأنه يشعر بإخلاص وحرارة أن نظام هذا العالم الكبير لا يمكن أن يصرفه إله غائب وحيد : (أجعل الالهة إلهًا واحدًا ، ان هذا شيء عجاب ، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ، إن هذا إلا اختلاق)

والحقيقة أن الناس اخترعوا التوسل بالاحياء والآهوات ، ومدارح المقابر ووسائط الاصنام حتى يستقر شيء أمام الانظار ولو لم يكن دائمًا ، ولا حرج أن زاد عدد الالهة الوهمية ، فإن الحكومة الالهية كيف تستغنى عن الامانة ؟

وجميع هذه الآفات نشأت بعلم الغيب ، فان الانبياء يدعون إلى الاله الغائب ، وأهل الوسل لا يطمنون إلا بالشعاع الطاهر والصلحاء الوهميين ، ولذلك يروون هذه الغلة بالقبور حينًا وبالاصنام حينًا آخر .

وبما أن عباد الاصنام ارتاحوا بهذه الاوثان القائمة المرمية فلذا لم يحتاجوا إلى القبور كثيرًا ، ولكن عقلية الشرك تبدو مساوية . ولذا توجد بعض آثار عبادة القبور فيهم أيضًا ، فقد قال ابن جرير في تفسير سورة النجم : « ان ابن عباس ومجاهدا وأبا صالح شددوا التاء في اللات وقالوا : فان رجلا بل السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره فعبدوه » (ابن جرير ٢٧ / ٣٥) .

وقد حكى ذلك ابن كثير عن ربيع بن أس (٢٥٣ / ٤) وقد روى العلامة العيني في شرح البخاري (١٧٨ / ٩) وصاحب التفسير المظهرى (١١٦ / ٩)

وصاحب روح المعاني (٢٧/ ٥٥) عن ابن المنذر عن ابن جريج: انه كان رجل من ثقيف بل السويق بالزيت فلما توى جعلوا قبره وثنا.

وهذه الآثار تدل على أن الوثنيين في العرب ربما كانوا يمدون القبور أيضا. والإسلام قد قضى على هذه العادات كلها بفضل الإيمان بالغيب، وأقر ذات الله تعالى وصماته في الأذهان على طريقة لم يشعر بعدها المؤمنون إلى صنم أو قبر، بل انهم وقفوا أمام الله تعالى متوسلين بقلة بصاعتهم أو أعمالهم ونازوا في مقصدهم: ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب، أحب دعوة السداع إذا دعان ﴾ البقرة: ١٨٦، وقال تعالى: ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ غافر: ٦٠

فالمؤمنون بعد أن آمنوا بالآله العائب قد استغنوا عن جميع الوسائط المصطنعة التي اتبلى بها الوثنيون السطحيون والقبوريون

القبر المحصن

كان مرجع عادة القبور في العصر القديم إلى الاعتقاد والتجارة معا مثلما نرى اليوم، لعل « المتاجرون بالعظام » محل الصلحاء والأقياء، وتحولت تكيئة في عدة أسابيع إلى متجر، وبدأ التجار يمارثون تجارة بالعة في الرخ. وقد منع الشارع الحكيم تخصيص القبر، كما مر في حديث جابر، بل أمر بهدم ما بنى على القبر، فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ أمر عليا: « أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويه ».

وقد حافظ عليّ على هذا العهد في ولايته، وعين له أبا الهياج الأسدي وهذه الفوضى في القبور قد وصلت إلى أن السماس عبدوا قبور بعض النساء المومسات، وأناروا عليها السراج، ويكسبون بها المال، أعادنا الله من ذلك.

يقول الإمام الشافعي : « وأحب أن لا يبني ولا يخصص فإن ذلك للزينة والخيلاء وليس الموت موضع واحد منهما ، ولم أر قبور المهاجرين والأنصار بجمعة . »

(قال الراوى) : عن طاؤس أن رسول الله ﷺ نهى أن تبنى القبور أو تخصص .

قال الشافعي : « وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما تبنى فيها فلم أر المقهلاء يعيرون » (الأم للشافعي ٣٤٦/١)

وقال مالك : أكره تخصيص القبور والبناء عليها ، وهذه الحجارة التي يبنى عليها . وقد ذكر كذلك مزيدا من الآثار في نفس المعنى .

قال يحسون : « هذه آثار في تسويتها فكيف بمن يريد أن يبنى عليها . » (١٧٠) .

وقال العلامة الشافعي . وأما البناء عليه فلم أر من اختار جوازه (الشافعي ٩٣٧/١)

ثم حكى عن الإمام أبي حنيفة . وعن أبي حنيفة يكره أن يبنى عليه بناء من بيت أو قبة ونحو ذلك ، لما روى جابر : نهى رسول الله ﷺ (٩٣٧/١) وقال الكاساني في البدائع والصنائع : وكره أبو حنيفة البناء على القبور وأن يعلم بعلامة ، وكره أبو يوسف الكتابة (٣٢٠/١)

الزيارة المسنونة

سبق أن ذكرنا زيارة الجاهلية وأقوال النبي ﷺ فيها ، فلنبعث الآن الزيارة المسنونة وأهدافها

عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة . (ابن ماجه ، ومسلم ، وأبو داود ، وابن حبان ، والحاكم ، والترمذى)

ويقول العلامة الكاساني بعد ذكر رواية جابر : لأن ذلك من باب الزينة ولا حاجة بالميت إليها ، ولأنه تضيع المال بلا فائدة فكان مكروها (البدائع والصنائع ٢٢٠/١)

وبناء على هذا التصريح من الشائى لا يحور بناء شئ يظهر الزينة والجمال في المقابر باتفاق من الأئمة ، ولتنكس المقبرة حربة والقبور التي أقيمت عليها المباني فان هدف الزيارة لا يتحقق منها ، فالواجب للزيارة المسنونة أن يطهر منها الزهد وتذكر الآخرة والقباب والمباني التي أقيمت على قبور العلماء وأهل الله فان الشرع يكرهها قطعاً ، بل لا تصح باتفاق من العلماء .

الدعاء المسنون

وحينما يزور المرء القبر ليسلم عليه ويدعو للميت مثل الجنارة فيقول : السلام عليكم أهل الديار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . وهماك أدعية أخرى رويت عن النبي ﷺ ، وهى معروفة عند أهل العلم

متى بدأت عبادة القبور

انتشرت قبل بعث النبي ﷺ عبادة القبور في اليهود والنصارى أكثر ، وكان هذا النوع من الشرك يوجد في المشركين أيضاً ، ولكن كان قليلاً ، كما سبق ذكره

وقد بدأ اتجاه عبادة القبور في القرن الثالث ، وفقاً لقول النبي ﷺ : لتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل .

وقد ولد الامام الشافعى فى عام (١٥٠هـ) ، وقد سبق قوله بأنه رأى قبور الانصار والمهاجرين ، لها كانت خالية من البناء وكانت ساذجة . وأنه قد تولى (٢٠٤هـ) ، وكانت مقابر البقيع والمعلى ساذجة إلى ذلك الوقت ، وذلك أن أهل العلم كانوا بكثرة ، ولذا لم يمكن أن تنتشر جهالة البناء على القبور .

ولما وصلت الفتح الإسلامية إلى البلدان النائية ، وفتحت مناطق فارس والروم ، وأثرت تعاليم الإسلام فى نفوس الناس ، فتأثر المسلمون أيضا بعبادات وتقاليد الأمم المفتوحة .

وكان التصوف فى الإسلام عبارة عن الزهد فى الدنيا والتوكل على الله والالتزام بأحكامه وكان المسلمون يتوكلون على الله بعد بدل أقصى الجهد ، ولم يكن هناك نظام الخوانق والتكايا ولا غلو الاعتقاد والاحترام .

وحينما احتلظ تعليم الإسلام بآثار اليهود والنصارى وأمم مصر والهند ظهرت صورة لطام التكايا ، وصار التصوف مركبا من تقليل الطعام وحبس النفس وعمل الأربعين وآداب المرشد والمريد وما إلى ذلك ، وهذه الصفات نتيجة التصوف الذى أخذ من الخوانق وفقراء اليهود ونسك الهند ، أجرى فيه بعض التغيير ثم بذل جهد لحمل هذه الأمور ملائمة للإسلام .

وكانت هذه التمارين تتضمن بعض الفوائد والآثار النفسية فتحوّلت إلى من والصورة المعاصرة لعبادة القبور ناشئة عن ذلك النظام العائلى وعن تلك الحلفية . والاعتقاد العالى فى المرشد والمريد قد أدى إلى جعل الشيخ نائبا عن الله ورسوله ، ومنع من نقده واعتراضه وهذا كما قيل^(١) :

(١) الص بالعارسية :

بمسجده رنگين کن گرت پیرمغان کوید کہ سالک بیخبر نبود ز راه و رسم منزلها

« لون بمجادتك بالنعم إن قال المرشد الخبير ، فإن السالك لا يجهل طرق وآداب المراحل » .

كان من محاسن نظام الخوايق أنه يورث عاطفة بالغة للطاعة ، وكانت حركة حسن بن الصباح الداطية بأسرها مؤسسة على عاطفة الطاعة ، وكان من غلو هذه الماطفة إن لم يكن هناك إذن التكلم للمرء ولو رأى من مرشده قولاً أو فعلاً يعارض الشريعة ، وحلّ ما عليه أن ينظر ويسمع ويطيع .

وهذا العيب لا يزال يلزم نظام الخوايق اليوم ، مهما قدمت لهم الأدلة والبراهين من الكتاب والسنة ضد عبادة القمور وتأليه الانسان ، ولكنهم يفتادون أهوال وأعمال مشايخهم وأصحابهم على الكتاب والسنة ، ويأتون بنكات متنوعة . ومع صعوبة تحديد الوقت يمكن أن نعرف تدرج هذا المرض ، وأنه اشتد وتفاقم في القرنين السادس والسابع الهجري ، فكانت عدة طوائف من مصطنعي الصويفية قد زينت محلاتها ونشرت تحارثها ، وكان شيخ الاسلام ابن تيمية دخل في المقاومة مع فقير من المرفة الرطاعية ، وقد سبق أن أثر في الحكومة وأعيانها . انه طلب من شيخ الاسلام أن يفتحهم معه في النار ، ومن لم تحرقه النار هو الصادق .

فقال شيخ الاسلام . وقبل أن ندخل في النار يجب أن نفنسل جميعاً بالملح والحل .

ولكن الفقير لم يرض بذلك ، وكتب الفور لشيخ الاسلام . وقد سجل شيخ الاسلام هذا الحوار كاملاً في رسالته « الصوفية والعقراء » (١) .

(١) . مجموع فتاوى شيخ الاسلام : (٤٥٢/١١ - ٤٧١) .

❦ إيفاد السراج ❦

وكما أن البناء على القبور من دواعى الشرك ، فكذلك ورد النهى عن إيفاد السراج عليها وقال انه من دواعى ، قال الرسول ﷺ : لن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساحد والسرج .

ويعلم بذلك أن العرب كانوا يوقدون السراج على القبور ، ولذا يحتاج النبي ﷺ إلى النهى عنه ، وأبدى كراهيته له . ومن الواضح أن الفعل الذى يلحن عليه النبي ﷺ يكون ضرره فى الدين وخسارته فى الآخرة فوق تصور المرء .

❦ تقديم الزهور إلى القبور ❦

ان تفكير مثقف بلادنا عيب فانهم يقبلون كل ما جاء من أوروبا صمًا بكما ، وحينما يقدم لهم فتحول كل شعرة مهم إلى التساؤل والمناقشة . وقد عرف في أوروبا أن الناس يقدمون إلى القبور الزهور والرياحين ، فالمسلمون عندنا مع قلة تعمقهم في الدين يفلدون الغربيين دون فهم وإدراك ، فالزهور تقدم للقبور في جميع المناطق ، مع وضوح أن الميت لا يتنفع بذلك قليلا وكثيراً ، كما أن الميت لا يتنفع ولا يستضىء بوز السراج ، ولا بروائح الفواكه ، ولكن هذه العادة آتية من أوروبا فإن المتورين ، (بابو لوگ) سيتمسكون بها . ولكن العقل يفرص ويقضى أن تفكر في هذه التقاليد بعد الترفع والنخل عن العاطفية وقد عمت الآن وشملت هذه العادة ، حتى صار تقديم الزهور إلى قبور المرقى جزءاً من ربات الملوك والوزراء . ومعنى ذلك - أن صارت هذه العادة في الأوساط الرسمية دنيوية محضة ، ولكن أوساط المتوائمة لا تزال تظنها ديناً وشرعية .

وعامة الناس يحملون دوائر السنة والتاريخ ، ويرون القباب على القبور في بغداد وكربلا والنجف ، فيحسبون أنها لابد وأن بنيت على أساس الاحكام الشرعية ، ولكن الحقيقة بالعكس من ذلك .

وكان الامام الحاكم صاحب المستدرک قد رأى هذه المزارات فقال : هذه الاسانيد صحيحة ، وليس العمل عليها ، فان أئمة المسلمين من الشرق والغرب مكتوب على قبورهم ، وهو عمل أخذ به الخلف عن السلف (المستدرک ١/٣٧٠) والحقيقة أن هذا العمل لم يثبت من النبي ﷺ والصحابة ، بل فعل ذلك من جاء بعدهم وليس عملهم وقولهم هذا حجة ، فضلا عن أن يكون ناسحا للحديث ، فان قول النبي ﷺ لا ينسخ إلا بقوله ﷺ ، يقول الامام الذهبي في تلخيص المستدرک : قلت ما قلت طائلا ، ولا نعلم صحابيا فعل ذلك ، وإنما شيء أحدثه بعض التابعين من بعدهم ، ولم يبلغهم النبي . (١/٣٧٠)

الروضة البوية (قبر النبي ﷺ)

دفن جسم النبي ﷺ بعد الوفاة في حجرته ، ودفن فيها أبو بكر ، وبعد أن دفن عمر في الحجرة اتخذت عائشة جداراً فصلت به القبر عن البيت . وقد أجرى عبد الله بن الزبير ترميماً في الحجرة ، وكانت القبور حينذاك غير مخصصة ، وفي عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز سقط الجدار الغربي ، فأمر ابن المراحم بتنظيف الحجرة وتجديد الجدار ، وكانت الحجرة حينذاك مربعة ، ثم أمر الخليفة عبد الملك بضم الحجرة إلى المسجد ، وكان علماء المدينة المنورة يكرهون ذلك ويرون عدم إدخال القبور في المسجد ووجوب الفصل بينهما ، وقد زاد الغلبة عمر بن عبد العزيز زاوية فصار الساء محسباً بعد أن كان مربعا ، وبما أن القفا في ناحية الجنوب فرأوا أن الزاوية إذا كانت في ناحية الشمال فإن السجو

لا يكون للقبير الشريف، يقول ابن القيم في ذلك :

فأحاط رب العالمين دعاءه وأحاط بثلاثة الجدران
حتى غدت أرحاؤه بدعائه في عزه وحماية وصيان

وتوالى بعد ذلك الترميم للحجرة ، وكان دافع الحفاظ على آثار النبي ﷺ
يدفع إلى الاكتفاء بالترميم في الأغلب ، وقد ذكر العلامة علي بن عبد الله السمهودي
في كتابه « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ذلك بتفصيل

وبعد أن صمت الحجرة إلى المسجد نصب شباك من الطوب حول الحجرة ،
وانصل سقفها لسقف المسجد ثم وضع المنصور بن قلاوون الصالحى (٦٧٨ هـ)
الحشب مكان الشباك وكان شباك الخشب مربعا من تحته ومثبتا من فوقه ،
وكان ذلك يسمى بـ « قبة الرزاق » وكان هذا العمل قد تم بإشارة من الحاكم
كمال الدين بن أحمد بن برهان عند القوى ولكن كرهه علماء ذلك العصر ، فلما
عزل كمال الدين رأى الناس ذلك جزاء لعمله القبيح .

ولما بليت هذه القبة ردمها الملك ناصر حسن بن محمد قلاوون ، ثم ردمها
الملك أشرف بن حسين شعلان في (٧٦٥ هـ) ، واستمر هذا الترميم إلى أن تم بناء
القبة الخضراء الحالية ، وقد ذكر العلامة السمهودي هذه الترميمات بتفصيل في نحو
مائة صفحة .

وقد جرى هذا التغير بناء على المصالح السائدة والحكومية لا على أمر أو
وصية من النبي ﷺ ، ولا وجد أثر من آثار الصحابة رضی الله عنهم يثبت به
ذلك ، ولم يصح عفا أو نقلا الاستدلال ببناء القببة الخضراء على منارات
وقباب القبور الأخرى ، فإن تغير القبة هذا لا يصلح أن يكون دليلا شرعيا .

وقد حرم المحققون من علماء الحنفية هذا الأمر بصراحة ، يقول القاضي
 ثنا الله الباقى بقى : « اعلاء قبور الاولياء وبناء القباب عليها والاحتفال عندها
 وإيقاد السرج عليهما كل ذلك بدعة ، وكره ذلك البعض تحريماً وقد لعن النبي ﷺ
 . ووقد السراج عند القمور والساجدين لها ، وقال ﷺ : « لا تجعلوا قبرى عبدا
 ومسجدا ، ولا تصلوا فى مسجد مثل هذا ، ولا تحتفلوا فيه فى يوم معين ، وأنه
 أرسل عليا رضى الله عنه لتسوية القمور المرتفعة ولحو التصوير » (إرشاد الطالبين
 ص ٢٠)

(للبحث صلة)



السيرة العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية



الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار المريواتي

الجامعة السلفية - بنارس



(٦)

وقد تجمع لدى عدد كبير من أصحاب شيخ الإسلام ، وتلاميذه الدين
عُثرت عليهم في جزء الأربعين ، وكتب أخرى لشيخ الإسلام ، وفي كتب التاريخ ،
والتراجم ، ومعاجم الشيوخ وأطواق الساعات الموجودة على الكتب الخطية ،
وفيما يلي أذكر تراجمهم بالاختصار .

١ - : إبراهيم بن أحمد بن هلال بن بدر ، القاضي برهان الدين الزرعي الحنبلي
(٦٨٨ هـ - ٧٤١ هـ)

حدث وتفقه ، وبرع واشتغل على ابن تيمية ، وابن الزملاكي والقزويني ،
وهم وتقدم في الفتيا ، ودرس بأماكن ، منها . المدرسة الحنبلية ، عوضاً عن
ابن تيمية ، حين سجن ، ففقهه الحنابلة لذلك ، وكان أيضاً أشعري المعتقد في
الغالب من أحواله^(١) .

٢ - : إبراهيم بن خليفة بن محمد بن خلف المنجي (٦٨٤ - ٧٣٠ هـ)
اشتغل بدمشق ، ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، فكان لا يفارقه ،

(١) الدرر الكامنة (١٥/١) .

- واتنفع بصحبته ، وكان يداخن الرؤساء ، والكبراء مع الخير والدين^(١) .
- ٣ - والشيخ برهان الدين أبو محمد إبراهيم بن داود بن عبد الله الأمدى ، ثم الدمشقي ، الفقيه الحنبلي ، نزيل القاهرة (ت ٧٩٧ هـ) .
- قال ابن حجر : أسلم على يد الشيخ تقي الدين ابن تيمية وهو دون البلوغ وصحبه إلى أن مات ، وأخذ عن أصحابه ، ثم قدم القاهرة كان شافعي المذهب ، حنبلي الأصول ، دينا خيرا متألما .
- وقال : قرأت عليه عدة أحزاء ، وأحازني قبل ذلك ، قلت له يوما : وصي الله عنكم ، وعسى والديكم ، فطر إلى مكرا ، ثم قال : ما كانا على الإسلام^(٢) .
- ٤ - : وإبراهيم بن علي بن يحيى بن عثمان الحسيني
سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم^(٣) .
- ٥ - : والشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن نصر الله بن النحاس .
سمع من شيخ الإسلام الأربعين^(٤) .
- ٦ - : وإبراهيم بن شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن القيم الحواري (ت ٧٦٧ هـ)^(٥)

(١) الدرر الكامنة (٢٤/١) .

(٢) إناء الغمر (٣/٢٥٤ - ٢٥٥) وانظر أيضا : الدرر الكامنة (٢٥/١) والنجوم الزاهرة (١٤٣/١٢) والشذرات (٣٤٧/٦) .

(٣) انظر : فصل في مروياته ومسموعاته ، وكل من جاء ذكره أنه سمع من شيخ الإسلام هذه المشيخة فليراجع له الموضع المشار إليه ، وهناك ذكرت السماع بكامله .

(٤) انظر : محضر السماع في آخر الأربعين (ص ٣٧)

(٥) انظر : الدرر الكامنة (٥٨/١) والمعجم المختص (ق ٢٢/١)

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٧ - : والشيخ بهاء الدين إبراهيم بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبي عصرون .

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم (ت ٧٤٤هـ) ^(١)

٨ - والشيخ الصالح الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يوسف بن منصور

الدمشقي القواس (٦٧٧ - ٧٦١هـ)

قال الحسيني : صحب ابن هود ^(٢) في وقت ، ثم هجره ، ولارم ابن تيمية ،

وحدث عن ابن البخاري ، وغيرهم ، ونعم الرجل كان ^(٣) .

٩ - : والشيخ إبراهيم بن مير الصالح البعلبكي :

كان مشهوراً بالصالح ، وكان ملازماً لمجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية

(ت ٧٢٥هـ) ^(٤)

١٠ - : وابن شيخ الحزاميين . عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن

عبد الرحمن بن مسعود بن عمر الواسطي ، الزاهد (٦٥٧ - ٧١١هـ)

كان أبوه شيخ الطائفة الأحمدية ، ونشأ عماد الدين بينهم وألهمه الله من

صغره طلب الحق ومحبتة ، والفور عن السدع وأهلها فأخذ بعلماء

واسط ، وبعداد ، ومكة ، والقاهرة ، واتخذ الطريقة الشاذلية ، ثم قدم

دمشق ، فرأى شيخ الإسلام وصاحبه ، هدله على مطالعة السيرة النبوية ،

(١) انظر لترجمته . لدرر الكامنة (٦٢/١ - ٦٣)

(٢) هو الزاهد بدر الدين حسن بن علي بن يوسف بن هود المرسى الصوفي الاتحادي

الضال (ت ٦٩٩هـ) (المعبر ٣/٣٩٨) .

(٣) ذيل المعبر (٤/١٨٧) والدرر الكامنة (١/٧٠ - ٧١)

(٤) البداية والنهاية (١٤/١١٩)

فلزمها ، وأدمن مطالعتها ، واختصر مسيرة ابن اسحاق ، « تهذيب ابن هشام » ، وأقبل على مطالعة كتب الحديث ، والسنة ، والآثار ، وتخلّى من جميع طرائقه ، وأحواله ، وأدواقه ، وسلوكه ، واقتنى آثار الرسول ﷺ ، وهديه ، وطرائقه الماثورة عنه في كتب السنن ، والآثار ، واعتنى بأمر السنة أصولاً ، وفروعاً ، وشرع في الرد على طوائف مندعة ، وله مؤلفات^(١).

وله رسالة إلى أصحاب شيخ الإسلام ، حثهم فيها على الاستمرار في نشر الدعوة السلفية التي قام بنشرها شيخ الإسلام ، وهي رسالة عطيمة ذات فوائد جمّة^(٢).

١١ - والشيخ أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الوائى أخو محمد بن إبراهيم بن الوائى .
حضر في سماع الأربعين مع أخيه محمد في السنة الرابعة^(٣)

١٢ - والشيخ أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الحميد المقدسى .
روى الأربعين عن شيخ الإسلام ، كما هو مثبت في أول الإسناد^(٤)

(١) العقود الدرية (٢٩٠) وعده ابن عبد الهادى من كبار أصحابه ، ومعجم شيوخ الذهبى (ق ٤/أ) والعبر (٢٩/٤) والتذكرة (١٤٩٥) والمشتبه (٢٢٣/١) وذيل طبقات الحنابلة (٣٥٩/٢) والرد الوافر (١٢٤ - ١٢٦) والوائى بالوفيات (٢٢١/٦) ومرة الجنان (٢٥٠/٤)

(٢) انظر الرسالة في العقود الدرية باسم : « كتاب نفيس جدا للشيخ عماد الدين في الثناء على الشيخ ابن تيمية والوصاية به » (٢٩١ - ٣٢١)

(٣) الرد الوافر (٧٧)

(٤) مجموع الفتاوى (٧٦/١٩)

وعنه رواه ابن حجر^(١)

١٣ - والشيخ الإمام جمال الإسلام ، صدر الأئمة الأعلام شيخ الحنابلة المشهور بابن قاضي الحبل شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسن ابن عداقة بن أبي عمر بن محمد بن أحمد بن أبي قدامة الحنبلي (٦٩٣ - ٥٧٧١هـ) .

درس ، وأفتى ، وألف ، وولى القضاء بدمشق ، وله عدة مؤلفات ، صاحب شيخ الإسلام ، وقرأ عليه عدة مصنفات ، في علوم شتى ، وأذن له في الإفتاء . فأفتى في شيعته ، وله اختيارات في المذهب^(٢)

١٤ - وشهاب الدين أحمد بن سبجر المرزوقي

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم

١٥ - والشيخ أبو الفتح أحمد بن عداقة بن أحمد بن المحب المحدث المقرئ ، ولد سنة (٥٧١٩هـ) .

قال الذهبي : سمع مني .

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي في ترجمة ابن رافع السلامي : وجدت بخطه طقة السماع في بيت نبي المحب صورتها :

وسمع صاحبه الولد السعيد أبو الفتح أحمد ، وأخوه محمد علي الشيخ . . . ابن تيمية جزءاً فيه أربعون حديثاً من مروياته ، في يوم الجمعة بعد الصلاة ، الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة (٥٧٢٤هـ)^(٣)

(١) المعجم المفهرس (١٨٨)

(٢) المعجم المختص (ق ٤) ، والدرر الكامنة (١٧٠/١) والرد الوافر (١٣٢)

والوفيات لابن رافع السلامي رقم (٨٩٢) وشذرات الذهب (٢١٩/٦)

(٣) المعجم المختص (ق ٥/ب) والرد الوافر (٨٦)

- ١٦ - وأحمد بن عبد الغالب بن محمد بن عبد القاهر المالكيني :
 سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم (سنة ٧٩٥ هـ) وصرح
 ابن حجر بسامعه من ابن تيمية^(١)
- ١٧ - وتقي الدين أحمد بن العلم بن محمود الحاراني الدمشقي الحنبلي (٦٨٤ -
 ٧٤٢ هـ)^(٢)
 سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم .
- ١٨ - وأحمد بن علاء الدين علي بن إسماعيل بن محمود بن البخاري .
 سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم ،
- ١٩ - والشيخ أحمد بن علي بن عبد الله بن المفسر ،
 سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم ،
- ٢٠ - وأحمد بن علي بن يحيى بن تميم الحسبي الدمشقي ، وكيل بيت المال بها ،
 سمع الكثير من الحجاز ، وابن تيمية ، والمزي ، وغيرهم ، وهو من شيوخ
 ابن حجر (ت ٨٠٣ هـ)^(٣)
- سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم ، وعنه ابن حجر في
 المعجم المهرس^(٤) .
- ٢١ - والامام الفقيه شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن
 عبد الغي الحاراني ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي (٧٠٢ - ٧٤٥ هـ)

(١) انظر الدرر الكامنة : (١٧٤/١)

(٢) انظر لترجمته : الدرر الكامنة (٢٠٣/١)

(٣) شذرات الذهب (٢٥/٧)

(٤) راجع فصل : مرويات شيخ الاسلام

تفقه في المذهب ، وأصول الفقه ، وهو الذي بيض مسودة الأصول لآل
تيمية ، وروتها ، وميز كلام شيخ الإسلام عن والده وجده بقوله : « قال
شيخنا ، وقال الذهبي : أخذ عني ومعى ، وقرأ على سير أعلام النبلاء^(١) »

٢٢ - وتاج الدين الحيرى : المسند المؤرخ أبو العباس أحمد بن الشيخ
نجم الدين أبي عبد الله محمد بن بهاء الدين عبد الله بن الحسن بن الحسين
الحيرى ، المعرى الأصل ، البعلى ، ثم الدمشقى ، الشافعى ، ولد (٥٧٠١)
قال ابن ناصر الدين الدمشقى : أسند الكثير وسمع منه حم غفير ، منهم
العراقى ، والهيمى ، وعلى بن النناء ، ومحمد سند ، لقى الشيخ تقي الدين ، وسمع
منه ولدى غير مرة عنه^(٢) .

٢٣ - وأحمد بن شمس الدين محمد بن عبد الله بن سلامة بن سالم :

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٢٤ - وأحمد بن شمس الدين محمد ابن عم علاء الدين على بن تقي الدين أحمد .

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم

٢٥ - والشيخ شهاب الدين أحمد بن مرى الحنبلى ، كان يعظ الناس على طريقة

شيخ الإسلام ، كان حيا في سنة (٧٢٥ هـ) .

وقال الذهبي : في حوادث سنة (٧٢٥ هـ) وضرب بمصر شباب الدين .

نحوا من حسين سوطا ، ونفى إلى بيت المقدس بسبب مسألة الاستغاثة ،

قال : « لا يجوز أن يستغاث بمخلوق ولا بنى .

وقال في العبر : ضرب بمصر ، ومجن ، ثم انقضى انهيته عن الاستغاثة والتوسل

(١) المعجم المختص (ق ١٠/ب) وشذرات الذهب (١٤٢/٦)

(٢) الرد الوافر (١٢٢)

أحد غير الله ، ومقت لذلك ، ثم فر إلى أرض الجزيرة وأقام هناك سنين^(١).

٢٦ - وابن بكار النابلسي : الامام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مظفر ابن أبي محمد بن مظفر بن بدر بن الحسن بن مفرج بن نكار ابن النابلسي .
(٦٧٥ - ٥٧٥٨)

قال الذهبي : أكب على الطلب زماناً ، وترافقنا مدة ، وكتب وخرج ، وقال النابلسي في طباق كتاب « مجاب الدعوة » لابن أبي الدنيا : سمع هذا الكتاب على الشيخ عبد الله القارقي الشافعي ، بقرأة سيدنا « وشيخنا » شيخ الاسلام^(٢).

٢٧ - والشيخ الصالح المعمر الحنبلي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن موسى الزرعي ، أحد الآمرين بالمعروف والناهي عن المنكر ، صحب شيخ الاسلام دهرأ ، وتفقه به ، وكان فيه إقدام على الملوك ، وإبطال مظالم كثيرة ، وكان له وجاهة عند الخاص والعام (ت ٧٦٢ هـ)^(٣).

٢٨ - وابن فضل الله العمري : الامام أحمد بن يحيى بن فضل الله القاضي ، شهاب الدين أبو العباس القاضي أبي المعالي القرشي العدوي ، (٧٠٠ - ٥٧٤٩ هـ) مؤلف « مسالك الانصار »^(٤).

(١) البداية والنهاية (١١٧/١٤) ودول الاسلام (٢٣٣/٢) والعبير (٧٢/٤) والدرر الكامنة (٣٠٣ - ٣٠٢/١)

(٢) معجم شيوخ الذهبي (ق ٢١/ب) والمعجم المختص (ق ١٣/ب) وتذكرة الحفاظ (١٥٠٣) والعبير (١٧٤/٤) والرد الوافر (ص ١٣٨) والنجوم الزاهرة (٣٢٧/١٠)

(٣) ذيل العبير للحسيني (٩٢/٤) والنجوم الزاهرة (١٢/١١)

(٤) فوات الوفيات (١٥٧/١ - ١٥٩) وذيل العبير للحسيني (١٥٢/٤) والرد الوافر (ص ١٣٩) والدرر الكامنة (٣٣١/١) والوفيات لابن رافع السلاوي (رقم ٥٩٢) والوفاء بالوفيات (٢٥٣/٨) والنجوم الزاهرة (٣٢٤/١٠) وشذرات الذهب (١٥٩/٦ - ١٦٠)

قرأ على شيخ الاسلام « الاحكام الصغرى »^(١)، وعمل له ترجمة أنيقة مرضية
 نظماً ونثراً ، أوسعها فوائد ، وعلمها ، وذلك في كتابه « مسالك الأبصار »^(٢) .

٢٩ - وابن كثير : الامام الحافظ المحدث المؤرخ ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن
 عمر بن كثير ، البصرى القرشى ، الدمشقى (٧٠١ - ٧٧٤ هـ) أحد كبار
 الأئمة في عصره ، المبرزين في علوم القرآن ، والحديث ، والتاريخ ، وصاحب
 المؤلفات العظيمة كالتفسير . والبداية ، وجامع المسانيد ، وكان من كبار
 أصحاب شيخ الاسلام الملازمين له ، وأكثر الأخذ عنه ، وأحبه وبسبه
 امتحن ، وفي سبيله أودى

وسأله قاضى قضاء الحنفية صدر الدين : أنتحب ابن تيمية ؟ فقال :
 فقلت : نعم ، فقال لى ، وهو يصحك : لقد أحبيت شيئاً مليحاً .

وقال ابن حجر : لازم المزي وقرأ عليه تهذيب الكمال ، وصاهره على
 ابنته ، وأخذ عن ابن تيمية ، وامتنح بسببه ،

وقال ابن قاضى شهة : أقل على علم الحديث ، وأخذ الكثير عن ابن تيمية ،
 وكانت لصحته مع شيخ الاسلام وملازمته له تأثير واضح في تكوين
 شخصيته ، واتجاهه العام في خدمة العقيدة والسنة ، ويتجلى هذا واضحاً في
 مؤلفاته التي تناول فيها مباحث العقيدة ، وشرح السنة ، وتفسير القرآن الكريم .
 وبجانب اشتغاله بالتأليف والتصنيف في عدة فنون تولى مشيخة الحديث
 « بالمدرسة الصالحية » « بدار القرآن » والحديث التنكيزية ، و « دار
 الحديث الأشرفية »^(٣) .

(١) الدرر الكامنة (٢٣١/١)

(٢) انظر الرد الوافر (١٣٩) .

(٣) انظر لترجمته : الدرر الكامنة (٢٧٣/١ - ٢٧٤) وطبقات الشافعية لابن قاضى =

٣٠ - والشيخ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن نصر الله بن النحاس أخو إبراهيم بن محمد بن النحاس .

سمع من شيخ الإسلام : « الأربعين » مع إخوته كما في محضر السماع في آخره^(١).

ومشيخة ابن عبد الدائم ، كما في محضر سماعها ، وقد أثبتته في ذكر مرويات شيخ الإسلام .

٣١ - والامير سيف الدين براق : أمير أرجو بجامع « تنكر » كان مشكور السيرة ، كثير الصلاة ، والصدقة ، محبا للخير وأهله ، ومن أكبر أصحاب شيخ الإسلام (ت سنة ٧٥٧هـ)^(٢)

٣٢ - وناصر الدين بشر بن سيف الدين عربو بن عبد الله فقي محمد الدين عبد المحمود إمام تربة أم الصالح .

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٣٣ - وسيف الدين بكتمر ، عتيق الأمة حسام الدين ، السمقدار الحاجب .

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم (ت ٧٢٤هـ)^(٣)

٣٤ - وبهادر فقي دين الدين عمر بن عبد العزيز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز

= شعبة (١١٣/٣ - ١١٥) وذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي (٣٦١) وذيل تذكرة الحفاظ للحسبي (٥٧) وشذرات الذهب (٢٣١/٦) وابن كثير حياته ومؤلفاته للدكتور مسعود الرحمن خان البدوي ، الناشر مركز الدراسات الآسوية الغربية بجامعة علي كره الإسلامية بالهند .

(١) الأربعين (ص ٣٧)

(٢) البداية والنهاية (٢٥٤/١٤) والدرر الكامنة (٤٧٤/١)

(٣) انظر لترجمته : الدرر الكامنة (٤٨٧/١)

ابن عبد السلام بن تيمية .

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٣٥ - وبهادر فتي موسى ، وإبراهيم ، وأحمد ، أولاد علي بن يحيى بن عثمان الحسبي

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٣٦ - ويبدار فتي أحمد بن شمس الدين محمد ، وأختاه فاطمة . وخديجة .

سمع من شيخ الاسلام : مشيخة ابن عبد الدائم .

٣٧ - والشيخ جرير بن سعيد بن حميد العسافي .

سمع من شيخ الاسلام : « الوصية الصغرى » سنة (٦٩٧ هـ) بدمشق^(١) .

٣٨ - وصفي الدين جوهر بن عبد الله الكامل :

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٣٩ - وشمس الدين حسن بن شهاب الدين عبد الله بن الشيخ نجم الدين علي

ابن محمد بن عمر بن هلال .

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم

٤٠ - والشيخ حسن بن محمد بن إسماعيل بن نصر الله بن النحاس أخو

إبراهيم بن محمد بن النحاس .

سمع من شيخ الاسلام كتاب « الأربعين^(٢) » ، ومشيخة ابن عبد الدائم .

٤١ - وحسن بن محمد بن حسن الموازي :

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٤٢ - وحسن بن أحمد بن محمد بن غانم

(١) مجموعة الرسائل الكبرى (٢٤٠/١)

(٢) الأربعين (ص ٢٧)

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٤٣ - والشيخ الزاهد خالد بن بدر المجاور لدار الطعم بدمشق ، كان من أصحاب شيخ الاسلام .

قال ابن ناصر الدين الدمشقي : كان أحد أصحاب الشيخ تقي الدين ابن تيمية الامام ، ويمظمه كثيره من الأعلام ، ويترجمه به شيخ الاسلام^(١) .

٤٤ - والحافظ العلائي : الامام المحدث صلاح الدين أبو سعيد خليل بن الأمير سيف الدين كيكلدى العلائي الدمشقي الشافعي صاحب المؤلفات الكثيرة ، منها : جامع التحصيل (٦٩٤ - ٧٦١ هـ)

روى جزء ابن عرفة عن شيخ الاسلام ، وأخيه لأمه بدر الدين أبي القاسم محمد بن القاسم الحراني ونسيهما عز الدين أبي محمد عبد العزيز بن عبد اللطيف ابن عبد العزيز ابن تيمية ، والعلامة كال الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر الشريشي ، وذكر أحاديث انتقاها صلاح الدين العلائي من جزء ابن عرفة^(٢) .

٤٥ - وسعيد فتي فاطمة بنت عمر بن أيوب بن سليمان .

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٤٦ - وسليمان بن داود بن سليمان بن محمد بن عبد الحق الحنفي صدر الدين

(١) ذيل العبر للحسيني (١٢٢/٤) والرد الوافر (ص ١٦٢) .

(٢) الرد الوافر (ص ١٦٣) وانظر أيضا ترجمته : معجم شيوخ الذهبي (ق/٤٨/أ)

والمعجم المختص (ق/٢٩/ب) ، وتذكرة الحماط (١٥٠٧) والبداية والنهاية

(ص ٢٦٧/١٤) ، وطبقات الشافعية للسبكي (١٠٤/٦) وذيل العبر للحسيني

(١٨٦/٤) والوافي بالوفيات (٤١٠/١٣ - ٤١١) والدرر الكامنة (٩٠/٢)

والنجوم الزاهرة (٢٣٧/١٠) وشذرات الذهب (١٩٠/٦)

(٦٩٧ - ٧٦١ هـ) سمع الحديث على الحجار، وابن تيمية.

وصرح الحافظ ابن حجر بسماعه من ابن تيمية^(١).

٤٧ - والشيخ العلامة علم الدين سليمان بن زكرياء القرشي الملتاني حفيد الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني، رحل إلى الحرمين، والقدس، وبغداد وغيرها من بلاد العراق، وأخذ العلم من علماء هذه البلاد، وكان من صحب شيخ الإسلام، ورجع إلى الهند، ودخل دهلي في أيام غياث الدين تغلق شاه^(٢). وكان ممن بحث السلطان محمد تغلق كثيراً على دحض البدع والمنكرات، والقضاء عليها^(٣).

٤٨ - والعلامة نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري، ثم البغدادي، الحننلي الشيعي الشاعر المعروف بـ «ابن أبي عباس الحننلي» (٦٥٧ - ٧١٦ هـ).

لحق شيخ الإسلام، والمزني، وجالسهما، وله مؤلفات كثيرة. قال الذهبي: وكان على بدعته كثير العلم عاقلاً متديناً^(٤).

٤٩ - والمفتي زين الدين عبادة بن عبد الغني بن منصور بن منصور بن إبراهيم ابن سلامة السعدي، الحننلي (٦٧١ - ٧٣٩ هـ).

(١) انظر ترجمته: الدرر الكامنة (١٤٩/٢)

(٢) انظر ترجمته: نزهة الخواطر (٤٧/٢)

(٣) «آئينه حقيقت نما»، (ص ٤٣٣) للاستبازاكر شاه نجيب آبادي و«حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لأبي زهرة»، (ترجمة أردية) (ص ٥) من مقدمة المحقق عطاء الله الفوجياني.

(٤) ذيل العبر (٤٤/٤) وذيل طبقات الحنابلة (٣٦٧/٢) والدرر الكامنة (١٥٤/٢) و«مرآة الجنان» (٢٥٥/٤) وشذرات الذهب (٣٩/٦).

قال الذهبي: كاتب ديننا متمجدا متواضعا، جوادا، مناطرا، صحبته بعضا وأربعين سنة، وكان يلى العقود والفسوخ.
وقال ابن حجر: لازم ابن تيمية.

سمع من شيخ الإسلام «الوصية الكبرى» (سنة ٦٩٣ هـ) بدمشق^(١).
٥٠ - والإمام المحدث الواعظ المقرئ «عبد الله بن أحمد بن المحب»، عبد الله بن أحمد المقدسى الحنبلى أحد الأئمة المشهورين (ت ٧٣٧ هـ) وكان شيخ الإسلام يحبه ويحب قرأته.

سمع من شيخ الإسلام «منتقى من جزء أيوب السختياني» انتقاء الضياء المقدسى فى (١٤/صفر سنة ٦٩٩ هـ) بدار الحديث العسكرية.
والصحيح فى ذى الحجة سنة (٧١٤ هـ) بالمدرسة الحنبلية بداخل دمشق.
وجزء ابن عرفة مع أبائه «محمد وأحمد»، والأربعين، وعوالى مسند الحارث بن أبى أسامة سنة (٧١٨ هـ) بقرية مزة^(٢) ومشيخة ابن عبد الدائم كما فى محضر السماع المثبت فى ذكر مسموعات شيخ الإسلام.

-
- (١) مجموعة الرسائل الكبرى (٢٤٠/١) ومعجم شيوخ الذهبى (ق ٦٦/ب) وذيل العبر (١١٤/٤) والوفاء بالوفيات (٦٢١/١٦) والدرر الكامنة (٢٣٨/٢).
(٢) الرد الوافر (١٦٩ - ١٧١) و (٩١) ومعجم شيوخ الذهبى (ق ٦٧/ب) وذيل العبر (١٠٧/٤) ودول الإسلام (٢٤٤/٢) والبداية والنهاية (١٧٨/١٤) - (١٧٩) والوفاء (٧/٦٠) والوفيات لابن رافع (رقم ١٣) والدرر الكامنة (٢٤٤/٢) والفلاند الجوهريّة (٢٧٩/٢) وذيل طبقات الحنابلة (٢/٤٢ - ٤٢٧) وشذرات الذهب (١١٤/٦).

(للبحث صلة)

المصائب وتحملها

بقلم د. محمد بن سعد الشويهر

يمتاز الدين الإسلامي بأن شرائعه وتعاليمه ، تعتبر قواعد تسيير أمور الحياة ، ودعائهم تنظم بها أحوال الناس ، ومعاشهم ، يمكن ما نلسمه لدى بعض الأمم ، لأن قوانينها أخذت من وقائع حصلت في بيئتهم ، وتنظياتهم لأمورهم المختلفة جاءت عن حوادث مرت بهم ، واكتنوا بنار بعضها ، فإن جد بعد ذلك جديد يحنوا له عن مخرج تسيير حالتهم بموجبه ، ومن هنا يحس المستقصى بكثرة التعديلات والملاحقات لتشريعاتهم ، من استقراء واقعهم : سماعاً أو قراءة أو مشاهدة . هذا في الأمور التي تتشابه فيها المصالح ، وتكون عرضة للأخذ والرد ، أما ما يتعلق بالنفس البشرية وتهذيبها في تحمل المشكلات والمصائب ، فقد غفلت عنه تلك التنظيمات ، لأنها أمور خاصة تتعلق بالإنسان نفسه ، وله مطلق الحرية أن يتصرف بهذه النفس نفعا وضرا كيفما يشاء .

أما تعاليم الإسلام فهي أقوى وأمكن ، وما يرسمه أشمل في الاستيعاب ، ولا مداخل عليه . لأنه جاء من علام الغيوب ، الذي لا تخفى عليه خافية ، وقد شمل أمور الحياة كلها كما قال سبحانه : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ .

ولذا يجد أي باحث أن قواعد الإسلام المكيئة لا تتغير مع الزمن ، ولا تمل مع كثرة الاستعمال ، ولا تترك صغيرة ولا كبيرة إلا ووجهت النفس إليها . وسوف نتطرق في حديثنا اليوم عن موضوع المصائب التي تحمل بالإنسان في نفسه أولا ، ومدى تحملها ، وتوجيه الإسلام في ذلك وهذا جزء من موضوع

سح وطويل قد عاجله الاسلام بما يروض النفس ، ويعطيها قدرها الذى يستحقه . وما ذلك إلا أن العامل الذى يحرك المسلم ، ويوصل التحمل والصبر ، نفسه ما هو إلا الايمان بالله . والفهم الحقيقى لما تعينه تعاليم الاسلام ، احتساب ما يتحملة أجراً مدخراً عند ربه ، والاستعانة على ذلك بالشكر لله ، والصبر على ما وقع ، والرضا بما قسم الله ، وتهوين المصيبة بما هو أكبر ، بتكرار مثل هذا الدعاء : الحمد لله الذى ما جعلها أعظم . وما ذلك إلا أن مصدرى التشريع : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيهما القوة الدافعة ، والمعدة المكيئة ، مما يزيد النفس فى تحملها وصبرها طاقة وحماسة : وذلك فى مثل هذا النص الكريم : ﴿ ويشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ (بقرة آية ١٥٥) ، وقوله سبحانه : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (الزمر آية ١٠) وقول النبي ﷺ : « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى هم بهمه إلا كفر الله به من سيئاته » رواه مسلم عن أبى هريرة .

أما غير المسلم فلائه يفقد مثل هذه القاعدة الراسخة ، وينعدم لديه المصدر الذى يقوى عزيمته ، ويشد إزره ، فانه لا يتحمل ما يقع عليه ، وإن صبر وتحمل فهو كصبر الهائم لأنها مغلوبة على أمرها .

والمستع لآحوال أولئك يجد كثرة الجزع ونفسي الانتحار فى مجتمعاتهم ، بل إن بعض الطقوس تعتبر التشدد فى تعذيب النفس ، وتخليصها من الدنيا أمراً مرغوباً فيه ، كما أن فى بعض أنحاء الهند من يعتبر إحراق المرأة نفسها بعد وفاة زوجها فيما يعرف عندهم باسم « ستى » تقرباً وعبادة ، رغم العقوبات الصارمة على من يبحث على هذا ، أو يدعو إليه ، كما ذكرت ذلك صحيفة الرائد الهندية

التي تصدر باللغة العربية في عدد يوم ١٠ جمادى الأولى (سنة ١٤٠٨ هـ) .
وكما سنت أنظمة في بعض بلاد الغرب بإبادة تخليص المريض المشوه ،
أو الذي لا يرجأ برؤء مما يسمونه العذاب باعطائه حقنة سامة تخلصه من الحياة .
فان مثله أيضا ما يسته بعض القادة العسكريين على مشوهى الحروب عندهم بإبادتهم ،
حتى لا يتسبب عن خروجهم للجمع لعاهات نفرة في العمل العسكري ، أو حقداً
على القائد .

وغير هذا مما هو كثير عديم نحسه ونلسه على مستوى التنظيمات الجماعية ،
أما على مستوى الأفراد ، فان أخطرها ضررا محاولة الهروب من المجتمع بأقل
صدمة نفسية ، أو تأثير عاطفي وعدم قدرة النفوس على مجابهة المواقف التي تحتاج إلى
درجة من التحمل والصبر ، وذلك باللجوء إلى المخدرات والمسكرات أو الانتحار ،
وغير ذلك من المواقف ، مما يدمر النفوس ، ويقضى على المنويات ، ويجعل
الأشخاص عالة على المجتمع ، وعينا ثقيلا على الأمة ، بزيادة المشكلات ، وتفاهم
أمرها ، فيصبح أمثال هؤلاء كما قال الشاعر :

المستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

والساخط في المجتمع الإسلامي من حدوث المصيبة ، فإنه يماثل غير المسلمين
في قصر النظر وتوجهه في هذا المنحى توجههم لقول بعضهم : ليعلم المصاب أن
الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها ، وهو في الحقيقة يزيد في مصيبتة ، بل يعلم
المصاب أن الجزع يشمت عدوه ، ويسوء صديقه ويغضب ربه ، ويسر شيطانه ،
ويحبط أجره ، ويضعف نفسه ، أما إذا صبر واحتسب فإنه يخزى شيطانه ، ويرضى
ربه ، ويسر صديقه ، ويسوء عدوه ، ويحمل عن إخوانه ، ويفزيمهم قبل أن
يمزوه ، فهذا هو الكمال الديني ، والثبات في الأمر .

لقد أعطى القرآن الكريم قاعدة صلبة في العرق ييسد هاتين الفئتين منذ خمسة عشر قرناً ، ولسوف يستمر الحكم بموجبها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، في كل موقف ، وضمن أى مؤثر ، يمر بالإنسان ، لأن الواقع النفسى للمصيبة واحد ، لكن الفارق فى المستقبل والتحمل ، ذلك أن تعاليم الإسلام توطن النفس ، وتقوى العزيمة ، بما يرداد به المؤمن ثباتاً ، والصابر احتساباً ، ذلك فى مثل هذا النص القرآنى الكريم : ﴿ إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ (النساء ١٠٤) .

وإذا كان أبو عبد الله محمد بن محمد الحنبلى المنبجى المتوفى (عام ٧٨٥ هـ) قد ألف كتاباً سماه : « تسليمة أهل المصائب » الذى استعرض فيه دور المصائب فى تهذيب نفوس ، وتقوية الايمان ، حيث أوضح فيه المصيبة وحقيقتها ، وهل المصائب مكفرات أو مشيات ، وقد جعله فى ثلاثين باباً ، فان سير كثير من رجال أمة الاسلام منذ إشراق أنواره فى مكة المكرمة ، حتى يومنا هذا ذات أثر عميق فى الفهم ، ودلالة قوية على حسن التطبيق . وفى استقراءها عظة وعبرة ، وفى اقتفاء أثرها خير قدوة فى الفهم والإدراك .

وهذا لا ينفى حسن التوكل على الله ، ولكن من باب الامثال للأمر بالصبر الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم أكثر من ستين مرة ، وحسن التطبيق لما جاء فى كتاب الله ، من أمر بالتحمل واحتساب للأجر ، وما تدعو إليه سنة المصطفى ﷺ من توجيه كريم لذلك .

وفى كتب الزهد ، ولدى القصاص والمذكرين ، يجد القارى كثيراً من العبر التى تلين القلوب ، والحكايات والوقائع ما يقوى على التحمل .

إلا أن الامكن من ذلك عند ما تأتى القصص الواقعية ، فى السيرة الذاتية

لبعض الأعلام ، الذين تبؤوا مكانة مرموقة في العلم والفضل ، ووصلوا إلى منزلة اجتماعية رفيعة من الوعي والإدراك ، ثم لما نزلت بهم مصائب مما يحمل بالإنسان في هذه الحياة ، أثبتوا تحملاً نادراً ، وقدره لا مثيل لها ، كما روى عن أبي موسى الخولاني الزاهد المشهور ، وقصته مع الأسود العنسي الذي ادعى النبوة في اليمن ، وحيب بن زيد بن عاصم الذي قطع مسيلة الكذاب أعضائه وأجزاء جسمه قبل أن يقتله ، وغيرهما ممن أنت صلابته في الحق ، وجلداً في تحمل المصيبة ، فداء للدين حتى لا يمس بسوء ، وللعقيدة حتى لا يتخذه .

وما ذلك إلا أن الإيمان جوهر ثمين إذا تحلت به النفوس لا يسر غورها ، وإذا ظهر عليها بآت نفاسته ، وامتحانه يظهر بالصبر ، كما أن الصانع يختبر الذهب ، ليعرف جودته وقيمه .

والمرء في هذه الحياة يحاسب الأجر بمقدار ما يتحمل ويرجو ، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما مرض ، قيل له : أنا أن لك بطيب ؟ قال : لا . طيب هو الذي أمرضني . لأنه ومثله من الصفوة الأولى عرفوا فلرموا ، ويعلم المصاب منهم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة ، أضعاف ما يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقى عليه ، ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي أخبر ﷺ أنه يبني للصابر في الجنة ، على حمده لربه ، واسترجاعه على مصيبته .

وإنما تعرضت في حديث اليوم للمصيبة ووجوب تحملها ، لأن سمة الحياة الدنيا المصائب والأكدار ، وأن ترويض النفوس يكون موضع منهج معين تسير فيه ، وقاعدة ثابتة تنطلق منها ، وأن المؤمن يجب أن يتحل بالصبر في كل موقف ليحظى بالأجر ، وتهون مصيبته على نفسه .

وقد عرف في حياة كثير من رجال الإسلام تحملاً نادراً للأصائب لاحقاً في شهرة ، أو رغبة في سمعة ، ولكن امثالاً لأمير جاءت به تعليم دينهم ، وطعماً في جزاء وعدوا به في شريعتهم .

فن أولئك إمام التابعين عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، حيث أصابته الأكلة في رجله وهو بالشام عند الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : اقطعها وإلا أفسدت عليك جسدي . فوافق على ذلك ، ولما دعى الجزار ليقطعها قال له نسقيك الخمر حتى لا تجد لها ألماً ؟ فقال : لا أستمع بحرام الله على ما أرجو من عافيتي . قالوا له : إذا نسقيك المرقدة ؟ قال : ما أحب أن أسلب عضواً من أعضائي وأنا لا أجد ألم ذلك فأحتسبه . قيل : ثم دخل عليه أقوام أنكروهم . فقال ما هؤلاء . قالوا يسكنونك فإن الألم ربما عذب معه الصبر قال : أرجو أن أكفيكم . فقطعت وهو يهال ويكبر في مجلس الوليد ، والوليد مشغول عنه بمن يحدثه ، فلم يتحرك ولم يشعر الوليد أنها قطعت ، حتى كويت فوجد رائحة السكي ، كما روى ذلك ابن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمته لعروة .

و بلغ من تحمله وصبره رحمه الله أن القاطع . قطع كعبه بالسكين ، حتى إذا بلغ العظم وضع عليها المشار ، فقطعت وهو مستمر في تهليله وتكبيره ، ثم إنه أغلى له الزيت في مغارف الحديد لحسم به ، فغشى عليه ، فأفاق وهو يمسح العرق عن وجهه ، ولما رأى القوم بأيديهم دعا بها فقلباها في يده ثم قال : أما والذي حملني عليك ، إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام ، أو قال معصية .

ومع هذا فلم تكن هذه هي المصيبة الوحيدة التي جاءت في سفره هذا ، فقد جاءت أخرى شديدة الوطء على رجل كبير السن مثله ، فصبر واحتمل ، ذلك أن

ابنه محمدا دخل اصطبل الوليد بن عبد الملك ، فضربته دابة فخر ميتا ، فحمد الله على ذلك ، ولم يسمع في ذلك منه شيء حتى قدم المدينة ، فقال : اللهم انه كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً ، وأبقيت ثلاثة ، فلك الحمد ، وأيم الله اني أخذت لقد أبقيت ، ولئن أبليت لاطالما عافيت .

لأنه موقف مؤثر ، وحديث معبر في قصة عروة ، وأشياء عروية من العارفين المطبقين يلبس منها المرء عظة وذكرى ، وفي ثنايا ذلك درس على من يريد أن يتأسي ، وتقوى عزيمته . إذ من مثل هذه المواقف تؤخذ العبر ، ومن استجلاء السير تقوى النفوس كما يقول الشاعر العربي :

فتشبهوا لمن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

وبعد أن مرت حادثة عروة السالمة ، تأثر بها الوليد بن عبد الملك ، وظن أنه يندر في الناس من يتحمل مثلاً تحمل عروة ، لعظم المصيبة ، وقدرته على الثبات أمامها ، ولم تمض إلا أيام حتى قدم عليه قوم من بني عبس ، وفيهم رجل ضريب فسأله الوليد : عن عينيه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أت ليلة في بطن واد ، ولا أعلم عبسيا يزيد ماله على مالي ، فطرقنا سيل ، فذهب بما كان لي من أهل وولد ومال غير بعير وصبي مولود .

وكان البعير صعباً فسد ، فوضعت الصبي ، واتبعت البعير ، فلم أجاز إلا قليلاً حتى سمعت صيحة ابني ، ورأسه في فم الذئب وهو يأكله . فلحقته البعير لأحبسه ، فنفختني برجله على وجهي فخطمه ، وذهب بعيني ، فأصبحت لا مال لي ولا أهل ولا ولد ولا بصر . وأنا أحمد الله على ذلك يا أمير المؤمنين .

فقال الوليد : اذهبوا به إلى عروة بن الزبير ، ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاء .

وما ذاك إلا أن النظر في حال من ابتلى بمثل هذا عما يهون المصيبة ،
ويروطن النفس على التحمل إذ لعل مما يسلى المصاب عن الذي حل به ، أن
يهون مصابها بما هو أكبر منها ، وأن يشعر نفسه بأنها جاءت من عند الله ،
وأنها نقصائه وقدرته سبحانه ، كما يجب أن يدرك كل شخص أن المصائب يسوقها
الله ابتلاء ليمتحن بها الصبر والرضا ، وقوة الايمان ، وهل يحز و يشكو إلى
غيره ، أم يسلم أمره لحالقه ويدعوه ويتوكل إليه ، فالله جل وعلا يبتلى الشر
بالخير والشر : فتنه لهم وامتحانا لقدرتهم . فن صبر ورضى ، فله الجزاء
الاولى ، ومن سخط وحزح فعليه السخط والالئم ، ولا يدفع عنه مما هو
مكتوب شيئا .

انها دروس يجب أن تدرك ، ونماذج يجب أن تحتذى ، ومنهج قويم فيه
سلامة النفس وفوزها لم أدرك ووعى ، فكما أن الرياضى يتمرن زمنا على
يفوز في ميدانه ، فكذلك النفوس يجب أن ينمى فيها حب العمل وفق منهج
تعليم الاسلام لتأخذ ذلك طعما وسحبة ، ولتسير عنه بعقيدة وعادة ، لأنها تسير في
أمورها كلها وفق ما تعودته . وتعمل جاهدة وفق ما رسم لها من البداية
لأن المصائب من أكدار الدنيا ولا يخفف وطأتها إلا الصبر الذى يوفى الله
أجره بغير حساب .



الشریعة الاسلامیة شریعة دائمة خالدة

الاستاذ السید جلال الدین العمری
تعریب : محمد رصی الاسلام الدوی

یظن بعض الناس ، ویقدم هذا الظن من مختلف الاوساط بأسالیب متنوعة
شقی أن الشریعة الاسلامیة نزلت فی وقت خاص ، وبیئة خاصة ، ولم یبق الآن
ذلك العهد ، ولا تلك الاوضاع ، بل نعیش فی عهد جدید ، وأوضاع جدیدة ،
فلا یمکن لنا أن نتبع الشریعة ونعمل بها حسب ما نزلت ، ولا تستطیع الشریعة
أن تسایر مقتضیات العصر الحديث ، ولا تستطیع الأمة المسلمة أن تخرج من
ورطة الانحطاط الحاری إن لم یجر فیها لإصلاح أو تعدیل ملائم بها ، ومن
الناس من لا یجهر بهذا القول ، ولكن یدو مضطرباً ومتمللاً کتعامل السليم فی
ما تهوی به نفسه ، وهو أن یجعل الشریعة الاسلامیة متجانسة للعصر الحديث
کیفما اتفق له ، لتلا یمتحنی هو والذین ینادون باسم الشریعة ، علی عدم اتزانها ،
ولذلك لا یترددون شیئاً فی بیان أو شرح لا شریعة ، لا یلائم واللغة والاسلوب ،
وشروح الشریعة الموثوق بها وتعامل الأمة ،

هذه الافکار لا تختص بقضية للشریعة دون أخرى ، بل یتسع ویشمل
محالها شمول الشریعة الالهیة وتوسعها ، فمنهم من یری النقیصة فی نظام العبادات
للإسلام ، ومنهم من یرید تغییر نظامه الاجتماعی . ومنهم من یحس حاجة رتق
الثلة التي یراها فی حضارته وثقافته ، ومنهم من یشیر علی المسلمين بالترقیع فی تعالیمه
الاقتصادیة ، ومنهم من یرود لإزالة الحمیة والوحشیة من حدوده وتمیزاته ،

فإذا جمعنا هذه الأفكار بنسق خاص تمثلت صورة مدهشة مروعة للإسلام يتنفر منها الرجل ، ويفر منه ، بدلا من أن يحبها ويشواق إليها ، بل و يشك في أن هذه الشريعة نزلت من عند الله أم لا ؟

وإن ظهرت هذه الأفكار من قبل معاند أو معارض للإسلام ، أمكن أن يحاول في اقتناعه مغزى الشريعة ، ومثل هذه المساعي لاتزال تظهر في درجة ما إذا مست الحاجة - ولكن الأسف أن مثل هذه الأفكار تظهر بين فئة أخرى من قبل الذين يعرصون أنفسهم كمعتنقين للإسلام ومحبيه مع أن الرجل الذي يؤمن بأن الشريعة ليست من وضع أحد من الناس ، بل أنزلها الله سبحانه وشرحها رسوله من قبله ، لا يمكنه أن يعبر عن مثل هذه الأفكار .

أعلن الله سبحانه في كلمات صريحة واضحة بمناسبة حجة الوداع (أى قبل وفاة النبي ﷺ بثلاثة أشهر) :

﴿اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة - ٣) .

إن كلمة الدين في هذه الآية تشمل الشريعة ، بل إن هذه الآية نزلت من سياق بعض الأحكام الشرعية ، وذلك تشير الآية إلى أن الشريعة أصبحت كاملة من كل ناحية ، فلا تنزل بعدها شريعة جديدة ، ولا يكون فيها حذف أو زيادة ، ولا تعديل أو تنسيخ إلى يوم القيامة ، وكذلك هذه الآية نصت على ختم النبوة ، لأن الشريعة لا يقع فيها التعبير - صغيرا كان أو كبيرا إلا بواسطة الأنبياء .
لحينها نزلت شريعة دائمة فلا حاجة إلى رسول جديد ، ولا يعنى أى حذف أو زيادة في الشريعة إذا قام بها رجل الايمان بدعوى النبي عن ختم النبوة .
لحسب بل يكون ذلك مترادفا لاهمال نفسه إلى درجة النبوة .

أقدم هنا موجز ما فسر به الحافظ ابن كثير رحمه الله هذه الآية تفسيراً جيداً .
هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكل تعالى دينهم ، فلا
يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ،
ولهذا جعله الله تعالى غاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا
ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو
حق وصدق ولا كذب فيه ولا حذف .

وقال ابن عباس . هو الإسلام ، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد
أكمل لهم الإيمان . فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً . وقد أتمه الله فلا يقصه أبداً .
وقد رضي الله فلا يخطئه أبداً (تفسير ابن كثير المكتبة التجارية الكبرى
مصر ، الجزء الثاني ص ١٢) .

والحقيقة أن الذي يؤمن بتعاليم الله ورسوله لا يتصور حذفاً أو زيادة
أو نقصاناً في الدين فان تكميل الدين ، وختم النبوة أنهى هذا الاحتمال عنده
إلى يوم القيامة .

من أهم أهداف الشريعة تحديد الحرام والحلال من الله سبحانه ، فقد
أحل الله جل وعلا للإنسان الطيبات من الأشياء التي تحبها الفطرة السليمة ،
وتنفع الصحة البدنية والأخلاق ، والروح ، وكذلك حرم الحباث من الأشياء
التي تأباه فطرته ، وتلق على محنته وخلقه أثراً سيئاً ، ولذلك بين الله سبحانه
وصفاً من أوصاف رسوله ﷺ :

﴿ ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الحباث ﴾ (الاعراف - ١٥٧)
حرمت الرهبانية الطيبات ، فقرر الإسلام ذلك طريقاً غير ديني وقال :
﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، واكلوا ، واشربوا ، ولا تسرفوا ،

لأنه لا يجب المسرفين، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة» (الأعراف . ٣٢ - ٣٣) وقال :

﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم﴾ (الأنعام - ١٢٠) .

وبالإضافة إلى ذلك أشار إلى أنه لا يستحق أحداً أن يحكم في شيء بالحلة أو الحرمة إلى الله، حيث قال :

﴿ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾ (النحل : ١١٦ - ١١٧) قال الخاوط ابن كثير :

«ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي ، أو حل شيئاً مما حرم الله ، أو حرم شيئاً مما أباح الله لمجرد رأيه وتشبهه به» (تفسير ابن كثير الجزء الثاني ص ٥٩٠)

فاذا لم يحق لأحد أن يحكم بالحلة ، أو الحرمة في شيء إلا الله ، وأنه قد فصل للناس ما حرم عليهم فلا مجال لحذف أو زيادة في الشريعة (لا يدخل في هذا البحث الاجتهاد الذي يكون في ضوء أحكام الشريعة من الحلال والحرام لأنه يكون تابعا لها) .

تدبروا في هذه القضية من ناحية أخرى ، فقد عبر القرآن الكريم أحكام الشريعة بحدود الله في مواضع عديدة ، قال بعد سرد أحكام الصيام :

﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾ (البقرة - ١٨٧) .

وقال وهو يبين أحكام الطلاق : ﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ﴾ (البقرة ٢٢٩ - ٢٣٠) .

وقال في موضع آخر بعدد أحكام الطلاق :

﴿ وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ (الطلاق . ١) وبشر بالجنة على طاعة الله ورسوله . ورعاية حدوده وأوعد بالنار على عصيائه وتعدى حدوده ، فقال بعد ذكر أحكام الإرث والوصية .

﴿ تلك حدود الله ، ومن يطمع الله ورسوله ، يدخله جنتنا نجرى من تحتهما الأنهار خالدين فيها ، وذلك العور العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾ (النساء : ١٣ - ١٤)

فهل يجترأ مسلم أن يتخطى الحدود التي أقامها الله سبحانه في مختلف شئون الحياة ، وأكد على الالتزام بها ، وسمى عن تعديها ، وعصاها بشدة أو يستيحيها . أو يشير على أحد بأن يتعداها ، قال القرآن في المشركين العرب : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ﴾ (يونس - ١٥) فالذين يريدون تغييراً في دين الله وشريعته ، لا تختلف فكرتهم عن فكرتهم تلك ، رد القرآن الكريم على طلب المشركين هذا أنه لا يستطيع أحد حتى النبي أن يغير شيئاً من دين الله لأن ذلك مما أنزله الله سبحانه عليه . ﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ، إن أتبع إلا ما يوحى إلي ،

إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ (يونس - ١٥)

فهل يمكن بعد ذلك أن يطالب مسلم يؤمن بالله ورسوله بالتغيير في



نبذة تعريفية عن الجماعة السلفية التركية



أمير الجماعة الشيخ

محمد أبو سعيد اليربوزى
+++++

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد :

أود أن أعرف إخواني السلفيين في العالم الاسلامى بجماعتنا ببلجيكا مع بيان نشأتها وتطورها ونشاطاتها كي يتم الترابط والمعرفة بيننا وبين اخواننا، ولذلك بدأت في هذا الأمر سائلا الله عز وجل لى الإخلاص فى قولى وعملى وأذكر ذلك كما يلى :

بدأت هذه الدعوة فى بلجيكا قبل عشر سنوات بالأتراك إلا أن هذه فى البداية كانت صعبة جدا أولا مع عدم امكانياتنا، وثانيا لما فى الأتراك من تعصب وجهالة وتقليد أعمى لمذهبهم عقيدة وعملا وذاك الوقت لم يكن لنا مسجد ولا مكان للاجتماع وإنما كما بدور فى مساجد الأتراك والمقاربه وبيوت الناس والمقاهى والحدائق والشوارع كي نلتقى مع أحد منهم لتبليغه الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وأحيانا تناقش المسائل بالأدلة مع أئمتهم وإن طلبوا

هنا أن تكون بيننا وبينهم مناظرة أمام جماعتهم نستجيب لذلك وأحياناً نختار بعض المسائل المهمة في العقيدة أو العبادة نكتبها ثم نوزعها بين الأتراك في الشوارع ، وبذلك يأخذ كل شخص وصلت اليه دعوتنا فكرة بحملة عن منهجنا في الاعتقاد والعمل وبالطبع تكون الدعوة على حسب مستوى الناس ، والله الحمد بدأ يزداد عددنا من الشباب والكنار ولا نحاف في ذلك لومة لائم أو ضرب ضارب أو شتم شاتم أو شكوى شاك ، وللأسف حصل كل ما ذكرنا من أنواع الأذى والظلم والسب والاستهزاء ، وأحياناً الضرب وإلى غير ذلك من أساليب التهديد وإنما اشكو بثنا وحزننا إلى الله ونحتسب عند الله تعالى . ولكن ما نتيجة ذلك ؟

— أسسنا دار القرآن والحديث وهي معترف من جهة الحكومة الباجيكية مع مسجدنا في مدينة بامور .

— زاد عددنا إلى أكثر من خمسين عائلة .

— فتحنا مسجداً في أيزو قرب مدينة شارلوا للإخوان هناك .

— أرسلنا بعض الطلبة لدراسة العلوم الدينية إلى الخارج . وإن كان عددهم قليلاً جداً . إثنان إلى اليمن وإثنان إلى باكستان وإثنان إلى المملكة العربية السعودية .

— طبعنا بعض الرسائل باللغة التركية عن طريق الآلة الكاتبة والتصوير مثل صفة صلاة النبي ﷺ وحكم تارك الصلاة ، ورسالة العلو ، ووزعها ونرسلها إلى عناوين بتركيها على حسب طلبهم . وبلغ عدد المناوين التي وصلتنا من المبرولصين أكثر من مائة . ولنا رسائل أخرى مجمدة للطبع .

— ولنا دروس : مرتان في الأسبوع . لتعليم الإخوان اللغة العربية . ومرة

في الحديث : قراءة شرح سنن أبي داود ، ومرة في العقيدة من تيسير العزيز الحميد ومرة للنساء من مواضع المختلفة .

— ولنا بعض الاخوان في تركيا ينشرون هذه الدعوة وإن كانت في

بطاق ضيق .

— ولنا علاقة وارتباط مع المقاربة من الاخوان السلفيين

— وقبل ذلك فتحنا مسجداً معهم في العاصمة ثم انتقلنا إلى مدينة نامور

مع تأسيسها هذه الدار وفتح المسجد هناك

آمالنا :

١ — تأسيس مركز الدعوة وهذا المركز يكون مقر الدعوة لأوروبا كلها

إن شاء الله .

٢ — إصدار مجلة شهرية باللغة التركية هادفة داعية إلى منهج السلف عقيدة

وعملا وتعطى فكرة عن الجماعة وعملها ودعوتها .

٣ — إرسال بعض الطلاب لطلب العلم إلى جامعات المملكة العربية السعودية —

السودان — باكستان

٤ — فتح مكتبة لعامة الاخوان تسد الحاجة من الناحية العلمية والثقافية .

٥ — نشر هذه الدعوة في تركيا بنطاق واسع .

أهدافنا :

١ — إحياء حركة العودة إلى الكتاب والسنة في ضوء ما كان عليه سلفنا الصالح .

٢ — إزالة الشرك والبدع والخرافات من عقول الناس مع اختلاف مظاهرهما .

٣ — السعي لإقامة مجتمع إسلامي يطبق حكم الله وشريعته في الأرض .

حاجاتنا :

- ١ - مساعدات مالية في سبيل الدعوة سواء لطبع الرسائل أو فتح مسجد أو مصاريف المساجد الموجودة حالياً .
 - ٢ - كتب كمرجع للبحث عن المسائل وكتب فكرية موجهة للمسلمين لمصالحهم .
 - ٣ - مدرس داع إلى دار القرآن والحديث لتعليم الاخوان وتوجيههم إلى ما يفهمهم من العلم الصحيح .
- هذا ما أردت أن أفيدكم راجيا مساعدتكم لنا بما ذكرنا والله من وراء القصد وحزاكم الله خير الجزاء .
- والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الإنسان في الإسلام



إن « الإنسان » في التصور الاسلامي هو هذا « الإنسان » الذي نعمده . هذا الإنسان بقوته وضعفه . بنوازه وأشواقه . بلحمه ودمه وأعصابه ، بجسمه وعقله وروحه . أنه ليس الانسان كما يريد خيال جامع ، أو كما يتمناه حلم ساج مع الرؤى والأشباح ؟ وليس الإنسان الذي يصوغه ذهن تجريدي . ويؤلفه من عدة قضايا ذهنية من قضايا المنطق الشكلى كما أنه ليس الإنسان للذى يضعه المنطق الوضعى فى أسفل سافلين ويجعله مخلوقا من مخلوقات هذه « المادة » الصماء أو من مخلوقات « الاقتصاد » .



إلى أبناء الأمة الإسلامية



اعداد : أبو القاسم عبد العظيم

أستاذ العلوم العربية والدراسات الإسلامية

بالجامعة العالية العربية ، الهند



هذه كلماتي إليكم أيها المسلمون ، وهذه رسالتي إليك أيها الأمة الإسلامية
وإنها إليك — والله — لمن عين دامعة وقلب حزين ، في ساعة ليلى فيها أرق
ونهارى قاق ، قلبى يحفق وأحشائى تصطفق ، كبدي ترجف ودمعي يكف .

إليك يا أمة الإسلام أكتب وأنا صبور على اللاواء التى تحظى بها الأمة
الإسلامية وماصبت عليها من المصائب والآلام . وخصيصا فى هذه الآونة
الآخيرة . من اليهود والنصارى والمشركين ، ومن أنصارهم وأعوانهم من
أهل الرفض والتشيع والباطن .

أرفع إليك رسالتي أيها الأمة لتنهضى بواجبك ، وتمسح النوم والكرى
من أجفانك ، وتقوى بمسئولياتك تجاه الظلم والبنى والعدوان التى أضمرت
البلاد ، وأشعلت النواحي ، أسعرت الصقع ، ورجاء أن يصل صوتى هذا إلى
أذن واعية تنصت له وتعبه ، ويصيح له ويصنى إليه — بتوفيق من الله العزيز
الجبار المنتقم .

أمة الإسلام ! إن ما امتدت به الأيدي الآثمة إلى حرم الله في مكة المكرمة في موسم حج العام المنصرم سنة ١٤٠٧ هـ من انتهاك حرمت البيت العتيق ، وإثارة الفتنة فيه وإخافة السبيل ، وهتك الحريم ، وانتهاك المحارم ، وارتكاب العظائم . واقتراف المآثم ، وقتل الحجاج الأبرياء ، والزائرين الأصفياء ، والمعتمرين الأتقياء ، وسكان البلد الأمين ، ومواطني أرض حصين ، سبلها آمة ، ودهمها ساكنة ، وناحتها حاوثة ، وأمورها على المحبة جارية ، وأحوالها منتظمة ، ومغانها محروسة ، ومازلها مأنوسة ، من قتل الفوغائيين العشوائيين الإيرانيين .

وكذا ما تمتد به الأيدي الآثمة إلى حرم الله في القدس الشريف . القبلة الأولى للسليين . في حين وآخر من إحراق وتدمير للمسجد الأقصى المبارك ، ومنع أداء الصلاة فيه ، ومن إبادة إخواننا الفلسطينيين وتشنيبتهم وتشريدهم ، وتعذيبهم وقتلهم ، وحبسهم وأسرههم ، ونهب أموالهم وأعراضهم ، وتخريب مصانعهم ومحلاتهم ، وهدم بيوتهم ومجتمعاتهم ، وإبدال أمنهم بالخوف والزعزعة من قبل الأمة المغضوبة والضالة ، من النصارى واليهود والصهاينة الذين هم ليسوا إلا كسباع عادية ، وذئاب ضارية ، وكلاب عاوية إنها لجريمة نكراء ، وقرمطة سوداء ، وضلالة دهاء في التاريخ .

والله إنها لجريمة حرام محرمة في الشرائع والأديان ، محرمة في التوراة والإنجيل والفرقان . ولا يحل فعلها ، ولا يسع إبتانها ، ولا يرخص فيها ، ولا يباح شيء فيها ، ولا يسوغ الخوض فيها ولا يرتضى الشروع في فعلها ، وقد حرمها الله ، وحظرها رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم .

جريمة نهى عنها كتب السماء ، حمتها سنن الأنبياء ، وكرهتها قلوب الأبرار ،

واستنكرتها عقول الأطهار ، ومنعت منها النحل ، وحجرت دونها الملل ، وحجرتها
الشرائع وكرهتها الطبائع
جريمة نزل بتحريمها القرآن ، ونطق بإبطالها المرقان ، وصدع بتحريمها
آيات الكتاب وبحكم التنزيل ، وإنها - والله - لجريمة لا رخصة فيها
ولا أويل

فكل من قام بهذه الأعمال المستنكرة ، أو حماها ، أو يحميها ، من الأشرار .
ومن له أباد سوء آى شعة فى إرتكابها والقيام بها من الدعار . كسر الله أنيابهم ،
وحصد شوكتهم ، وقام منهم أظفارهم ، وصب عليهم سوط عذابه ، وسكب لهم
باس عقابه ، وشن عليهم مشاغب أصلامه ، وأذاقهم حرارة بطشه ، ومرارة
بأسه ، إنه أشد بأسا وأشد تكيلا .

أمة الاسلام ١١

قم بواجبك نحو الجهاد ، ووطن عليه نفسك ، وأكثر شوكة الأعداء .
وقرر عليه أمرك . واطش أيدى الظالمين ، واستحكم فيه طمعك ، وكى رابط
الجماس شديد الناس ، واصبر على الرزية ، واشكر العطية . ولا تعرض أجرك
للإحباط ولا تعرض من ربك للإسقاط . فما جلت رزية إلا أفادت ذخرا ،
ولا بلاء إلا أفاد صرا .

والسلام

صوت الامت

مجلة شهرية إسلامية أدبية

تصدر عن دار التأليف والترجمة ، بنارس

ربيع الأول ، ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ

نوفمبر و ديسمبر ١٩٨٨ م

المجلد الأول

العدد التاسع والعاشر

★ عنوان المراسلة : رئيس تحرير صوت الأمة ، بي ١٨/١ جى ، ريوڑى تالاب
بنارس ، الهند

★ الاشتراك باسم : دار التأليف والترجمة ، ريوڑى تالاب ، بنارس ، الهند

DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA

B.18/1 G 2, REORI TALAB, VARANASI - 221010 (INDIA)

★ الاشتراك السنوى } فى الهند ٤٢ روبية ، فى الخارج ٢٠ دولارا (بالبريد الجوى)
١٠ دولارات (بالبريد العادى)
ثمن النسخة ٤/٥٠ روپيات

★ تليفون : ٦٣٥٧٧

© المشور لا يعبر إلا عن رأى كاتبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِحِجَّةٍ تَسْهِفُ

- ◆ إعلاء كلمة الله ، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله ، والتمسك بكتابه ، وسنة نبيه ﷺ ، بعيدا عن التحيز الفكري ، والتعصب المذهبي ، وتبليغ رسالة الاسلام ، وتنوير الرأي العام بمبادئها وتعاليمها الصحيحة ودحض الشبهات عنها ، ورفع مستوى الدراسات الاسلامية والثقافة الدينية .
 - ◆ مقاومة الأفكار الدخيلة ، والتيارات المنحرفة ، والمبادئ الهدامة ، وضلال الزيف والالحاد ، وسائر المكرات ، بأسلوب على رصين ملائم لروح العصر مع التجنب عن لغو القول وسفاسف الأمور وكل ما في نشره ضرر للمسلمين أو خطر على وحدتهم وتضامنهم .
 - ◆ مؤازرة الكتاب والأدباء الاسلاميين ، واستنهاض هممهم لتناول موضوعات العصر ، وشرح تعاليم الاسلام السمحة ، ليتمكنوا من الذود عن الاسلام وقيمه ، في تعمق وعي وجرأة ودأب ، وعن إيمان وإخلاص .
 - ◆ إيقاظ الروح الدينية ، وبث الوعي الاسلامي في الشباب المسلم ، وتزويدهم بالثقافة الاسلامية الواسعة ، وإعدادهم للاسهام في معركة اللسان والقلم ، وتصوير المسلمين بمزايا الشريعة الاسلامية والرجوع بهم إلى مصادر الدين الأصلية من الكتاب والسنة .
 - ◆ نشر العلوم الاسلامية والعربية بين المسلمين في الهدى ، وتعميم اللغة العربية بين المثقفين ، ورفع مستواها كتابة وخطابة .
 - ◆ التوجيه الديني السليم للمسلمين في القضايا الراهنة ، والمشاكل اللاحقة ، حتى يتمكنوا من المضى في طريقهم على هدى وبصيرة .
- والله هو المستول أن يهديا إلى سبيل الرشاد ؟

دع الأخبار تتكلم

د . مقتدى ياسين الأزهرى

« الصحف اليومية مرآة لأحوال الشعوب والبلدان ، انها تعرض ما دق وجل من الأخبار والأحوال. وتعتبر عن الاتجاهات والميول التي تحملها طبقات المجتمع المختلفة . والمتتبع لأخبار هذه الصحف يمكنه استنباط كثير من الأمور التي تكمن بين طيات الأجوار ، ويتيسر له الاطلاع على الوجهة التي يتجه إليها المجتمع في مجالات الدين والاحتياج والسياسة والاقتصاد والأخلاق والسلوك وهذه الصحف بمثابة المادة الخام التي يتكون منها التاريخ الذي يصير مرجعا لمعرفة أحوال الأمم بعد مضي القرون والأحقاب

ومرلة هذه الصحف في نقل الأخبار تختلف حسب اختلاف اتجاهات القائمين عليها ، فبعضها تلزم بالصدق وتحاول التأكد من صحة الأخبار قبل نشرها ، والبعض الآخر تعرض الأخبار دون تمييز بين الصحيح والسقيم . ويطرا إلى مستواها العام فانها لا تبلغ درجة الاستناد والاعتبار، ولكن مع ذلك لا سبيل إلى تكذيب جميع ما يرد فيها ، وخاصة اذا لم يتعلق به غرض مشبوه .

واني في هذه الافتتاحية أحييت أن أعرض على القراء الكرام بعض قصاصات الصحف اليومية التي احتفظت بها للدلالة على أن حاجة البشرية إلى دين صحيح خالد لن تنتهى أبدا . وأن أمور الانسان لن تستقيم إلا إذا تمسك بالقيم الخلقية والهداية الربانية وبعد عرض كل خبر فمت بتعليق وجيز عليه حتى يتبين الغرض الذي عرضت الخبر لأجله . »

خبر: ٦٢ / من الشعب الأمريكى يعتقد بأن الدين يستطيع أن يقدم حلولاً لجميع مشكلات العالم أو أغلبها .

والدراسة التى أجريت بهذا الصدد قد كشفت بأن نحو عشرين فى المائة من الشعب يخالف رأى المذكور ويرى أن الدين قد صار بالياً فى هذا العصر ولم يبق فيه غناء . و ١٨٪ من الشعب لم يبد رأياً فى الموضوع . (جريدة قوى أوار بلكسو ، عدد ٢٢/يناير ١٩٧٥ م)

تعليق يقال عن العصر الحديث الذى نعيش فيه أنه عصر البحث والتحقيق ، وعصر الدراسة والاحصائية ، وعصر الموضوعية والاكاديمية ، وشئون الإنسان كلها تخضع فيه لهذه الاحصائية والموضوعية ، ولا يصل فيه أمر إلى درجة الاعتبار والاستناد إلا إذا جاء وفق النتائج التى وصلت إليها الدراسة المعاصرة . والإنسان باغتراره بهذا المسج الدراسى والموضوعى قد حاول إخضاع الدين له أيضاً ، وظن أن الضرورة إلى التوجيه الربانى لا تثبت إلا إذا صدقتها دراسة ووافقت عليها احصائية . ولعل الدافع إلى الاحصائية التى أوردها الخبر يكون شبيهاً بما ذكرناه

هذا هو موقف الاكاديميين والاحصائيين من الدين ، يريدون استطلاع آراء الناس واستبيان مرئياتهم نحو الهداية الربانية ، ثم يشتون النتائج سلبية أو إيجابية ونحن نستحسن إجراء احصائية أخرى بجانب الاحصائية المذكورة ، وذلك لعصر المواقف والآراء الانسانية التى أصر عليها الإنسان معرضاً عن الهداية الربانية ، وعن النتائج السبئية التى ترتبت على هذا الاعراض ، حتى يتبين للناس أن الإنسان مهما تقدم فى العلوم والتكنولوجيا فإنه لم يستغنى عن الهداية الإلهية . ولن يستقيم أمره إلا بالآيمان بالله والعودة إلى التوجيهات التى أرسلها رب العالمين .

دع الاحبار تتكلم

وهناك أمر آخر يجب أن يتنبه له أصحاب الدراسات والاحصائيات ، وهو أن الدين يؤمنون بالدين ويختارون المنهج الرباني للحياة يفعلون ذلك بافتناع منهم وبتوفيق من الله تعالى ، لا باتباع الدراسات والاحصائيات . انهم يؤمنون بأن الدين هو الطريق الوحيد لتحقيق سعادة الدارين وللخلاص من الخزي والهلاك انهم لا يرون الحاجة ماسة إلى تصديق الدين بمواقف الناس منه ، بل الدين هو الذي يصدق المواقف ويهيمن عليها ، وهذا هو ما يحكى تاريخ موقف البشرية من الدين ، فان المجتمع الشرى فى بعض العصور وقف موقف الاعراض والتنكر من الدين ، والاغلبية لم تؤمن بهداية الله تعالى ولم تخضع للمنهج الربانى ، بل كهنت بالله والرسل وبما حاؤا به من التوجيهات والشرائع . ولكن لم يقص هذا الموقف من أهمية الدين وضرورته ، ولم يقل أحد من أصحاب العقول السليمة بأن يأتى يوم يستغنى فيه مجتمع من المجتمعات عن الهداية الربانية .

وبعد هذا وذاك لا بد أن يهكر الانسان بروية واعتبار فى الآثار التى ترتبت على إعراسه عن الهداية الربانية وتوجيهات الدين ، حتى يسهل عليه اختيار الطريق الأسلم ، والتوفيق من الله



خبير : رئيس المجلس الاقليمى لولاية أوترا براديش أوقف اجراءات المجلس لمدة غير محددة .

وذلك نظراً إلى حالة العنف التى تعرض لها المجلس ، فقد اشتد غضب الاعضاء وكثرت الهافات من البعض ضد البعض ، وفى جو من التوتر والتهيج اشتبك الاعضاء فيما بينهم وجعل الواحد يدفع الآخر .

وقد نتج هذا الوضع حينما طالب أحد أعضاء حزب جن سنغ من الحكومة إلغاء القانون الخاص بالدفاع عن الهند والقضاء على الأشرار ، لأن الحكومة - كما قال العضو المذكور - قد أساءت في استخدام هذا القانون ووجهته ضد الطلاب ومن يقودون الحركات السياسية . (جريدة قوى آواز بلكنو ، عدد ١٨ / ديسمبر ١٩٧٤ م) .

تعليل . إن أعضاء البرلمان المركزي والمجلس الاقليمي ينتخبون من قبل الشعب على فرض أنهم على المستوى المطلوب من الثقافة والسلوك والذوق والادب ، وأنهم يذلون جهودهم لتحقيق مصالح الشعب ، ويسنون القوانين لرفع مستوى الرعاية في مجال العلم والعمل .

ولكن الوضع الذي يحكيه الخبر المذكور عن أعضاء المجلس الاقليمي يحمل على الناس ، فالذين تعقد بهم الآمال في رفع مستوى الشعب في مجال العلم والعمل هم الذين يقدمون للناس نموذجا للجدال والخناق وعدم الصبر والتعجز . غريب جدا أن يصل الأمر في مجلس النواب هذا الحد ، ويضطر المحافظون على النظام إلى إحراج بعض الأعضاء بإكراه .

إن نظام الانتخاب يسمح كل فرد حرية واسعة للترشيح في الانتخاب ، وأنه لا يقيد المرشحين بقيود ، ولا يضع عليهم شروطا ، ولا يحدد لهم مستوى معين ، ومن هنا نرى أن الأشخاص غير الأكفاء يرشحون أنفسهم في الانتخاب ، طمعا في المكانة الاجتماعية وإحرازا للفوائد المادية . والشعب لم يبلغ بعد المستوى المطلوب في التفكير حتى يفكر فيما يستحق مثل هذه المناصب ، وما هي الشروط التي يجب توفرها في أعضاء البرلمان والمجلس الاقليمي . وهكذا يتم انتخاب الأشخاص الذين لا يدركون أهمية المناصب النيابية ، ولا يراعون للمجلس حرمة

دع الأخبار تتكلم

وآدابه ، بل ينزلون في السلوك والتعامل مع الآخرين إلى حد أسفل ، ويتمورون ويندفعون دون مبالاة ، حتى يبدو أنهم في حاجة إلى قانون التأديب قبل أن يشرعوا القوانين الآخرين .

وبعد الاطلاع على الحالة المذكورة في الخبر يدرك الانسان مغزى توجيه الاسلام وموقفه من توزيع المناصب السياسية بين الناس . إنه يرى أن تحمل المسؤولية السياسية لا يتم بالأمنية والرغبة ، بل بالكفاءة وإدراك المسؤولية ، وأن المناصب السياسية لا تسند إلى الذين يطلبونها ويرغبون فيها ، بل يختار لها رجال يتمتعون بالمواهب العالية ويستطيعون توعية الشعب بالقول وبالعمل ، ويرفعون عن الأعمال الدنيئة والمواقف المخزية .

خبير : أعم الأمراض بعد الزكام

جنيف : أعلنت منظمة الصحة العالمية أن حبوب منع الحمل أتاحت للشباب حرية جنسية أوسع من قبل ، وهذا أحد أسباب ازدياد الأمراض الجنسية الخبيثة في العالم .

وقال الدكتور رولف هندرسن مدير إدارة مكافحة الأمراض الجنسية في المنظمة : إن نحو مليونين ونصف مليون من سكان أمريكا مصابون بمرض التهاب المجرى التناسلي وليس هناك مرض أوسع انتشاراً منه بعد الزكام .

إنه كان يتحدث إلى مؤتمر صحفي بعد انتهاء مؤتمر الأمراض المنتشرة بالوسائل الجنسية الذي حضره الخبراء من نحو ٢٥ دولة .

إن مرض التهاب المجرى التناسلي بدأ يزداد بسرعة في دول أمريكا وأوروبا الغربية والدول المتقدمة الأخرى منذ (عام ١٩٦٨ م) ، ولا يزال يزداد بنسبة

١٠٪ كل عام ، ومن أسباب ذلك حياة الاغتراب والسياحة وتوسع المدن الحرة الجنسية (جريدة قوى آواز بلكنؤ ، عدد ١٩ / نوفمبر ١٩٧٤ م) .
 تعليق : هذه الاحصائية توضح مدى خطورة الامراض الجنسية وتوسع انتشارها في المجتمع الغربي ، وكيف أنها تهدد المجتمع وتقضى على القيم الخلقية - حياة العفة والعلمارة .

ويفيد الخبر أن هناك جهودا تبذل في سبيل مكافحة هذه الامراض وانقاذ المجتمع من غوائلها من قبل بعض المنظمات المحلية والعالمية . ولكن هناك ناحية مهمة يهملها الخبراء باستمرار ، ولذا لا تنجح الجهود التي تبذل في مكافحة مثل هذه الامراض ، وهي ناحية الاهمية بالقيم الخلقية وضرورة العناية بها لحياة المجتمع وتوجيهه إلى الوجهة السليمة . ثم الايمان بسمو الحياة الروحية ووجوب تغليبها على الناحية المادية .

وذلك أن الغريبي قد غرثهم الحياة الدنيا ، وتمكن منهم الشيطان ، وسيطرت عليهم الأهواء ، وحمحت بهم الشهوات ، حتى لم يتقيدوا بمبادئ النصرانية المحرقة التي يتعصبون لها ويحاولون نشرها في العالم ، ان هذه النصرانية ليست علاحا لامراضهم ولا حلا لمشكلاتهم ، ولكنها خير نسيما من حياة الانحلال الخلقي والموضى الجنسية .

ان أهل الغرب نشطوا وتوسعوا كثيرا في توجيه المطاعن إلى الاسلام الذي امتاز بعنانيته بالناحية الخلقية وتركبة النفوس من الارجاس والادناس . ونجح في تأسيس المجتمع على أساس الفضائل والمثل .

ان العصبية الدينية أدتهم إلى كره هذا الدين الحق ، والشيطان أغوام في محاربة الفضائل وإيثار الحياة المادية ، فوقفوا موقف العداء والعناد من

دع الأخبار تتكلم

الهداية الربانية والمبادئ السامية التي جاء بها الإسلام مع أنهم كانوا في أمس الحاجة إليها .

نظام الأسرة منهار في المجتمع الغربي ، والجيل الناشئ هائم مختار لا يعرف أين يتوجه وكيف يتخلص من القلق والاضطراب النفسي . إنه يبحث عن السكون النفسي يتعاطى المخدرات ومواصلة الأسفار وإهمال المبادئ الخلقية واختيار حياة التحرر والانحلال

ولكن الأدوية لا تعالج الأدواء ، والظلمات لا تآقي بالأنوار ، والسراب لا يقضى على العطش . ان الغرب — وكذا كل مجتمع فاسد منحل — يمكن علاجه في تعاليم الإسلام ، وتصلح حاله بالعودة إلى الهداية الربانية ، وتستقيم أوصاعه بالتخلي عن العصية وبالنظر إلى الواقع الآليم بعين الاعتبار والانعاظ . ان الحضارة الغربية عرفت منذ بدايتها بإهمالها القيم الخلقية وبإقبالها على الذائد والماديات وبإيثارها اتباع الهوى والانحراف على حياة الالتزام والرزانة . ونظرا إلى اتجاهها هذا كان العلماء والمصلحون قد تنسأوا بانهيائها انهيار البنيان القائم على غير أساس ، وبأصرارها بالمجتمع البشري أكثر من نفعها ، وبدفعها الانسان المعاصر إلى حياة القلق والاضطراب والبؤس والتدم .

وعما يحمل على الاستغراب والتأسف أن الغربيين يشاهدون آثار تلك الحضارة الكافرة ويزوقون ثمارها المرة ، ويتململون بمخلفاتها الكريهة ، ومع ذلك لا يفقهون من سيئاتهم ، ولا يرجعون إلى رشدهم . ان التقارير تصور لهم واقعهم الآليم ، وتحذيرات الاحتماعين تهددهم بالمصير المخزى ، ولكن النفوس تتعل بالآماني ، وتنسك للفضائل ، وتؤثر الحياة العاجلة على الحياة الآخرة وهكذا حال الانسان ، يتأدى في العصيان . وينسى مكاتته بين العالم ، ومسئوليته أمام الخالق ، وحاجته إلى الرشده والسداد . وهنا تتحكم فيه الأهواء وتغذف به وسط

بحر المتلاطم من المعاصى والآثام . ان داء الایدز یکنى رادعا للتحلین والشذاذ ،
ه لا یزال یفتک بالمجتمع مع أن الجهود الجبارة فی سبیل القضاء علیه مستمرة
متواصلة . انسان القرن العشرين فی حاجة إلى الاعتبار والاتعاظ ، ولكن الغربیین
ن حاجة أقوى وأمس إلى انقاذ أجيالهم الحدیدة من الضیاع والافتراض .



خبر ⑤ هدیة انحطاط القیم الخلقیة وتوفر الثروة
⑥ بلغت الأمراض الجنسیة حد الوباء فی أمريكا

نیو یورك : أغی دولة فی العالم وأقواها (أمریكا) تتعرض لمشكلات متنوعة
تسمى مشكلات توفر الثروة وانحطاط القیم الخلقیة .

إلى الآن كان وباء تعاطی المحدثات والمسکرات عاما فی الشباب ، ولكن
الأمراض الجنسیة صارت تهدد البلاد حسب تقدير هیئة الصحة الامریکیة .
ویقدر أن نحو ١٠ / من السكان قد أصبوا بمرض الانتهاب فی المجرى
التناسلی هذا العام

وهكذا یصاب نحو مائة ألف شخص کل عام بمرض الزهري فی أمريكا
وتحشی ولاية كاليفورنیة أن الأمر لو بقی هكذا لأصیب کل واحد من
شابین بمثل هذه الأمراض إلى بحی . عام ١٩٨٠ م ، قبل تجاوزہ سن المدرسة ،
أی فی سن العشرین تقربا .

ویقول الخبراء ان حیاة الحریة الجنسیة التي اختارها الشباب قد أدت إلى
تفاقم الأمراض الجنسیة وإلى انتشارها مثل حریق الغابة .

(جريدة قومی آواز بلکنؤ ، عدد ١٩٧٢/٤/٢٣ م) .

تعلمو : سبق أن ذكرنا رأینا فی المجتمع الغربی وما وصل الیه من الانهيار

الخلق والاباحية وهذا الخبر يحكى عن تقاوم الامراض الجنسية وتهديدها للمجتمع مثلاً يهدده انتشار المخدرات والمسكرات .

وأيما يجب التنه له أن الرذيلة لا تؤدى إلا إلى الرذيلة ، والفاحشة لا تأتى إلا بالفاحشة ، والخبيث لا يعمل إلا إلى الخبيث ولا يسكن إلا إليه .

ومن هنا أوجب الإسلام محاربة المسكرات كلها وأكد على تطهير المجتمع منها ، فإن وباء الفواحش والمنكرات يعدى كما لا تعدى الأمراض ، وتحتاج كما لا تحتاج العواصف .

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون - المائدة : ٩٠ ، ٩١﴾

خبر : ترى جماعة من الباحثين أن حدة الثورة الجنسية في أمريكا قد خفت الآن كثيراً ، وأيقن ثوار هذا المضمار أن التجارب الجنسية المتنوعة التي تخلو من الحب والوفاء تؤدى إلى توتر الأعصاب والانهيار والحسد وما إلى ذلك . وصرح خبير اجتماعي في جامعة كولمبيا بأن اتجاه ممارسة الجنس على طريقة حيوانية سائر إلى نهايته والالسان الأمريكى يتوق الآن إلى طريق الاعتدال ، ويفرق بين التوهم الجسى والحرية الجنسية ، يهدف بممارسة الجنس إلى شيء آخر فوق التلذذ واشباع الرغبة ، ويقوى اتجاه اكتفاء المرء بزوجته تفى له ويبقى لها .

(جريدة قوى آواز بلسكنو ، عدد ٢ / فبراير عام ١٩٧٤ م) .

تعليق : هكذا تكون نتيجة الانحراف عن متطلبات الفطرة السليمة ، فالإنسان ينساق وراء المفريات ، ويترامى في أحضان الشهوات ، ويتمسك بـ توجيهات الدين ومتطلباته ، ثم يصحو من سكرته ، ويفيق من غفوته ، ويدرك مغزى توجيهات الدين وأهمية المبادئ الخلقية وآثارها الطيبة . ومهما يكن فإن الإنسان الصالح قبل فوات الآوان محمود على عودته ، لأن هناك أشخاصا يتدرج بهم الشيطان إلى الدرك الأسفل ولا يتخلى عنهم إلا حيناً يدمر مغنوياتهم ويقضى على أجسامهم وأموالهم .

أما الرغبة في تبادل الحب والوفاء فقد أرشد إليه الإسلام في جميع توجيهاته الرشيدة التي تتعلق بعلاقة الزوج مع الزوجة ، وحذر من الإتيان بما يكدر على الزوجين صفو الحياة ، ويؤدي إلى توتر العلاقات . ولكن المؤسف أن التفكير الغربي المادي شك في هذه التوجيهات السامية ، ورأى فيها تقييدا للحرية وانتقاصا من المرأة . وقد دفعت العصبية العمياء ضد الإسلام إلى توجيه المطاعن إلى التشريعات الإسلامية الحكيمة ، والآل علبت التجارب ووصحت الأحداث أن الخطة السليمة هي خطة الإسلام التي رسمها لاتباعه ، وتعاليم الدين الحنيف هي التي تضمن السعادة والفوز في الدنيا والآخرة . إن الأحداث شهدت بذلك ولكن من يضمن للإنسان أنه يعود إلى الصراط السوي ، صراط الله العزيز الحميد ؟

+++++

خبر : في مديرية غونده بولاية أوتار براديش قرية اسمها (هتيا كره) وهي تتضمن عدة أحياء ، منها حي اسمه (ثوله بهرپروا) يسكن فيها العمال والفلاح . وفي يوم من الأيام جاء إلى الحي المذكور حارس من حراس وطلب من كل أسرة خمسة كلو من الحبوب ، ولما امتنع بعض السكان من إعطائه

مطلوبه تخاصم معهم ثم ذهب إلى الشرطة وشكى ضد سكان الحي ، لجاء اثنان من رجال البوليس وصربا رجلا وزوجته وابنه وأحرقا عريشهم . وبعد هذا الاعتداء الصارخ اعترض رجال الحي على البوليس وقبضوا على أحدهما ثم أرسلوا إلى نقطة الشرطة لتسجيل شكواهم .

وهنا جاء ضابط من البوليس مع مجموعة من رجال الشرطة إلى الحي ، وأكثروا من ضرب سكانه وتخويفهم وتذليلهم ، حتى قيل ان أحدا منهم قد لقي حتفه بعد هذا الاعتداء ، ولم يكفهم ذلك ، بل أحرقوا العرائش كلها ، ثم قبضوا على عشرين شخصا ، منهم زوجة الرجل المذكور ، وساقوهم إلى النقطة ، وهناك استمر ضربهم وإهانتهم إلى الصبح . وقد روت هذه الزوجة قصتها المبكية فقالت : إن رجال الشرطة قد جردوها من ثيابها وكذلك جردوا ابنه ثم أكرهوه على أن يجمع أمه ، ثم اضطروا المرأة لأن تمشي عارية ورافعة يديها إلى محطة السيارة ، ولكن عطف عليها أحد كبار القرية فأصر على ستر عورة المرأة ، وقد تم رفع هذه القرية إلى البرلمان و وعد المسئولون بالنظر فيها .
(جريدة قوى آوار بلكنو عدد ٢٤ سبتمبر ١٩٦٨ م)

تعليق : مضت مدة نحو عشرين سنة على هذا الخبر ، وقد يظل أحد أن الأحوال تكون قد تحسنت في هذه الفترة ، وبدأ الناس يعيشون حياة آمنة سعيدة . تمنى هذا ، ولكن الأمان لا يتحقق ، عشرات من الوقائع والاحداث كشفت عن تمادى الظالمين في الظلم ، وصورت الواقع الآليم المخزى الذى يعيشه الضعفاء والمضطهدون

ان الناس يتكلمون عى تقدم البلاد في مجال العلوم والتكنولوجيا والتجارة والصناعة ، وعن تحسن مستوى المعيشة وتوفير وسائل الراحة . وهذه الناحية ملبوسة ظاهرة لا ينكرها أحد ، ولكنها ناحية مادية لا تنفع في سد الفراغ

الروحي الذي تواجهه البلاد ، وحل الأزمة الأخلاقية التي وقع فيها الانسان المعاصر . ان التقدم المادى وتوفر وسائل الترف والدعة حين فساد الاخلاق وانتشار الاثرة والانانية وسيطرة النفعية والالتمارية وفشو الظلم والظلميان ، لا يساوى شيئا ولا يؤدي إلى عمران البلاد وسعادة السكان ، بل انه نذير شر وجالب خراب ودمار . ان نشوة السيطرة والسلطة تدفع الانسان إلى الظلم والعدوان ، ولكنه ينسى أن الأيام لا تدوم على حالة واحدة ، وأن هناك من يقدر عليه قدرة أنم وأوسع : إذا دعيتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك . ان الانسان دائما في حاجة إلى هذا التذكر والاعتبار .

والوحشية التي حكاهما الخبر تكشف عن نفسية الظالمين ، وتصور مدى بطش البوليس بالبائسين . ان الشرطة وطيعتها حماية الناس ومنع الظلم والامساد والقضاء على جرائم الاعتداء على الاعراض وضبط النفس وإلزام الصبر إذا أساء اليهم أحد في أمر ، وللمكن الموقف المخزي الذي وقفه رجال الشرطة في الحادث المذكور يعد دليلا صارحا على أن مثل هؤلاء الاشخاص لا يستحقون أن تسند إليهم مهمة وتسلم لهم مسئولية انهم لم يصلوا بعد إلى مستوى الانسانية ، فكيف يكفون بحماية اللسان وصون الاعراض وحفظ الاموال ، والمسئولية الكبرى بهذا الصدد تقع على الحكومة التي تعين مثل هؤلاء الوحشين وتتيح لهم فرصة التلعب بأموال الناس وأعراضهم ، ان الحكم أيا كان لا يدوم ، ولذا ينمى أن يعكر الظالمون في عواقب الظلم وآثار العدوان : (وأملى لهم ، إن كبدى متين) ٩ .



قضايا كتابة التاريخ الإسلامى وحاولها

للدكتور محمد ياسين مظهر الصديقي

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية

بجامعة علي كره الإسلامية بالهند

ترجمه من الأردية

الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهرى

وكيل الجامعة السلفية منارس

إن كتابة التاريخ الإسلامى أصعب وأعقد من كتابة التاريخ العام ،
وبالإضافة إلى ذلك أنه عمل مرهق للكاتب إذا كان مسلماً راسخ العقيدة والتدين .
فصلة الدين والعقيدة مرتبطة بتاريخ صدر الإسلام ، ولذا يتحتم على الكاتب أن
يسير بحذر بالغ في هذا المسار الشائك ، فلو انحرفت خطوته قليلاً أو وجدت
الزلة سبيلاً إلى لسانه أو قلبه لاحترق شعره وريشه بل صار من الخاسرين
في الدنيا والآخرة .

إن السنوات الأخيرة من ذلك العصر الميمون موضع حينا واعتقادنا
وعواطفنا ، ومع ذلك تتطلب منا مبادئ كتابة التاريخ الجديد وأصولها أن نبرز
التاريخ الصحيح للناس بصرف النظر عن الحب والمعاطفة .

وقد تناول العلامة شبلى النعماني أصول كتابة التاريخ الإسلامى وقواعدها لبحث والنقد بطريقة جيدة باللغة الأردية ، واليكم ملخصا لما كتبه بهذا الصدد :
 - يجب البحث عن الواقعة أولا فى القرآن الكريم ، ثم فى الأحاديث الصحيحة ، ثم فى الأحاديث العامة ، فان لم توجد فيها ينبغى الاتجاه إلى روايات السيرة .

- ٢ - تحتاج كتب السيرة إلى التنقيح ، ومروياتها وأسانيدها يلزم نقدها
- ٣ - مرويات السيرة أقل منزلة فى الصحة من مرويات الحديث ، ولذا يجب ترجيح مرويات الحديث عند الاختلاف دائما .
- ٤ - واذا اختلفت مرويات الحديث فيما بينها ينبغى ترجيح أحاديث الرواة الفقهاء على غيرهم .
- ٥ - يجب البحث عن ترابط العلة والمعلول فى وقائع السيرة .
- ٦ - ينبغى أن يكون مستوى الشهادة بالنظر إلى طبيعة الواقعة ونوعيتها .
- ٧ - ينبغى أن تتبين فى الرواية أصل الواقعة وما تضمنته من رأى الراوى وفهمه .

- ٨ - ما هو تأثير الأسباب الخارجية فى الرواية ؟
- ٩ - لا تقوم الحجة بالرواية التى تعارض وحوى العقل العامة والمشاهدة العامة والأصول المسلم بها وقرائن الأحوال .
- ١٠ - ينبغى التأكد من عدم خطأ الراوى فى تأدية المعنى ، وذلك بالجمع بين الروايات المختلفة والتوفيق بينها .

- ١١ - ينبغى قبول أخبار الآحاد بالنظر إلى أهمية الموضوع ومطابقة قرائن الأحوال^(١) .

والشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادي رحمه الله أيضا قد حور عدة أصول
لكتابة التاريخ الإسلامي ، وهي تبدو صدى لأصول العلامة شبلي رحمه الله
وقواعده . والشيخ الأكبر آبادي قد أطال البحث عن التاريخ الإسلامي وتطور
كتابة التاريخ ، ثم حدد أربعة أصول مهمة

« أولها : أن الواقعة إذا ذكرت في حديث صحيح لزم ترجيعه على الرواية
التي أوردتها كتاب في التاريخ ،

« وثانيها أن رواية تاريخية إذا عارضت الصورة التي تتحدد لشخصية
الرسول ﷺ وشخصيات الصحابة وخاصة العشرة المبشرة والخلفاء
الراشدين منهم في ضوء القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ، فإنها
لن تقبل .

« وإذا كانت هناك روايتان لواقعة خاصة بشخص ، وكان راوي إحدى
الروايتين من الطبقة المعارضة لصاحب الواقعة ، وراوي الرواية الأخرى لا يكون
من الطبقة المعارضة أو يكون محايدا أو من مؤيديه ، لزم ترجيح رواية الراوي
الآخر على رواية الأول .

« وهناك دور كبير في صحة الرواية وسقمها ومبدأها ومنتهأها وهيئتها
التركيبية للبيئة التي نشأت فيها ، فمما كان الراوي ثقة يعتمد عليه لم تسلم روايته
من تأثير البيئة .

« ومن هنا تحب مراعاة هذه الأمور كلها عند كتابة التاريخ ، حسب رأى
الشيخ الأكبر آبادي رحمه الله^(٢) .

« وهذه الأصول والقواعد قد استنبطها العالمان المذكوران من دراستهما
للتاريخ وفهمهما له .

وهذه الأصول مع كونها في غاية الأهمية لا تفي بمتطلبات كتابة التاريخ الجديد . ومثلها تتعلق في الحقيقة بتعدد روايات المصادر الإسلامية وتحليلها - تنقيحها .

فمبدأ الترحيح الذي تضمنه الأصل الأول من أصول العلامة شبلي بن يحطى بالقبول لدى المؤرخين المعاصرين ، فن الأصول المسلم بها في كتابة التاريخ الجديد أن تكون الاحاطة شاملة بالمادة التاريخية التي يجرى البحث عنها ، لا أن يخضع استخدام هذه المادة للتقسيم والترحيح فمع وجود الواقعة في القرآن الكريم والاحاديث الصحيحة لا ينبغي صرف النظر عن رواية كتب السيرة والتاريخ سواء كانت موافقة لتلك الواقعة أو معارضة فإن البحث عن جميع الروايات وجمعها هو الأصل الأول من أصول كتابة التاريخ الجديد^(٣).

ولكن كتاب التاريخ الإسلامي المعاصرين يتجاهلون عامة هذا الأصل ، وكثير منهم يعتمدون على جزء من المادة التاريخية فيكتبون التاريخ كله أو السيرة كلها ، معتمدين على ذلك الجزء فقط ، ومثل هذا التاريخ لا يعد ناقصا . نتجارا لحسب ، بل يكون في الأغلب مضللا ومشوها أيضا .

وبعد الاحاطة بالمادة التاريخية والبحث الشامل تأتي مرحلة انتقاء المادة ، وهي أهم من البحث عن المادة . ولا بد من مراعاة أمرين مهمين في هذه المرحلة

أن جميع مصادرنا ومراجعنا تكون لها مبول خاصة ومرجحات تاريخية ، وهي تكون آثارا للجنة المؤرخين الاجتماعية والعلمية . وقد أبدى الشيخ الأكبر آبادي في أصله الأخير رأيا صحيحا جدا اد صرح بأن المؤرخين والمؤلفين يفسرون الوقائع والاحداث في عامة الاحوال تفسيراً انحيازياً بسبب أفكارهم المذهبية

وتحفظهم العكرى وعصيتهم الطائفية وآثارهم الحضارية^(٤) زد على ذلك أن المؤرخين الجدد تكون لهم ميولهم العكرية وعصبيتهم الطائفية التي تؤدي إلى تجاهل الحقائق أو تمويهها بحيث لا يستطيع القارئ الوصول إلى ماهيتها وحقيقتها. ومن ثم يصبح المبدأ الموضوعي لكتابة التاريخ الجديد صحة لها في الأغلب .

وهناك خطأ شائع في فهم المبدأ الموضوعي هذا ، وذلك أن الرأي السائد هو أن يتخلى المؤرخ أو كاتب السيرة تماماً عن عواطفه وميوله وآثار بيئته وعوائده العلية والفكرية مع أن معناه الصحيح — كما فهمته أنا — أن لا يبيت المؤرخ أو مؤلف السيرة رأياً ، من ذى قبل ، ولا يعد خطة مدروسة ولا يتحد بطريقة أو قاعدة ، بل يؤلف التاريخ أو السيرة بعد سبر المادة المتوفرة كلها ، ويعرض الصورة التي تتحدد على أساس المادة التاريخية دون زيادة ونقص بعد اعمال أصول الانتخاب وقواعد الترجيح ، على أن لا يسمح لرصاء وكرمه بالتدخل في هذا العرص بطريقة غير معقولة وغير تاريخية .

إن أصول الموضوعية هي التي تتطلب أن يقوم مؤلف السيرة والتاريخ بتحليل الوقائع والعوامل التاريخية ونقدتها بعد جمع الروايات وانتخاب المادة وتنقيحها . وعدم الاطلاع على العوامل التاريخية والجهل بطريقة نقدتها للصحيح يحولان دون رؤية الوقائع والأحوال في تناظرها السليم ودون عرضها للآخرين ، فالظاهر أن الفحص والتحليل اللاحقين ينعمان من استنباط النتائج الصحيحة من الروايات .

والاعتماد التام على المادة الناقصة ، والآراء المبيتة من ذى قبل ، واختيار الروايات المرضية وتجنب الروايات غير المرضية ، والفحص والتحليل الناقصان ... كل ذلك يجعل كنانة التاريخ ناقصاً غير محايد ، وكذلك يشكل انجاء النعيم والاستعانة ببناء على هذه الروايات خطورة جسمية ، بل يشبه السم النافع لكتابة

لتاريخ الصحيحة .

ومن قضايا التاريخ الاسلامى المهمة الاعتماد الاسمى على التعليقات العامة والأحكام الحاسمة التى تصدر من ثقات الرواة والمؤرخين وعلماء الجرح والتعديل^(٥) فكما أن مسئولية المؤرخ والمترجم ليست مجرد سرد الوقائع والأحداث بل محاولة التصوير الدقيق الحى للعصر الذى يؤرخه أو الشخصية التى يترجم لها ، وكذلك ليس من وظيفته إصدار الأحكام فى الوقائع والشخصيات . ان مسئولية المؤرخ كتابة الوقائع وتحليلها ، لا إصدار الفتاوى ، ولكن المؤرخين الاسلاميين سرعان ما يحملون ميراث العدل و يصورون أحكام الخطأ والصواب فى عامة الأحوال ، مع أب الافتاء وإصدار الأحكام من وظائف أهل العلم والافتاء ، وليست له علاقة «التاريخ»^(٦)

هذه هى القضايا المهمة لكتابة التاريخ الاسلامى ، وهى على أحاول توضيحها بالإيجاز ، فان التفصيل ليس مكانه الآن هنا

وأهم قضايا كتابة التاريخ الاسلامى هى قضية المواد والمصادر ، والأولية فيها للبحث والتنقيب ولعل أحدا لا يحول الحقيقة البديهية التى توجب على المؤرخ أن يبحث أولا عن جميع المواد التى تتعلق بموضوعه . ولكن المشاهد أن أكثر المؤرخين ومترجمي السير يكتفون بالمصادر التاريخية لغسب ، بل ببعض منها فقط^(٧) مع أن اللارم أن يجمع جميع المواد المتوفرة فى المصادر التاريخية ، ثم يستفيد على وجه التمام بالمصادر الأخرى أيضا التى ليست تاريخية ولكنها تضمنت كثيرا من المواد التاريخية . وبهذا الصدد يطالع القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث والمصادر الفقهية ومؤلفات السير والتراجم والأنساب والشعر والأدب والفن وما شابه ذلك ، ثم يستقى منها ويستفيد . فبعد المصادر

كتابة التاريخ

الأولية الأصلية يجب الانتفاع بالمصادر الثانوية ، حتى يتمكن من الاستفادة بابتكارات القدماء ودراساتهم ونظرياتهم في دراسته التي هو بصددتها^(٨).

وبعد الحصول على المواد المتوفرة ومطالعتها والاستفادة منها تأتي مرحلة اختيار المواد وتنقيحها . ومن الظاهر أن جميع المواد الحاصلة لا يمكن تكديسها في دراسة تحقيقية أو قطعة فنية ، فإن ذلك يعنى التكرار أو الاطباب مع ترتيب غير ملائم ، ولذا يجب أن يجمع المؤرخ جميع الروايات والأخبار الخاصة بالموضوع سواء كانت مرضية أو غير مرضية ، ثم يقوم بالترجيح بينها على أساس الصحة والسقم والقوى والضعف والنقطة وغير الثقة والمعتبر والموضوع ، فإذا كان مهتماً بمطابقا لميزان الرواية والدراية قبله ، وما لم يكن كذلك رده . ولكن لا يصح أن يختار المؤرخ موقفاً ذاتاً اتجاه واحد في هذا الرد والقبول والأخذ والاكتساب والبحث والتنقيب ، بل يلزمه أن يبين النوعين من الروايات ، أى يبقى دراسته على الروايات الموثوق بها ، ويذهب على رده للروايات السقيمة الضعيفة غير الموثوق بها ، أو يشير إليها على الأقل ، وإلا كانت أماته موضع شك ، ومنهجه الموضوعى غير معتمد عليه ، وحياده مورد شبهة^(٩).

وبعد البحث عن المواد وتنقيحها واختيارها تأتي مرحلة نقدتها وتحليلها ، فإن المؤلف أو المترجم إذا لم يقدّم بتحليل الوقائع والحقائق في تناظرها التاريخي الصحيح فإنه مقصر في أداء مسئوليته . ويلزمه في هذا الباب أن يبحث عن تأثير العوامل التاريخية ، وأن يحلل الوقائع بعد الاجتناب من إصدار الفتوى والابتعاد عن التعميم والاستعظام ، ثم يعرض الصورة الحاصلة دون نقص وزيادة . وفيما يلي بعض النماذج البارزة لمواقف مؤرخي الإسلاميين من الأصول المذكورة ، حتى يتحول المبحث الجاف للأصول والقواعد إلى الطراوة والخصوبة .

قد تم إلى الآن تأليف ألوف من الكتب بلغات العالم المختلفة حول سيرة النبوة وتاريخ صدر الإسلام ، وكما قال مارجليوث إن هذه السلسلة لذهيية لكتابة السيرة لن تقطع أبدا^(١٠). والمؤرخون الذين تكلموا حول احية من نواحي صدر الإسلام أو السيرة النبوية لا تشتكى منهم كثيرا، لأن كلا من وجهة نظرهم وهدف قلمهم ومجال فكرهم محدد ومقصود، ولكن الكتاب لدين جعلوا السيرة النبوية وتاريخ صدر الإسلام مجالا لجهودهم الكتابية، فان كثيرا منهم قد أصابهم الافراط أو التفريط، وقد رأينا أن أغلب مؤلفي السيرة يؤلفون السيرة بأسرها على أساس مصدر أو مصدرين أو عدة مصادر من المصادر الابتدائية، ومثال ذلك أن كتاب (حياة محمد) للدكتور محمد حسين هيكل باللغة العربية مبني على دراسة ناقصة غير ناصجة للواد، ان هيكل استفاد كثيرا من سيرة ابن هشام، وسدا للمراغ قام بالترقيق من ابن سعد والطبري في بعض المواضع، وقد أخذ بعض المباحث بعضها من مصادر ثانوية وخاصة من مؤلفات درمجم ووليم ميور وغيرهما، دون الرجوع إلى المصادر الأصلية^(١١)

وفي اللغة الأردية يمثل نفس منهج الافراط والتفريط كتاب سيرة المصطفى للشيخ إدريس الكاندهلوي^(١٢)، وأصح السير للشيخ هبدي الرؤف السدانافوري وغيرهما من الكتب^(١٣). ويدخل في نفس الحكم كتاب السيرة النبوية للشيخ أبو الحسن علي الندوي، وترجمته باللغة الأردية باسم (نبي الرحمة) .

ومعظم كتب السيرة باللغة الإنجليزية، مثل كتاب واشنتون امرونج، ودرمنجم، وأطهر حسين ومحمد علي وغيرهم، نبنى كذلك على دراسة ناقصة . لمواد السيرة واستفادة مبتورة^(١٤). وهذه القائمة طويلة جدا، ولكن هناك

كتب أخرى في السيرة تم تأليفها على أساس الاستفادة من جميع المواد المتوفرة التي تيسرت في زمن مؤلفيها ومن الكتب التي تمثل هذا القسم كتاب سيرة النبي للعلامة شبلى النعماني، وحياة محمد للأستاذ مارجليوث، وللأستاذ وليم ميور، ومحمد للأستاذ ميكسم رودنسان، ومحمد في مكة، ومحمد في المدينة للأستاذ مونتجمري وات^(١٥).

فهذه المؤلفات لا نستطيع على الأقل أن نحكم عليها بأن مؤلفيها قد تجاهلوا مصدرا من المصادر أو مرجعا من المراجع نعم ان المستشرقين المذكورين لم يراعوا أصول اختيار المواد وتحليلها، وبذلك صار تعبيرهم خطأ، وتصويرهم ناقصا، واستنابهم محازا.

ان الكتب التي يتم تأليفها إلى الآن حول التاريخ الاسلامي العالم يستقي في أغلبها من كثير من المصادر ضمن تأريخ الدور الأول من الخلافة الراشدة وهو عصر الشيخين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، ولكن لا نعرف لماذا يتغير موقف المؤلفين والمؤرخين وخاصة المسلمين منهم في العصر الذي يليه، فانهم حينما يؤرخون عصر عثمان وعلى رضى الله عنهما يشغلون بالحروب الاهلية، والخلافات القائمة فيما بينهم ووقائع الثورات والفوضى السياسية عن الحقائق الأخرى والنواحي التاريخية ان كتابة التاريخ هذا الاتجاه المنحاز ناشئة عن توخي السهولة وإثارتها وأحد أسبابه في الأغلب أن عامة المصادر التاريخية تتضمن كثيرا من المواد حول النواحي المظلمة، حينما يصعب البحث عن النواحي المشرقة صعبة ما، وهؤلاء المؤرخون لا يجدون له استعدادا في نفوسهم.

والسبب الآخر هو انعدام الشعور التاريخي والتربية الفنية، فانه يجهلون المصادر التاريخية الأخرى سوى المصادر العامة.

ونرى صورة أسوأ مما سبق لدى تاريخ الخلافة الاموية ولست هنا بصدد المبحث عن الكتابة حول سير خلفاء بني أمية والشخصيات البارزة في ذلك العصر، وعن أسلوب هذه الكتابة ومنهجها، فان ذلك قضية أخرى.

ولكن فيما يخص المواد فاني أقول دون خوف الرد والملام: إن الجهود لا تتبدل للحصول على المواد الكاملة، وإلا هناك ما يسد الغلل ويشفي الغلة. وسوق هنا بعض الأمثلة للاعتبار والاعتاظ.

إن كتاب سيرة الصديق للشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادي، وكتاب الفاروق للعلامة شلي النعماني باللغة الأردنية منيان على المواد النامية المتوفرة في عصر مؤلفيهما^(١٦). ولم يظهر إلى الآن بالعربية والانجليزية ما يساويهما في المنزلة. أما تاريخ الخلفتين الثالث والرابع فلم يتم إلى الآن تأليف سيرة صحيحة لهما أو تاريخ كامل لعصرهما. إن كتاب عثمان دو النورين للشيخ الأكبر آبادي مجهود طيب ناجح حول سيرة الخليفة الثالث وتاريخ عصره، وهو يحتوي على أغلب المواد المتوفرة، ولكن هناك كثير من المواد بقيت بعيدة عن متناول يد الشيخ^(١٧).

أما الكتب التي تم تأليفها إلى الآن حول سيرة علي فانها تحتوي على مدحه أو الدفاع عنه وهي - في النوعين - لا تشهد لمؤلفيها بالاحاطة بالمواد الكاملة^(١٨).

وقد اعتمد على المواد الناقصة و أيام ميور، وفيل حق، وجرجي زيدان وغيرهم من المستشرقين، وطه حسين، وأبو نصر عمر، واطهر حسين، وأمير علي، والشاه معين الدين أحمد الندوي وغيرهم من المسلمين^(١٩). ويظهر النقص لدى معظمهم في اختيار المواد وتحليلها، فانهم في عامة الاحوال يكتبون بدافع من

أفكارهم المذهبية وعصبياتهم الطائفية وتحفظهم الفكري، ومن هذا لا يتق مخرج كتابهم موضوعيا.

وكتاب الشيخ المودودي (الخلافة والملاوكة) يتناول بالبحث نظاما سياسيا مهما في الاسلام هو الخلافة من ناحية تطورها وتغيرها وانحطاطها، ولكنه هو الآخر يشتكي من اعتماد المؤلف على المواد الناقصة المناهضة^(٢٠) فيرى الشيخ المودودي أن الخلافة الاسلامية تحولت إلى ملاوكة دنيوية بداية من النصف الثاني لعهد عثمان رضى الله عنه^(٢١).

ولكن وجهة نظر الشيخ المودودي هذه تشبه تلوين التصميم الذى سبق اعداده من قبل بالالوان المختارة والاستدلال للراى المبيت عنده من الاول. ثم انه قد جمع جميع الروايات والاخبار التى تعبر عن وجهة نظره وتؤيد نظريته، وصرف النظر عن الروايات والاخبار والوقائع والحقائق التى تعارض فكرته، ومثال ذلك أن الروايات التى أوردتها في مروان بن حكم الاموى والوليد بن عقبة الاموى وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري من حمال عثمان لا تعرض ناحية واحدة لحسب، بل منبئة على معلومات ناقصة^(٢٢). وأدى ذلك، إلى أن الصورة التى تجلست للمؤلف والقارى كانت ناقصة ومشوهة، وهكذا فكتب (الخلافة والملاوكة) لا يبق بالاصول الثلاثة الخاصة بالمواد، وهى: البحث عن المواد الكاملة وحملها، ثم تفيحها وتهذيبها، ثم تحليلها وتجزئتها، بل يبدو مثلا بارزا لكتابة التاريخ تحت نظرية مبينة منذى قبل.

وهكذا حال أغلب المؤرخين في أمر تاريخ المصريين: الاموى والعباسى وجميع خلفائهما، فانهم لا يبحثون عن جميع المواد المتوفرة ولا يجسسون اختيار هذه المواد المجموعة، ولا يقومون بنقدتها الصحيح وتحليلها الموضوعى، وبالمثلة

يطول الكلام كثيرا ، ولذا أصرف النظر عن الذكر المولم للمؤرخين والمؤلفين الناقصين ، وأكتفى بالإحالة إلى بعض المؤرخين الكاملين حتى يتضح ما نحن فيه .
 أن كتاب (المملكة العربية وسقوطها) للأستاذ ولها وزن ، وكتاب (مروان بن محمد والجزيرة والإسلام) للأستاذ دينيل مـي دينيت ، وكتاب (الخلافة الأموية) للأستاذ ١٠١ ديكسون ، وكتابي (الخلافة العباسية ، والثورة العباسية) للأستاذ فاروق عمر من الكتب الجيدة الناجحة^(٢٣) قد يمكن الاختلاف حول بعض التعبير والشرح لمؤلفي المؤلفين ، ولكن لا يتسنى أن نوجه إليهم تهمة الإغفال عن أصول كتابة التاريخ وإمهاها .

ان كتاب (الغزالي ، والمأمون) للشيخ شبلي ، وكتاب (الخيام) للسيد سليمان الندوى^(٢٤) ، وكتب بعض المؤلفين الآخرين من الكتب الناجحة في باب الاطلاع على المواد وتنقيحها وتحليلها ، نعم يمكن أن تكون عليها بعض المآخذ ، ولكنها على الأقل محاوله تاريخية جيدة لعصرها من ناحية المراعاة الأصول الخاصة بالمواد .

وفي كتابة التاريخ الاسلامي وقع صرف النظر عن تأثير العناصر والعوامل التاريخية في الأكثر أو إلى حد كبير ، وخاصة المؤرخون الشرقيون عندنا لا يولون هذه العوامل أية أهمية بتعمد أو غيره . ان كل طالب جاد من طلاب التاريخ والأدب يعلم جيدا أن الآثار الوراثية وخلفية الأسرة والبيئة المجاورة وتطورات الأحوال والأزمات والأسباب المحسوسة وغير المحسوسة للوقائع والأحداث والآثار الإيجابية والسلبية للشخصيات والإبطال والسنن الكونية بل كثير من الأشياء غير المرئية التي تسير في الفضاء والنظريات والأخيلة لها جميعا دور وتأثير في بناء المجتمع وانهدامه . ومن هنا لا يتأتى إنكار هذه العناصر

التاريخية وتجاهل تأثيرها في حال من الأحوال ، ولكن مأساة كتابة التاريخ الاسلامى الكبيرة وخاصة في الشرق أن صرف النظر عن تأثير هذه العناصر والعوامل التاريخية لا يزال باقيا إلى الآن .

ومن الصعب القول بأن هذا النقص ناشى عن انعدام الشعور الفنى والتاريخى ، أو سبب التفكير المتمسك بالتقليد والعادات . ولكن الحقيقة الرهيبة أن هذا النقص الفنى قد أدى إلى تشويه التاريخ وكثير من الشخصيات الاسلامية التى كانت قد بلغت منزلة عالية بسبب كفاءتها ، وتسبب للعلم فيها ، والمأساة الكبرى الاعتراز باطلاق اسم التاريخ الاسلامى على تلك المواد التاريخية المشوهة إلى الآن ، ويتخذ موقف الاستغناء والمرار على الأقل ، أو موقف التنفر والتبرى في الأغلب ، من تاريخ الاسلام الابتدائى وشخصياته الجليلة التى حازت البطولة القومية والاسلامية من جميع النواحي . ان موضوع السيرة النبوية أو تاريخ العصر النبوى قد حظى بالكثافة أكثر من أى فن في العالم ، ولكن الكتب التى روعى فيها تأثير العناصر والعوامل التاريخية تعد بالأصابع .

ان مجرد ذكر الحالة السيئة للعرب قبل الاسلام ، وشرح الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والدينية المتغيرة المنحطة ، وسرد الاصلاح الاجتماعى الذى تحقق على يد الرسول ﷺ وأعماله البنائية التى قام بها أو توجيه المدح والثناء إليه ، لا يرفع في تأدية مسئولية كتابة السيرة ، ولا يلبى متطلبات كتابة التاريخ الاسلامى وفى كثير من السير يقع الموضوعان متعصلين بحيث يتعذر الارتباط بينهما .

ونحن كمسلمين نؤمن ونعتقد بأن كل شئ في هذا الكون يقع بإرادة الله تعالى ، ولكن مشيئة الله تعالى لا تظهر دون ستر وحجاب في عالم الأسباب والعلل ، بل تتجلى في صورة العناصر التاريخية والأسباب الكونية والعوامل

بشرية ، ومن هنا يجب تحليل العوامل والعناصر التاريخية التي عملت وأثرت في الحركة الإسلامية والدعوة الدينية وبناء المجتمع والأمة وقيام الدولة والرئاسة في العهد النبوي ، حتى تتمكن من تحليل ذلك العصر في التناظر التاريخي السليم . ويلزم أن يختار المؤرخ الإسلامي نفس هذا المنهج بخصوص الأدوار الثلاثة لخلافة الإسلامية .

ويلزم أن يتم هكذا التحليل الحر في نطاق الشئون السياسية مثل أسباب لردة والخروج ونطاقها وأسبابها ، وفتوح العرب والعجم ، وتوسيع الخلافة الإسلامية ، وتنظيم الحكومة والرئاسة ، ونشر الثقافة وتعميمها وما إلى ذلك من الأحوال والشئون ثم ينبغي كذلك عرض اختلاط العرب والعجم في المجتمع الإسلامي وآثاره ، وبناء المجتمع الإسلامي في مختلف البلدان والمناطق ، وحتى يتم فهم ذلك العهد على وجه التمام يلزم كذلك في المجال الاقتصادي البحث عن وجود الثروة وتوفرها وتداولها بين الناس وارتكازها ، والصراع بين الطبقات لاقصادية وعلاقتها فيما بينها ، ويحسن أن نعرض هنا بعض الأمثلة التي توضح مبحث الأصول السابق الجاف توضيحاً بمنما .

يرد ذكر الغزوات والسرايا عامة بصدد قيام الدولة الإسلامية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ، ولكن يحصل التقصير عامة في تحليل العناصر التاريخية التي عملت وراها . ان المؤرخين المسلمين الشرقيين يركزون أكثر من اللازم ، أحببنا في غير موضع ، على الأسباب والعلل الروحية ، صارفين أفتادهم عن تأثير الأسباب المادية ، حينما يفعل المستشرقون عن الأسباب والعوامل الروحية والخلفية ، ويجعلون الأسباب المادية فقط مؤثرة ويرونها تعمل وبحددها جميع المشكلات ، وهذا لا اتجاهان كلاهما موزجان للافراط والنفريط^(٢٠) ، وللإصل المنهج الأسباب الروحية والعوامل المادية جميعاً أثرت جنباً إلى جنب ، وتأثيرها

مما قامت الدولة الاسلامية أولا في شبه الجزيرة العربية ثم في العالم الخارجى عنها . وقد أدرك هذه الحقيقة الأستاذ موتجمرى وات والأستاذ فرانسيسكو جبريلي (Francisco Gabrieli) من المستشرقين ، والعلامة شبلى والأستاذ شعبان وأمثالهما من المسلمين ، وحاولوا تحليل النوعين من العوامل (٢٦) .

ان بحوث المستشرقين كلها حول الردة والخروج تشكو عامة من تفریطهم وجهلهم للأسباب الروحية . وهكذا نرى لدى المؤرخين المسلمين في تناولهم للفتوح الاسلامية رفض الأسباب المادية ، وعلى كل فالأصل أن التحليل الصحيح لتلك الحقائق التاريخية لا يتأتى دون التحليل الصحيح للنوعين من الأسباب والعلل ، ومسئولية الكتابة السليمة للتاريخ لا تتم إلا حينما نقوم بالدراسة الموضوعية للعناصر والعوامل معا .

توجه إلى الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه بصفة عامة تهمة إظهار الأقرباء بأنه أعطى - حسب الروايات المشتهرة - ذوى قرباء المناصب الادارية العليا وحرّم السابقين الاولين ، وهنا يلزم المؤرخ أن يبحث عن حقيقة هذه التهمة كي يعرف عدد جميع عماله وعدد أقربائه منهم ، ثم يميز بين من عينه عثمان بنفسه وبين من عينه من سبقه من الخلفيتين ، وما إذا كان تعيينهم حسب الكفاءة والاهلية أو بناء على القرابة ؟ ثم كيف كان عمل هؤلاء العمال وما مدى نفهم أو ضررهم بالنسبة للدولة والحكومة ؟ فبدون الاطلاع على إجابات هذه الأسئلة وبالأستناد إلى المضمون العام للروايات يكون توجيه التهمة المذكورة وقبولها مخافيا لأمانة المؤرخ ونزاهته .

لذا عرضنا تحليلنا يدلنا على أن خمسة عمال فقط من بين العمال الاربعين المذكورين كانوا من أقرباء عثمان ، واثنان منهم فقط كان قد عينهما عثمان ، والبقية

كانوا معينين على مناصبهم من الخليفين السابقين ، وكان أحدهم ، وهو الوليد بن عقبة الأموي ، مستمرا في منصبه منذ عهد أبي بكر ، إلا ان عثمان فقله من إمارة الجزيرة إلى إمارة الكوفة ، وقد أحدث مورخونا الجدد على هذا ضجة كبيرة على سبيل العموم ، على أن تعليق المؤرخ الطبرى على ذلك له معناه يقول : كان العامة من مؤيديه ، والخاصة والأشراف من معارضيهِ . ثم الطبرى نفسه كشف عن المؤامرة ضده التي اتهم فيها الوليد بشرب الخمر وتم عزله بهذا المسبب^(٢٧).

ويقال بعد الاستنباط من الروايات عن أحد عمال عثمان ، وهو عبد الله بن سعد بن أبي السرح ، أن تعيينه بعد عزل عمرو بن العاص السهمي عن إمارة مصر كان نتيجة لإشارة ذوى القربى ، وأن الزيادة في خراج مصر إلى عشرة أضعاف كانت ناشئة بسبب ظلم عبد الله وجوره واستغلاله^(٢٨). على أن الدراسات الحديثة المبنية على الوثائق البردية المعاصرة قد أثبتت أن سبب الزيادة المذكورة يرجع إلى حسن إدارته وتنظيمه لا إلى ظلمه وجوره . والأصل أن عبد الله كان قد أنشأ رابطة مباشرة بينه وبين الفلاحين ودافعى الخراج بعد القضاء على وساطة الإقطاعيين المستغلين ، وبعد هذه الخطوة صار مال الحكومة الذى يأخذه الإقطاعيون الكفار ظلما ، يتحول إلى خزينة الدولة^(٢٩).

إن المؤرخين لم يقرموا بتحليل سليم لتعيين عمال عثمان ، وإلا أدركوا أن سياسته لم تختلف شيئا عن سياسة عمر الفاروق . ان تعيين جميع العمال أو ابقاؤهم على مناصبهم كان على أساس الكفاءة والاهلية ، حتى ان المؤرخين الجدد أيضا لا يستطيعون انكار ذلك^(٣٠). ومن ورع الخليفة الثالث وحزمه أنه رفض إعطاء المنصب ابنته من زوجته لأنه لم ير فيه كفاءة^(٣١). ومنع أحد

أقربائه من الخلو به لكونه متبها^(٣٢).

كثير القيل والقال في عثمان ، ويتم تكرار المطاعن ضده عامة ، ولكن يغفل عامة ذكر الروايات الإيجابية التي تناول سلوكه وعمله وسياسته . ونسوق بهذا الصدد شهادة أخرى وهي شهادة الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . انه قال للناس مرة :

والله لم يفعل عثمان إلا ما فعله عمر ، ولكنكم سكتم عن عمر خوفا من درته ، وكان عثمان لنا قتلتموه .

ويمكن إيراد مئات الأمثلة من هذا النوع من مختلف عصور الخلافة الإسلامية ، وهي تدل بالقطع على تعسف المؤرخين في اختيار المواد ، وانحيازهم في الكتابة ، وتمصبهم في تدوين الروايات .

وبعد لخص المصادر والمراجع وجمع الروايات واختيار المواد يلزم المؤرخ أيضا أن يبحث عن التحفظ الفكري والمبول القبلية والاتجاهات الفكرية للرواة والأخباريين ، ثم يقبل رواياتهم بعد حذف عنصر هذا التحفظ والتعصب ، وبعد التثبت والتعمق ، وإلا لم تكن كتابته للتاريخ أمينة ، ووجهة نظره موضوعية . وكما نعلم جميعا أن جميع مصادر التاريخ الإسلامي المتوفرة من إنتاج العهد العباسي ، وأغلب كتيبتها تكونت في ثلاثة أمصار عراقية كبيرة ومراكز العلم الإسلامية ، وهي الكوفة والبصرة وبغداد ، وما أن هذه المراكز كانت ملجأ للحركات والاتجاهات المعادية للآمويين ، ثم تم فيما بعد قيام الخلافة العباسية ونهضتها على أساس معارضة الخلافة الأموية ومعاداتها والتفرغ منها ، اتجه المؤرخون والرواة والأخباريون في العهد العباسي إلى إثبات الاتجاهات والأفكار المعادية للآمويين في رواياتهم وأخبارهم ، بل درسوا الخلافة الأموية بأسرها بهذا الاتجاه المعادي^(٣٤).

إن الخلفاء العباسيين وشركائهم في السياسة من الشيعة والخوارج بل جميع العناصر المعادية للامويين جعلوا الخلافة الأموية غير إسلامية ومعلومة للسنة النبوية ، وذلك بناء على مصالحهم السياسية ، وتبريراً لخروجهم وثورتهم على تلك الخلافة. ومن تعسف التاريخ اثباته أن الخلافة العباسية كانت أبعد عن الإسلام والسنة النبوية بالنسبة للخلافة الأموية وعلى كل حال نشطت العناصر المعادية للامويين في نشر أفكارهم وآرائهم بطريقة قوية حملت الاجيال القادمة على زعم أن الخلافة الأموية كانت في الحقيقة غير إسلامية ، وأن الابطال-الامويين كانوا رجال الدنيا تماماً وبصيدين عن الإسلام.

كان أبو مخنف وسيف بن عمرو السدي من الرواة الأولين فرائس العصبية القبلية ، والذين عاصروا من الرواة وأشاعهم من أمثال هيثم بن عدي والمدائني والكلبي وابن الكلبي والسري وعمرو بن شتبه وغيرهم لم يكونوا همزلاً عن العصبية القبلية والتحفط العكري والاتجاهات المعادية للامويين^(٣٥). كان جو معارضة الامويين شديداً جداً ، لحيما قال عوانة بن الحكم والبلاذري. وأمثالهما من المؤرخين كلمة خير عن الامويين وجهت إليهم تهمة اختلاق الروايات الموالية للامويين ، مع أن أكثر رواياتهم تحمل الاتجاهات التاريخية لمصرها وتمثل عن نظرياته الفكرية^(٣٦). ثم من الجور الطريف أن الاخباريين والمصادر التي استقى منها هؤلاء الرواة كان أغلبهم من أصحاب الاعجاب الشيعة وحاملو نظرية الخوارج. فن الظاهر أنهم ذكروا كثيراً من الروايات المعارضة للامويين أو ركزوا حول الروايات التي تتعلق بالجوانب المظلمة.

ومن الحقائق التي صارت مسلماً بها أن الشيعة والخوارج لم يكونوا أعداء خلفاء الإسلام بحسب ، بل أعداء المجتمع الاسلامي كله ، وكان عداوة الاسلام والتمصب صده قد سرى إلى كلامهم ورواياتهم على وجه التمام ، زد على ذلك

ما تسرب إلى الروايات التاريخية الأصلية والأخبار من القصص والحكايات المبتذلة والسوقية لأهل القصة والحكاية ، مع أنها لم تتعلق مع الحقيقة بنوع ما^(٣٧). وفي مثل هذه الطبقات كان الانتشار والقبول للقصص والأخبار المختلفة المكذوبة فقط ، واننا لم نأسف على أن هؤلاء القصاص والمختلقين نشروا الروايات المكذوبة وأدخلوها في التاريخ ، بل أسفنا على أن المؤرخين المسلمين قبلوا بهم هؤلاء المختلقين والمفترين قبولاً أعمى ، وحملوها عملة مقبولة وبضاعة صالحة كأنها روايات موثوق بها ، وعلى كل حال يلزم المؤرخين الإسلاميين أن يكونوا على تنبه تام من هذه الروايات ومن التحفظ الفكري لرواياتهم المذهبية والقبلية واتجاهاتهم الاقليمية ، فبدون أن يبعدوا التنبه عن الحجة والقشرة عن اللب لا يتيسر لهم الوصول إلى أصل الروايات التاريخية الصحيحة ، ولا كتابة التاريخ الاسلامي الصحيح .

ويرتبط بهذا أمر عسير آخر ، وهو « اقليمية المصادر الاسلامية » ، أي الانحياز والتحيز لمنطقة دون أخرى أو لاقليم دون آخر . وكما سبق أن ذكرنا أن جميع مصادرنا المتوفرة اليوم قد تمت كتابتها في ثلاث مدن عراقية تقريباً ، أو تخرجت ونضجت موادها فيها ، ومن هنا صارت العراق وأمصارها وديارها وحدها محورا ومركزا لهذه المصادر ، وانما لم تلتفت بعد ذلك إلى مراكز الاسلام الأخرى مثل مكة والمدينة ومركز الخلافة الاموية دمشق والشام والمناطق الاقليمية الأخرى مثل مصر وافريقية أو المغرب . والمؤرخون يشكون في الأغلب من أن مصادرنا تهتم بعمل العراق أكثر من نشاطات الخلفاء ، وتعنى بشئون العراق وحدها بدل النظر إلى تاريخ العالم الاسلامي بأسره .

والحقيقة أننا نجد التفاصيل عن نشاطات عامل العراق الحجاج بن يوسف

التقى أكثر من خليفة عبد الملك أو مروان بن عبد الملك . إن الرواة والأخباريين عندنا يوردون التفاصيل عن الديار والأمصاير الأخرى وخاصة عن المناطق الغربية حينما يحدث فيها أمر غير عادي ، وإلا يركزون أنظارهم وأقلامهم حول أمصار العراق ، ولا يسمحون لها بالخروج عنها . ومن هنا يجب أن يكون المؤرخ مدركاً لحقيقة أن التفاصيل والجزئيات التاريخية التي وصلته إنما هي تتعلق بأرض العراق ، وعليه عن الديار والأمصاير الأخرى ناقص ، ولذا ينبغي أن يستفيد بالمصادر الأخرى ، ويتمتع كذلك فيما بين المصادر والمراجع التاريخية الموجودة حتى يسد الفراغ التاريخي المشار إليه . ولقد أحسن دينيل مي دينيت حينما وضع أن محور تفكير العلماء والفقهاء أيضاً كان هو الديار العراقية ، فضلاً عن المؤرخين ، أن محور القضاة أبي يوسف ويحيى بن آدم وقدامة بن جعفر ، بل محور من هو فوقهم من الأئمة الثلاثة سوى الإمام مالك هو العراق ، ولذا ينبغي إدراك أن مؤلفاتهم وآرائهم تتعلق بأحوال مخصوصة ، ولا ينبغي تطبيقها على مناطق أخرى ، وإلا يبدو تعارض وتضارب بين الحقائق التاريخية وبين الآراء الفقهية . إن آراء هؤلاء الفقهاء صائبة صحيحة تماماً فيما يخص العراق^(٣٨) فعلى المؤرخين أن يراعوا اقلية المصادر الإسلامية وتحيزها أيضاً . ولنصرف الآن النظر عن الخلفاء الأمويين فانهم متهمون بأقبالهم على الدنيا بخدافها ، ولكن هناك موقف جد تجديدي وغير على أيضاً لكثير من العلماء والمؤرخين نحو الصحابة الكرام الذين عاشوا في العصر الأموي والمجتمع الإسلامي المعاصر .

إننا ننظر إلى شخصيات هؤلاء العظام ومآثرهم ونقيس مكاتبتهم ومستواهم في ضوء البصيرة التي تلقيناها من الخوارج والشيعة . وزاد الطين بلة ما كتبه المستشرقون من الكتابات البدائية المسمومة وغير العلمية . واتجاهنا هنا المعارض

للتاريخ والعلم قد تقرر واستمر لجهد أننا ماعلنا الروايات المجانبة للثقة والعباد التي وجدت في المصادر الأولية أو جهلناها ، ثم قبلناها دون بحث وتمحيص ، وهكذا قمنا بتقصيه سير الخلفاء الأمويين ومن عاصرهم من الصحابة وتاريخ عصرهم الميمون بسبب الجهل وعدم الأمانة والنضج الفتي ، حتى لم يبق فرق كبير بين تاريخنا وسيرنا وبين ما أثبتته أعداء الدين والمعرفة من الاقتراف والاختلاق .

ان مؤرخينا ومترجمينا قد أنزلوا معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان وعديدا من خلفائهم العظام أصحاب الفهم والكرم منزلة أقل من منزلة المسلمين العاديين في الخلق والسلوك ، بل أدخلوهم في زمرة الفساق والفجار ، ولم يكن ذلك إلا بناء على الروايات العديدة التي لم تكن كلها جديدة بالثقة والاعتماد .

وهكذا قاموا بتقصيه سير الصحابة الأمويين وسير معاوية ووليد بن عقبة ومروان بن الحكم وعبد الله بن سعد بن أبي السرح وغيرهم من عمال ذلك العصر ، حتى كأنهم طموا أن نفي إيمانهم وعقيدتهم وانكار عملهم وسلوكهم من مسئوليات التاريخ والترجمة إن الشيخ المودودي والشيخ أبا الحسن علي الندوي والشيخ محمد طيب ومن العلماء الكبار السيد امير علي وأبا الكلام آزاد وأطهر حسين ، معظمهم يحملون اتجاه الحوارج والشيعة والمستشرقين أعداء الاسلام^(٣١) .

ان مآثره عظيمة من مآثر الخلافة الاسلامية في العصر الاموي ، بل لعل أعظم مآثرها على الإطلاق ، هي الفتوح العسكرية وما تبعها من الفتوح الدينية . ان الناس إلى الآن أشاعوا عن الخلفاء والصحابة الأمويين أنهم غيروا تماما نظام الخلافة وصورة المجتمع ودفعوهما إلى الخطوط التي ساقتهما إلى حياة تجهل

الله وإلى نظام غير إسلامي للحياة . ولكن لم يوفق أحد لأن يفكر ثم يعرض على الناس أن هؤلاء المتهمين والمطعونين من أفراد الأمة وكبار الملة حققوا الوحدة الدينية والحضارية وسببوا لبركة الاتحاد الملى من جدران الصين في الشرق إلى آفاق الأندلس في الغرب مع إرساء دعائم الوحدة السياسية ، وقد تجلت هذه الوحدة في صورة الإسلام واللغة العربية والثقافة الإسلامية .

ومن الحقائق المسلم بها أن إسلام العالم العربي ، الذى يسود الآن من شبه الجزيرة العربية إلى أقصى حدود المغرب ، يخلو إلى حد كبير من الآثار العجمية ويمتاز بروحه الإسلامية ، بينما نرى إسلام إيران وبواسطتها إسلام آسيا الوسطى ، والهند وباكستان وجنوب آسيا مثقلا بالخرافات العجمية ، وعاريا من الوحدة الملية والانسجام الحضارى والاتحاد الدينى وما يحمل على التعجب وكذلك يخجل المثقفين المسلمين أن مثل هذه الحقيقة العظيمة قد كشف النقاب عنها أحد المستشرقين وهو دينيل باثيپس (Daniel Pipes) (٤٠) .

وإلى الآن لم يوفق العلماء والمثقفون المسلمون لكشف النقاب عن حقيقة عهد دولة معاوية بن أبى سفيان وخلافته إلا قليلا ، ولكن الكاتب فيليب حتى مع سمومه وخطورته قد نجح فى الوفاء بحق متطلبات كتابة التاريخ وفى تأدية الدين الذى كان يشغل كواهل المؤرخين منذ مدة طويلة ، وذلك بكتابة بحث رائع عن معاوية وعصره (٤١) .

ان تاريخ الخلافة الأموية فى حاجة إلى دراسة جديدة ، ودون أن يتم عرض هذا العهد الإسلامى بالمسار التاريخى الصحيح نبقى فريسة للتعصب بشأن دور مهم من أدوار التاريخ الإسلامى .

ومن تحيز المصادر وإقليميتها أننا لو قرأنا تاريخ الدولة العباسية فى الكتب الترامى

لنا أنه سرد وتكديس لوقائع قمع الثورات وشبكات المؤامرات^(٤٢). ونفس الوضع نراه عن الأندلس الإسلامية^(٤٣).

ويدهى عامة أن الخلافة العباسية كانت إحياء للإسلام ونشأة جديدة له ، بل فوق ذلك يجعلها الناس فترة النهضة لحصار الإسلام ومدينته والعصر الذهبي له ، حينما توصف الأندلس الإسلامية في أوروبا بجميع العلوم والفنون الإسلامية . ولكن قراءة المصادر والمؤلفات الموجودة تعطينا فكرة أخرى ، وهي أن ذلك العصر كان عصر الثورات السياسية والفوضى الحضارية . ومن حسن الحظ أننا لانرى في تاريخ الخلفاء العباسيين والحكام الأندلسيين وسيرهم ذلك الاتجاه المعادى للحكومة والميل المعارض للأسرة ، الذى اختص بدولة بى أمية ، ومع ذلك يبرز انحياز المصادر وإقليميتها كعامل مؤثر في تلك الفترة أيضا . ومن المصادفة أو السياسة أن عاصمة الخلافة العباسية^(٤٤) ومراكز العلوم والمعارف الإسلامية كانت أمصار العراق وديارها ، ولذا حظيت فيها أعمال الخلفاء بضوء أكثر ، ولكن هذا الضوء يعشى الأبصار ويشوش القلوب والأفكار ، ولا يحدث ميول الفخر والعلمانية ، أما الأقاليم والديار الأخرى للخلافة العباسية فإنها بقيت مطوية في الظلمات أكثر مما رأيناها في العصر الأموى ، انها في العصر الأموى كانت تقع تحت أضواء الفتوح حيا بعد آخر ، أما العصر العباسى فكأنه قد حرم بريق الفتوح في الأغلب وإن لم نقل تماما .

ان اتجاه المؤرخ يتأثر بتفكيره الشخصى وترجيحه الدينى وميله المذهبى ، وانه بذلك يندفع إلى التحيز والكتابة غير الموضوعية ، فيبالغ أحيانا في مدح موضوعه ومدوحه دون استحقاق ، ويصوب سهام التشنيع والتقصيص إلى معانديه أحيانا أخرى . والمنهجان كلاهما غير موضوعيان و معارضان لكتابة التاريخ بل

الهما يمثلان سنا ناقما للتاريخ الاسلامى ، فذلك تصبح كتابة التاريخ جانبا وناقصا . ان طبيعتنا الشرقية مجبولة على حب المبالغة ، فحينما تتوجه الى المدح والثناء نضفى على مدوحينا جميع الصفات الملكية ، وننقى عنهم جميع القبايح ، حتى نصل بهم الى منزلة أعلى من الملائكة ، وحينما نميل الى النقد والتقصيص نجعلهم من أعداء الاسلام الفسقة والفجرة ، ان لم نزل بهم الى حضيض الشياطين والكفار . والصورتان كلاتهما تحداثان بسبب انعدام التوازن فى طبائنا وتوفر الانحياز والجهل فى نظرتنا وكتابنا .

والمسئولية الحقيقية لهذه الكتابة المعارضة للعلم والأخلاق والدين على رأينا المبيت من ذى قبل ، وعلى الأفكار والعواطف والميول التى ترسخت فى أذهاننا وقلوبنا من السابق و تحت ضغط هذه الأفكار والميول نرسم اطارا خاصا ، ثم نبحت عن الروايات التى تلائمنا ، وحسب تعبير العلامة شبلى نظفر بكثير من السواد فى مروياتنا ومصادرنا لتسويد وجوهنا . وهكذا نلون هذا الاطار المعين بالألوان المختارة ، ونؤدى مسؤولية كتابة التاريخ مع أن الواجب أن لا يكون هناك مرسوم معين للشخصية أو العصر الذى يراد تأريخه ، ولا يسمح كذلك بالاتجاهات والعواطف المؤيدة أو المعارضة ، بل تجمع جميع الروايات الموالية والمعارضة ، ثم تعرض على محك النقد والأمانة والموضوعية ، وبعد ذلك تقدم للقراء الشخصية التى تبرز والاطار الذى يتكون دون نقص وزيادة .

و من النظار العلمى لهذا الاتجاه المعاند المتحيز أن الشخصية التى يترجم لها أو العصر الذى يؤرخ له إن كان مكروها لدى المؤرخ فانه بصرف نظره عن جميع الروايات التى تؤيده و نواقه ، أو يبدى لها قليلا من العناية ثم يردمها البتة ، حينما يبرز بقوة جميع الروايات المعارضة له ، بل يبنى عليها تصويره للشخصية والعصر .

ان مؤرخا محابدا يستطيع أن يتساءل : ألم تكن وقعت واقعة أخرى في السنوات الأربع لخلافة الأمير يزيد بن معاوية سوى وقعة كربلاء وحادثة الحرة والحجوم على مكة المكرمة ؟ ثم اذا كانت هذه الاعمال ، أو الاعمال السوداء ، للقواد المعاصرين فاذا كان اشتغال الخليفة^(٤٥) ؟ وما هي الاعمال البنائية والمشرقة التي تمت في عصر خلافة معاوية التي امتدت نحو عشرين سنة^(٤٦) ؟ ولماذا تصفه المصادر بجامع الاسلام الثاني ؟ ونفس هذا التفكير الناقص ، وعصبية المؤرخ الذهنية والمذهبية ، والنظريات المتروسة من ذى قبل تقف وراء تصوير المنافسة^(٤٧) بين بنى هاشم وبنى أمية ، أو وراء الحكومة الاموية التي تسمى بحكومة غير اسلامية .

ثم هناك سؤال آخر : هل يصبح المجتمع كله أو نظام الحكم بأسره أو الشخصية بكاملها غير اسلامية بمجرد الايمان بعدة اعمال غير اسلامية أو ظهور بعض العادات والآداب المعارضة للاخلاق ؟ هذه وجهة نظر الخوارج الذين يرون مرتكب الكبيرة كافرا ، أو المرجئة الذين يعتقدون الاباحة ، أى يبقى المرأ مسلما مهما أتى بالافعال^(٤٨) . ونظريتنا الافراط والتفريط كلتاهما كانتا ساءا قاتا بالتاريخ الاسلامي .

وموقف الاستعما والتعميم على أساس روايات عديدة بشكل خطرا كبيرا ، ولقد رأينا أن قاعدة كلية يتم وضعها بناء على عدة روايات وأحداث ، ثم يتم على هذا الأساس الطعن في شخصية أو عهد ، أو الثناء عليهما هكذا . مع أنه ينبغي تجنب التعميم والكسح في كتابة التاريخ إلى حد الامكان .

وإن لم يكن بد من التعميم فينبغي أن لا يكون قطعا وعمحا حتى لا يفسد باب الاحتمالات والامكانات الأخرى . ان مثل هذه التعميمات لابد أن تخضع لقوانين التاريخ والنقد والعقل والرواية في خلفية الأحداث والروايات المتعلقة ،

حتى نعرف مدى تطابقها مع التصوير الاجمالي للشخصية التي يجرى البحث عنها ، أو هي مثل الشواذ والمستثنيات ، التي تحتل درجة ثانوية لا أصلية وأساسية ، ومن هنا يجب الحذر التام في عرضها وقولها . ويلزم وضع جميع الأحداث خاصة والتعميمات في تناظرها التاريخي السليم وقدها كذلك ، وإلا أدى إلى استنباط نتائج خطيرة وخاطئة منها .

ونتيجة لهذا التعميم يجعل دخول طلقاء مكة وخاصة أكابر الأمويين في الإسلام متفرعا من المصالح السياسية والاقتصادية ، ويطعن في دينهم وعقيدتهم^(٤٩) . وقد ذهبت بعض أوليات عثمان أيضا ضحية لاتجاه التعميم الخاطي المذكور^(٥٠) . وبنفس السبب أوضع الخلافة الأموية كلها وكذلك الصحابة الأمويون في منزلة أقل بكثير من المستوى الأعلى للقيم الإسلامية السامية . ومن أمثلة ذلك : شرب الوليد بن عقبة للخمر^(٥١) ، وقتل حجر بن عدي في عصر معاوية^(٥٢) . وبناء على ذلك يرى الصحايان على الترتيب بدناءة الخلق والسلوك ، وبالظلم والجور ، مع أن الطبري وبعض المصادر الأخرى تشهد للأول بسمو الخلق ، وللثاني بالحلم المعروف^(٥٣) .

ومن حلقات هذا التعميم تعليق ورأى ناقل أوراو أو مؤرخ على شخصية أو حادث أو عهد . ولا يقبل مؤرخونا جميع هذه الآراء والتعليقات مغضنين حيونهم فحسب ، بل يقومون باصدار الفتاوى على أساسها فقط . واننا لا ننكر أهمية آراء الرواة والمحدثين والمؤرخين وتعاليقهم ، وأحيانا صدقها ، فان معظم علم أسماء الرجال مبني عليها ، وكثير من تلك الآراء والتعليقات تنعكس منها الحقيقة أيضا ، ولكن لا يلزم من ذلك كون كل رأى وتعليق جديرا بالقبول . ولذا يجب عرض مثل هذه الآراء والتعليقات كلها على ميزان النقد

والنقل والرواية والدراية والعقل والفكر . فيمكن أن يكون الراوى أو تعليقـه أحيانا مبـنيا على التعصب والتحيز ، وأحيانا على الجهل ، وأحيانا ظلـا الأفكار والاتجاهات العامة ، والمعلق ، مع اتصافه بجميع الصفات العالية والتدين الكامل ، قد يزل فى نقطة وقد يستخدم هذه الزلة لتضليل الآخرين شاعرا أو غير شاعر . ويمكن أن تكون هذه الزلة ناشئة من الجهل أو من عدم اتجاهه إلى التحقيق وحبـه للسهولة ، وقد يمكن أن يكون تعليق لمحدث أو راو خاصا بمحل وموضع ، ويؤدى نقله من موضعه ثم تعميمه إلى الفساد والخلل

ومثال طريف لذلك اعتقاد عامة العلماء والمتقنين وانطباعهم عن المؤرخ الواقدى أنه راو غير ثقة ، لأن بعض المحدثين ضعفوه ووهـوه ، إن المؤرخين المسلمين وخاصة المؤلفين الشرقيين يحترزون قول روايات الواقدى ، ولكنهم يضطرون لذلك أحيانا . وقد جعل بعض علمائنا ومؤرخينا الواقدى غير ثقة بعد أن ساقوا الآراء والتعليقات المؤيدة والمعارضة له لمجرد أن أكار المحدثين ومشاهيرهم قد ضعفوه^(٥٤) . ولكن لم يتحشم أحد إلى الآن مشقة التحليل بأن كتابات الواقدى الشخصية ترفع به إلى منزلة الوثاقة أو تنزله إلى عدمها وقد أثبتت دراسة جديدة أن جميع روايات الواقدى الموثوق بها توجد فى مسند الإمام أحمد بصورة أو أخرى^(٥٥) . ثم لم يتم إلى الآن التمييز بين كتابات الواقدى الأصلية وبين المتحلة له . ويرى المستشرقون أن كتاب المغازى تراث أصلى له ، ونقية المؤلفات فى الفتوح والأنساب نسبت إليه خطأ^(٥٦) .

وكذلك ينبغى أن تعطى نكتة مهمة أخرى ، وهى أن المحدثين الكرام يوهنون كل مؤرخ ينحرف من طريقة كتابتهم وجمعهم قليلا . والأصل أن هناك فرقا كبيرا بين منهج المحدثين ومنهج المؤرخين فى الجمع والكتابة ،

فإن المحدثين لا يذكرون إسنادا لكل رواية فحسب ، بل لا يوجد بين مروياتهم ترابط واتحاد ، انهم تعودوا على النظر إلى كلام النبي ﷺ وعمله وعرضهما في صورة الوحدات والجزئيات ، حينما يركز المؤرخون على ما بين الروايات من الترابط والاتصال وعلى الكلام المترابط المتصل ، أما الاسناد فلا يحمل عندهم أهمية أساسية ، انهم يحاولون تصوير العهد وللشخصية ، ويتصورون المرويات حلقات مختلفة من سلسلة واحدة انتظمت بسلك غير محسوس .

ومثال طريف للتعميم أن الحكم الموجود في الآية السادسة من سورة الحجرات نزل في الوليد بن عقبة الأموي ، واتفق على ذلك العلماء جميعا ولم يختلف منهم أحد ، كما يرى ويدعى الحافظ ابن عبد البر^(٥٧) . مع أن تحليلا تحقيقيا^(٥٨) يدلنا على أن اختلافنا كبيرا وقع واستمر بين العلماء والمفسرين والمؤرخين حول سبب نزول هذه الآية الكريمة ، ولكن الحافظ ابن عبد البر لم يطلع عليه . ومن تعسف العلماء والمؤرخين المتأخرين أنهم قبلوا تعليق الحافظ ابن عبد البر العام دون نقد وتحقيق ، ووصفوا على ذلك صحايبا عظيما من أصحاب الرسول ﷺ بالفسق والفجور ، مع أن الأمانة العلية والأخلاق الإسلامية والموضوعية في كتابة التاريخ كانت تتطلب عرض ذلك التعليق العام على محك النقد ، ثم قبوله إذا ثبت صدقه ومطابقته للواقع ، ولكن أسلوب الفكر والكتابة المعارض للتاريخ والعلم قد أضل أولئك المؤرخين وكذلك من صدقهم في كتابتهم .

وهناك قضايا أخرى لكتابة التاريخ الإسلامي ، ولكن أكتفي في هذا البحث بما ذكرت . وبعد هذا البحث يتحتم علينا وخاصة على أهل العلم والبصيرة البحث عن حل القضايا التي أثيرت في هذه الدراسة ، فإن لم نقدم تاريخنا المجيد في تناظره الصحيح ، واتخذنا موقفا مينا غير علمي تحت منار المقتضي الديني

أو الحضارى أو النظرى لانقطعت صلتنا عن ماضينا المجيد وابقينا متأرجحين في الفراغ الحضارى الرهيب ، ان جميلنا المسلم المعاصر متكرر لاسلافه ، جاهل لتاريخه ، خجلان من حضارته ، نفور من دينه إلى حد ما ، ونحن العلماء والمؤرخون نزيده تنفرا بكتاباتها غير العلمية . أفى أعتقد ، ودراسق المتواضعة تؤيد هذا الاعتقاد ، أن تاريخنا لو كتب على الخطوط السليمة لكان فيه مفخرة وطمأنينة لقلب كل مسلم وذهنه ، وظهرت مشاجرات الصحابة وخلافات خلفاء الإسلام في صورة النتائج اللازمة للجمع البشرى ، بحيث لا تشين إيمان السلف وقدسيتهم ولا تؤدى الجيل المعاصر إلى الخجل والندم ، بل تتحقق المقارنة بين صدق المبادئ الإسلامية وبين جهود المسلمين . فالمسئولية الآن على المؤرخين والمترجمين الإسلاميين لأن يعرضوا التاريخ الإسلامى فى تناظره الصحيح ، حتى تتلقى الأجيال الجديدة دروسا من ماضيها المجيد ، وتعمل حالها مزدهرا ومستقبلها سعيدا .



هوامش البحث

(١) سيرة النبي للعلامة شبلى النعماني ، مطبعة معارف بأعظم كره ١٩٨٢م ، (ج ١ ص ٥ - ٨٤) والعلامة قد أثار جميع هذه المباحث في الجزء الأول من مقدمته التي استغرقت الصفحات الخمس والثمانين الأولى ، والأصول المذكورة سابقا خلاصة ذلك المبحث الطويل الذي أنشأه العلامة السيد سليمان الدوي ، والظاهر أن جميع هذه الأصول تتعلق بقبول روايات المصادر والمراجع وردّها ولكن بعضهم لا يمكن قبوله كما هو ، في الأصل الأول يجب وضع أصل الجمع والتدوين مكان أصل الترجيح ، والأصل الثالث يقضى بترجيح رواية الحديث على السيرة في جميع الأحوال ، ولكنه ليس مقبولا عند المؤرخ ، فإنه يجعل نصب عينيه الانسجام مع التأظر التاريخي والعوامل التاريخية .

(٢) عثمان دوانلورين للشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادي ، طبعة ندوة المصنفين بدلهي ١٩٨٣م (ص ٥ - ٥٣) وهذه الأصول الأربعة خلاصة بحث الشيخ الطويل الذي يستغرق نحو ٥٧ صفحة ، وهذه الأصول الأربعة للشيخ الأكبر آبادي تتعلق بتنقيح الروايات والأخبار وتهذيبها ، وكونها أصولا لدراسة التاريخ أوضح من كونها أصولا لكتابة التاريخ .

(٣) وبناء على هذا الأصل ينشأ عامة خطأ في العلم ، وهو أنه لا يمكن جمع المواد من جميع المصادر والمراجع ، فإن جميع المصادر ليست في متناول الأيدي ، وإن كانت فإن إلزام الوقت والأحوال لا يتيح فرصة الاستفادة التامة من جميعها ، ولكن الطاهر أن هذا الأصل لا يرمى إلى جعل المستحيل ممكنا ، بل المقصود مراجعة إلى جميع المصادر المتوفرة ، ولا شك أن مراعاة الوقت والأحوال تحدّد كل عمل إنساني ، وليس في المستطاع أن يطالع الإنسان على جميع المصادر ، فع جميع هذه الالتزامات والموانع الطبيعية والإنسانية يلزم

بذل المحاولة للاستفادة من أكثر المصادر ، ولكن المشاهد أن الكتاب يكتبون بالاستفادة من مصادر عديدة فقط ، وهي مصادر متأخرة زمنياً ، وذلك لاحتوائها على روايات القدماء ، مع أن الاستفادة من المصادر الأصلية القديمة لا بد منها ، سواء تمت الاستفادة من المصادر الحديثة أم لا ، نعم إذا كانت المصادر المتأخرة تحتوي على رواية أهم أو على التعبيرات التي خلقت منها المصادر القديمة بسبب أو آخر ، فإن الاستفادة من المصادر المتأخرة قصير أمراً محتملاً . فالقصد من الأصل المذكور أن لا تبقى ناحية من الموضوع الذي يحرى البحث عنه في حاجة إلى التوضيح .

(٤) يتضح من الدراسة التحليلية لمصادر ما القديمة عن السيرة والتاريخ أن أصحابها لم يكونوا معصومين عن الأخطاء البشرية ، فثلا يبدو عن ابن إسحاق صحيحاً أنه قام باخفاء بعض الأمور أو بتأويلها عن الأسرة العباسية أرضاء للخليفة العباسي المعاصر والجماعة الحاكمة فقد ألفت ستور من المداهنة على جميع الروايات التي تذكر مشاركة عباس بن عبد المطلب في غزوة بدر من قبل المشركين وأسرهم وفدائهم وذلك كي يثبت أنه من السابقين في الإسلام ، وأن صغف كهمار مكة اضطره للمشاركة في الحرب ضد المسلمين ، ولكن مثل هذه الروايات جميعاً لا تثبت على محك الرواية والدراية البتة ، وقد رجح بنوعدي وبنوزهرة وطالب بن أنى طالب من بنى هاشم وعديد غيرهم بعد وصولهم قرب بدر ، لأن دافع غزوم كان قد انتهى بأن أهل مكة تحت إمرة أبي سفيان كان قد نجحوا من متاول المسلمين أما غيره من المؤرخين الأولين وكتساب السيرة فكان شرحيل بن سعد يميل إلى العباسيين لسبب اقتصادي ، ووهب بن منبه متهم بالميل إلى الاسرائيليات وفي الواقدي ميول شيعية معتدلة ، وكان أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي يميل ، مع ميوله الشيعية ، إلى مدح قبيلة الأزدي ، حينما كان يتمصب سيف بن عمر لقبيلة تميم ، والسري مجهول الحال ، واليعقوبي شيعي تماماً ، وهذه بعض الأمثلة ، والمزيد من البحث يدلنا على أن الرواة والخباريين كانوا ضحايا عصبيتهم ، ولذا ينبغي

التنبه إلى عنصر التعصب حين الأخذ برواياتهم، ويراجع للتفصيل : كتاب جوزوف هورو ونس (مؤلفات السيرة الأولى ومؤلفوها) ترجمه إلى الأردنية الدكتور نثار أحمد فاروق، مجلة نقوش بلاهور، العدد الخاص بالرسول ﷺ ، عام ١٩٨٢ م ، ج ١ ص ٧٠ - ٧٢٢ ، والفريد غيوم : سيرة رسول الله لابن إسحاق ، لندن ١٩٥٥ م ، الترجمة الانجليزية (المقدمة) وكذلك مقال الأستاذ تحسين فراق في نقوش (ج ١ ص ٤٠ - ٤٢٤ ، وثار أحمد فاروق (Early Muslim Historiography) دهل ١٩٧٩ م ، ص ٣٠٣ - ٢٧١ ، ولهران روز تنهال (History of Muslim Historiography) ليدن ١٩٥٢ م . ص ٧٠ - ٥٩ وبمدها .

(٥) نجد في فن أسماء الرجال الحكم على جميع الرواة بالتوثيق أو عدمه ، وينبني هنا التنبيه على أن هذا الحكم خاص بالحديث لا بالتاريخ ، وقد حكم كثير من المحدثين على الواقدي بأن أحاديثه ضعيفة غير مقبولة . ولكن مكاتنه في التاريخ والفقهاء مكانة إمام الفن ، وقد اعتمد من المعقاه المظام القاضي أبو يوسف على روايات الواقدي التاريخية . وتعرض بهذا الصدد مسألة مهمة ، وهي أننا نجد في شخص أو راو رأيين مختلفين ، فطبقة تراه ثقة ، وطبقة أخرى تصفه بأنه لا يوثق به ، ومن هنا يصعب القطع برأى ، وفي مثل هذه الصور ينفع تحليل الرواية ونقدتها أكثر من الراوى . أما أقوال الرواة والخباريين العامة ، أو فتاويهم عن الشخصيات والعهود فلا بد من تمحيصها في تناظرها التاريخي الصحيح ، وبعد ذلك يأتي دور قبولها أو رفضها . راجع مقالات سليمان للسيد سليمان التودى ، المقال الثانى عن الواقدي ص ٦٥ - ١١٢ ، كتاب الخراج للقاضي أبى يوسف ، القاهرة ١٩٣٣ م ، ص ٢٦ - ٢١ وبمدها وأيضا مقال جوزوف هورو ونس ، وكتاب روز تنهال المذكور .

(٦) يأخذ مؤرخونا الشرقيون وخاصة العلماء باصدار أحكام الحق والباطل بناء على بعض الوقائع التاريخية ، وعلى سبيل المثال نجد عامة في كتبهم ضمن الغلافات

بين على وعائشة ، وبين على ومعاضية ، الفتوى على كون الأول دائما على الحق ، والثاني على الباطل . وكذلك نراه يصفون بعض سياسات عثمان بالطلان . ان مثل هذه الاحكام والفتاوى لا ينبغي أن توجد في التاريخ ، بل يستحسن بعد تحليل الوقائع أن يفسح المجال أمام القارئ للحكم ، فإن مجال التاريخ ليس مجال الدين والعقيدة حيث يتحتم الحكم بالحق أو الباطل ، ويراجع لثال كتاب الخلافة والملوكية للشيخ أبي الأعلى المودودي ، دہلی الجديدة ١٩٦٩ م ، ص ١٣١ ، ١٣٧ وبعدها

(٧) ومثال ذلك كتاب نبی الرحمة للشيخ أبي الحسن على الندوي ، لکھنؤ ١٩٧٨ م ، وكتاب الخلافة والملوكية للشيخ المودودي ، فإنها يحتويان على المواد المذكورة الناقصة ، فقد استفاد مؤلفوهما من مصادر عديدة فقط ، أي بنى كتاب الشيخ الدودي في الأغلب على ابن هشام وزاد المعاد دون غيرهما من الكتب .

(٨) فمعظم كتب السيرة والتاريخ الاسلامي التي ألفت بالاردية يتوفر فيها النقص المذكور

(٩) ومثال ذلك أن الشيخ المودودي قد أحال في رواية شرب الوليد بن عقبة الاموى إلى البداية والنهاية (ج ٧ ص ١٥٥) والاستيعاب (ج ٢ ص ٦٠٤) وإلى أبواب البخاري ومسلم وأبي داود عن الحر ، ثم أكثر الاحالة في جميع مجتمه إلى فتح الباري للعافظ ابن حجر ، وإلى شرح العيني للبخاري ، وشرح النووي لمسلم ، والمعنى لابن قدامة ، والشرح الكبير له ، ولكنه صرف نظره بهذا الصدد عن روايات الطبري ، غيره من المؤرخين التي تثبت براوة الوليد ، راجع تاريخ الطبري ، القاهرة ١٩٦٢ م ، (ج ٤ ص ٧ - ٢٧٥) ، وتاريخ ابن خلدون ، بيروت ١٩٥٦ م ، (ج ١ ص ٣٨١ ، ج ٢ ص ٧ - ١٠١٦) والكامل في التاريخ لابن الأثير ، بيروت ١٩٦٥ م ، (ج ٣ ص ١٠٦) وللتفصيل يراجع كتابي : الوليد بن عقبة : سيرته وشخصيته تحت الطبع ٨ - ٢٥٠ ومدها ، وكذلك يراجع هتان ذو النورين للشيخ الأكبر آهادي (ص ٤ - ١٣٣)

- (١٠) محمد ﷺ ونهضة الاسلام لمارجليوث ، لندن ١٩٠٥ م ، ص ١ ، المقدمة .
- (١١) حياة محمد لمحمد حسين هيكل ، القاهرة ، ١٩٣٥ م ، وتخصر الآسة طيبة نسرين دراستها على هذا الموضوع في قسم دراسات غرب آسيا ، وهو خاصة موضوع مقالاتها لدرجة الأستاذية في الفلسفة (M. Phil) وراجع أيضا A Modern Arabic Biography of Muhammad by Antonie wessels ، لندن ، ١٩٧٢ م ، ص ١٩٤-٢٢٤ وبمدها .
- (١٢) سيرة المصطفى لمحمد ادريس الكاندهلوى ، دهلئ ، ١٩٨٠ م .
- (١٣) أصح السير لعبد الرؤف الدانا فوزى ، كرانشى ، ١٩٥٧ م .
- (١٤) درمهام Life of Mahamet الترجمة الانجليزية ، لندن ، ١٩٣٠ م ، واشنطون ايرونج : Life of Mahamet ، لندن ، ١٩٧٦ م ، أطر حسين : Praphet Muhammad and His Mission بومباى ، ١٩٦٧ م ، محمد على : Muhammad the prophet ، لاهور ، ١٩٢٤ م .
- (١٥) وايم ميور . لائف أوف محمد ، ايدنبرا ، ١٩٢٣ م ، ميكسم رودنسان : محمد ، الترجمة الانجليزية ، لندن ، ١٩٧٦ م ، موتشمري وات : محمد ايث مكة ، اكسفورد ، ١٩٥٣ م ، محمد ايث مدينة ، اكسفورد ، ١٩٥٥ م .
- (١٦) هذان الكتبان نشرأ على الترتيب من ندوة المصنفين بدهلئ ١٩٥٧ م ، و دار المصنفين بأعظم كره ١٩٥٦ م .
- (١٧) المصدر السابق ، وكدا يراجع . (عثمان في ضوء التاريخ وحده) للدكتور طه حسين ، الترجمة الأردنية للأستاذ عبد الحميد نعمانى ، بومباى دون تاريخ .
- (١٨) يراجع لمسا ألف عن على : خلفاء محمد لعمر أبى النصر ، بيروت ، ١٩٣٥ م ، نقوش (عدد خاص عن الرسول ﷺ) ج ١٣ ، الفتنة الكبرى لاطه حسين ، دارالمعارف ، القاهرة ، دون تاريخ ، ونشرت ترجمته إلى الأردنية باسم (عثمان وعلى) ، على وخلافته للأستاذ پیام شاه جهانورى ، لاهور ، ١٩٥٧ م ، على وعائشة لعمر أبى النصر (ترجمه إلى الأردنية الشيخ محمد أحمد باقى بى) ، لاهور ، ١٩٦٢ م ، على في ضوء السياسة والتاريخ لاطه حسين (الترجمة الأردنية

لعبد الحميد النعماني (قوی لا تبریری ، مالیگاؤں ، علی والحسین للقاضی أطهر المبارکفوری ، مکتبہ دائرہ ملیہ ، أعظم کرہ ، دون تاریخ ، غرر الحکم ودرر الکلم لعبد الواحد محمد بن عبد الواحد التیمی (الترجمة الاردنية باسم رهبركامل) کتب خانہ اسلامی ، لاہور ۱۹۶۲ م .

(۱۹) تراجع The Caliphate لولیم میور ، بیروت ، ۱۹۶۳ م ، A short History of the Arabs لقیلب حتی ، نیویورک ، ۱۹۵۸ م ، تاریخ التمدن الاسلامی لجرجی زیدان ، القاهرة ، ۶-۱۹۰۲ م ، المصدر المذكور لطفه حسین ، دی غلوریس کیلیفیت لأطهر حسین ، لکنؤ ، ۱۹۷۸ م ، المصدر المذكور لسیّد أمير علی ، وللشاه معین الدین أحمد الندوی

(۲۰) راجع الهامش رقم ۹

(۲۱) المصدر المذكور ص ۵۳-۱۰۵

(۲۲) أيضا ص ۱۶-۱۰۶

(۲۳) و لهاوزن : ، Arab Kingdom and its Fall لندن ، ۱۹۷۳ م ، دینیل سی دینیت : مروان بن محمد (رسالة الدكتوراه بجامعة هارفارد) ، ۱۹۴۵ م ، Conversion and Poli-Tax in Early Islam ، کیمبردج ، ۱۹۵۰ م ، The Umayyad Caliphate, A. A. Dixon لندن ، ۱۹۷۱ م ، فاروق عمر : Abbasid Caliphate لندن ، ۱۹۶۷ م ، طبعیة الدعوة العباسیة ، بیروت ، ۱۹۸۰ م .

(۲۴) العلامة شبلی النعمانی : الغزالی ، أعظم کرہ ، ۱۹۵۶ م ، المأمون ، أعظم کرہ ، ۱۹۵۷ م ، السید سلیان الندوی : خیام ، أعظم کرہ ، ۱۹۷۹ م .

(۲۵) تراجع لاشال الخلافة لولیم میور وغیره .

(۲۶) تراجع لفرانسدسکو جبرئیلی : Muhammad and the Conquest of Islam

لندن ، ۱۹۶۸ م ، موتجمری وات : محمد ایت مدینة ، ص ۲۲۰ ، شبلی النعمانی سيرة النبي ، (ج ۱ ص ۸-۶۱۷)

(٢٧) يراجع لهذا البحث كتابي المذكور ، وكذا عثمان ذو النورين ، (ص ١٣٣/٤) ٢١١-١٩٠ وبعدها .

(٢٨) الشيخ المودودي : الخلافة والملوكية ، ص ١٠٩ وبعده ، عثمان ذو النورين ، ص ٤-١٩٢

(٢٩) دينيت : الحزبية والاسلام (بالانجليزية) ص ٧٤-٨٠

(٣٠) الخلافة والملوكية ص ١٠٩ وبعده .

(٣١) عثمان ذو النورين ، ص ١٨٤ ، الهامش نقلا عن الطبري (ج ٤ ص ٤٠٠) وابن الاثير : الكامل (ح ٣ ص ١٨١) .

(٣٢) المصدر المذكور .

(٣٣) ابن عبد البر : الاستيعاب (ج ١ ص ٧٦) عثمان ذو النورين ، ص ٢٤٠

(٣٤) يراجع لهذا البحث مقدمات كتب كل من ثار أحمد الفاروقى ، فرانز روزنتهال وسعيد أحمد الاكبرآنادى ، وأيضا مقال عماد العزيز الدورى فى كتاب

Historians of the Middle East من تأليف رناردليوس وبى ايم هولت ، لندن ، ١٩٦٢م ، وبعض المقالات الأخرى فيه

(٣٥) الكتب المذكورة وخاصة ثار أحمد الفاروقى وفرانز روزنتهال ، ويراجع

أيضا مقال حورف موررو وآثر المذكور ، مارجليوث : Lectures on Arabic

Historians ، كالكتبه ، ١٩٣٠م .

(٣٦) المصدر المذكور ، البحث عن عوامة والملاذرى .

(٣٧) يراجع لكتابات القصاص المقال المذكور لعبد العزيز الدورى ، بركات أحمد

محمد ايند دى جيوز ، دهلى الجديدة ، ١٩٧٩م (المقدمة) عثمان ذو النورين ،

ص ٨-٢٧

(٣٨) الجوبة والاسلام (المقدمة) .

(٣٩) يراجع لنظريات هؤلاء العلماء المسلمين : الخلافة والملوكية للشيخ المودودى ،

تاريخ دعوة وعزيمة للشيخ أبى الحسن على الندوى ، لكنؤ (ج ١ ص ٢١)

- فى الرحمة له ، شهيد كربلا ويزيد للشيخ محمد طيب ، ديونند ، ١٩٦٠م ، المصدر المذكور لأمير على ، شهادة الحسين لأبى الكلام آزاد ، لاهور ، ١٩٥٧م .
- (٤٠) ديفيل باثيپس : *Slave Soldiers and Islam* مطبعة جامعة بيل ، ١٩٨١م ، ص ٥-٧٠ وبعد ويراجع أيضا لآرنولد : *The Preaching of Islam* ، لندن ، ١٩٣٥م ص ٨-٢٥٧ ، الهامش ٤ ، وهذا يقدم نظرية السير الفريديسى لايل (Sir Alfered C Lyall) التى أبدأها فى كتابه (*Asiatic Studies*) لندن ، ١٨٨٢م ، ص ٢٨٩م .
- (٤١) فيليب كى حتى : *Makers of Arab History* لندن ، ١٩٦٨م ، ص ٥٨-٤٣
- (٤٢) يراجع على سبيل المثال كتاب الخلافة لوليم ميور ، وكتاب تاريخ الاسلام للشاه معين الدين الندوى ح ٣
- (٤٣) مثل تاريخ الأندلس لرئاسة على الندوى ، أعظم كره ، ١٩٥٠م ، تاريخ الاسلام للشاه معين الدين الندوى ح ٣ وللسيد امام الدين : *A Political History of Muslim Spain* د اكا ، ١٩٦١م .
- (٤٤) يراجع لهذا البحث Jacob Lasner : *The Shaping of Abbasid Rul'* نيوجرسى ، ١٩٨٠م ، (الباب السادس والسابع) ، ٧٥-١٦٩ .
- (٤٥) جميع كتب التاريخ الحديثة فى هذا الموضوع تذكر هذه الاعمال السيئة الثلاثة فقط ، وتصرف النظر عن الوقائع السياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية الأخرى ، نعم يشير المستشرقون إلى بعض النواحي الأخرى إلى حد ما ، ولكن صيغهم هذا يشبه ما يقال من أن الاعتذار عن السبى أقرب من السبى ، يراجع الخلافة لوليم ميور ، السيد أمير على : *A Short History of the Saracens* دهل الجديدة ، ١٩٧٧م ص ٩-٨٣ ، تاريخ الاسلام للشاه معين الدين أحمد الندوى (ج ٢ ص ٦٩-٤٥) أعظم كره ، ١٩٤٨م ، وهذا الأخير كتب عن فتوح ذلك العهد أيضا .
- (٤٦) مباحث الكتب المذكورة عن خلافة الأمير معاوية . وفى هذا الباب ذكر الشاه

- معين الدين أحمد الندوى أعمال الأمير معاوية بأمانة، وهذا موقف فريد ومحمود في التاريخ الأردني عامة، وفي اللغات الأخرى خاصة.
- (٤٧) يراجع لهذا البحث مقال (الخلفية التاريخية للنافسة بين بنى هاشم وبنى أمية) مجلة برهان . دهل ، يناير ١٩٧٨ م .
- (٤٨) يراجع لمعتقدات الحوارج والمرجئة . الخلافة والملوكية ، ص ٧-٢١٣
- (٤٩) الخلافة والملوكية ، ص ١٠٩ ، سيرة النبي (ج ١ ص ٦-٥٣٥) مع الهوامش .
- (٥٠) عثمان ذو النورين ، ص ٩٠-١٨٦ وبعد .
- (٥١) الخلافة، والملوكية ، ص ٣-٢١٢ مع الهوامش
- (٥٢) أيضا ص ٥-١٦٤
- (٥٣) الطبرى (ج ٤ ص ٢٧٧) وبعد .
- (٥٤) يراجع مثلا المقال المذكور للسيد سليمان الندوى .
- (٥٥) لم يصدق إلى الآن الاعلام الاخبارى المفيد بأن رسالة الدكتوراه قدمت في إحدى جامعات بريطانيا حول هذا الموضوع .
- (٥٦) يراجع حول كناية الواقدي للتاريخ المقال المذكور لجوزف هورو وتس ، ومقدمة محقق كتاب المغازي (مارسدن جونس) ، ويراجع في عثمان ذرالنورين تصريح الشيخ الأكبر آبادي أيضا
- (٥٧) الخلافة والملوكية ، ص ٢-١١١ ، الهامش ٨
- (٥٨) يراجع لهذا البحث مقال (دراسة نقدية حول أهمية ف أسباب النزول في الإسلام) تحقيقات اسلامي ، على كره ، يناير - ابريل ١٩٨٠ م (ج ١ عدد ٢-١) .

زيارة القبور

للعلامة محمد اسماعيل السلفي
تعريب: الدكتور مقتدى حسن الأزهرى
~~~~~

( الحلقة الثانية والأخيرة )

### آداب الزيارة

تسن زيارة عامة القبور ، فليقرأ الزائر الدعاء المسنون لدى زيارة القبر ،  
وقد رويت ألفاظ الدعاء عن النبي ﷺ ، و مع وجود الخلاف فيها نحدد أمراً  
مشتركا بينها ، وهو أن جميع صيغ هذه الدعاء تتضمن الدعاء لصاحب القبر ،  
ولم يطلب شيء من صاحب القبر ، ومراعاة هذا الأدب ضرورية جداً ، لأن  
دعاء المرء الله تعالى لنفسه أو لغيره عبادة ، ففي صرف هذا الدعاء إلى الغير  
يكون عبادة له . وقد قال النبي ﷺ : الدعاء مع العبادة .

وورد في حديث آخر : الدعاء هو العبادة .

وعبادة غير الله شرك في الحقيقة .

والعبادة حق خاص بالله تعالى ، لا يشاركه فيه ولي أو نبي . ومن دعا

نيا أو وليا فانه جعله شريكاً لله تعالى .

ونعلم من هنا أن الزائر إن دعا الله تعالى لصاحب القبر وقت الزيارة

فان ذلك عبادة يشاب عليه . وإن دعا هو صاحب القبر وسأله شيئاً فان ذلك

شرك تحبط به أعماله .

بل المذهب الصحيح أن لا يرى القبر موضع التقرب ، ومن الخطأ أن يدعو عنده أحد ، ويحسب أن الدعاء يقبل عنده أو يقبل سريعاً .

وقد اشتهر أثر يقول إن الامام الشافعي كان يرى قبر الامام أبي حنيفة موضع القبول ولكنه خطأ لا يتصل بالامام الشافعي بسند .

والطريقة الصحيحة الوحيدة للزيارة أن يقرأ الدعاء المسنون ، ويسأل المغفرة للقبور ، كما يفعل في الجنازة ، فإن أصحاب القبور لا يستطيعون أن يأخذوا أو يعطوا شيئاً ، ولذا من العبث أن نسألهم شيئاً ، بل إن ذلك لثم .

### الكذب والافتراء

سمعنا عباد القبور يقولون : « إذا تميرتم في الأمور فاستمعينوا بأهل القبور » .

يقال إن ذلك حديث ، ولكن الواقع أنه ليس بحديث ، فقد صرح المحدثون بأنه كذب ، يقول ابن تيمية : هو كلام موضوع مكذوب باتفاق العلماء ( اقتضاء الصراط المستقيم ص ٥٨٥ )

ويقول الشاه ولي الله بعد هذه الرواية : هذا قول المجاورين ، افتروه على النبي ﷺ للحصول على النذور . ( البلاغ المبين ص ٥٣ ) والاستدلال بالأحاديث الموضوعة في باب العقائد جهل .

وهكذا اخترع أهل البدعة رواية أخرى : فأعينوني يا عباد الله . ولكن لم ترد هذه الكلمات في حديث صحيح ، بل ورد عند أبي يعلى وغيره كما يأتي : إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : يا عباد الله احبسوا علي ، فإن لله في الأرض حاضراً يحبسه .

وليس في هذا ذكر الاستعانة بتصور الأولياء .

ويروى عن الشافعي . أصابني ضيق فدعوت عند قبر أبي حنيفة فأجبت .  
( اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٤٣ ، ط مطابع المجد ١٣٩٠ هـ مكه ) .

وهذا اقترأه على الشافعي لما يأتي ، فأولا إنه لما جاء بغداد لم يكن قبر  
الامام فيها معروفا .

وثانيا : ان الشافعي كان قد جاء من الحجاز ، وكان فيها قور الذين هم  
أفضل من الامام أبي حنيفة بكثير ، وكانت هناك قبور الصحابة ، فلماذا لم يعالج  
الشافعي فقره بالذهاب اليها ؟ .

وثالثا : لماذا لم تحصل هذه الوصيفة للامام أبي يوسف والامام محمد  
والامام زفر من تلاميذ الامام ؟ ولماذا لم يدعوا عند قبر أستاذهم ، ان الامام  
الشافعي وجد هذه الوصيفة في الحجاز ، وحرم التلامذة الملازمون له ليلا ونهارا !

### احتفال أهل البدر

يقول عامة القبوريين في خطبهم : ان النبي ﷺ كان يذهب إلى قبور شهداء  
بدر كل سنة ولكن لم أجد هذا الحديث في الصحاح ، ولا ورد ذكره في كتب  
التاريخ والسيرة ، والمظنون أن أيدي القبوريين قد لعبت فيه .

وكان في غزوة بدر قتل من صناديد قريش نحو من سبعين نفرا ، وكلهم  
قد أقوا في قلب سوى أمية . واستشهد نحو أربعة عشر صحابيا ، ولكن لم يعلم  
موضع دفنهم وكيفية على وجه الصحة والتحديد .

فلو كان النبي ﷺ يذهب إلى قبورهم كل سنة بالتزام لذكر ذلك في  
الاحاديث والآثار ، ثم الجدير بالتأمل وجود هذه الطريقة في الصحابة ، فانهم  
كانو يعملون بكل سنة من سنن النبي ﷺ ويتفاون في ذلك .

ثم إن موقع بدر بعيد جدا من المدينة ، والنبي ﷺ لم يعود على مثل هذا السفر، ولم تكن أشغاله تسمح بذلك .

### شهداء أحد

قد ثبت في شهداء أحد أن النبي ﷺ ذهب إلى أحد ، ويبدو هذا صوابا فان أحدا جزء من المدينة المنورة ، ولعل طريقها مثل البقيع . وهذا لا يسمى سفرا ، وأنه ﷺ لم يقم به كل سنة ، بل ذهب في عام ( ٨ هـ ) فقط ، ودعا للشهداء ، فقد جاء في البخارى .

عن عتبة بن عامر قال صلى رسول الله ﷺ : على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع الأحياء والأموات ( ٥٧٨/٢ )

وتكرر هذا الحديث في ثلاثة مواضع من البخارى ، مرة في كتاب الجنائز ، ومرتين في كتاب المغازي ، ويوجد خلاف يسير في الالفاظ ، وبهذا الحديث تظهر الأمور التالية :

١ - لم تكن هذه الزيارة كل عام ، بل الواقع المذكور خاص بعام ( ٨ هـ )

٢ - كان هذا الحادث حادث وداع ، فان النبي ﷺ لم يذهب بعده لزيارة شهداء أحد .

٣ - ألقى النبي ﷺ هناك خطبة ، وكان ﷺ يلقي مثل هذه الخطب لدى الأمور المعتادة .

ولو فهمنا في هذا الحديث من الصلاة معنى الدعاء لحسب لكان أنسب . والحنفية تكره صلاة الجنازة على القبر بعد خمس سنوات . فان تفسخ الجثة يقيى في هذه المدة والشافعية تكره صلاة الجنازة على شهيد المعركة ، والاحاديث الصحيحة تقتضى ذلك ، فالقباس أن النبي ﷺ دعا دعوة مودع في سنة ( ٨ هـ ) ،

ويمكن أن القبوريين ظنوا ذلك احتفالا، ولكن الظاهر أن هذه الروايات لا تتحمل الاحتفال، ثم حملوا هذا الواقع على بدر أيضا، فان استدلالهم يكون بهذه المثابة .

### المنامات والقصاص

ان الأوساط القبورية تعتمد كثيرا على المنامات والقصاص الواهية، وتثق بهذه « المنسوجات العنكبوتية » . ولكن الحق أن المنامات والقصاص ليست حجة شرعية .

ومن دأب أئمة السنة أنهم لا يقبلون شيئا بدون سند، ثم انهم في العقائد يستدلون بما تواتر وثبت من ذخيرة الحديث، وفي الأعمال لا يلتفتون إلى الضعاف والشواذ والمنكرات .

أما هؤلاء فيتعلمون بالمنامات والأخبار الماطلة في باب العقائد . ان أئمة الأصول قد صرحوا بأن منامات الأئمة ليست حجة شرعية ولا يثبت به حكم .

ثم ان مثل هذه القصاص والمنامات توحد بكثرة لدى اليهود والنصارى والهنود وغيرهم من الأمم الوثنية، فلو فتحنا هذا الباب للاستدلال لما تعسر إثبات الوثنية والمجوسية أيضا، ونبوة القادياني أيضا تعتمد على هذه المنامات .

### نعش دانيال

ذكر البيهقي في السنن الكبرى وابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم عن أبي العالية قال لما فتحنا تسر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف له . قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون . قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعبيه على الناس لا ينشبهونه .

(مختصرا من اقتضاء الصراط ص ٣٣٩)

أما رحمة الله تعالى على أهل الحق فانها تنزل على الأحياء والأموات ،  
يمكن أن تنزل على دانيال ، وقد نزلت على النبي ﷺ والأنبياء والصالحين ،  
لن نحن العصاة أيضا نرجو رحمته تعالى ، واستدلال القسورين بما مر فان أحدا  
لم يستنث بدانيال حينذاك ، ولا هو يجوز الآن ، ولذا أخفى عمر ذلك القبر  
بحيث لا يستطيع أحد أن يعرفه وهذه النعمية دليل على أن الصحابة كانوا  
رون الاستعانة والاستغاثة بالقبور غير جائز .

وقد كان ذلك بأمر من عمر ، ولم يعارضه أحد من الصحابة ، وهذا يدل  
على أن الصحابة كانوا على إجماع ضد هذه الأعمال الشركية ، وإلا أنهم كانوا  
بصرحون لعمر أيضا بما كانوا يكرهون .

وهناك محاولة لتشويه آية خاصة بالموضوع أيضا ، يقول تعالى :  
( يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة  
ما يئس الكفار من أصحاب القبور ) الممتحنة : ١٣

معنى الآية واضح ، من يئانية ، والكفار بيان لأصحاب القبور ، أى يرجى  
لايمان فى الحياة ، وكذلك يتعلق الأمل بأسباب أخرى رحمة الله ، ولكن ليس هناك  
معقد أمل للكفار بعد الموت ، فالمسلمون الذين ينصلون بالكفار بعد الاسلام  
عليهم أن يئسوا من رحمة الله . وعلى هذا ليس فى الآية مجال وسعة لعبادة  
لقبور ، وقد اتفق جميع المفسرين فى تفسير الآية على الأسلوب المذكور .

ومن الواضح أن القرآن قد نزل لمعالجة مثل هذه الأمراض ، فكيف  
يسمح بالشرك ؟

وقد ذكر الشاه عبد العزيز فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا



وأتمّ تعلمون) أقساما مختلفة للانداد ، وفي القسم الرابع منها ذكر عبادة القبور فقال :

الرابع : يقول عباد المشايخ حينما يرتحل من هذه الدنيا رجل صالح صار بكماله في الرياضة والمجاهدة مستجاب الدعوات ومقبول الشفاعة عند الله ، وتحصل لروحه قوة عظيمة وسعة كافية ، وكل من يحمل صورته برزخا أو يسجد ويتذلل في موضع قيامه وقعوده ، فتطلع عليه روحه اسمعنها وإطلاقها ، وأشفع له في الدنيا والآخرة ( التفسير الميزي ١٥١/١ ) .

فالشاه عبد العزيز يرى مثل هذا الاستمداد والاعانة ندا وشركا ، وإيجاب مثل هذه الوسائل والوسائط بين الله تعالى وخلقه اساءة ظن بالله ، يقول : ابن القيم :

« ومن ظن أن له ولدا أو شريكا أو ان احدا يشفع عنده بدون إذنه أو ان يينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم اليه وانه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم اليه ويتوسلون بهم اليه ويحملونهم وسائط بينهم وبينه فيدعونهم ويحافونهم ويرجونهم فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه . ( الهدى ١١٤/٢ )

❦ القاضي ثناء الله الباي بقى ❦

كان القاضي ثناء الله يتبع المذهب الحنفي ، وكان صوفي المشرب ، صاحب نظر في الحديث ، تحترمه طبقات الديوبندية والبريلوية وأهل الحديث ، وله اعتقاد قوى في مجدد الألف الثاني . وله مكانة عالية بين أقرانه في العلم والفضل والزهد والتقوى والانابة إلى الله ، رحمه الله تعالى ورضى عنه ورفع درجته ، انه يقول في إرشاد الطالبين ما ملخصه :

«لو قال أحد ان الله ورسوله شاهدان على هذا العمل لكفر ، والأولياء لا يوجدون المعدوم ، ولا يمدمون الموجود ، ونسبة الایجاد أو الاعدام أو الرزق ومنح الأولاد ومنع الآذى والأمراض كفر ، يقول تعالى : ﴿ قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ﴾ ولا تجوز عبادة أحد سوى الله تعالى ، ولا طلب النصر من أحد ، وقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ يرشدنا إلى أن نستعين بالله وحده ونخصه وحده بالعبادة ، وتقديم قوله ( إياك ) يفيد الحصر ، فلا يجوز أى مذر لأولياء الله ، فان النظر عادة ، فلو نذر أحد مثل هذا النذر لما وجب عليه الوفاء به ، فان الحذر من المعصية ضرورى . ولا يجوز طواف القبور ، فان الطواف فى حكم الصلاة وهو حق بيت الله . ولا يجوز دعاء الأولياء والأنبياء أحياء كانوا أو أمواتا ، فقد قال رسول الله ﷺ : ان الدعاء هو العبادة ، ثم هناك قول الله تعالى فى البقرة ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخُلون جهنم داخرين ﴾ والدين ينادون بـ « يا شيخ عند القادر الجيلى شيئا لله » ، أو بـ « خواجه شمس الدين شيئا لله فان ذلك شرك وكفر » .

ثم يقول : قوله تعالى : ﴿ ان الذين تدعون من دون الله عماد أمثالكم ﴾ لا تخص عباد الأوثان فقط ، فان قوله « من دون الله » عام والعبرة فى الأحكام بعموم الالفاظ .

ثم يقول : ان ضم أحد إلى كلمة التوحيد قوله : « على ولى الله ، وأبو بكر ولى الله عزر ، وكذلك لا يجوز قول « يا محمد ، يا محمد » فى الذكر والورد ( ارشاد الطالبين ص ١٩ ) .

والاستدلال بالقرآن المجيد على الشرك دعاء غير الله عجيب ، ولكن حينا

تفسد عقلية الأمم تظهر منها أغرب مما ذكر ، وهكذا حال اخواننا القبوريين  
انهم يطلبون من القرآن أدلة على الشرك والكفر ۱۱۱

ان الكتاب والسنة يهدفان إلى القضاء على الكفر والشرك والبدع لا الحفاظ  
عليها، وكانت حياة رسول الله ﷺ كلها حربا على الشرك ، ومقتضى حب الرسول  
واتباعه أن نعامل القبور المعاملة التي تجوز ونجتنب الأمور التي نهى عنها .

والذين نسميهم أولياء الله وصلوا إلى الولاية باطاعة الله ورسوله ، فكل  
عمل يعارصه الكتاب والسنة يافى الاتيان به حب الأولياء ولا اعتبار للعمل  
الديني الذي يحلو من صبغة الكتاب والسنة ومثل هذه الأعمال يؤدي إلى  
الخزي والخسران في الآخرة ، مهما كان الإِدعاء للحب والشغف ، وفقنا الله  
جميعا للعمل بالكتاب والسنة ، آمين



## أول من جاب الأصنام إلى بيت الله



سافر عمرو بن لحي إلى الشام فرآهم يعبدون الأصنام فقال لهم : ما هذه  
الأصنام ؟ فقالوا : نعبدما ، ونستمطر بها ، ونطلب منها النصر ، فتعصرنا ، فطلب  
مهم صنما ، فأعطوه هبل ، فقدم به مكة ، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه . وعليه  
قول الشاعر :

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة      شق بمكة حول البيت أنصابا  
وكان للبيت رب واحد أبدا      وقد جعلت له في الناس أربابا

( الملتقطات ص ١٩٨ )



## السيرة العلمية لشيخ الإسلام ابن تيمية

الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريواني

الجامعة السلفية - بنارس

\*\*\*\*\*

(٧)

٥٢ - والشيخ عبد الله بن رشيق المغربي كاتب مصنفات شيخ الإسلام، كان أبصر بحط الشيخ منه، إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه عبد الله هذا، وكان سريع الكتابة، لا بأس به، ديناً عابداً، كثير التلاوة، توفي يوم عرفة يوم السبت سنة (٧٤٩ هـ) (١).

٥٣ - والامام العلامة شرف الدين عبد الله بن عبد الحلیم أخو شيخ الإسلام (٦٦٦ - ٧٢٧ هـ) سمع من شيخ الإسلام: «الوصية الصغرى» (٢).

٥٤ - وعبد الله بن الشيخ علاء الدين علي بن غام.

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم

٥٥ - والشيخ الامام المحدث صلاح الدين عبد الله بن محمد المحدث شمس الدين

محمد بن إبراهيم، غنائم بن وافد الشهير بـ «ابن المهندس» الصالحي

الحنفي (٦٩١ - ٧٦٩ هـ).

---

(١) البداية والنهاية (٢٣٩/١٤).

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى (٢٤٠/١) وانظر: ذيل العبر للذهبي (٨١/٤)

وشذرات الذهب (٧٦/٦).

سمع من شيخ الإسلام: جزء ابن عرفة مع أبيه سنة (٥٧٠٢هـ) بجامع دمشق بالكلاسة، وأحازم شيخ الإسلام<sup>(١)</sup>.

٥٦ - والشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك أبو محمد عبد الله بن موسى بن أحمد الجزري نزيل دمشق، وكان من الصالحين الكبار، مباركا خيراً، عليه سكنة ووقار، وكانت له مطالعة كثيرة، وله فهم جيد، وعقل جيد، وكان من الملازمين لمحاسن شيخ الإسلام، وكان ينقل من كلامه أشياء كثيرة، ويفهمها، يعجز عنها كبار الفقهاء، توفى سنة (٥٧٢٥هـ) بدمشق. وقال ابن حجر: كان فاضلاً خيراً ذا فهم، ومعرفة، وهبة، لازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية<sup>(٢)</sup>.

٥٧ - والشيخ الإمام زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الحليم ابن تيمية أخو شيخ الإسلام، حبس نفسه مع أخيه بالإسكندرية ودمشق محبة له، وإيثارا لخدمته، وما زال ملازماً له حتى مات الشيخ، توفى سنة (٥٧٤٧هـ)<sup>(٣)</sup>.

٥٨ - والفقير العالم زين الدين عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكي<sup>(٤)</sup>.

٥٩ - والشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد السلام ابن تيمية أبو محمد الحراني (٦٦٤ - ٥٧٣٦هـ)<sup>(٥)</sup>.

---

(١) الدرر الكامنة (٢٨٢/٢) والرد الوافر (٧٩) والنجوم الزاهرة (١٠١/١١) (١٠٢) والمنهل الصافي (٢٧٠/٢).

(٢) البداية والنهاية (١١٩/١٤) والرد الوافر (١٧٢) والدرر الكامنة (٣٠٧/٢).

(٣) انظر لترجمته: البداية والنهاية (٢٢٠/١٤) وذيل العبر للحسيني (١٤٣/٤).

(٤) العقود الدرية (٢٩٣) انظر لترجمته: الدرر الكامنة (٣٤٧/٢).

(٥) معجم شيوخ الذهبي (ق/٨٤ب) والدرر الكامنة (٢٧٦/٢).

سمع من شيخ الاسلام « الوصية الكبرى »<sup>(١)</sup> . ومشيخة ابن عبد الدائم<sup>(٢)</sup> .  
٦٠ - والشيخ الفقيه المحدث عبد العزيز الاردبيلي أحد العلماء المبرزين في الفقه  
والحديث قرأ بدمشق على شيخ الاسلام ، وبرهان الدين بن البركج ،  
والمزي ، وغيرهم ، ورحل إلى الهند وتقرّب إلى السلطان محمد شاه تغلق ،  
فأحسن إليه ، وأكرمه ، ولقيه محمد بن بطوطة المغربي الرحالة بمدينة  
دهلي ذكره في كتابه<sup>(٣)</sup> .

وعلاقته بالسلطان كان لها تأثير في مساعي السلطان للقضاء على الصوفية ،  
وآرائهم في الولاية عصره .

٦١ - والشيخ عبد المجيد بن محمود بن أحمد الجيلي ، سمع من شيخ الاسلام ،  
« الوصية الصغرى » عام (٦٩٧ هـ)<sup>(٤)</sup> .

٦٢ - والحكيم البارع الفاضل بهاؤ الدين عبد السيد بن المذهب إسحاق بن يحيى  
الطبيب الكحال ، المتشرف بالاسلام على يد شيخ الاسلام ، لما بين لهم  
بطلان دينهم ، وما هم عليه ، وما بدلوهم من كتابهم وحرفوه من الكلم  
عن مواضعه ، وكان قبل ذلك ديان اليهود ، وقد أسلم على يديه خلق  
كثير (ت ٧١٥ هـ)<sup>(٥)</sup> .

وذكره شيخ الاسلام ، وقال ؛ حدثني بهاؤ الدين عبد السيد الذى قاضى

(١) مجموعة الرسائل الكبرى (٢٤٠/١) .

(٢) انظر فهرس مرويات شيخ الاسلام .

(٣) نزهة الخواطر (٦٦/٢) .

(٤) مجموعة الرسائل الكبرى (٢٤٠/١) .

(٥) البداية والنهاية (٧٥/١٤) وانظر أيضا ترجمته في الدرر الكامنة (٣٦٦/٢) .

اليهود، وأسلم، وحسن إسلامه<sup>(١)</sup>.

وقد سمع في حال يهوديته مع أبيه من الشمس محمد بن عبد المؤمن الصوري أشياء من الحديث، وكتب بعض الطلبة اسمه في الطبقة في جملة أسماء السامعين، فأنكر عليه، وسئل ابن تيمية عن ذلك، فأجازه، ولم يخالفه أحد من أهل عصره، بل من أثبت اسمه في الطبقة: المزى، ويسر الله أنه أسلم بعد. وسمى محمدا، وأدى، فسمعوا منه، ومن سمع منه الحافظ الشمس الحسين وغيره من أصحاب العراقي، ولم يتيسر له السماع منه مع أنه رآه بدمشق، ومات في رجب سنة سبع وخمسين وسبعمائة<sup>(٢)</sup>.

٦٣ - والشيخ عثمان بن يحيى بن محمد الرقي

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم

٦٤ - وسيف الدين عربو بن عبد الله، فتي مجد الدين عبد المحمود، إمام تربة أم الصالح.

سمع من شيخ الإسلام: مشيخة ابن عبد الدائم.

٦٥ - وعلاء الدين علي بن آق الدين أحمد بن الزين أبي بكر محمد بن طرخان.

سمع منه مشيخة ابن عبد الدائم.

٦٦ - والشيخ علي المحارقي: علي بن أحمد بن هوس الهلالي كان رجلا صالحا

مشهورا، وكان يكثر التهليل والذكر جهره. وكان عليه هبة. ووقار،

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (١/١١٧).

(٢) فتح المعيث للسخاوي (٤/٢ - ٥) وعنه القاسمي في قواعد التحديث مبحث

توسع الحفاظ رحمه الله تعالى في طبقات السماع (٢١٨ - ٢١٩).

ويتكلم كلاماً فيه تخويف وتحذير من النار . وعواقب الردى ، وكان  
حلازماً لمجالس شيخ الإسلام ، توفى سنة (٧٢٧هـ)<sup>(١)</sup> .

٦٧ - وعلى بن عبد الله بن نجم الدين علي بن هلال ؛ حضر في الثانية في

سماع مشيخة ابن عبد الدائم علي شيخ الإسلام ، وغيره

٦٨ - وعلى بن عبد الغالب بن محمد بن عبد القاهر الماكسي .

سمع من شيخ الإسلام ؛ مشيخة ابن عبد الدائم .

٦٩ - والأمير الأجل الأفاضل علاء الدين أبو الحسن علي بن قيران السكري

توفى سنة (٧٤٤هـ) وله ست وثمانون سنة<sup>(٢)</sup>

سمع جزء الأربعين من شيخ الإسلام في الثامن عشر من ربيع الآخر

سنة (٧١٧هـ) بمشهد عثمان من جامع دمشق ، وأجاز له<sup>(٣)</sup> .

٧٠ - وعلى بن بدر الدين محمد بن جمال الدين أحمد بن محمد .

سمع من شيخ الإسلام : مشيخة ابن عبد الدائم .

٧١ - والإمام قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن عباس

البعلي ، الحنظلي نزيل دمشق .

قال ابن ناصر الدين . كان للشيخ تقي الدين من المعظمين وبشيخ الإسلام

له من المترجمين ، وجمع في مصنف اختياراته له من مسائل الفروع ،

ورتبها على أبواب المقام مع زيادة من فوائده على المجموع<sup>(٤)</sup> .

(١) البداية والنهاية (١٤/١٣٠) .

(٢) انظر لترجمته : المعجم المختص للذهبي (ق ٥٤/ب) والوفيات لابن رافع

(رقم ٣٩١) والدرر الكامنة (٢/٩٦) والرد الوافر (٧٥ - ٧٦) .

(٣) الرد الوافر (٧٥ - ٧٦) وذيل المعبر (٤/٤٣) .

(٤) الرد الوافر (١٨٥) .



٧٢ - وعلاء الدين علي بن محمد بن يوسف بن سيدم بن علي بن أبي فراس الصافى .

سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٧٣ - والإمام الأديب المحدث المقرئ النحوى ، أبو الحسن علاء الدين علي بن مظفر بن إبراهيم المعروف بابن عرفة ، الكندى الإسكندراني ، ثم الدمشقى صاحب التذكرة الكندية فى خمسين مجلدا ، وشيخ دار الحديث النفيسية (ولد فى حدود ٦٤٠ و ت ٧١٦ هـ) .

قال ابن كثير : كان يلوذ بشيخ الإسلام ابن تيمية .

وقال ابن ناصر الدين الدمشقى : كان كثير اللزومة للشيخ تقي الدين ، ومن خواص أصحابه المشهورين كثير التعظيم له والاحترام ، وترجمه بشيخ الإسلام<sup>(١)</sup> .

٧٤ - والشيخ على المغربى (ت ٧٤٩ هـ)

أحد أصحاب شيخ الإسلام ، كانت له عبادة وزهادة ، ونقشف وورع . ولم يتول فى هذه الدنيا وظيفة بالكلية<sup>(٢)</sup> .

٧٥ - والسيد الشريف حميد الدين الخشاب (٧٤٤ هـ) .

كان رجلا شهما كثير الوجداء والمحبة للسنة وأهلها ، من واطب شيخ الإسلام ، وانتفع به ، وكان من جملة أنصاره ، وأعوانه على الأمر

(١) البداية والنهاية (٧٨ / ١٤) ، ودول الإسلام (٢ / ٢٢٢) ، والدرر الكلمنة

(٣ / ١٣٠) ، والرد الوافر (ص ١٧٨) ، والنجوم الزاهرة (٩ / ٣٣٥) ،

وشذرات الذهب (٦ / ٣٩)

(٢) البداية والنهاية (١٤ / ٢٢٧)

بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الذى بعثه إلى صيدنايا مع بعض القسيسين، فلوث يده بالعدرة وضرب اللحمه التى يعظمونها هناك، وأهانته غاية الإهانة لقوة إيمانه وشجاعته<sup>(١)</sup>.

٧٦ — والشيخ زين الدين عمر بن أبى بكر بن معالى بن إبراهيم، التميمى البسطى التاجر (٦٦٤-٧٤٢هـ).

لارم مجالس شيخ الإسلام وانتفع به<sup>(٢)</sup>.

٧٧ — والشيخ المحدث الرجال زين الدين أبو القاسم عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب بن عمر الدمشقى، الشافعى نزيل حلب وعثسبها وشيخ الحديث بها (٦٦٣-٧٢٦هـ).

سمع من خلق يزيدون على خمسمائة إسان منهم شيخ الإسلام سمع منه جزء ابن عرفة سنة (٧١٠هـ) وخرج له الذهبى معجما عن شيوخه<sup>(٣)</sup>.

٧٨ — والإمام المحدث أبو حفص زين الدين عمر بن سعد الله ابن عبد الأحد الحراى ثم الدمشقى الفقيه الفرعى القاصى الحنبلى أحو شرف الدين محمد الشهير بـ «ابن بجيج» نائب القاصى الحنبلى بالجامع المظفرى لازم شيخ الإسلام ابن تيمية، وتفقه به حتى مهر وكان أحد خواص شيخ الإسلام ومحبيه<sup>(٤)</sup>.

(١) البداية والنهاية (٢٠٩/١٤)

(٢) البداية والنهاية (١٩٨/١٤-١٩٩)، والدرر الكامنة (١٧٥/٣)

(٣) تذكرة الحفاظ (ص ١٥٦٠). ومعجم الشيوخ للذهبي (ق ١٠٩/ب) والدرر الكامنة (١٥٨/٣)، والرد الوافر (ص ١٨٨)

(٤) البداية والنهاية (٢٢٧/١٤). والمعجم المختص للذهبي (ق ٥٩/ب) =

٧٩ - والسيد الأجل العالم الفاضل نضر المحدثين ومصباح المتعبدین تقي الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن عبد الواحد بن شقير<sup>(١)</sup>.

٨٠ - والإمام العابد سراج الدين أبو حمص عمر بن الإمام نجم الدين أبي عمر عبد الرحمن بن الحسين بن يحيى بن عمر بن عبد المحسن النخعي القباني، ثم الخوي الحنبلي نزيل القدس.

لازم شيخ الإسلام، واشتغل عليه وانتفع بما حصله مما لديه، فبرز على أقرانه وفضل، وكان جامعاً بين العلم والعمل، وسمع من شيخ الإسلام وغيره جزء ابن عرفة، وحدث به في المسجد الأقصى سنة (١٧٥٣هـ). وقال ابن رجب. كان جامعاً بين العلم والعمل، واشتغل وانتفع بابن تيمية ولم أر على طريقه في الصلاح مثله رحمه الله<sup>(٢)</sup>.

٨١ - وزير الدين عمر بن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ابن تيمية. سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم.

٨٢ - والفقيه المحدث سراج الدين أبو حمص عمر بن علي بن موسى بن خليل البغدادی، الأرجی الحنبلي، البزار (٦٨٨ - ١٧٤٩هـ)<sup>(٣)</sup>.

سمع من شيوخ عصره وحالس شيخ الإسلام، وصحبه وأخذ عنه وعن

= والقلائد الجوهريّة (١ / ١٣٧)، ودليل العبر للحسيني (٤ / ١٥١)، والوفيات (رقم ٥٤٦)، والرد الوافر (ص ١٩١)، والدرر الكامنة (٣ / ١٦٦)، والنجوم الزاهرة (١٠ / ٤٠)، وشذرات الذهب (٦ / ١٦٢)

(١) العقود الدرية (ص ٢٩٣)، وانظر ترجمته: الدرر الكامنة (٣ / ١٧٢)

(٢) الرد الوافر (ص ١٩٣)، والدرر الكامنة (٣ / ١٦٨)، وشذرات الذهب (٦ / ١٠٨)

(٣) الدرر الكامنة (٣ / ١٨٠)، وشذرات الذهب (١ / ١٦٣)

بالحديث وصنف كثيرا ، وقرأ على الحجار صحيح البخاري ، وحضره خلق ، مهم شيخ الاسلام وكان معظما لشيخ الاسلام وألف في سيرته كتابا باسم «الأعلام العلية» .

٨٣ - وعمر بن موسى بن محمد بن أبي بكر بن سالم المرادوي .

سمع من شيخ الاسلام مشيخة ابن عبد الدائم .

٨٤ - والمحدث الكبير المؤرخ علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف ابن البرزالي (٦٦٥ - ٧٣٩ هـ) <sup>(١)</sup> .

سمع من شيخ الاسلام ثمانية أحاديث من جزء ابن عرفة ، وحضر ولده أبو الفضل محمد وهو في الشهر السابع من عمره تبركا بحديث رسول الله ﷺ ، وقصدا للبداية بشيخ جليل القدر تعود عليه بركته ويستفح بدعائه . كتبه البرزالي بخطه في رجب (٦٩٥ هـ) بسفح جبل قاسيون <sup>(٢)</sup> . وقرأ عليه أيضا «الوصية الصغرى» <sup>(٣)</sup> .

٨٥ - والشيخ أبو القاسم القاسم بن يوسف بن محمد النجيب السبق صاحب البرنامج (ت ٧٣٠ هـ) جاء في رحلته إلى الحج عام (٦٩٧ هـ) إلى دمشق في شهر المحرم وصفر ، ولقي بها شيخ الاسلام ، وروى عنه جزء ابن عرفة وجزء لطيف منتقى من حديث أيوب السخيتاني كما سمع من مؤلفاته

---

(١) معجم شيوخ السذهبي (ق ١١٩ / ب) ، و المعجم المختصر (ق ٢٥ / ب) ،  
والبداية والنهاية (١٤ / ١٨٥) ، و طقات الشافعية لابن قاضي شبيهة (٢ / ٣٦٧) ، وذيل العبر للحسيني (٤ / ١٤٤)

(٢) الرد الوافر (ص ٢٠٢) ، وقد سمع البرزالي هذا المنتقى من مائتي شيخ ، كما هو موجود في نسخته الخطية المحفوظة بالظاهرية ، وقد حققته .

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى (١ / ٢٤٠)

كتاب «يلن الدليل على بطلان التحليل» و«الصارم المسلول على شاتم الرسول» و«رفع الملام عن أئمة الأعلام» وكتب له شيخ الإسلام «الوصية»<sup>(١)</sup>.

وذكر التجيبي هذه الوصية في برنامجه، وقال: كتبه لي بخط يده المبارك ودفعه لي عند إزماعي المسير من دمشق.

وذكره في ذكر أسانيده لصحيح الحارثي، فقال: وكان من جملة الوصية التي أوصاني بها التقى الفاضل أبو العباس ابن تيمية أن قال: ما في الكتب المصنفة الموبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن إسماعيل، وصدق ابن تيمية<sup>(٢)</sup>.

٨٦ - وسيف الدين قحط بن عبد الله التركي. سمع من شيخ الإسلام مشيخة ابن عبد الدائم.

٨٧ - والأمير حاجب الحجاب زين الدين كتبنا العادلي المنصوري، حاجب دمشق كان من خيار الأمراء، وأكثرهم مبرا للعقراء، وكان ملازما لشيخ الإسلام كثيرا، توفي سنة (٧٢١هـ)<sup>(٣)</sup>.

٨٨ - والإمام المحدث الفقيه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن غنائم ابن وافد ابن سعيد الصالح الحنفى المعروف بابن المهندس (٦٦٥-٧٢٣هـ)

---

(١) هي معروفة بالوصية الصغرى مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى (١/٢٤٠)، وقد طبعت حديثا مفردة بتحقيق الأستاذ سليم الهلالي من المكتبة الإسلامية بالأردن.

(٢) انظر: برنامج التجيبي (٨٣، ١٢٦، ١٩٢، ٢١٣، ٢٥٣، ٢٧٣) و«صفحة» ط، من المقدمة.

(٣) البداية والنهاية (١٤/١٠١)، والدرر الكامنة (٣/٢٦٤)، وذيل العبر (٤/٦٢)

سمع من شيخ الاسلام جزء ابن عرفة سنة (٥٧٠٢ هـ) بجامع دمشق بالكلاسة وأجاز له الشيخ ما له روايته، كما سمع منه مشيخة ابن عبد الدائم. وكان من رفقاء الذهبي، قال الذهبي: سمعت معه، وسمعنا منه<sup>(١)</sup>.

٨٩ - وابن الوائى المؤذن: الامام المحدث العالم المفيد أمين الدين جمال المحدثين أبو عبد الله محمد بن الشيخ المسند أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن الوائى المؤذن (٦٨٤ - ٥٧٢٥ هـ).  
خرج لشيخ الاسلام جزءا عن كبار مشايخه الذين سمع منهم، وحدث به شيخ الاسلام، فسمعه جماعة. وهو جزء الأربعين له.  
وانتقى الذهبي لابن الوائى جزءا حدث به غير مرة<sup>(٢)</sup>.

٩٠ - والخزرجي البياني: المسند الكبير شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن يعقوب بن إلياس الأنصاري الخزرجي ابن إمام الصحرة البياني الدمشقي (٦٨٦ - ٥٧٦٠ هـ). صحب شيخ الاسلام وقال ابن ناصر الدين الدمشقي: قال الخزرجي: أخبرنا شيخ الاسلام رحمه الله عليه بجميع كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، مناولة فذكره<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) الرد الوافر (٧٨-٧٩) وتذكرة الحفاظ (١٥٠٢) وذيل العبر (٩٧/٤) والدرر الكامنة (٢٩١/٣ - ٢٩٢) والوائى بالوفيات (٢١/٢) وشذرات (١٠٥/٦).  
(٢) معجم شيوخ الذهبي (ق ١٢٤/أ) وتذكرة الحفاظ (١٥٠٧) والمعجم المختص (ق ٧٠/أ) وذيل العبر (١٠٠/٤) ودول الاسلام (٢٤١/٢) والرد الوافر (٧٧-٧٤) والدرر الكامنة (٣٨٠/٣)، والوائى بالوفيات (٢١/٢ - ٢٢) وأربعون حديثا لشيخ الاسلام أول الاسناد (ص ٣٧).  
(٣) الرد الوافر (٨٠)، والدرر الكامنة (٢٩٥/٣)، والشذرات (١٧٨/٦).

الرئيس محمد ضياء الحق

## عاش مجاہدا و مات شہیدا

0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15

د . مقتدی حسن الازہری

انتقل الرئيس الماكستاني محمد ضياء الحق يوم ١٧ / أغسطس ١٩٨٨ م إلى رحمة الله تعالى اثر الحادث الذي تعرضت له طائرته في عودته من نهار لاهور إلى اسلام آباد في نحو الساعة الرابعة مساءً بتوقيت باكستان ، وقد هن هذا الحادث الاليم الحزن شعب باكستان خاصة ، والمسلمين في العالم عامة ، وكذا تألم بموته المفاجئ كثير من الرؤساء والزعماء وكبار الشخصيات من غير المسلمين .

ان الرئيس الـاكستاف دوف فى مساء مسجد الملك فيصل باسلام آباد  
والفناصيل التى اشترتها وسائل الاعلام المرئية والمسموعة لمشهد الصلاة على الرئيس  
ودوفه تدل دوف شك على عظم المصيبة وشعبية الرئيس ومدى حب المسلمين له  
واحترامه وتقديره ، فقد أعادت الأبناء أن أكثر من نصف مليون شخصا  
حضرُوا جنازة الرئيس وردعوه فى رحلته من الديار بدموع حارة وقلوب  
حزينة وأنصار عاشقة ، والدول التى أرسلت وفودها لحضور ذلك الاجتماع بلغ  
عددها (٧٣) دولة ان الأوساط الصحفية قد استعربت من الجوع المحتشدة  
التي اجتمعت فى هذه المناسبة فإنها لم تكن تتوقع أن الرئيس الباكستاني كان  
قد وصل إلى هذه الدرجة من حب الناس وتقديرهم ، وأنه سيطر على مشاعرهم  
وميلهم هذه السيطرة وتقول الأبناء انه لم يسبق فى تاريخ باكستان أن يحصل  
مثل هذا الاجتماع الكبير فى جنازة أحد . والمعلقون السياسيون يختلفون فى  
ترجيحهم للاجتماع ، ولكن المتعمقين منهم يصرحون بأن جهود المفيد فى تطبيق

الشرعية الإسلامية وتحقيق الوحدة بين المسلمين هي التي حبيته إلى قلوب الناس ،  
ودفعتهم إلى التعبير عن موجة الحزن والأسى التي غمرتهم بموت الرئيس  
'راح الرئيس الباكستاني ضحية مؤامرة خبيثة دبرت ضده للقضاء على نشاطه  
الإسلامي وجهوده في مجال تطبيق الشريعة ودعم الجهاد الأفغاني . كانت هذه  
المؤامرة جزءا من سياسة العنف والإرهاب التي استهدفت القضاء على كل نشاط  
إسلامي يخشى منه أعداء الإسلام . وهذا الحديث ذكرني حدث اغتيال الملك  
فيصل الذي عقد به العالم الإسلامي آمالا كبيرة في السياسة والاقتصاد ، وحدث  
العلامة احسان إلهي ظهير قريبا في باكستان الذي شهد له الجميع بنشاط جري .  
وعمل مشر في مجال الدعوة والإرشاد والبحث والتحقيق وكذلك الأحداث  
الأخرى التي تم فيها اغتيال الشخصيات الإسلامية العلمية . ان هذه الشخصيات  
الإسلامية بينها فوارق ومميزات دون شك ، ولكنها جميعا كانت تهفو إلى  
عزة الإسلام وكرامة المسلمين ، وهذا الذي لاحظته أعداء الإسلام فدبروا لها  
مؤامرات أدت إلى مصير واحد هو الموت . ماتت هذه الشخصيات دون شك  
ولكن الرسالة التي حملوها لن تموت ، وان تخدم الجذوة التي أشعلوها في قلوب  
المؤمنين بتضحية نفوسهم في سبيل الإسلام . انها كانت تعمل في سبيل العقيدة  
والإيمان متمسكة بمنهج سليم وساعية لهدف نبيل هو الإسلام . وما دامت العقيدة  
باقية والمنهج واضحا فلا خوف على الإسلام من ذهاب شخصية أو أخرى . ان  
هذه الشخصيات روت بدمائها شجرة الإسلام التي أصولها ثابته وظلالها وارفة  
وفروعها شاحنة تطاول السماء وتوقى أكلها مع تماقب الأجيال .

موت الكار يبعث الحزن والأسى في النفوس . وكذا كان موت الرئيس  
ضياء الحق . ولكن الذي سر كثيرا من الناس في هذه المناسبة المحزنة هو أن  
معظم الجماعات والأفراد وما يتبعهم من الجرائد والمجلات قد أتت على موقف



ضياء الحق واعترف بانجازاته في مجال السياسة والاقتصاد وبإخلاصه في أسلمة النظام والقانون ونزاهته وتعمفه في الحياة الشخصية. وموقف الجماعات والافراد هذا يدل على احترام الناس له باسم الاسلام، وعلى أن دعوته إلى توحيد الامة على أساس الكتاب والسنة وتطبيق الشريعة في باكستان كانت مطلوبة لدى الجميع ولكنهم لم يتمكنوا من نبذ الخلافات لتحقيق هذا المبدأ العظيم.

كان ظهور الرئيس محمد ضياء الحق على مسرح السياسة مفاجأة للعالم كله، فإنه قاد انقلابا عسكريا صد سائقه ذو الفقار على بوتو، وأعلن نفسه رئيس دولة باكستان. إن الرأي العالمي العام كان يطار اليه مثل نظرتيه إلى القواد العسكريين الآخرين الذين يصلون إلى السلطة بالمغامرات العسكرية والسياسية ويمارسون نشاطهم في الحكم لتحقيق أطماعهم في مجال السياسة والاقتصاد.

وهكذا عاجاً موته كثيراً من الناس، وتآلم به وتأسف عليه معظم الدول وشعوبها، وبدأت الحكومات والمطلمات والحرائد والمجلات باستثناء البعض تعدد محاسنه وانجازاته، وتصريح بأن الرئيس الراحل كان دون شك سياسياً محنكا وإنساناً ملخصاً لبلده وشعبه، وكان يتمتع ببصيرة نافذة وعزيمة قوية وإرادة صادقة وشجاعة إيمانية وروح الاعتزاز بدينه وحضارته وتاريخه وقد تجلت محاسنه هذه في مدة حكمه الذي دام نحو إحدى عشرة سنة.

وبإعل ذلك جاءه من أسرته التي كانت تتمسك بالاسلام واهتمت بتربية الأبناء على احترام الدين والخلق. ومن هنا اختلفت نظرة الرئيس إلى طلباء المسلمين عن غيره من الحكام العسكريين، فإنه قد أكرم العلماء وأفسح لهم المجال للمساهمة في شئون الحكومة، وشاورهم في كثير من الأمور الدينية والسياسية وأعلى منزلتهم في البلاد.

ومن محاسنه العلنية أنه شجع كثيراً الكتاب الاسلاميين الذين كانوا يدافعون

عن الاسلام ويشرحون مبادئه وأصوله في الأسلوب العلمي الذي امتاز به العصر وكان مشغولاً بحب السيرة النبوية، ومقدراً لكتاب السيرة على صاحبها الصلاة والسلام، وحتى تستمر جهود الباحثين والكتاب في موضوع السيرة النبوية ويتيحاً للعلماء جو البحث والتحقيق وتتجلى محاسن السيرة وجوانبها الواسعة ويتمكن العالم المعاصر من الاستشارة بدور الهدى والايمان . . . فإنه قد خضع جواهر تقديرية كبيرة تم توزيعها على كتاب السيرة البارزين، وقد بلغ مبلغ بعض هذه الجواهر نحو مائة ألف روية. ومثل هذه المواقف تدل بلا أدنى شك على توفر الروح الدينية والعلمية في الرجل، أحسن الله تعالى جزاءه عن الاسلام والمسلمين. وكفى الرجل الراحل من الدنيا أن يذكره خلفه بالخير، ويطلقوا ألسنتهم بالجميل، ويشعروا بغيبابه فراغاً في الساحة، ويحشوا نقصاً أو تراخياً في العمل الخير. ان المعارضة كانت قوية في باكستان، وكانت تتألف من أحزاب وطوائف سياسية ودينية، وهي جميعاً كانت تنزع بالرئيس الراحل، وتشكل حجر عثرة في طريقه، وكانت توجه اليه دائماً طعناً صريحاً ونقداً ساخناً لسياسته الداخلية والخارجية، وكانت تشك في دعاوى إخلاصه للبلاد والشعب، وترميه بالتحايل والاستمرار في السلطة باسم تطبيق الشريعة الاسلامية ومواصلة دعم الجهاد الأفغاني. ولكن لم تتمكن هذه المعارضة يوماً من الأيام أن تأخذ عليه في أمر من أموره الشخصية أو تهمة بالمحاباة والمداينة. كانت صفحة حياته صافية نقية لا تشوبه شائبة الرياء والعرضى والاثرة. وكذلك كان يؤثر حياة بسيطة لا تصنع فيها ولا تظاهر، ويقال انه بقي بعد وصوله إلى منصب الرئاسة في بيته الذي كان يسكن فيه قبل ذلك ولم ينتقل إلى قصر الرئاسة الذي تم بناؤه بنحو عشرة ملايين روية.

. بذل عنايته بالمقضاء على الفوضى والفساد الذي تأصلت جذوره في البلاد

وسعى لنشر العدالة والمساواة، وأرسى دعائم دولة ترمى إلى خير الشعب ورفاهيته. اتفق المظالمون على أحوال باكستان على أنه دعم هذه الدولة عسكرية وسياسيا واقتصاديا، وبذلك تملك قلوب الناس وكسب عواطف أصحاب العقول السليمة. كان الأمن قد استتب في عهده فلم تظهر فتنة أو مشاغبة كبيرة، اللهم إلا ما لا تخلو منه دولة من الدول حاول حل للمشكلات ببصيرة وإخلاص وأحب البلاد وشعبها. نعم انه لم يعلل الديمقراطية والجمهورية ولكن ماس الرعية سياسة عادلة، فكان نظامه خيرا من كثير من الدول التي يتشدق فيها الحكام بالديمقراطية والحرية والمساواة.

كانت جهوده الإصلاحية متنوعة فقد تناولت الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية معا، ففي الناحية الاقتصادية نفذ نظام الركة والعشر، وشجع النظام المصرفي اللاروى، ودعا إلى تمويل الأفراد والشركات للتجارية على أساس الشريعة الإسلامية وتوجيهاتها في التعامل الاقتصادي من المضاربة والمضبوكة. ولا يمكن القول بأن هذه الجهود انمشت تماما لأن نمقت المعاملات الاقتصادية معروف لدى الجميع، ولكن حسب الرجل أنه أيقظ الناس في هذا المجال ودكرم بما يوجد في تشريعات الاسلام من التوجيهات الاقتصادية السليمة التي تنفذ البشرية من مهالك الربا أو تخفف على الأقل مضارها

وفي مجال السياسة والاحتجاج قام بتنفيذ بعض الحدود والتعزير، وحاول ضبط سلوك الناس بالزامهم بالآداب الإسلامية والتوجيهات الحلقية. وقد لقي في هذا الباب معارضة شديدة من الرجال المتتورين الاباحيين ومن النساء المنتهعات بريق المضارة الغرية المادية، ولكنه لم يبال بالهراء الذي كان يردده الناس مقابل حكم شرعي وأدب اصلاحي.

كان شديد العناية بتوحيد صفوف المسلمين وجعلهم أمة واحدة تحمل

للإنسانية رسالة العدالة والسلام وشرعية الطهارة والتزكية وقانون العفة والأخلاق. وكانت دعوة المملكة العربية السعودية للنضام الإسلامي نصب عينيه في باب الوحدة ، فكان مقتنعا بأن توحيد صفوف المسلمين على أساس الكتاب والسنة ، وبأن يتخلى أصحاب المبادئ التقليدية عن الأمور التي تعرقل في سبيل الوحدة . وبأن تحكم كل جماعة في كل شأن الكتاب والسنة كما أمر الله تعالى . وقد تبلورت فكرة الوحدة والنضام بعده بعد تبادل الكلام مع علماء جمعية أهل الحديث المركزية في باكستان وبعد الاطلاع على مبادئ وأهداف ومناهج هذه الجمعية وبعد الايمان بالدور الذي لعبته في ترشيد الاتجاهات السياسية زمن الحكم الأنجليزى وقوله .

✽ واجب مسلمي باكستان بعد رحيل الرئيس ✽

لم يكن الرئيس محمد ضياء الحق محبدا محترما لدى جميع الباكستانيين ، بل كان منهم من يكرهه ويختلف معه في موقفه من القضايا العديدة أو لبعض نظرياته وأهدافه وهذا طبيعي جدا ، فإنه من المتعذر أن يحتل رجل تلك المكانة العالية ثم يتمكن من ارضاء الجميع واقناعهم ، وخاصة في دولة عرفت باختلاف الآراء وتشتت الاتجاهات والانقسامات الداخلية .

وبعد ارتحال الرئيس من الدنيا أهدى المعجبون بشخصيته وأعماله تأسفا بالفا على موته ، وبكوه بكاء حارا ، وبالفوا في التظاهرات بعواطفهم ومشاعرهم نحو رئيسهم المحب . وهذه الطريقة لتقدير الميت والاعجاب به شكلية غير مجدية ولكن الأغلبية اتخذت بها فإنها تراها صورة وحيدة لتخليد ذكرى هذا البطل ولابداء إعجابها به وتقديرها له .

ان الصورة المثالية لتخليد ذكرى الرئيس الراحل وإبراز مكانته لدى الناس واحترامهم له هي أن يجد المعجبون به في بذل الجهود وتحقيق التعاون والتكاتف للحصول على أهداف الإسلام التي نادى بها وعاش لها ومات في سبيلها . ان

ذلك واجب الامة الاسلامية كلها ، وخاصة الذين يدون اغماهم بالرئيس ضياء الحق . انه كان يسعى لتطبيق الشريعة الاسلامية ولجعل هذه الشريعة دستورا للدولة ، وكانت هناك أحزاب وشخصيات تعارضه في هذه النقطة ، وبما انه لم يتمكن من اتمام هذه المسيرة فإن المعارضة قد تقوى ، وقد تنشط القوى المعادية للإسلام في معارضتها لتطبيق الشريعة ، كما ظهر من اتجاه حزب الشعب وبعض الأحزاب الأخرى ، فإنها صرحت بأنها لا ترعى إلا بالحكم الديمقراطي المؤسس على العلمانية . وهنا يأتي دور المعجدين بالرئيس الراحل وكذلك دور الجماعات الدينية التي تؤمن بالإسلام وتود أن تطبق شريعته في البلاد ، فملهم أن يدرسوا الموقف بدقة وبصيرة ، ويحيطوا الشعب الباكستاني علما بأهداف الأحزاب السياسية التي تتخوف من الإسلام وعطامه ، وتريد علمانية الدستور والنظام لارضاء الدول الغربية الكبرى وللحصول على تأييدها ومعونتها . وموقف هذه الدول لا يحفى من الإسلام ، انها لا تريد في الحقيقة أن تقوم للإسلام قائمة لافى الشرق ولا فى الغرب ، ولذا تبذل كل جهد سرا أو علنا للقضاء على من ينادى بالإسلام ويعمل له ، وكذلك ترسم سياسة خبيثة للتشهير بالدعوات والحركات الاسلامية وتشويه سمعتها لدى الناس وتصورها فى صورة وحشية نشمئز منها النفوس .

ان المملكة العربية السعودية اعترت باعلان الإسلام شريعة وقانونا لها ، وانها طبقت الحدود الاسلامية على الشعب ، وطهرت لهذا التطبيق آمار طيبة ، وتوفر الأمن وعم السلام ، واطلع على ذلك كل من زار المملكة للحج والعمرة أو لغرض آخر . وموقف المملكة هذا قد دفع بعض الرؤساء المخلصين للإسلام لاعادة التجربة فى تطبيق الشريعة الاسلامية وحمل الاسلام ديننا للدولة وتأسيس المجتمع على أساس التوجيهات الاسلامية السامية التي تقدم القيم على المادة ولا نسمع

بأن يتجرد الانسان من المبادئ والآداب التي تقرها جميع الأديان والأعراف وهذا الاتجاه هو الذي يخافه الغرب ، ويسمى بكل ما يستطيع منع تحققه وانتشاره . انه لا يريد أن تتكرر التجربة التي فححت في المملكة العربية السعودية بسدد تطبيق الشريعة الإسلامية وتنفيذ الحدود والتعازير ، وانه لا يود أن يثبت في القرن المعاصر عمليا أن الإسلام دين صالح لهذا العصر، وأن تشريعاته لو طبقت تطبيقا سليما لضمنت السعادة والرعاية للبشرية كلها ولائنت بالأدلة الصارخة إفلاس الظلم الأخرى وكذب أعداء الإسلام الذين يرددون دائما أنه لا يصلح أن يساير مع العالم المعاصر .

وهذا التخوف ليس شيئا يحتاج إلى دليل . بل الصحافة العالمية قد صرحت به في مختلف المناسبات ، وخاصة عقب وفاة الرئيس ضياء الحق ، كرد فعل على هذا الحدث وما يعقبه من التغير والتحول . تقول مجلة «الإصلاح» الصادرة من دبي :

« لقد عبر كثير من المراقبين الغربيين ارتياحهم لغياب الجنرال ضياء الحق فهو في نظرم الشخص الذي عبر عن توجهات إسلامية أصولية ، وبغض النظر عن صحة ذلك التحفظ الذي تدببه الحركات الإسلامية في باكستان حول حقيقة ودوافع هذه التوجهات فإن مجرد الاعتزاز بالإسلام حتى ولو بشكل لفظي هو جريمة لا تغتفر في العرف الغربي وينساعل الاعلام الغربي الآن ويبحث مقصود عن مصير القوانين الإسلامية التي شرعت في باكستان بعد ضياء الحق » .

ونفس المجلة أوردت رأى البروفيسور (فريد هوليداي) المتخصص في قضايا الشرق الأوسط والعالم الإسلامي ، الذي أبداه عقيب مصرع الجنرال ضياء الحق في ندوة بالتلفزيون البريطاني الرسمي . يرى البروفيسور المذكور أن الولايات المتحدة لديها أكثر من سبب يدعوها للارتياح لاختفاء ضياء الحق من

المسرح السياسي الباكستاني . وهذه الأسباب حسب رأيه كالتالى :

١ - " ان أمريكا غير مرتاحة لاصرار الجنرال ضياء الحق على الاستمرار فى الدعم العسكرى والسياسى للمجاهدين الافغان .

٢ - ان الرئيس الباكستانى الراحل يعبر عن توجهات أصولية فى بعض الاحيان .

٣ - ان أمريكا غير مرتاحة لاشروع الدوى الباكستانى ، وأرادت اثناء الرئيس ضياء الحق عنه عدة مرات .

٤ - ان الولايات المتحدة تعتقد أن حكومة الجنرال الراحل لم تمارس رقابة كافية على زراعة وتجارة الحشيش والمخدرات التى غزت السوق الامريكية والغربية والتى خاضت ادارة ريجان حملة ضدها فى الساحة الامريكية الداخلية مؤخرا ،

وإذا كانت الحكومة الامريكية مع التزاماتها العسكرية والسياسية تجاه قضية المجاهدين الافغان وتجاه دوله باكستان التى تساند المجاهدين وتؤويهم ترى هذه الرؤية وتفكر هذا التفكير فى الذى يبقى فى القضية للانتظار ؟

هذا كله عن موقف الدول الغربية ، أما موقف الجماعات والاحزاب داخل باكستان فإنه هو الآخر لا يبشر بالخير ، فان الاوساط التى أشادت أمس بموقف الرئيس الراحل بصدد تطبيق الشريعة الاسلامية ، بدأت اليوم محاولة تصغير دوره فى هذا المجال ، وتتساءل بعد موته : ماذا فعل الجنرال الراحل فى عهده الممتد إلى أكثر من عقد ؟ ان مثل هذه التساؤلات تنم عن سوء قصد المعوقين لتطبيق الشريعة الاسلامية ، انهم يريدون بالطبع فى عهد الرئيس الراحل صرف الامة الاسلامية عن أمهلها نحو العودة إلى الاسلام ، واغرامها باسم الجمهورية والديمقراطية والحرية والمساواة .

وما دام القائمون على الحكم بعد الرئيس الراحل يعانون من اعتراهم على

مواصلة نفس المسيرة التي بدأها الرئيس ضياء الحق بشأن الاسلام. فانما الواجب الاول على الجماعات الاسلامية في باكستان تقدير الموقف بدقة النظر وسمعة القلب، وتوحيد صفوفها لمواجهة القوى العلمانية التي تريد التعويق في تنفيذ الشريعة الاسلامية والالتزام بالحكمة والاخلاص في رسم خطوط الشريعة وعرضها على الناس حتى يقتنع الشعب بالاسلام، ولا يجد الاعداء سبيلا إلى العطب في الاسلام والاستخفاف بحمايل لوائه.

### خطاب الرئيس في الجمعية العامة

من الأعمال البارزة التي قام بها الرئيس في حياته لصالح الاسلام والمسلمين: الخطاب الذي ألقاه في الجمعية العامة للأمم المتحدة بمناسبة بداية القرن الخامس عشر الهجري. ان هذا العمل العظيم الفريد يعد مفخرة للمسلمين وخطوة جريئة في سبيل تبليغ الدعوة الاسلامية تحمة من السياسيين والمثقفين والرؤساء والوزراء الذين لم يسبق لهم أن سمعوا عن الاسلام مثل هذا البلاغ الصريح الحاسم. ان العالم الاسلامي يذكر الرئيس الراحل على هذه المأثرة، ويثني عليه بكل خير بأداء هذه المسئولية بطريقة حسنة.

وكانت هذه الخطوة قد جاءت اثر قرار جلسة وزراء الخارجية لدول منظمة المؤتمر الاسلامي، التي انعقدت في شهر مايو ١٩٨٠م باسلام آباد. كانت بداية القرن الخامس عشر الهجري في شهر نوفمبر من هذا العام، وتقرر انعقاد قمة الجمعية العامة للأمم المتحدة في شهر اكتوبر. فرأى وزراء خارجية دول المؤتمر الاسلامي انتهاز هذه الفرصة العظيمة لعرض رسالة الاسلام ودعوته على رؤساء دول العالم وشعوبها من منبر هذه الهيئة الدولية وبمناسبة استهلال لقرن الخامس عشر الهجري. واتفق الوزراء على أن الرئيس محمد ضياء الحق هو الذي



يتولى إلقاء الخطاب أمام الجمعية العامة قبل الرئيس هذه المسئولية وألقى خطابه التاريخي الشهير في أول أكتوبر ١٩٨٠م، وصعد فيه بدعوة الحق وأعلن بلهجة حاسمة وأسلوب بليغ أن حلول مشكلات العالم — متقدما كان أو متخلفا — تكن في هداية الاسلام الربانية وتوجيهاته الرشيدة، وقد استمع لهذا الخطاب رؤساء معظم دول العالم ووزرائها، وقد صرح لهم الرئيس الراحل بأن الاسلام هو دين الانسانية والحب والسلام، وعلى هذه النخبة الشريفة وكذا على شعوب العالم كله، أن تنظر إلى هذا الدين وتدبر شرائعه وتوجيهاته متخلية عن جميع العصبية والتحفظات. ويعمد هذا الخطاب دون شك مرآة لشجاعته الايمانية وجراته الدينية. وفيما يلي مقتطعات من هذا الخطاب.

« ان الاسلام دين السلام، وانه يعنى الانقياد والخضوع لرضا الله تعالى وطاعته، ويطالب أتباعه بإشياء مجتمع مؤسس على العدل والمساواة. »  
 « وانه يعتبر جميع الناس أفراد أسرة واحدة. وبهذا الصدد لا يقيم وزنا لفوارق اللون والنسل والعقيدة. »

« ان الاسلام يأمر بالتسامح والاحسان، وبذلك صار جامعا للحامن ومهيما على الحضارات المختلفة، واستظلت أمم العالم بظلاله الوارفة. انه رسم للناس طريقة التعايش السلمى، وقضى على العصبية وضيق النظر، وعارض القومية والاقليية والتفرقة العنصرية. انه قدم نموذجا رائعا لاستقرار السلام والتضام بين الفرق والشعوب المختلفة طوال القرون التى تمت لها فيها السيادة والعزة. حينما نرى فى هذا العصر ادعاء التفوق العنصرى والعصبية والظلم من قبل بعض الدول والشعوب. »

« ان المسلمين ينتشرون اليوم فى منطقة جغرافية واسعة تقع بين اندونيسيا

في الشرق وبين السنغال في الغرب ، ويعيشون في طقوس مختلفة ، ويوجد بينهم اختلاف العادات والتقاليد والنظم والديناميات والألسنة والألوان ، ومع ذلك نلهم عندهم شعورا قويا للوحدة الإسلامية .

« ان الاسلام لعب دورا بارزا في النهضة العلمية في القرون الوسطى ، وانه بذلك مهد السبيل للنهضة الأوروبية ، ومن جانب آخر أسدى إلى الأمم الأوروبية بصدده هجمات التتار التي أشهت عذابا مائويا ، ولو لم يتعرض لها المسلمون لقهوت أوروبا في القرن السابع الهجري . ولكن الأسف أن الأوروبيين لم يردوا على هذا الجليل بالجميل ، بل سيطروا على بلاد المسلمين واستعمروها ونهبوا ثرواتها . »

« ان البلدان الإسلامية تحررت سياسيا ، ولكنها لم تحرر إلى الآن في المجال الاقتصادي ، بل بقيت فقيرة إلى الدول المتقدمة ، وصارت حالتها من سوء إلى أسوأ . »

« ان الأقليات الإسلامية التي تعيش في مختلف دول العالم يبلغ عددها نحو ثلاثمائة مليون ، وإنها تتعرض لأنواع من الظلم والاضطهاد ، وبعض الدول تخطط لآبادتها إبادة جماعية ، وهذا الوضع يعتبر تحديا سافرا للضمير العالمي . وانا حينما نبدي قلقنا نحو هذه الأقليات لانزوى إلى التدخل في الشؤون الداخلية لدولة من الدول ، بل نطالب الأسرة الدولية بإعلان مخططها نحو هذه المعاملة الجائرة . فان الانسان لو تجرد عن الشعور بالآلام الإنسانية لتعرض مستقبل البشرية للخطر الماحق . »

« إن الاسلام لا يجب الادعاء والتفاخر على أساس المبادئ والقيم ، بل انه يقيم الوزن للعمل ، ومراعاة لهذا التوجيه أعلن صراحة ودون غر أن

التحديات والمشكلات التي تواجه عالمنا المعاصر يساعد الاسلام في حلها دون شك ، وانه كذلك يساعد في إقامة مجتمع عالمي على أساس الأخوة العالمية والتعايش السلي . ان الاسلام ليس ديناً كالديان الأخرى ، بل انه بناء شامع ذو جوانب شاملة ، وانه نظام قانوني فريد ، وثقافة متميزة ، وحضارة رائعة ، وأصول روحية عليا تكفل للبشرية السجاة والسعادة ، والخدمات التي أسداها هذا الدين إلى البشرية معروفة لدى الجميع .

« والمسلمون يمكنهم أن يلعبوا دوراً مهماً لارضاء دعائم الأمن والسلام بين دول العالم ، وقد أرشدهم إلى ذلك رسول الاسلام ﷺ في خطبة حجة الوداع . وقد تضمنت هذه الخطبة توضيحاً شاملاً للحقوق والواجبات الانسانية ، وانها تنفع وتصلح للبشرية اليوم كما كانت قبل أربعة عشر قرناً .

« وهي تعد أكمل وأحسن وثيقة تضمنت سعادة البشرية ورخائها ، وأعلنت إلغاء الفوارق العنصرية والطبقية ، ودعت إلى نشر المودة والأخوة بين أفراد البشرية في العالم .

ان الرئيس الراحل قد صرح في خطابه بأنه يؤمن بأن حل مشكلات بلاده ، وكذلك جميع البلدان والشعوب يكن في توجيهات الاسلام وسيرة رسوله الأكرم ﷺ .

وقال الرئيس الباكستاني في نهاية خطابه :

« الرئيس المحترم ! يؤمن العالم الاسلامي بأن عصر المادية قد ولى و انتهى إلى الأبد ، وكان نظام الملكية والمستعمرات وأنواع البنى والاضطهاد متولداً من تلك المادية . والمسلمون يستقبلون اليوم القرن الخامس عشر الهجري . وقد عرفوا قيمة دينهم وثقافتهم ، ونشأ فيهم الاعتماد بنظام الاسلام الاجتماعي

والاقتصادى ، ومن هنا يؤمنون بأن بداية ذلك القرن يكون بداية لعهد جديد ،  
إن شاء الله ، يسود فيه الأمن والسلام والعدل والمساواة ، ويتمكن فيه المسلم  
من القيام بأعمال إيجابية لإصلاح البشرية وسعادتها ،

✽ الرئيس محمد ضياء الحق فى ضوء خطبه ✽

حينما يستعرض المرء أحوال باكستان فى العقود الأربعة الماضية من ناحية  
الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع يتبين له بوضوح أن الهدف الأساسى من  
انشاء هذه الدولة الإسلامية غاب عن كثير من زعمائها ومسئولياتها ، أو انهم  
تناسوه وصرفوا عنه الأنظار . وهذا الوضع قد أساء كثيرا إلى سمعة باكستان  
وزعمائها .

● ان الرئيس الراحل كان يلبس هذا الضعف ، ويدرك مدى الخطأ والتقصير  
فى هذا الباب ، ولذا أشار إليه فى عدة خطبه ، وذكر الشعب بالمسئولية العظيمة  
التي ألقيت على كاهله بعد انشاء دولة باكستان والتزام المسلمين بأنها تكون دولة  
إسلامية ، يقول :

« لا أظن أحداً يحفل أن هذه الدولة ( دولة باكستان ) أنشئت باسم  
الاسلام ، وأنى أؤمن بأنها تنهض وتزدهر باسمه . وأصرح بأنى إن أستطيع  
وحدى تحويل هذه الدولة إلى جمهورية إسلامية ، بل أبذر لها البذور ، وأبدأ  
الخطوة الأولى ، ثم يكمل من يأتى بعدى » .

« كنا قلنا وقت انشاء دولة باكستان اننا نطالب بدولة مستقلة لأننا أمة  
مستقلة ، ونريد أن نعيش وفق أحكام ديننا وشريعتنا . ولكنتا نسبنا هذا التعمد  
بعد الحصول على الحكومة ، وفقدنا نور الاسلام فضعنا وتها فى ظلام الجهل  
والانحراف ، وفى هذه الفترة نشطت القوى المحبة للظلام ، وسامت أحوال عامة

السكان ، ولكن لو طبق النظام الاسلامى فى وقته لتوفرت الحاجيات لكل مواطن فى الجمهورية الاسلامية ، فان النظام الاسلامى لايمنى تنميد الحدود لحسب ، بل لانه يهدف الى انشاء مجتمع تتحقق فيه جميع مرافق الحياة فى ضوء اصول الاسلام وتعمل فيه الادارة والمحكمة ومصالح التجارة والزراعة والصناعة وفق احكام الشريعة الغراء .

● وقال عن ضرورة اعتزاز المسلمين بالاسلام :

« لا ينبغي ان نقف موقف الاعتذار عن الالتزام بالاسلام ، بل يجب علينا الحسم بشأن هذا الدين ويجب التصريح بانتمائنا اليه وایماننا به عن قناعة وبصيرة ، وانى وقفت من الاسلام هذا الموقف فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وبفضل الله تعالى ثم بدعواتكم وصل نداء الاسلام الى الهيئة الدولية . »

● وقال عن الوحدة الاسلامية والدفاع المشترك بين الدول الاسلامية :

« معظم الدول المسلمة تمتعت بتوفيق الله تعالى بالحرية والاستقلال ، وارتبط بينهم رابطة دينية قوية ، واحكام الدين الاسلامى كلها مستقاة ومستنبطة من الكتاب والسنة . وهذان الاصلان يجب ان يكونا اساسا لوحدةنا ، وبهما نحكم بين الرجلين لى اذا تحاصبا ونفصل فى القضايا التى تختلف فيها الانظار ، كنت قدمت فى المؤتمر للسابق مقترحا خاصا بالدفاع . ولم أقصد بذلك ان تكون جميع قوات الدول الاسلامية تحت قيادة عليا . وكذلك لم أقصد ان نوحّد جيوشنا لنهجم على دولة أخرى . بل قصدت به ان ننظر على مستوى الفرد والامة الى جميع الاخطار التى تهدق بكياننا ، ونوحّد موقفنا ونستغل ثرواتنا . ان الله تعالى منح المسلمين نعمًا لو انتفعوا بها متحدين وحاولوا تحقيق أهدافهم السامية لصاروا قوة يرهبا الجميع . »

● وقال عن ضرورة هذه الوحدة في العصر الراهن :

« العالم الاسلامي يمر اليوم بمرحلة دقيقة وصعبة تحتم عليه أن يتخلى جميع المسلمين عن خلافاتهم ، ويعتصموا بحبل الله بقوة ، ان حاجة الملة الاسلامية للوحدة اليوم أشد منها أمس . ومن صور هذه الوحدة أن تطلق جميع الدول الاسلامية الاسلام في بلادها ، وتجعل الاسلام أساسا في علاقاتها الدولية ، وتعمل دائما لصالح المسلمين » .

● وقال عن وظيفة الأدب والشاعر في المجتمع الاسلامي :

« ان الحكومة تعتبر الأدباء والشعراء علماء الأدب وشيوخهم ، انهم لا يكتبون بفهم الأدب بل يستطيعون التوجيه والترشيد في هذا المجال . والكتاب أمانة القيم الانسانية ونقباء المستقبل المودهر . والكتاب الذين ينجلون من انتمائهم إلى باكستان حرام عليهم أن يتمتعوا بأرض هذه الدولة ورزقها ومائها وسهامها - اني أعرف أن المبدعين والمنتجين يحملون عن مجتمع لا يفتر فيه أحد لأحد ، ولا يوجد فيه سيد و عبد ، ولا يستغل فيه أحد أحدا . ولو فكرتم لعرفتم أن الاسلام كان قد جاء لتحقيق هذا العلم ، ونزلت أحكام الشريعة لايحاد مثل هذا المجتمع ، فلو لم تتمكن من ايماده إلى الآن فان التقصير منا وليس من الاسلام إن على الأدباء والشعراء أن يخرجوا عن ورطة حديث الحب والغرام إلى نواحي الحياة الواقعية التي لم تنحصر قط في شئون العشق والحب ، ان للحياة حقائق وأشكالا جديدة تنتظر العناية والاهتمام من قبل الشعراء والكتاب . ان الشاعر لو توجه عن حديث الحب والغرام لرأى حوله عالما مليئا بالحياة والحركة ، ولادرك عاطفة دينية قوية في العالم الاسلامي ، وتبين له أن البشرية التي كانت تلهث وراء الماديات والمغريات تبحث الآن عن روح جديدة تضمن

له السيادة الابدية . وفي مثل هذه الاحوال ينبغي أن ينتهوا الادباء والنصحاء  
الفرصة ، ويستخدموا أقلامهم للوقوف بالجمع إلى السمو والكمال في التفكير  
والسلوك .

● وقال عن أهمية المساجد وعظم دورها في الاسلام .

« المسجد هو المكان العظيم الذي ينسب فيه الانسان بميزاته الدنيوية ،  
ويمكن من أداء حقوق الله وحقوق العباد معا . ان اجتماع المسلمين في المساجد  
يلج إلى غاية حياتهم ومنهجهم المشترك فيها . والحفاظ على قدسية هذه المساجد  
وعظمتها واجب على كل مسلم » .

● علماء الدين وأئمة المساجد لا يهتمون في المجتمع بالاحترام والتقدير في  
أغلب الاحوال ، وأحيانا ينظر اليهم الناس نظرة احتقار واستخفاف ، وقد تأثر  
في ذلك المسلمون بغيرهم من أهل الديانات . لاحظ ذلك الرئيس ضياء الحق  
فنبه المسلمين على خطأهم وأشار كذلك إلى عظم مسئولية العلماء والأئمة فقال :  
« من المؤسف أننا أنزلنا أئمة المساجد وخطبائها منزلة نساك المعابد  
الوثنية وأساقف الكنائس النصرانية . اننا نكلف عالم الدين ( المولوى ) بالجلوس  
في المسجد ، وأن يجمع قوته كل خميس من الناس ، ويتلقى التبرعات يوم الجمعة .  
فهل هي منزلة علماء الدين واحترامهم عندنا بعد أن قضوا نحو خمس عشرة سنة  
في تحصيل علم الدين ؟ ان قصدتم ذلك فاني أطالبكم باعادة النظر فيه . أما  
الامامة في نظري فانها شرف كبير وكرامة عظيمة ، ولكن يجب أن يشغل هذا  
الشخص من يتمتع بسعة العلم والقلب معا » .

● ان الجهاد الأفغانى تلقى دعما طابا ومعنويا كبيرا من الرئيس الباكستانى  
وشعبه ، انهم جميعا قدموا تضحيات جسيمة في مواجهة القوات الشيوعية التي  
احتلتها أفغانستان ، وفي ايواء اللاجئين الذين تدفقوا إلى الحدود الباكستانية اثر

احتلال الروس لأفغانستان . ان الرئيس ضياء الحق أبدى في عديد من خطبه وجهة نظره وبلاده نحو الشعب الأفغانى وجهاده ، يقول :

« ان المجاهدين الأفغان أبدوا العزيمة والاستقامة أكثر منا ، فهم بدؤوا جهاد الحرية حينما كانوا عزلا لا يملكون الأسلحة المضادة للدبابات ولا الصواريخ وما إلى ذلك ، ولكنهم كانوا يحملون العزيمة في قلوبهم لإعلاء كلمة الاسلام ولتحرير البلاد ، وكانوا يتمتعون بروح الجهاد والتضحية ، حتى قتل منهم مئات الآلاف وتشرذم الملايين وانى على يقين أن دماهم تحقق معجزة القرن العشرين »

« انى أرجو من المجاهدين الأفغان أن لا يتأثروا بدعاية الأعداء ، ويعتبروا باكستان بلدهم إلى أن يتم تحرير أفغانستان » .

« أما باكستان فانها لا تترك المجاهدين الأفغان وحدهم في هذا الوقت الصعب ، اننا ساعدناهم منذ ثمانى سنوات ، وسنستمر في المساعدة إلى عودتهم إلى وطنهم بخير وسلام ، انهم احوالنا وجيراننا ، ومن يستطيع أن يصرف نظره عن الضيوف والخيوان ؟ »

● وقال مشيرا إلى الخسارة التى لحقت الأمة الاسلامية باستمرار الحرب

بين ايران والعراق :

« ان آمالنا ذهبت سدى بنشوب حرب بين الدولتين الشقيقتين ايران والعراق ، حينما كان ينبغي أن تتركز جهودنا لمواجهة التحديات في فلسطين وايران . ان تأثير هذا الصدام في سلام المنطقة مقلق جدا ، ان المنطقة بأسرها تضيق بضياع وسائل هاتين الدولتين المسلمتين ، فيسهل للقوى الخارجية ممانسة مخطوطها ، ولذا يجب على العالم الاسلامى بذل الجهود للقضاء على ذلك الصدام » .



### ❦ موقفه من الإسلام ❦

عاش الرئيس الراحل في فترة ساد فيها النظام الغربي في مجال السياسة والاقتصاد ، وتعود فيها الشرقيون باستيراد هذا النظام إلى بلادهم وبتحبيبها إلى شعوبهم بمختلف الحجج والبراهين ، بل شاع بين الشرقيين أن المستوى الثقافي للمرء الشرقي لم يكمل إلا بعد أن ينهل من منهل الغرب ويصطبغ بألوان الثقافة التي تسود هناك ، ولا فرق في ذلك بين الأمور الدراسية وغيرها ، ومعنى ذلك أن الشرق عالة على الغرب بمعنى الكلمة وقد عزز هذا الشعور وأدى إلى انتشاره بين الشرقيين تقدم الغرب في مجال العلوم والتكنولوجيا ، وتفوقهم في مجال الصناعة والاختراع . ومن الغريب المؤسف أن هذا التفكير لم ينتشر في الشرق غير الإسلامى لحسب ، بل انتشر في أوساط المسلمين أيضا وانهم اقتنعوا به تمام الاقتناع ، إلا من عصمه الله تعالى ورحمه . حتى بدأ المسئولون منهم عن أمور السياسة والثقافة يطبقون في بلادهم النظام الغربي المستورد ، النظام الذي كان يصرح أحيانا ويرمز أخرى إلى أن الشرق — وفيه الإسلام والمسلمون — لا يملك في مجال السياسة والثقافة ما يضمن له البقاء والتقدم ، ومن هنا يتحتم عليه أن يعود إلى الغرب كي يستفيد منه في هذه المجالات .

ان هذا التضليل — بل الهراء — أثر في الشرقيين تأثيرا ، وانخدع به بعض المسلمين حتى وجد بينهم من يصرح بأن الإسلام ليس له تشريع سياسى مستقل ، وأنه لم يأت ليوجه المسلمين في مجال السياسة والحكم ، وللمسلمين حرية في اختيار ما يحبون من الأنظمة السياسية وفي تطبيقها على المسلمين ، وغالى البعض فقال يجب على المسلمين اتباع الغرب في هذا الباب حتى تتمتع البلاد وشعوبها بنعمة الحرية والمساواة !

وأود أن أصرح هنا بأن الحالة التي وصفت بها الشرق وأهلها من المسلمين وغيرهم ، قد لزمت للأغلبية ، وخاصة منذ أن تم اتصال الشرق بالغرب وسيطر الأخير على الأول في مجال الثقافة والسياسة والاقتصاد ، ويمكن بمناسبة ذلك كانت هناك جماعة من علماء المسلمين آمنت بعدم الفصل بين الدين والدولة ، وفصلت الكلام في شرح توجيهات الإسلام السياسية والاقتصادية ، بل أكثر من ذلك بذلت جهوداً مشكورة في سبيل تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الإسلامي . ولذا لم يصح ما يذهب إليه بعض الكتاب من أن فكرة فصل الدين عن الدولة كانت سائدة لدى المسلمين زمن الاستعمار الأنجلو أمريكي وقبله ، وقد قام بتنفيذها بعض الجماعات الإسلامية في الأعرام الأخيرة فقط . نعم لم يتم القائمون بالحكم والسياسة بتطبيق الشريعة الإسلامية في شئون الحياة كلها ، فالتقص كان في المجال العملي لا في المجال النظري .

ومهما يكن فإني أرى الرئيس محمد ضياء الحق جاء إلى الحكم في فترة تعود للناس فيها على الاستغراب من اسم الإسلام في مجال السياسة والاقتصاد ، وخاصة في باكستان ، التي ظلت منذ تأسيسها مسرحاً للأفكار والنظم المعادية للإسلام ، وتأسست فيها نظريات الشيوعية واللاحاد وكثير فيها نشاط الفرق الضالة والحركات الهدامة ، وتبجح فيها الأعداء بأن الاشتراكية أو الرأسمالية هي التي تصلح أن تكون نظاماً للحكم في هذه البلاد ، وبذلك ترسخ فيها دعائم الديمقراطية والجمهورية . أما الإسلام فإن العودة إليه في مجال السياسة والاقتصاد ليست إلا نوعاً من الرجعية والتخلف ، وإن الشعب في هذا العصر لن يتحمل مثل هذا النظام والقانون .

في مثل هذه الأحوال أعلن الرئيس محمد ضياء الحق ثورة على الرئيس بوتو ، واحتل منصب الرئاسة ، وبذل الجهد للعودة بالشعب الباكستاني إلى الحكم

للإسلامي، انه أعلن استعداده واقتناعه بتطبيق الشريعة الإسلامية، وبكون الإسلام نظاماً ودستوراً للبلاد. وقد تشجع في ذلك بحكومة المملكة العربية السعودية التي كانت تسير في نفس الدرب، وغطى على الشعب أحكام الكتميل والمنفعة، وتحتز باتماتها إلى الإسلام ويجعل شريعته دستوراً للسياسة والهيكل.

ان المناداة باسم الإسلام في مجال الحكم والسياسة والدعوة إلى تطبيق الشريعة في بلد مثل باكستان لم يكن أمراً سهلاً.. ولم يكن أحد يتوقع أن رجلاً عسكرياً وصل إلى منصب الرئاسة بعد الثورة يخطو هذه الخطوة. ولكن الرئيس الراحل رحمه الله تعالى للعمل في هذا المجال فذكر البذور الأولية في سبيل تطبيق الشريعة الإسلامية ودفع الناس إلى الاعتزاز بالإسلام وتبني أحكامه في المجتمع الذي يعاني الفساد والخيانة والاباحية والآثمة، وانه بمشية الله تعالى ارتحل إلى دار الآخرة وأفضى إلى ما قدم، ووقعت المسؤولية الآن على خلفائه في مجال الحكم والسياسة، وهم مطالبون بمواصلة السير في سبيل تطبيق الإسلام. ان هذه المرحلة صعبة في حياة الأمة الباكستانية، وقادتها في موقف الامتحان والاختبار، سدد الله خطاهم ووفهم للعمل لصالح الأمة الإسلامية كلها.

وبصدد الكتابة عن الرئيس ضياء الحق أرى الإشارة إلى نقطة لها صلة وثيقة بوحدة الأمة وبمبدأ التعاون والتكاتف في سبيل تحقيق الأهداف الإسلامية. وهذه النقطة هي أن المتتبع لحياة هذا الرئيس وأعماله ومواقف شعبه منها يلاحظ أن ضياء الحق نادى بتطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان بعد نحو ثلاثين سنة من وجودها، وتدرج بهذا الصدد إلى تنفيذ بعض الأحكام والتوجيهات، وأبدى اعتزامه على الاستمرار في ذلك، ولكنه لقي معارضة شديدة من الاباحيين والاشتراكيين الذين كانوا يصرون على علنة الدولة والنظام، وكانوا يخطفون لباكستان تبعية الدولة الكبرى، بمينية كانت أو إسارية. وفي

مثل هذه الحالة كان الشعب المخلص للإسلام في باكستان وخارجها يتمتع اتحاد الجماعات الإسلامية في البلاد لقمع الاتجاهاات المعادية لتطبيق الشريعة ولائبات صلاحية الإسلام للشعب الباكستاني في هذا القرن . ولكن الأسف أن هذه الجماعات الإسلامية لم يقف من الرئيس ضياء الحق موقف التعاون الذي تطلبته الظروف بل أبدت كثيرا من التحفظ والتوقف في تطبيق الإسلام ، وأحيانا أبدت شبهات في نوايا المستويين عن الحكم وصرحت بآراء أبدت المعارضين لتطبيق الشريعة أكثر من مقاومتهم .

وذلك كما ورد في الحوار مع أمير الجماعة الإسلامية في باكستان ، الذي نشرته مجلة الإصلاح بدبي في عدد ذي الحجة (١٤٠٨ هـ) . يقول فيه أمير الجماعة عن تطبيق الشريعة من قبل ضياء الحق :

« أما أمر تطبيق الشريعة فما هو الا خداع لهذا الشعب . والاعلان عن تطبيق الشريعة هو صورة من صور الزيف الذي تقدمه الحكومة ، لأن هذا القانون الذي أعلن عنه ضياء الحق عرض منذ ثلاث سنوات على مجلس النواب ورفضناه وقدمنا مشروعا آخر مكتملا ، لأن هذا القانون هو فرار من الشريعة وليس تطبيقا للشريعة . ولكننا فوجئنا منذ أيام بأن ضياء الحق يعلن القانون الذي أعده منذ ثلاث سنوات ، والذي يعد صورة مزيفة لما يسمى بتطبيق الشريعة » . (مجلة الإصلاح بدبي عدد ١٢٧ ص ١٤) .

قصد أمير الجماعة الإسلامية واضح من العبارة كل الوضوح ، انه يصف محاولة الرئيس بشأن تطبيق الشريعة بالخداع والزيف ويشك في إخلاصه بصدد عودة الشعب الباكستاني إلى التمسك بالإسلام .

وهنا ينبغي أن نستمع الآن إلى مسئول آخر عن الجماعة الإسلامية في باكستان

نفسها حتى نعرف مدى تضارب آراء بعض الجماعات الاسلامية في ضياء الحق وكيف أنها آثرت التخاذل بدل التعاون وقضت على التفاهم وجو المصافحة ، الامر الذي أفسح المجال للأحزاب العلمانية والاشتراكية حتى نقول بأن اتفاق علماء المسلمين على نظام يسمى اسلاميا ويتم تطبيقه في البلاد أمر عسير جدا ان لم يكن مستعدرا .

يقول الشيخ خايل الحامدي في رسالته لنفس مجلة الاصلاح بدبي (عدد صفر ١٤٠٩ هـ ص ١٦) ردا على السؤال الذي وجه إليه بصدد تقويم فترة حكم الرئيس محمد ضياء الحق :

« انه ( محمد ضياء الحق ) كان دائما يدعو الشعب الباكستاني إلى أن يتمسك بالاسلام ، وكان يحاول ويسعى كي يطلق حكم الاسلام ، وإن كان لم ينفذ من هذا إلا النزر اليسير ، فقد حول هذه القوانين إلى اللجنة التنفيذية التي أسست التنفيذ ، ولكن مع ذلك نحن نعتبر هذا الرجل خيرا من جاء في الحكم في باكستان » .

### ❦ الجهاد الأفغاني بعد الرئيس الراحل ❦

يشيع أعداء الاسلام أن الجهاد الأفغاني يضعف بعد موت الجنرال محمد ضياء الحق ، وأن المجاهدين الأفغان يتراجعون عن النضال بعد هذه المأساة ، وهكذا تتمكن حكومة نجيب من معاودة القوة واعداد العدة لارغام المجاهدين على الاستسلام .

يردد المعادون مثل هذا الكلام للنيل من الجهاد الأفغاني ولتقليل شأنه في عيون الناس . كان الرئيس محمد ضياء الحق دون شك خير مساند للمجاهدين ، وإنه قد بذل لصالحهم جهودا طيبة ، وبموته خسر المجاهدون بطلا من أبطالهم

ومطاعدا من مصاعديهم، ولكن مع ذلك لا يمكن القول بأن الجهاد يوقف بموت هذا البطل، لأن المجاهدين بدوا نعالهم منذ عصر الملك ظاهر، وتوسع هذا النضال وتقوى في عصر الملك داود خان، إلى أن ظهر الجنرال محمد ضياء الحق على المسرح، وتولى مساندة المجاهدين ووفق في تعزيز مواقفهم البطولية. إن جهوده مشكورة جدا، ولكن المجاهدين يتفنون مرعاة الله تعالى، ويتوكلون على نصره وتأييده، ونضالهم لتحرير أفغانستان من القوى الشيوعية الكافرة لم يرتبط بشخصية أو أخرى، حتى يخاف عليه من ذهابها. أن القوات الشيوعية استخدمت الأسلحة الفتاكة والوسائل الجهنمية لردع المجاهدين ولإيقاع جهادهم. ولكنهم لم يتوقفوا يوما واحدا عن مواصلة الجهاد ولم يثن عزيمتهم الهدد الهائل من الطائرات والدبابات، فكيف بموت الرئيس الراحل؟ إن المجاهدين واثقون بالله تعالى، وأنهم يذبلون أرواحهم رخيصة في سبيل الحفاظ على عقيدتهم وإيمانهم، فادامت القوات الشيوعية تشكل التهديد لعقيدتهم وإيمانهم استمر نضالهم وتواصلت جهودهم، والله تعالى يعصرم ويموض لهم ما يخسرون من الأعداء والإنصار، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه).

ويرى المعلقون أن الاتحاد السوفيتي يمارس بعد شهادة الجنرال محمد ضياء الحق ضغوطا على المجاهدين وعلى من يساندون ويقف بجانبهم. أنه من يهزيمه في حربه مع المجاهدين، وتمت اتفاقية جنيف، ولكن الروس لم يلتزموا بهذه الاتفاقية، واستمروا في أعمالهم الوحشية ضد المجاهدين وحصد الشعب الباكستاني، وواصلت طائراتهم قصف مراكز المجاهدين داخل أفغانستان وفي الأجزاء الباكستانية، إن القوات الروسية تمارس هذا الضغط على المجاهدين التهاذلا للفرصة التي صنعت لها بعهدة الرئيس محمد ضياء الحق، إن الروس يحاولون

الآن إزالة العار الذى لوهمهم بقرار الانسحاب ، انهم كانوا قد احتلوا أرض أفغانستان على أن يستتب لهم فيها الحكم والسيطرة ، ولكن الشعب الأفغانى الباسل رفضهم وأرغمهم على التراجع والاندحار ، وبعد موت الرئيس الباكستانى عاودهم الأمل فى السيطرة على الموقف فبدؤوا الأعمال الوحشية والانتهاكات الجوية والأرضية ظناً منهم أن المقاومة ضعيفة والجو مهيأ لهم . انهم لم يعرفوا أن روح الجهاد إذا نشأت فانها لن تمهد ، والمسلم إذا بدأ القتال فانه لا يخاف إلا الله ، وانه يتوكل على نصر الله وتوفيقه لا على المساعدات التى يتلقاها من هنا وهناك .

هذا ، ومن ناحية أخرى هناك تصريحات لخلفاء الرئيس الراحل تنفى أى تحول فى سياسة الحكومة الباكستانية نحو قضية الجهاد .

فقد أكد الرئيس الباكستانى غلام محمد إسحاق خان فى أول مؤتمر صحفى له بعد وفاة الرئيس محمد ضياء الحق على أن باكستان تبقى ملتزمة بالسياسة الداخلية والخارجية التى رسمها الرئيس الراحل ، والمسيرة التى بدأت بمجهوده لأسلحة الحكومة والمجتمع لن تتوقف ، إن شاء الله ، وأنها تواصل دعمها للجهاديين الأفغان الذين يناضلون لتحرير بلادهم من الاحتلال السوفيتى والعملاء الشيوعيين الذين يحاولون اخضاع الشعب الأفغانى لقبول الشيوعية والالحاد منهجاً للحياة ودستوراً للحكم .

وهذا التصريح من قبل خاف الرئيس الراحل يشير بالخير عن مستقبل باكستان ؛ ويدل على أن الرئيس محمد ضياء الحق حينما أعلن عن تطبيق الشريعة الإسلامية فى باكستان فانه كان يعبر عن أمل الشعب وأمنيتهم ، ولم يكن يستغل الإسلام لتدعيم موقفه ولا استمراره فى الحكم ؛ كما زعمت بعض الأوساط السياسية .

## فتاوى دينية

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز  
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية  
والدعوة والإفتاء بالرياض

---

السؤال : كثير من اللفظ والجدال حول المهر والاسرار بالتسبيح بعد الصلوات  
المفروضة وحول هذا الموضوع نرجو إفادتنا عما يلي :

- ١ - أيهما الأفضل : الجهر أم الإسرار بالتسبيح ؟
- ٢ - إذا كان الجهر يشوش على من قاته بعض الركعات فما هو الحل ؟
- ٣ - ما هو نصيحتكم للمتجادلين حول تلك المواضع وغيرها خاصة في  
المساجد ؟

الجواب : ثبت في الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رفع  
الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي  
ﷺ ، قال ابن عباس : « كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته ،  
فهذا الحديث الصحيح ، وما جاء في معناه من حديث ابن الزبير  
والمغيرة بن شعبة وغيرهما كذا تدل على شرعية رفع الصوت بالذكر  
حين ينصرف الناس من المكتوبة على وجه يسمعه الناس الذين عند  
أبواب المسجد وحول المسجد ، حتى يعرفوا انتهاء الصلاة بذلك .  
ومن كان حوله من كان يقضى الصلاة قال الأفضل له أن يخفف  
قليلًا حتى لا يشوش عليهم عملاً بأدلة أخرى جاءت في ذلك .  
وفي رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة فوائد



كثيره : فيها لإطهار الثناء على الله سبحانه على ما من به عليهم من أداء هذه الفريضة المنظمة ، وفي ذلك تعاليم للجاهل ، وتذكير للناس ، ولو لا ذلك لحفيت السنة على كثير من الله ، والله ولى التوفيق .

السؤال : نشاهد بعض الزملاء يؤدون صلاة المغرب والعشاء جمعا وقصرا أثناء سفرهم للزحمة من الطائف إلى جدة وذلك لمدة ثلاثة أيام ، علما بأن جميعهم وقصروهم يكون أثناء الطريق فقط ، فما الحكم في ذلك ؟

الجواب : لا حرج في ذلك لأن النبي ﷺ كان يقصر ويجمع في أسفاره ، والقصر سنة مؤكدة ، أما الجمع فيفعل عند الحاجة ، فإذا كان المسافر تارلا مستريحا فالأفضل له عدم الجمع بل يصل كل صلاة في وقتها كما فعل النبي ﷺ في منى في حجة الوداع ، وبالله التوفيق .

السؤال : إذا طهرت الحائض قبل غروب الشمس فهل تجب عليها صلاة العصر والظهر .

الجواب : إذا طهرت الحائض أو النفساء قبل غروب الشمس وجب عليها أن تصلّي الظهر والعصر في أصح أقوال العلماء ، وهكذا إذا طهرت قبل طلوع الفجر وجب عليها أن تصلّي المغرب والعشاء ، وقد روى ذلك عن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عباس - رضى الله عنهم - وهو قول جمهور أهل العلم ، وهكذا إذا طهرت الحائض والنفساء قبل طلوع الشمس وجب عليها أن تصلّي صلاة الفجر وبالله التوفيق .

( مع الشكر لمجلة الدعوة السعودية ٣٨ صفر ١٤٢٨ )

اختيار/ أحمد عتيق السلي



## المستشفى الاسلامى بالأردن

يصدر عددا جديدا من مجلة «الشفاء»



عن قسم العلاقات العامة فى المستشفى الاسلامى صدر العدد السادس من مجلة الشفاء وهى نشرة متخصصة غير دورية تعالج مواضيع طبية وصحية إلى جانب إبراز نشاطات المستشفى الاسلامى المختلفة .

واعرب الدكتور على الحوامدة مدير عام المستشفى الاسلامى فى افتتاحية «الشفاء» عن تقديره للتفاعل المتصاعد الذى يحققه المستشفى الاسلامى مع مختلف قطاعات المجتمع فى مسيرته الطبية الانسانية .

وحملت «الشفاء» بشرى تزويد قسم أمراض القلب فى المستشفى الاسلامى باحدث الاجهزة المتطورة لمختبرات قسرة القلب والى من المنتظر أن يتم وضعها فى خدمة الجمهور الكريم فى وقت قريب .

واحتوى العدد الجديد من الشفاء على عدة مقالات وبحوث علمية وطبية منها مقال بعنوان: إرشادات موجزة حول معالجة حالات التسمم، كتبه الصيدلانى خليل قطاونه المدير الادارى للمستشفى الاسلامى، ومقال عن الغدة الدرقية للدكتور فاروق قعدان مدير مختبرات المستشفى الاسلامى، وبحث للدكتور الفاضل العبيد عمر عن مسيرة المستشفيات الاسلامية عبر القرون، وآخر عن العسل الصيدلية الدوائية المتكاملة، ومقال عن الاهمية الغذائية للتمور، كما اشتمل العدد الجديد من الشفاء على عدة نصائح وإرشادات للأمهات لرعاية أطفالهن، بالإضافة إلى نشاطات واعجازات المستشفى الاسلامى .

والجدير بالذكر ان قسم العلاقات العامة فى المستشفى الاسلامى يوزع الشفاء مجاناً لكل من يرغب فى اقتنائها، ويمكن طلبها بواسطة ص، ب (٩٢٥٦٩٣) . عمان، الأردن .

## ترجمة عربية لكتاب رحمة للعالمين

كتاب رحمة للعالمين من أم مراجع السيرة النبوية وأنفعها وأدقها . ألفه  
بالأردنية العلامة القاضي محمد سليمان المصور فوري رحمه الله .

يمتاز هذا الكتاب بأن مؤلفه رحمه الله ذكر السيرة النبوية العطرة في ضوء  
الروايات الصحيحة ، وألقى الضوء على حياة محمد ﷺ ، وشرح تعاليم الاسلام  
ومبادئه وأصوله ، وقارن بينها وبين تعاليم الأديان الأخرى مقارنة عادلة دقيقة  
وهكذا انتهى إلى إبراز سمو الاسلام وكأله وخلوده ، كل ذلك بأسلوب علمي  
بليغ وبأحسن طرق البحث والكتابة وسطور هذا الكتاب تفوح منها روائح  
الحب النبوي الذي تملك قلب المؤلف وسيطر على مشاعره وأحاسيسه ، وتشع  
منها أنوار الايمان واليقين التي تور سبيل الطاعة والاتباع لكل مؤمن محاصر .

كل من قرأ الكتاب أبدى إعجابه به واستجامه معه على اختلاف ميوله  
وعواطفه ، والذي انفق عليه الجميع هو تأثيره البالغ في نفوس القراء وتملكه  
لمشاعرهم وعواطفهم ، حتى صرح غير واحد منهم بأن القلب يخشع والعين تدمع  
بقراءة هذا السفر اللطيف بتدبر وروية .

والله تعالى يسر ترجمة هذا الكتاب إلى العربية ، ووفق بعض الجمعيات  
الاسلامية لتولى أمر الطبع والتوزيع ، والأمل أن الطبعة العربية لكتاب رحمة  
للعالمين تكون في متناول القراء قريبا ، إن شاء الله تعالى ، نفع الله تعالى بهذه  
الترجمة أصحاب القلوب السليمة كما نفع بأصلها ، وأحسن الجزاء لمؤلفه عن  
الاسلام والمسلمين ، إنه سميع مجيب .

## الشيخ محمود أحمد الميرفوري

\*\*\*\*\*

فوجئنا بنياً محزون نشرته بعض الجرائد الهندية والباكستانية ، يفيد الخبر بأن الشيخ محمود أحمد الميرفوري لقي حقه مع ابنه ( ٩ سنوات ) وأم زوجته إثر حادثة تعرضت لها سيارته في طريقه من مانشستر إلى برمنجم ، إنا لله وإنا إليه راجعون وفي نفس الحادث أصيبت زوجة الفقيد بجروح شديدة ، عافها الله تعالى . كان الشيخ الميرفوري ، رحمه الله أمين عام جمعية أهل الحديث في بريطانيا ، إنه شغل هذا المنصب بعد تخرجه في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وأثبت كفاءته وإخلاصه للعمل الإسلامي ، ولذا أحبه كل من اطلع على نشاطه ، وأعجب بإنجازاته في بلاد الغرب وخاصة في أوروبا .

إن المشج الذي اختاره الفقيد مع زملائه لغير الدعوة الإسلامية وتوجيه للشباب إلى الوجهة السليمة في البلاد الغربية كان مؤسسا على الكتاب والسنة ، ومن هنا حظى بلعجاب الناس وتقديرهم وأثمر ثمارا طيبة بتوفيق الله تعالى .

كأن شديد التمسك بالسلفية يشرح مبادئها وأهدافها ، ويدافع عنها بوجهي وبصيرة . وأصدر مع زملائه مجلة ( الصراط المستقيم ) بالأردنية والإنجليزية ، وقد لعبت هذه المجلة دورا إيجابيا مهما في شرح العقيدة الإسلامية الصحيحة ومقاومة الشرك والبدع والفواحش والرد على الفرق الضالة المضلة .

كانت جمعية أهل الحديث ببريطانيا حديثة النشأة قليلة الوسائل ، ولكنها أنجزت أعمالا عظيمة نافعة بتوفيق الله تعالى ، ثم بجهود الشيخ الميرفوري

بواخوانه الذين انسموا بالاخلاص والمثابرة، وشقوا طريقهم للعمل في المجتمع  
لغيري الذي كثرت فيه الموانع والمعوقات، جزام الله تعالى خيرا.

سنت لي قرصة المقابلة مع الشيخ الميرفوري في المملكة العربية السعودية  
أكثر من مرة، وفي كل مرة كان الحديث ينجر من الشئون العامة إلى  
شئون السلفيين في مختلف أرجاء العالم، وخاصة في المناطق التي عرف فيها أهل  
الحديث بنشاط ملموس في مجال التدريس والدعوة. وأثناء تبادل الكلام مع  
اللقيد كنت ألس فيه تطلعا قويا إلى مستقبل مزدهر للدعوة الإسلامية، وحرصا  
شديدا على توحيد صفوف المسلمين على أساس الكتاب والسنة، وعاطفة صادقة  
لائقأ للمسلمين من مهالك الشوك والبذع. ولتحقيق هذه الآمال كان اللقيد على  
أقصل صل مع المسئولين عن المنظمات والجمعيات السلفية، يفيدهم ويستفيد منهم.

وفي شعبان عام (١٤٠٨ هـ) كان وفد الجامعة السلفية برئاسة أمينها العام الشيخ  
عبد الوحيد عبد الحق السلفي وعضوية هذا القدير والدكتور عبد الرحمن الغريواني،  
يقوم بزيارة المملكة العربية السعودية، وفي تلك الأيام بلننا وصول الشيخ  
الميرفوري إلى الرياض، كننا نود مقابلته في الفندق الذي نزل فيه ولكنته سقنا  
في الملجأ إلى الفندق الذي نزلنا فيه لمقابلة الشيخ عبد الوحيد حفظه الله تعالى.  
جلسنا مع الشيخ في هذا اللقاء نحو ساعتين جرى فيها الحديث حول كثير من  
الشئون العامة وحول ضرورة التعاون والتنسيق بين المنظمات والجمعيات السلفية  
في العالم.

كانت نظراته إلى أحوال السلفيين ومشكلاتهم على غاية السدادة والصواب،  
لأنه كان يتكلم عن خبرة أو مشاهدة، وكانت بصيرته النافذة واحتكاكه مع  
أفراد الجمعيات والمنظمات قد أكسبه تجربة عميقة عن العوائق والأزمات،

وبذلك تمكن من وضع النقاط على مواضعها وعرف الأمور بظواهرها وخفاياها. انه أشار في هذا اللقاء إلى ظاهرة سيئة أصيب بها السلفيون في عديد من مناطق تواجدهم، وهي أن الأفراد يمارسون نفاطهم الاسلامى على المستوى الفردى وينعزلون عن الجماعة ويتخلون عنها بحجة أو أخرى. كان الفقيد يرى إيقاف مثل هذه الظاهرة وتحقيق التعاون والتكاتف بين السلفيين لرفع مستوى العمل الاسلامى على صعيد الجماعة لا الفرد.

انتهت هذه الجلسة بعد ساعتين ولم يدر أحد منا أن هذا هو اللقاء الأخير مع الفقيد في الدنيا، ما أعجز الانسان وما أقل علمه!

كان الفقيد أخبرنا في هذا اللقاء أنه قرر عقد مؤتمر في لندن عن قدسية الحج والحرمين، وبعد رجوعه إلى لندن وجه الدعوة إلى كاتب هذه السطور لحضور المؤتمر، ولكنى لم أتمكن من تلبية دعوته لأسباب طارئة، وقد شارك فيه عديد من علماء الهند، وذكروا نجاح المؤتمر في أهدافه، وأشادوا بجهود الفقيد وجمعية أهل الحديث بصدد المؤتمر وسائر النشاطات الاسلامية.

أصابتنا هزة شديدة بموت الشيخ الميرفورى ولكن القضاء لا يرد، فصبر جميل، والله هو المستعان، وعليه التكلان. نقدم أحر التعازى إلى أسرة الفقيد وإلى جمعية أهل الحديث ببريطانيا ونشاطر الجميع الحزن والأسى، ونسأل الله تعالى أن يغفر للفقيد ويعلى درجته في جنته الفردوس ويلهم المصابين الصبر والسلوان، انه هو السميع المجيب. اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه. وصلى الله على نبينا وبارك وسلم.

Accession Number.

(أبو فوزان)

21875

Date 11/12/88

هذا هو العدد الأخير من مجلة صوت الأمة  
للمجلد الأول / ٢٠ ، والعدد القادم يصدر في  
يناير ١٩٨٩ م ، وهو يكون العدد الأول من  
المجلد الثاني / ٢١ ، إن شاء الله تعالى .

NOVEMBER & DECEMBER 1988

# SAUTUL UMMAH

The Islamic Cultural & Literary Monthly Magazine

Dar-ut-Taleef Wat-Tarjama, Varanasi, India

من مطبوعات الجامعة السلفية :

## إنعسا المنعم الرب بشرح ثلاثيات البخاري

تأليف

الشيخ عبد الصبور بن الشيخ عبد التواب الملتاني



Printed and Published by : Abdul Auwal Ansari.

At Salafia Press, Reori Talab, Varanasi.



